



الدراسات الأفريقية والعربية

فصلية دولية علمية محكمة تصدر عن:
المركز العراقي الأفريقي للدراسات الاستراتيجية

المجلد الثالث - العدد الحادي عشر

سبتمبر ٢٠٢٠م

Iraqi-African Center For Strategic Studies

Tel: 00964776837196

(NGO)1E78478

<http://ciaes.net/>

<http://afroar.com/>

مجلة الدراسات الأفريقية والعربية

African & Arab studies

International Scientific Periodical Journal issued
by the Iraqi-African Center for Strategic Studies

تصدر عنه:

المركز العراقي الأفريقي



رقم الإيداع: بدار الكتب والوثائق ببغداد

٢٠١٨ / ١٨٧٩

بالتعاون مع:

وكيل المجلة بجمهورية مصر العربية
مؤسسة النيل للدراسات الأفريقية
والاستراتيجية



مخبر الحوكمة والتنمية
المستدامة بجامعة البليدة 2



وكيل المجلة في ليبيا
دار البيان للنشر والتوزيع



رقم الإيداع: بدار الكتب الوطنية - ليبيا

٢٠١٨ / ١٥٥

التقديم الدولي بالمركز الدولي (CJEPS) - فرنسا

ISSN: 2709-2828

الهيئة التحريرية للمجلة

رئيس التحرير: دينا العشري

مديرا التحرير:

د. رشا العشري (مصر)

أ. عبيد إيجن (موريتانيا)

أعضاء هيئة التحرير:

• د. حاتم الصديق محمد أحمد (السودان)

رئيس مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر

• د. عزيز طالب (المغرب)

رئيس المركز الدولي للوائح والمناطق الجبلية (المغرب)

• د. خالدة سالم بابكر (السودان)

باحثة متخصصة في الشأن الأفريقي

• أ. محمد عز الدين (مصر)

رئيس مؤسسة النيل للدراسات الأفريقية

• أ. محمد علي أحمد حمران (صنعاء)

رئيس اتحاد الأكاديميين العرب

التسويق والمراجعة:

أ. مصطفى فؤاد

تصميم الغلاف:

أ. كمال سند

رئيس الهيئة العلمية الاستشارية

أ. د. علاء التميمي

الهيئة العلمية الاستشارية للمجلة

• أ. د. محمد علي محمد نوفل

أستاذ الدراسات اللغوية ولغتي الهوسا والسواحيلي بقسم

اللغات الإفريقية. عميد كلية الدراسات الإفريقية العليا

جامعة القاهرة (مصر)

• أ. د. مولاي إبراهيم سدر

استاذ التعليم العالي بجامعة مولاي إسماعيل بمكناس

(عميد كلية العلوم والتقنيات بالرشيدية) (المغرب)

• أ. د. ريم موسى

استاذ العلوم السياسية وعميد كلية الدراسات

الاجتماعية والاقتصادية جامعة بحري (السودان).

• أ. د. صالح زياتي

أستاذ تعليم عالي في العلوم السياسية، جامعة باتنة 1

(الجزائر).

• أ. د. جمال السيد الضلع

أستاذ العلوم السياسية ورئيس قسم السياسة والاقتصاد

الأسبق بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة

القاهرة (مصر).

• أ. د. بن يزة يوسف

أستاذ تعليم عالي في العلوم السياسية، جامعة باتنة 1

(الجزائر)

• أ. د. محمد المختار جي

استاذ وباحث أكاديمي رئيس مركز البحوث والدراسات

الإفريقية بالسنگال وأمين عام للاتحاد العربي الإفريقي

للتنمية المستدامة المتكاملة التابع لجامعة الدول

العربية بالسنگال (السنگال)

• أ. د. عطية محمود الطنطاوي

أستاذ الجغرافيا الطبيعية بقسم الجغرافيا ونظم

المعلومات الجغرافية. وكيل كلية الدراسات الإفريقية

العليا (مصر)

• د. مهدي دهب حسن دهب

استاذ العلوم السياسية رئيس قسم العلوم السياسية

المشارك بجامعة افريقيا العالمية (السودان).

• د. بلهول نسيم

أستاذ محاضر بقسم العلوم السياسية - جامعة البليدة

02 (الجزائر).

• د. تامر محمود عبد الوهاب

مستشار العميد ومدرس الأنثروبولوجيا الطبيعية بقسم

الأنثروبولوجيا كلية الدراسات الإفريقية العليا (مصر).

• د. محمد أدریس عبد العزيز

رئيس قسم العلوم السياسية بجامعة طبرق (ليبيا).

• د. سيد رشاد قرني

مدرس اللغة السواحيلية بقسم اللغات الإفريقية كلية

الدراسات الإفريقية العليا، جامعة القاهرة (مصر).

• د. أوان عبد الله الفيضي

الأستاذ المساعد في كلية الحقوق - جامعة الموصل (العراق).

• د. رامي عاشور

دكتور العلوم السياسية والأمن القومي وزميل أكاديمية

ناصر العسكرية العليا (مصر).

• د. محسن الندوي

علوم سياسية وعلاقات دولية - رئيس المركز المغربي

للأبحاث والدراسات الاستراتيجية (المغرب).

• د. عبد السلام بشير خليفة

دكتوراه في العلاقات الدولية جامعة الزاوية (ليبيا).

• د. عوض أحمد حسين شبا

استاذ مساعد تاريخ وسيط جامعة الزعيم الأزهرى

ونائب مدير مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر

الأحمر (السودان).

• د. إبراهيم عبد اللطيف عبد المطلب خوجلي

أستاذ مشارك - جامعة كسلا - كلية التربية - قسم

الجغرافيا (السودان).

• د. زينب محمد حامد محمد أحمد

أستاذ التاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط -

جامعة نواكشوط العصرية (موريتانيا)

رؤية المجلة وشروط النشر بالمجلة

”مجلة الدراسات الأفريقية والعربية“ فصلية دولية محكمة تصدر عن ”المركز العراقي الأفريقي للدراسات الاستراتيجية“ العراق بغداد، بالتعاون مع مخبر الحوكمة والتنمية المستدامة بجامعة البليدة ٢ – الجزائر. تُعنى المجلة بالدراسات والبحوث والأوراق البحثية عموماً في مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية وكافة القضايا المتعلقة بالقارة الأفريقية ودول حوض النيل والدول العربية، كما تسعى المجلة لتحقيق هدف المركز في التقارب العربي الأفريقي، والاهتمام بالقضايا التي تهم الطرفين اقتصادياً وسياسياً، وثقافياً واجتماعياً، أملاً في وجود دراسات وأبحاث تطرح رؤى وأفكار تساهم في تشكيل كيان أفريقي عربي يقف في وجه التحديات والأيدولوجيات الخاطئة التي تفرض على الساحة الدولية، لتكون أفكارنا نحن الأفارقة والعرب معاً بدأً وصوتاً واحداً يسمع له العالم باهتمام ويسير خلفه وليس العكس.

شروط النشر:

● أن يكون البحث أصيلاً معداً خصيصاً للمجلة، وألا يكون قد نشر جزئياً أو كلياً أو نشر ما يشبهه في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية.

● أن يرفق البحث بالسيرة العلمية للباحث باللغتين العربية والإنكليزية.

● أن يقوم الباحث بإرسال البحث المنسق على شكل ملف مايكروسفت وورد، إلى البريد الإلكتروني:

african.arabia@gmail.com – info@afroar.com

● يجب أن يكون البحث مكتوباً بلغة سليمة، مع العناية بما يلحق به من خصوصيات الضبط والرسم والأشكال.

● لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة التحرير، إلا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، على أن يكون خلال مدة أسبوعين من تاريخ تسلم بحثه.

● يحق للمجلة ترجمة البحوث المنشورة في أعداد المجلة إلى اللغات الأخرى، من غير الرجوع إلى الباحث.

● تخضع الأبحاث لتقويم سري لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أقبلت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآلية الآتية:

أ - يبلغ الباحث بتسليم المادة المرسلّة للنشر خلال مدّة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلم.

ب - يخطر أصحاب الأبحاث المقبولة للنشر موافقة هيئة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقع.

ت - الأبحاث التي يرى المقيمون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع

الملاحظات المحددة، كي يعملوا على إعدادها نهائياً للنشر.

ث - الأبحاث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

● يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه.

● يراعى في أسبقية النشر:

أ - الأبحاث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.

ب - تاريخ تسلم رئيس التحرير للبحث.

ج - تاريخ تقديم الأبحاث التي يتم تعديلها.

د - تنوع مجالات الأبحاث كلما أمكن ذلك.

- تعبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية.

كيفية إعداد البحث للنشر:

- يكتب عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها.

عنوان جهة الباحث:

- الملخص التنفيذي باللغة العربية - الإنكليزية، ثم الكلمات المفتاحية في نحو خمس كلمات، كما يقدم الملخص بجمل قصيرة، دقيقة وواضحة، إلى جانب إشكالية البحث الرئيسية، والطرق المستخدمة في بحثها والنتائج التي توصل إليها البحث.

- تحديد مشكلة البحث، أهداف الدراسة وأهميتها، وذكر الدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع الدراسة، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، وضع التصور المفاهيمي، تحديد مؤشرات الرئيسية، وصف منهجية البحث، وتحليل النتائج والاستنتاجات.

- كما يجب أن يكون البحث مديلاً بقائمة ببليوغرافية، تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث، إضافة إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في الهوامش، وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الأصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.

- تستخدم الأرقام المرتفعة عن النص للتوثيق في متن البحث، ويذكر الرقم والمراجع المتعلق به في قائمة المراجع.

- ترتب أرقام المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع هجائياً في القائمة حسب اسم المؤلف وفقاً للآتي:

أ - إذا كان المرجع بحثاً في دورية: اسم الباحث (الباحثين) عنوان البحث واسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

ب - إذا كان المرجع كتاباً، اسم المؤلف (المؤلفين)، عنوان الكتاب، اسم الناشر وبلد النشر، سنة النشر.

ج - إذا كان المرجع رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه: يكتب اسم صاحب البحث، العنوان، يذكر رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه بخط مائل، اسم الجامعة، السنة.

د - إذا كان المرجع نشرة أو إحصائية صادرة عن جهة رسمية: يكتب اسم الجهة، عنوان التقرير، أرقام الصفحات، سنة النشر.

● يراوح عدد كلمات البحث بين ٢٠٠٠ و ٧٠٠٠ كلمة، وللمجلة أن تنشر بحسب تقديراتها، وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هذا العدد من الكلمات.

● يتم تنسيق الورقة على قياس (A4)، بحيث يكون حجم ونوع الخط كالتالي:

- نوع الخط في الأبحاث باللغة العربية هو Simplified Arabic

- حجم ١٦ غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، ١٤ غامق بالنسبة للعناوين الفرعية، و١٤ عادي بالنسبة لحجم المتن.

- حجم ١١ عادي للجداول والأشكال، وحجم ٩ عادي بالنسبة للملخص والهوامش.

- نوع الخط في الأبحاث باللغة الانجليزية Times New Roman، حجم ١٤ غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، حجم ١٢ غامق للعناوين الفرعية، ١٢ عادي لمتن البحث وترقيم الصفحات، ١١ عادي للجداول والأشكال، ١٠ عادي للملخص والهوامش.

- يراعي عند تقديم المادة البحثية، التباعد المفرد مع ترك هوامش مناسبة (٢,٥) من جميع الجهات.

● وتعتمد "مجلة الدراسات الأفريقية والعربية" في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكمة.

● والمجلة تصدر بشكل ربع دوري "كل ثلاث أشهر" ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات كافة.

● وتشمل الهيئة الاستشارية الخاصة بالمجلة مجموعة كبيرة لأفضل الأكاديميين من الدول العربية والأفريقية حيث يتوجب على الاستشاريين المشاركة في تحكيم الأبحاث الواردة إلى المجلة.

● حيث أن "المركز العراقي الافريقي للدراسات الاستراتيجية" جهة اصدار "مجلة الدراسات الأفريقية والعربية، بالتعاون مع مخبر الحوكمة والتنمية المستدامة بجامعة لونيبي علي البلدية ٢ - الجزائر،" كما تعتبر مؤسسة النيل للدراسات الأفريقية والاستراتيجية الوكيل الرسمي، لإصدار المجلة بجمهورية مصر العربية، كما تتولى دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان الليبية التوكيل الرسمي لإصدار المجلة في ليبيا ونشرها في كافة الدول العربية والأفريقية، كما يتولى اتحاد الأكاديميين العرب (صنعاء)، بنشر المجلة في كافة أرجاء الوطن العربي.

Iraqi – African Center For Strategic Studies

Tel: 00964776837196

(NGO)1E78478

<http://ciaes.net>

<http://afroar.com/>

تقرأ في هذا العدد

الافتتاحية

بقلم: مدير التحرير ٩

أزمة العلاقات المدنية العسكرية في إفريقيا والوطن العربي "دراسة في الأسباب والدوافع"

إعداد/ سليم جداي و سهام حداد (الجزائر) ١١

آليات مكافحة الفساد خلال فترة الحكومة الانتقالية في السودان

إعداد / آدم الزبير أحمد محمد (السودان) ٤٥

أركان الدولة وأسس نشأتها والاعتراف بها في القانون الدولي

إعداد/ د. تاج السر عبدالمطلب محمد فقير (المملكة السعودية) ٥٦

أهمية البنية التحتية وأثرها على المشروعات الإستثمارية

إعداد/ د. التوم ادم يعقوب (السودان) ٨١

مستقبل الطاقة بين حسابات السياسة والاقتصاد

إعداد/ د. شهناز صبيحي (الجزائر) ١٠٢

إدارة الصكوك الحكومية ودورها في تمويل التنمية الاقتصادية

إعداد/ د. أسامة عبد الوهاب محمد إبراهيم (السودان) ١٢٧

التغيرات المناخية وأثرها في السودان – ولاية شمال دارفور نموذج حالة

إعداد/ د. إقبال محمد أحمد وراق (السودان) ١٥٤

وفيات الأطفال بمدينة بورسودان - دراسة تحليلية في الجغرافية السكانية

إعداد/ د. ياسر عبد المحمود حامد التهامي (السودان) ١٨٥

التعاقب النباتي الجفافى في البيئات شبه الجافة- دراسة حالة نطاق حزام الصمغ

العربي - السودان

إعداد/ د. حسن احمد حسن الشيخ محمد و د. إبراهيم عبد اللطيف عبد المطلب خوجلي

و د. محمد عامر احمد محمد (السودان) ٢١٣

المستجدات العلمية والاجتماعية للعالم الاسلامي خلال العصر العباسي

إعداد/ د . زينب محمد حامد (موريتانيا) ٢٣٧

السودان مابين مطرقة سد النهضة وسندان التصحر- دراسة تحليلية

إعداد/ إبراهيم عبد اللطيف عبد المطلب خوجلي، دنيا السيد عشري حسن ٢٥٢

الفداء وتبادل الأسرى البيزنطي في العصر العباسي

إعداد/ د. سلوى التجاني فضل جبرالله (السودان) ٢٨٧

أثر اللهجات في تعدد القواعد النحوية في الظاهرة الواحدة

إعداد/ د. محمد علي حريكة عبد الله، و د. عبد الله سليمان محمدين (السودان) ... ٣١٠

الخلافة الإسلامية بعد وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم) نشأتها وتطورها والخلاف حولها

إعداد/ د. عوض عبد الجليل أبوبكر محمد (السودان) ٣٢٧

القصة الشاعرة .. نموذج تطلع الأدب لخلق الجدي

إعداد/ د. ياسر السيد عبد العال البنا (مصر) ٣٥٩

شخصية المرأة المستلبة في القصة الشاعرة .. مقارنة سيميائية

إعداد/ شاشة الزواوي (الجزائر) ٣٨١

دور مؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات البحثية والحكومية في صناعة السياحة بولاية البحر الأحمر

إعداد/ د. جعفر محمد مصطفى أبوزيد ٣٩١

افتتاحية العدد

توالت الأحداث والقضايا التي فرضت تحديات واجهت القارة الأفريقية والعالم العربي ، فبالرغم من استمرار معضلة انتشار فيروس كورونا كتحدي سائد مازال يلقي بتبعاته وأثاره السلبية التي تتوالى يوماً بعد يوم ، فإن القضايا الأخرى التي تظهر على الساحة السياسية تركت تحدياً إضافياً مثل عبئاً على الدول العربية والأفريقية وذلك على المستويين الشعبي وصناع القرار .

حيث تتوالى تداعيات انتشار فيروس كورونا على الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي العربي والأفريقي، فمازال هناك انكماش اقتصادي نتيجة استمرار الحظر المفروض على القطاعات الاقتصادية مع استمرار توقف حركة الطيران الذي أثر بدوره على حركة رؤوس الأموال وتراجع للاستثمارات الدولية، والتي أثرت بشكل سلبي على الوضع الاقتصادي للعديد من الدول التي تعاني من الفقر لاسيما في القارة الأفريقية والتي شهدت تزايد في أعداد الإصابات والوفيات نتيجة تراجع المنظومة الصحية وعدم توافر الاجراءات الاحترازية التي من شأنها تمنع تفشي الفيروس .

على صعيد آخر كان تصاعد إشكالية الوباء دورها على العلاقات الأفريقية الدولية والتي ظهرت نتيجة توتر العلاقات الصينية الأفريقية وكذا الفرنسية الأفريقية على إثر تصاعد العنصرية التي تبعت انتشار الوباء، الأمر الذي أثار المجتمع الدولي نتيجة هذه التوترات .

أيضاً كان انتشار الفيروس له أثاره السلبية على الوضع الاجتماعي والانساني، والتي تمثلت في تراجع دور المنظمات الدولية المانحة للدول التي تعاني من كوارث انسانية لاسيما بعض الدول العربية التي تعيش تحت وطأة الحرب أو التوترات السياسية وعدم الاستقرار كما في سوريا واليمن وليبيا، وكذا بعض الدول الأفريقية في جنوب السودان وأوغندا وأفريقيا الوسطى والكونغو، وغيرها .

تحدي الفيروس الذي يعيشه العالم العربي والأفريقي، والتي تحاول الدول أن تتواءم معه وتكمل مسيرتها الحياتية من خلال عودة نشاطها على كافة الأصعدة لاسيما الاقتصادية، لم يعد الإشكالية الرئيسية التي يواجهها، بل كالعادة توالت عليه العديد من القضايا الأخرى التي أثرت بشكل

ما أو بأخر على كل الأصعدة، لاسيما على الصعيد السياسي. حيث شهدت العديد من الدول الأفريقية إجراء الانتخابات التشريعية والرئاسية والتي واجهت تعطيلاً في البداية مع تأجيج انتشار الوباء، وأثار ذلك معه العديد من التكهنات حول استمرار الأنظمة في السلطة وكذلك النخب بما فرض معه غضب في العديد من المناطق على إثر استغلال تفشي الوباء وحماية مصالح تلك النخب، لكن مع إعادة الدول استئنافها قد زاد الوضع توتراً مع تصاعد رفض المعارضة لممارسات الأنظمة التعسفية للبقاء في السلطة.

من ناحية أخرى وبجانب أزمة انتشار الفيروس شهدت السودان فيضانات عارمة نتيجة ارتفاع منسوب النيل إلى ١٧ متراً، الأمر الذي أدى إلى حدوث كارثة إنسانية لوفاة العشرات من الأشخاص، وتهدم مئات المنازل، وذلك في ظل أزمة مياه النيل التي تصاعد وتيرتها بين مصر وإثيوبيا نتيجة عدم التوصل لاتفاق محدد يرضي الأطراف، لتظل قضية مياه النيل إشكالية كبرى يصعب التنبؤ بتسويتها على المدى القريب.

أما على الصعيد العربي، توالى العديد من الأزمات بجانب أزمة انتشار الفيروس، تمثلت في تصاعد حدة الصراع المسلح في ليبيا في ظل عدم التوصل لتسوية سياسية بين الأطراف المتنازعة، لاسيما مع تصاعد التدخل التركي الذي فرض معه حسابات جديدة زادت من التنافس الدولي وأثرت على عدم الاستقرار في المنطقة، يأتي ذلك في ظل الحراك الإسرائيلي في المنطقة وعملية المساومات التي ظهرت على السطح في شكل تطبيع بين العديد من الدول العربية وإسرائيل، بما فرض معه نمط جديد من العلاقات قائم على سياسة المصالح.

يمكن القول أن أزمة فيروس كورونا لم تعد الأزمة المحورية في الساحة العربية والأفريقية، بل يمكن اعتبارها تحدي جديد أضيف لجملة التحديات والإشكاليات التي تواجه القارة الأفريقية والمنطقة العربية. ولا يمكن الجزم بالقول أن تلك الأزمات أو أي منها سينتهي على المدى القريب..

بقلم:

أ. رشا العشري

مدير التحرير

أزمة العلاقات المدنية العسكرية في إفريقيا والوطن العربي

«دراسة في الأسباب والدوافع»

إعداد/ سليم جداي

كلية الحقوق والعلوم السياسية - جامعة المسيلة - الجزائر

سهام حداد

كلية الحقوق والعلوم السياسية - جامعة قلمة - الجزائر

ملخص الدراسة:

عرفت سلطة الدولة أو «الدول» في إفريقيا تذبذبات وديناميكيات كثيرة في الآونة الأخيرة، جراء التداول علي السلطة سواء، من الناحية السلمية السلسلة أو من ناحية الثورات والإنقلابات الناعمة أو الصلبة، وكانت الدول أو العصب المتحكمة تارة من «السيطرة العسكرية» وتارة أخرى ضمن «السيطرة المدنية» والتي تخضع بدورها لعوامل ومقاربات صلبة وتخضع لمعايير العنف والإكراه، سواء من داخل الدولة أو من خارجها، وستتطرق في هذه الدراسة إلي أهم الأسباب والمعوقات التي تؤدي إلي حدوث أزمات بين العصب العسكرية والمدنية أثناء التحولات الديمقراطية في دول إفريقيا والوطن العربي، حيث سيتم التطرق إلي الأسباب والدوافع التي ساهمت وتساهم في تعبيد الطريق أمام الأزمات السياسية والثورات، أثناء المراحل الإنتقالية وذلك بين العصب العسكرية والمدنية.

الكلمات المفتاحية: العلاقات المدنية العسكرية.. إفريقيا. الوطن العربي. الأسباب والدوافع.

Abstract:

The power of the state or «states» in Africa has known many fluctuations and dynamics in recent times, as a result of the negotiation of power, either from the smooth peaceful side or from

the side of soft or hard revolutions and coups. Civilian control, which in turn is subject to solid factors and approaches and is subject to the standards of violence and coercion, whether from within the state or from outside. Addressing the reasons and motives that have contributed and contributed to paving the way for political crises and revolutions, during the transitional stages, between the military and civilian factions.

مقدمة:

عرف عالم ما بعد الحرب الباردة عدة توجهات في السياسة العالمية سواء في النسق الداخلي للدول أو النسق الخارجي للنظام الدولي ككل، فمع إنهيار الاتحاد السوفياتي سابقا وعجز النظريات التفسيرية عن فهم وإدراك هذا التفكك الذي يرجع إلى النظرة السيكلوجية لصانع القرار - غورباتشوف - والذي كان بفكر مغاير للفكر الماركسي اللينيني، والذي أدى بفكره إلى تفكك الاتحاد سابقا ووضع إصلاحات أخرى تتمثل في الأمن المشترك أو ما يعرف بالبروستاريكا وهذا مخالفة للعقيدة الماركسية التي سبقتها، فالنظريات التفسيرية التي كانت تحاكي الواقع الملموس لم تستطع التنبؤ بنهاية الصراع بين المعسكرين الشرقي والغربي دون حدوث أزمة نووية، ولم تستطع كذلك سابقا في الحرب العالمية الثانية التنبؤ بدخول هتلر إلى الأراضي الروسية لأن ستالين كان يدعم هتلر ويحرضه وكان من المستحيل أن يهاجم هتلر روسيا ولكنه هاجمها وحاول إحتلالها، ومن خلال ماتقدم نستطيع القول أن نظريات العلاقات الدولية لا تستطيع تفسير ومحركات ما يدور في ذهنيات صناع القرار بل هي تفسر لنا الوقائع العلمية لا الوقائع الغيبية وفي هذه الدراسة سنحاول تسليط الضوء على الفراغ الإستراتيجي والعلمي للعلوم السياسية فيما يخص العلاقات بين مؤسسة الجيش والساحة السياسية سواء فيما يخص السياسة الداخلية وقت الأزمات أو السياسة الخارجية والتحالفات الإستراتيجية كما سنتطرق لسيكلوجية القادة في إفريقيا والوطن العربي أثناء تسيير الأزمات وكذلك بعض الانقلابات التي حدثت وهل المشكلة في صناع القرار؟ أم المشكلة في هشاشة البنى الاقتصادية؟ أم ضعف التنشئة السياسية؟ أم ولاءات القادة إلى النخب واللوبيات الغربية؟ وقد عرفت القارة الإفريقية في الآونة الأخيرة بما فيها الوطن العربي عدة أزمات سياسية وكلها كانت تحت طائلة مؤسسة الجيش وسيطرتها مما أدى بها إلى حدوث عدة

أزمات منها التدخل الخارجي مثل (ليبيا، مالي، الصومال)، فقد كانت ومازالت القارة الإفريقية تعج بمثل هذه الصراعات النخبوية بين سيطرة الجيش و ضعف السيطرة المدنية تارثا أخرى وفي ظل هذا الفراغ السياسي والسلطوي، يتجلى لنا البحث عن المشكل المحوري لهذه الأزمات داخل سلطة الدولة الإفريقية والعربية ومن خلال هذا تظهر لنا معالم الإشكالية المركزية:

ماهي أهم الأسباب المساهمة في وقوع أزمة السيطرة العسكرية على النخبة السياسية في وقت الأزمات في القارة الإفريقية والوطن العربي؟

ومن خلال السؤال المركزي تظهر لنا الأسئلة الفرعية كالتالي:

- ماهي العلاقات المدنية العسكرية؟
- ماهي المعايير التي جعلت العصب العسكرية تسطو على الحكم في دول إفريقيا والوطن العربي؟
- ماهي أبرز الأزمات التي أحدثتها هذه العصب؟
- هل السيطرة العسكرية على النخب المدنية في إفريقيا تعود إلى هشاشة البنى السياسية؟
- هل السيطرة العسكرية وقت الأزمات تعود إلى ضعف النخب السياسية في إفريقيا والوطن العربي؟
- ومن أجل الإجابة على السؤال المركزي والأسئلة الفرعية وجب وضع فرضية مركزية تكون عبارة عن محفز وإجابة أولية لدراستنا ومنه تظهر فرضيتنا في:
- يمكن للصراعات بين العصب المدنية والعسكرية أن تزيد من حدة التخلف والهشاشة في دول إفريقيا والوطن العربي.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية هذه الدراسة في الإعتماد الكبير لدى العصب العسكرية في إفريقيا والوطن العربي في الإعتماد على معيار القوة في الوصول إلى السلطة أو ما يعرف بالإنقلابات سواء الصلبة أو الناعمة يعني التلويح بالاستخدام القوة، وهذا الأخير الذي يعود بالسلب على سيادة الدولة وآثاره الوخيمة على مؤسساتها وعليه وجب على الباحثين القيام بدراسات من أجل الوصول إلى حلول أو الوقوف عند الأسباب والدوافع، وهذا ما دفعنا للقيام بهذه الدراسة.

مناهج الدراسة:

إعتمد الباحثان علي المنهج التاريخي والمنهج الوصفي وكما اعتمدا علي المنهج التحليلي والمقارن وذلك لعدة أسباب:

- المنهج التاريخي: وذلك من خلال التعرف علي الماضي من اجل ادراك الصحيح للحاضر والتنبؤ بالمستقبل ضمن أسس منهجية تخضع للمعايير العلمية.
- المنهج الوصفي: وهو محاولة وصف الدراسة بوصف موضوعي وحيادي ضمن أسس منهجية تخضع للواقع المحسوس والملموس ومن خلال بعض النماذج التي سوف نسردها في دراستنا.
- المنهج التحليلي: وهو تحليل وتعريية الدراسة من جميع الشوائب والعوائق الابستمولوجية.
- المنهج المقارن: وهو إخضاع الدراسة إلي المقارنة وذلك من خلال عرض بعض النماذج في دول إفريقية وعربية تعرضت إلي أزمات سياسية وسيادية، حتي نوفق بين المجال النظري والمجال التطبيقي.

هيكلية الدراسة:

أولاً: العلاقات المدنية العسكرية في افريقيا والوطن العربي:

تعد العلاقات المدنية العسكرية ومنذ الأزل علي حالة من التعقد بين النخب والعصب المدنية والعسكرية، فالتاريخ يخبرنا علي مدي التناسق والتنافر بينهما، فالسيطرة العسكرية تؤتي ثمارها وتفرض توجهاتها في دول العالم الثالث أو الدول الشمولية التي تعتمد في حكمها علي السلطة التنفيذية وفقط، أما في الحكومات الديمقراطية والتي تعتمد علي معيار الفصل بين السلطات ونظام المؤسسات السياسية، فالسيطرة المدنية تكون ذات نسق بنوي ومسيطر أكثر من السيطرة العسكرية، إذن فمعيار السيطرة هو الديمقراطية، المؤسسات السياسية، الفصل بين السلطات وستتطرق هنا الي المؤسسات السياسية والتي هيا أعمدة من أعمدة نظام الحكم في أي دولة ومهما كان جهازها السياسي.

١ - المؤسسات السياسية:

ويعرفها راد كليف براون RADE CLIFFE BRAWEN في كتابه «الأنساق السياسية

في إفريقيا» بأنها ذلك الجزء من التنظيم الكلي الذي يهتم بحفظ وتوكيد النظام الاجتماعي ضمن إطار إقليمي محدد، وذلك بفضل المسارات المنظمة لسلطة القهر عن طريق اللجوء إلى القوة^(١).

ويعرفها الدكتور محمد بالروين في مقاله «من أجل دولة تقوم على أساس العدالة والاختيار والقانون» أن المؤسسات السياسية هي العملية التي بواسطتها تستطيع التنظيمات والآليات والأحزاب في مجتمع ما إكتساب قيمتها وتحقيق مشروعاتها والحصول على إستقلالها، وضمان إستقرارها بفعالية ونجاح وهي من أهم الشروط الضرورية لبناء وتطوير الدول الحديثة^(٢).

ويخبرنا أ.د. خيرى عبد الرزاق جاسم، في مقاله «العلاقة بين المؤسسات السياسية وحكم القانون ودورها في بناء الدولة» أن التركيز على بناء الدولة يكون من الجانب المؤسساتي لكي تضمن إزدهارها ونموها وتطورها^(٣)، ويعرفها فقط على أنها ليست مؤسسات بل نمط من التفكير والذهنية المؤسساتية والتي تنتج حدا فاصلا بين ماهو مؤسساتي وبين ما هو شخصي^(٤)، ومن خلال التعاريف المقدمة يري الباحثان أن المؤسسات السياسية هي الهياكل التنظيمية التي تدير عمليا الأسس المادية والمعنوية للدولة أو الحيز الداخلي والخارجي للدولة، والتي تحافظ بالدرجة الأولى على سياسة وسيادة الدولة.

٢ - مفهوم العلاقات المدنية العسكرية :

السيطرة العسكرية /

وهي إختصار لنظام القيادة والتحكم، COMOND;AND;CONTROL: وهي مجموعة من الآليات التنظيمية والتقنية التي توظف الموارد البشرية والمادية والمعنوية والمعلوماتية في حل المشاكل عند وقوع الأزمات وهذا التعريف وفقا لما وضعه مجموعة من كبار الضباط العسكريون وهم ماريوس فازيليو وديفيد آيس، ألترس وجونثان وال^(٥). ويعرفها المعجم

(١) دلشاد محمود صلاح بابلا، مقال منور بعنوان المدخل المؤسستي فس دراسة النظام السياسي، «المؤسسة العسكرية التركية أنموذجا»، العدد "ص ٢٠٢.

(٢) د. محمد بالروين مقال منشور في ١٥، سبتمبر، ٢٠١٥، في ويكيديا بعنوان من أجل دولة تقوم على أساس العدالة والاختيار والقانون. تاريخ التصفح في ١، سبتمبر، ٢٠٢٠.

(٣) أ.د. خيرى عبد الرزاق جاسم، مقال بعنوان، العلاقة بين المؤسسات السياسية وحكم القانون في بناء الدولة، المجلة السياسية والدولية، العدد. "٣، ص، ٠٢.

(٤) أ.د. خيرى عبد الرزاق جاسم. نفس المرجع. ص، ٠٥.

(٥) VOSSILIOU;MARIUS;DAVIDSALIBERTSAND;JONATHAN;R: AGER:

٠١ 2015C2: RE;P;01 الموقع متاح على الرابط. واي. باك. مشين، تاريخ التصفح ١ سبتمبر ٢٠٢٠..

العسكري لوزارة الدفاع الأمريكية علي أنها ممارسة قائد معين للسلطة والعمل علي التوجيه بشكل صحيح ومنضبط، وعلي القوات المخصصة المرافقة له والإنصباغ لأوامره في إنجاز المهمة^(١)، أما فيما يخص مفهوم المؤسسة العسكرية فيعرفها كل من جوزيف سويتز و بول سي وفان فينما وروبرت بيريز في كتابهم إدارة المؤسسات العسكرية «النظرية والتطبيق» بأنها مؤسسة ذات وجهين أولهما يتعامل مع أوقات السلم «الباردة»، والظروف الإعتيادية فتصبح أشبه بالمؤسسات التقليدية، وثانيهما يعمل في الظروف الساخنة خلال الأزمات وعمليات حفظ السلام والحروب المعلنة وفي ظروف كهذه تمتلك المؤسسة العسكرية سلطة إستخدام العنف بالنيابة عن الدولة، وإلزام الناس بعمل أشياء قد لا يفعلونها في غياب تحركات هذه المؤسسة وتعليماتها، إن هذه السلطة هي التي تجعل المؤسسة العسكرية وغيرها من «الأجهزة النظامية»^(٢).

ومن خلال التعريفات يري الباحثان أن السيطرة العسكرية بشقها الموضوعي هي الإنصباغ وتطبيق الأوامر والولاء من طرف الجنود وصف الضباط والضباط للهيئة المسيرة والمتمثلة في سلطة القائد من حيث الآليات قائد كتيبة، قائد وحدة، قائد ناحية، قائد القوات، قائد الأركان، وزير الدفاع، ومن حيث الاختصاص والتخصص قائد القوات البرية، قائد القوات الجوية، قائد القوات البحرية.

السيطرة المدنية /

تعد النخب السياسية أو ما يعرف بالمجتمع المدني والجمعيات والأحزاب المعارضة أو الموالية في دولة ما إلا وتصنف هذه الدولة علي أنها تتمتع بسيطرة مدنية، وعادة ما تتوفر هذه الخصائص إلا في الدول التي تتمتع بخصوصيات ديمقراطية وتنشئة سياسية وفصل بين السلطات والتي عرفت إصلاحات معمقة في جدولتها أو منظومتها الديمقراطية. وتنقسم هذه السيطرة المدنية إلي عدة أقسام منها:

- السيطرة المدنية التقليدية: ظهر هذا النموذج في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين عندما كانت الطبقة الأرستقراطية هي السائدة في أوروبا، والتي كانت بدورها بشقين مدني

(١) DICT+ONARRY;OFMILITARY AND;ASSOCIATED;TERMS;WWW:

DTIE;MLI: OCTOBER، 2016، تاريخ تصفح الموقع يوم "٣٠ سبتمبر ٢٠٢٠ علي الساعة ١٨: ٣٠.

(٢) جوزيف سويتز، و بول سي، فن فينما، وروبرت بيريز، تحرير احمد ياسين، كتاب بعنوان إدارة المؤسسات العسكرية النظرية والتطبيق، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط، الاولى، ص. ١١.

وعسكري وتعيش في سقف واحد وحيز واحد، قوامه المصلحة المشتركة، وتقوي هذه الروابط توزع الأبناء بين الجيش والكنيسة.

- السيطرة المدنية الليبرالية: وقد ظهر هذا النموذج في البلدان والدول الرأسمالية، من خلال تحديد الفروق سالفة الذكر بين لكل من المدنيين والعسكريين كل علي حدا، وتتم من خلال ذلك تحديد مهام المدنيين في المناصب الحكومية في الدولة، إما بالتعيين أو الانتخاب، وتوكل لهم مهام وأهداف وواجبات وحقوق، أما العسكريون فقد حصرت مهامهم في التدريب وإستخدام أدوات القوة الدفاعية عن النظام^(١).

- السيطرة المدنية المتداخلة او المخترقة: ويتمتع المسؤولون المدنيون في هذا الإطار إلى خضوع وولاء القوة المسلحة، عن طريق المفوضين المدنيين ذوي الخبرات السياسية والذين يتوزعون في الوحدات القتالية والعسكرية علي وجه الخصوص وتكون لهم الكلمة الفصلية في جميع القضايا وخاصة القضايا التي تختص بأمن الدولة^(٢).

ويري الباحثان من خلال ما تقدم من تعاريف لأهم نماذج السيطرة المدنية أنه تختلف هذه السيطرة بالإختلاف أنظمة الحكم وذلك من خلال إستقلال الجهاز السياسي علي بقية الأجهزة، وكذلك من خلال تأثير قوة السلطة المدنية والتي أشرنا إليها سابقا والمثملة في النخب السياسية والمجتمع المدني والأحزاب علي أن تكون هذه النخب مشبعة بأيدولوجيا نابعة عن تنشئة سياسية موسعة ذات أبعاد، تقوم في مبدئها علي مصلحة الدولة ككائن سياسي وسيادي ينمو ويتطور.

- ماهية العلاقات المدنية / العسكرية:

تشير العلاقات المدنية العسكرية حسب أديدجوايوا adedeja Ebo إلى شبكة العلاقات بين الجيش والمجتمع الذي يعمل فيه، والذي هو بالضرورة جزء منه، وتتمثل هذه العلاقة في جوانب دور المؤسسة العسكرية «محترفة...سياسية...إقتصادية...إجتماعية» وتتمثل هذه العلاقات بالقضايا المتعلقة بسلوك الجيش تجاه المجتمع المدني أو إدراك المجتمع المدني وموقفه وسلوكها إتجاه الجيش وأخيرا ما تعلق بالدور الذي تلعبه القوات المسلحة في علاقتها بالدولة^(٣).

(١) نور الدين حفيظي، رسالة ماجستير بعنوان. العلاقات المدنية العسكرية واثرا علي مسار التحول الديمقراطي في مصر في ظل الحراك الشعبي الراهن، جامعة المسيلة، ٢٠١٥: ٢٠١٦، ص، ٢٢؛ ٢١.

(٢) نور الدين حفيظي، نفس المرجع، ص، ٢٢.

(٣) بومدين عربي مقال منشور بعنوان، العلاقات المدنية العسكرية وتحديات السيطرة المدنية في مصر، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد العاشر، العدد، ٢ جوان ٢٠١٩، ص، ٢٦.

كما يعرفها حمدي عبد الرحمان وآخرون بأنها التفاعلات بين شعب الدولة ومؤسساتها وقواتها المسلحة، فعلي المستوى المؤسسي يفترض أن يمثل المدنيون اليد الطولي التي ترسم السياسات العامة بما فيها السياسات العسكرية^(١).

كما يمكن تعريف العلاقات المدنية العسكرية حسب كل من بول شامبرس وأورال كراسن، poul chambersand auralcrossant، بأنها مجموعة التفاعلات بين العسكريين والمدنيين بخصوص سلطة إتخاذ القرارات السياسية^٢.

كما يمكن تعريفها أيضا حسب الباحث نور الدين حفيظي بعلاقة المؤسسة العسكرية مع السلطة المدنية، ودائما ما تعرف هذه العلاقة أنها متنافرة وتشبه تلك العلاقة بين العمال والإداريين أو العلاقة بين السلطة التشريعية والتنفيذية، حيث تكون هناك جماعتان منظمستان محددتان لكل منهما مصالح تناضل من أجلها وتساوم عليها الطرف الآخر^(٣).

ومن خلال التعريفات سالفة الذكر يري الباحثان أن العلاقات المدنية العسكرية هي عبارة عن مجموعة التفاعلات والتدخلات التي تخضع لها مؤسسات الدولة بكل أنساقها بما فيها المؤسسة العسكرية، حيث تكون مخرجات هذه التفاعلات ضمن السيطرة المدنية، أو ضمن السيطرة العسكرية بما يخدم مصلحة هذه المؤسسات، والتي بدورها تناضل من أجل مصالحها السياسية والسيادية ومنه فالعلاقات المدنية العسكرية هي جملة من التفاعلات بين المؤسسة العسكرية والمؤسسات السياسية للدولة.

٣ - المدارس والنماذج والنظريات والاسهامات المفسرة للعلاقات المدنية العسكرية:

- المدارس والنماذج /

يرى الباحث أحمد رفيق غراب أن ظاهرة تدخل الضباط علي الصعيد السياسي تتمحور في ثلاثة إتجاهات تتمثل في مدارس أساسية وهي:

١ - المدرسة الأولى: ويركز أصحابها علي البيئة السياسية والغتماعية للدولة، وعلي رأسهم نجد

(١) حمدي عبد الرحمان وآخرون، كتاب بعنوان، الجيوش والتحول الديمقراطي في افريقيا، منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة، ص، ٢٤.

(٢) بومدين عربي، نفس المرجع، ص ٢٦: ٢٧..

(٣) نور الدين حفيظي، مرجع سبق ذكره، ص، ١٦.

صامويل هنتغتون، وصامويل فاينر، وكلاهما يؤكدان أن ظاهرة الانقلابات العسكرية هي ظاهرة يمكن أن تميز معظم البلدان ذات الأنظمة السياسية التي تفتقد إلى ثقافات سياسية ومأسسة وذلك يرجع إلى العديد من المشاكل ومنها، غياب التنمية، الانقسامات المجتمعية،.... الخ.

٢ - المدرسة الثانية: ويرى أصحابها أنها تركز على القدرة التنظيمية وطبيعة العسكريين أنفسهم فقد إهتم «موريس جانوفيتز» بدواعي تدخل الجيش في العملية السياسية، ويدعم توجهه هذا بحب الوطن والولاء له والإنضباط والمهنية والإنسجام الموجود في قلب المصلحة الوطنية وهو ما يدفع بالعسكريين إلى التدخل في الشؤون السياسية، وذلك من أجل إنقاص دولتهم وتخليصها من أيادي المدنيين الفاشلين.

٣ - المدرسة الثالثة: وتتمثل هذه الرؤية في التوافق والتشارك، والتي تقوم على أنقاض فكرة الفصل بين إختصاصات المؤسسات السياسية والعسكرية بإعتباره غير واقعي، بالنظر إلى مصالح العسكريين في التدخل وتفضيلاتهم للسياسة النابعة من رؤيتهم للمصلحة الوطنية وهذا ما جسده رؤيته «ريكياف» والتي مفادها أن مبالغة المؤسسات المدنية في تحييد الجيش سياسيا قد يساهم في تصاعد تدخله ومن ثمة فإن الحوار والتوافق بين المؤسسة العسكرية والنخب المدنية تصبح هي الكفيلة لإحتواء التدخل العسكري^(١).

كما أن الأستاذ الدكتور شادية فتحي إبراهيم تعرف هذه المدارس بشكل آخر حيث ترى أن هذه المدارس أو النظريات تنقسم إلى شقين:

نظرية التوافق: وقد طرحت ريكاشيف هذه النظرية بهدف التأكيد على الفصل بين العسكريين والمدنيين، وتقدم هذه النظرية عدة إفتراضات منها:

- التأكيد على أهمية الحوار وإقتسام القيم والأهداف بين العسكريين والمدنيين.

- التأكيد على أن المؤسسات والمتغيرات الثقافية هي التي تمنع أو تعظم التدخل العسكري، وتبرر ذلك بأنه كلما زاد التوافق بين العسكريين والمدنيين والنخب تراجعت إحتتمالات التدخل، وتعتمد هذه النظرية على حسب قول أ.د. شادية علي ثلاثة مستويات ومعايير وهي العسكريون، والنخبة السياسية، والمواطنون.

(١) أحمد رفيق غراب، مقال بعنوان، العلاقات المدنية العسكرية: دراسة في الأطر النظرية، مصر انموذج، المجلة الجزائرية للامن والتنمية، العدد الثالث عشر، جويلية، ٢٠١٨، ص، ٣، ٤.

نظرية اقتسام السلطة: وهي من طرح دوجلاس ل. بلاند، حيث تقوم علي أساس أن العسكريين دورهم في مجال الدفاع بشكل أساسي إلي جانب دورهم في حفظ الأمن الداخلي وقت الحاجة و الضرورة^(١)، وتقوم هذه النظرية علي إفتراضين هما:

أن السيطرة المدنية علي العسكريين قد تحققت ومستمرة في آن واحد من خلال إقتسام السلطة، حيث أن لكل من المدنيين والعسكريين مسؤولياته، تجاه جوانب معينة يحاسب عليها ولا يكون هناك تتداخل بين المسؤوليات.

ويري الإفتراض الثاني أن هناك مصدر واحد، لتوجيه العسكريين نابع من المدنيين المنتخبين، خارج المؤسسة العسكرية والسيطرة المدنية هنا عامل متغير وديناميكي في آن واحد، يتغير وفقا للأفكار والقيم والظروف وحتى الأسباب والقضايا والمسؤوليات ويرى دوجلاس ل. بلاند، أنه لا يوجد أي تعارض بين إقتسام المسؤولية والسيطرة المدنية، حيث يرجح ذلك إلي أنهما يتشاركان في إتخاذ القرارات العقلانية^(٢).

- إسهامات صامويل هنتغتون: Samul/huntington شخصية مثير للجدل، رحل عن الحياة قبل عدة سنوات، إشتهر بتحليله للعلاقة بين العسكر والحكومة والمدنية وبحوثة في إنقلابات الدول ثم قدم نظرية صدام الحضارات والتي بدورها طرحت مفهوما جديدا لطبيعة الصراع الدولي^(٣)، وناقش صامويل العلاقات المدنية العسكرية كمتغير تفسيري ويرى أن طبيعتها لها تأثير مهم علي الفعالية العسكرية حيث طرح نموذج يوضح من خلاله رؤيته لدور العسكريين في النظم الديمقراطية، ودوره في النظام السياسي من خلال مبدأ الإحتراف، وعدم التخل في الحياة السياسية ويؤكد في هذا الإطار أن الجيوش المحترفة تتميز وتتم بعدة صفات^(٤)، وعلي هذا النحو يؤكد صامويل هنتجتون أن الجيش المحترف يتسم بمجموعة من الخصائص أهمها،

(١) أ.د. شادية فتحي إبراهيم، العلاقات المدنية العسكرية والتحول الديمقراطي، دراسة تحليلية للاتجاهات النظرية،

مجلة النهضة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة، العدد الرابع، أكتوبر، ٢٠٠٦، ص، ١٣، ١٤.

(٢) أ.د. مازن حسن و، تامر عبد الحميد محمد مرتضي، العلاقات المدنية العسكرية، دور المؤسسة العسكرية في المرحلة الانتقالية في بوركينافاسو، مجلة الدراسات الافريقية وحوض النيل، المركز الديمقراطي العربي، العدد الخامس، ٢١ جانفي، ٢٠١٦، ص، ١٠،

(٣) د. شاهر إسماعيل الشاهر، النظريات التفسيرية لفهم عالم ما بعد الحرب الباردة، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمان، الأردن، المجلد ٠٢، العدد، ٨، ١٠، ماي ٢٠١٩، ص، ١٧.

(٤) عبد المنعم المشاط، العسكريون والتنمية السياسية في العالم الثالث، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للسياسة والاستراتيجية، القاهرة، العدد، ١٩٢، افريل. ص، ٤٩.

الخبرة، المسؤولية الاجتماعية، التضامن الجماعي الداخلي، ويقترح هنتجتون أسلوبيين لتحقيق وإحكام السيطرة المدنية وهما سيطرة مدنية ذاتية، وسيطرة مدنية موضوعية^(١).

- إسهامات موريس جانووتيز: يعتمد موريس في إسهامه على الفعالية العسكرية ولكن في إطار علاقات مدنية عسكرية بمثابة ذات متغير تفسيري حيث أن المتغير التفسيري لن يؤثر ولن يشكل فعالية الجيش، ويضيف موريس أنه يبني حجته على قوة الجيش وقيم من خلاله الجيش الأمريكي خلال الحرب الباردة ولذلك فقبول مثل هذه الأدوار من قبل الجيش سيكون له أثر وتأثير مفيد على طابع العلاقات المدنية العسكرية والسيطرة المدنية^(٢)، وقد ميز موريس نموذج بنظم تنافسية ديمقراطية، نظام تحالف عسكري مدني، نظام أوليغاركية، نظم سيطرة سلطوية شخصية، نظم حزب واحد جماهيري^(٣).

ثانياً: جدلية العصب العسكرية والسياسية في إفريقيا والوطن العربي:

تعد المهام الموكلة والمنوطة بالجنود أو الضباط أو صف الضباط والقادة في الثكنات العسكرية والتي تسيرهم إلى الحرب والدفاع العسكري، عن الدولة ومؤسساتها ضمن ما يسمى بالدفاع الوطني على السيادة الترابية والوحدة الشعبية، فتجد أن المؤسسة العسكرية وبخص القيادة تجد نفسها مدفوعة إلى التدخل في السياسة، لأن من وجهة نظرهم أن الحكام المدنيين يضررون بقدرة الجيش في الحرب والأزمات سواء الداخلية أو الخارجية^(٤).

١ - العلاقة الجدلية بين العلم العسكري والمذهب العسكري والنظرية العسكرية:

- العلم العسكري / كمنظور ابستمولوجي /

يري جلين فويلز في مقال نشره بعنوان «هل العلوم العسكرية علمية؟» أن مصطلح العلوم العسكرية عموماً مجموعة من نظريات ومفاهيم وأساليب نوظفها القوات المسلحة ولكنها، كفرع

١ د. مازن حسن، و تامر عبد الحميد محمد مرتضي، مرجع سبق ذكره ١٣ ص.

(2) Suzanne c.nielsen.civil - military.relations Theory andmilitary.effectiveness'. public.vol.ten: number ;2: 2005. PP;3٠ 4;5.

(3)Morrise.janowitz.military.institution.s.and.coercion.in.develeping.nation. chicago.press/1977;P;82;

(٤) بومدين عربي، مرجع سبق ذكره، ص، ٣١.

أكاديمي، غير معرفة جدا لأنها تعتمد بالأساس علي خليط من مناهج التاريخ والاقتصاد والشؤون الخارجية والدراسات الأمنية والقيادة وإدارة الأعمال وهندسة النظم فضلا عن عناصر أخرى من العلوم الفيزيائية والاجتماعية، ويعود فويلز ويقول أنه في القرن التاسع عشر كان علم العسكرية يستخدم بكل متكرر ويوضع جنبا إلى جنب مع الفيزياء والفلسفة وغيرها من التخصصات الأكاديمية الراسخة^(١).

كما يعرف العماد الحسن التركماني العلم العسكري في كتابه المذاهب العسكرية في العالم علي أنه نظام أو منظومة المعارف المتعلقة بطبيعة الحرب وقوانينها وبتحضير القوات المسلحة، والبلاد للحرب وأساليب وطرائق خوضها، وبما أن دراسة الحرب ليست حكرا علي العلم العسكري، فمن الطبيعي أن تشترك العلوم الأخرى بدراسة هذه الظاهرة مع العلم العسكري، ومنه فالعلم العسكري يتأثر بالعلوم الأخرى ويستفيد منها في آن واحد، حيث أن نتائج ومنجزات هذه العلوم تستخدم في إيجاد وسائل صراع مسلح جديد وتطورها بالإضافة الي أن معطيات ونتائج أبحاث العلم العسكري تستخدم في صياغة وتكوين المذهب العسكري^(٢).

ومن خلال التعريفين يتجلى للباحثان أن العلم العسكري ذوا إتجاهات وأبعاد منها البعد العلمي والذي يتعلق بدراسة المناهج والأطر النظرية والبحث النقدي والدائم من أجل تأطير القاعدة الدفاعية للبلاد من النواحي الإقتصادية والعجتماعية والسياسية، وأما الاتجاه الثاني والثالث فيتعلقان بإدارة الحروب والأزمات والذي تدخل فيه الإستراتيجيات بما فيها التخطيط والتكتيك والهندسة والمعلوماتية.

- المذهب العسكري:

تعود المحاولات الأساسية والبدائية للتركيز علي المعارف العسكرية في صيغ محدودة إلى القرن الثامن عشر عندما برزت جملة من المبادئ، النظرية العامة حول الإستراتيجية العسكرية وقد تضمنت آراء التي لها وتمتاز بطابع الشمول عن الحرب، والتي تنطوي بذلك تحت لواء العلم العسكري المحدود، والذي بدوره يبحث عن وفي الشؤون العسكرية وأنظمتها وفلسفتها، وفي الوقت ذاته دخلت الفلسفة والعلوم الإجتماعية والتي منها السياسية في النظريات العسكرية

(١) جلين فويلز، هل العلوم العسكرية علم؟، مجلة راقب، RAQEB. منشور في ٩، سبتمبر، ٢٠١٤، ص، ٢.

(٢) العماد حسن التركماني، المذاهب العسكرية في العالم، دمشق للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، سنة، ١٩٩٥، ص،

المختلفة وتطورت فيما بعد لتصبح مذاهب عسكرية لها كامل أبعاد النظرية والتطبيق، ولما كانت الأزمات والحروب ظاهرة إجتماعية مترابطة وتاريخية محددة وحتمية في الدول وبين الشعوب والمجتمعات المتناقضة بطبيعة الحال، فقد كان علي الدول أن تضع مذهبها العسكري بما يتلائم مع مصالحها العليا وسياساتها وتطلعاتها الوطنية والقومية^(١).

- النظرية العسكرية:

ترجع أصول النظرية العسكرية الي اكثر من ثلاثين قرنا مضت، وقد ظهرت الأصول الاولي للنظرية فضل الهام القادة العسكريين وفطنتهم وعبقريتهم، ثم تأكدت تلك الأصول وتبلورت وتكاملت تدريجيا وتراكما علي مر العصور وقد تأثرت هذه النظرية في نشوؤها بعوامل سياسية وبنيوية وايدولوجية كما تعرضت لعمليات ارتقاء وتطوير، ويعتقد كارل كلاوزوفيتز ان الهدف الاساسي من أي نظرية هو توضيح المفاهيم والأفكار التي أصبحت مشوشة ومتشابكة^٢، ان تاريخ سير الحرب بجميع جوانبه هو أساس أي مدرسة أو نظرية عسكرية سليمة بدون أمثلة تاريخية ودروس مستسقة من الصعب أن نري كيف يمكن تطوير نظرية عسكرية سليمة أما الجانب الآخر للنظرية العسكرية فهو رؤية الحرب في المستقبل أو النظرة الإستشرافية لمستقبل الحرب ولا نقصد هنا التوقعات او التنبأت.

بل نقصد الدراسة العلمية المستقبلية والتي تبني في وسط منهجي وعلي أسس علمية، فينبغي أن تأخذ النظرية العسكرية في نواحيها جميع المجالات سواء التكنولوجيا الحالية أو المستقبلية كما تطرقنا سابقا وأما الاختبار الحقيقي للنظرية العسكرية هو ممارسة الحرب فالنظرية العسكرية الصحيحة يمكن أن تقترب من واقع الحرب ولكن لا يمكنها أن تطابقه كاملا لذي فالنظرية العسكرية قابلة للتعديل أو التغيير أو التخلص منها^(٣) ومن خلال من تقدمنا به من تعاريف مختلفة للعلم العسكري والمذهب العسكري والنظرية العسكرية نري أن كل العلم والمذهب قد أسسوا لظهور النظرية وبالتالي أسست هيا بدورها لظهور المذهب وقد كانت الجدلية طردية بين العلم والمذهب والنظرية حيث كلما تطور العلم تطورت النظرية تطور المذهب العسكري لأن كل منهم يتأثر ويؤثر علي الآخر.

(١) العماد حسن التركماني المذاهب العسكرية في العالم، مرجع سبق ذكره، ص، ٥٤.

(2) Websters.thirid new.international.dictionary.unabridged(springfield/ma: MERRIAMwebster.1981.6

(3) Scot robertson.thedevelopment.of,raf.statagic bombing doctrine1919.1939.cl pqrqgerPubli1995.6

٢ - أزمة القرار السياسي والقرار العسكري في إفريقيا والوطن العربي - أثناء / خلال / الأزمات:

لقد عرفت القارة الإفريقية عامة والوطن العربي خاصة مجموعة من الأزمات منها الخارجية والمتمثلة في الإستعمار والإستعباد وسرقة خيرات البلدان سواء الإفريقية أو العربية وكذلك ظهور أزمات داخلية والتي بدورها نابعة عن تلك الأزمات السابقة التي إرتكبتها حراس التخلف بتعبير برهان غليون، إن الاستعمار الذي شرد ونهب وسرق وإستعبد أهل الدول والمدن هو السبب الرئيسي في هذه الازمات التي تعيها القارة الافريقية الآن من نزاعات داخلية طائفية تارة ومذهبية تارة أخرى. فقد تأثرت هذه العيوب فيما بينها بل وحتى مع جيرانها وخاصة في إفريقيا وما يتمثل في النزاعات علي الحدود، غير أن هذه الأزمات قد غيرت في إتجاهاتها من خارج الدولة الي داخل الدولة وأصبحت العصب الرئيسي في تسيير الحكومات في دول إفريقيا عامة والوطن العربي خاصة وسنحاول في هذا الجزء التطرق لبعض الأزمات الداخلية التي تمس بسيادة الدول في إفريقيا والوطن العربي.

- القرار السياسي / العناصر / الموضوعات / الأهداف:

يعرف الدكتور فاروق عمر العمر القرار السياسي ذلك القرار الذي تتوفر فيه واحدة من مجموعة عناصر مختلفة أهمها أن يكون صادرا عن شخص ذي صفة سياسية أو من خلال أحد أجهزة السلطة السياسية، أو منصبا علي موضوع يتعلق بالسياسة العامة للدولة^(١)، كما يعرف جيمس جابز JEMS JABES القرار بأنه الهدف الموجه للسلوك المصنوع من قبل الفرد إستجابة لحالة معينة مع وجود قصد لإشباع الدافع الذي وراء الحاجة^(٢)، كما يعود د. فاروق عمر ويقول أن للقرار السياسي مجموعة من الأسس والمرتكزات يجب أن تتوفر في القرار السياسي أيا كان نوعه، إستراتيجيا او يوميا وهي الشرعية، الإلزام، العمومية، المجتمع^(٣)، كما يمر القرار السياس بمجموعة من الآليات وهي صنع القرار السياسي وأخيرا إتخاذ القرار^(٤).

(١) د. فاروق عمر العمر. صناعة القرار والراي العام، بحث منشور ومتوفر، موقع أصدقاء، ص، "٢٣.

(٢) لرقط حسين، عملية صنع القرار السياسي في ظل التحول الديمقراطي، دراسة حالة الجزائر؛ ٢٠٠٩؛ ١٩٨٩، رسالة ماجستير، ٢٠١٥، جامعة المسيلة، ص ١٨.

(٣) د. فاروق عمر العمر، نفس المرجع، ص ٢٣، ٢٤.

(٤) لمعرفة المزيد حول القرار السياسي وصنع القرار والياته ومراحلته نرجوا العودة الي رسالة الماجستير التي تم ذكرها سابقا ل: لرقط حسين من أجل التغلغل في المفهوم أكثر ودراسة دراسة تحليلية.

- القرار العسكري / العقيدة العسكرية / الاستراتيجية العسكرية:

ويتجلى لنا معرفة القرار العسكري من خلال التعريف بأهم مبادئه وهي العقيدة العسكرية والإستراتيجية العسكرية إضافة إلى المذهب العسكري الذي أشرنا إليه سابقا.

العقيدة العسكرية: وهي مجموعة من القيم والمبادئ الفكرية التي تهدف إلى إرساء نظريات العلم العسكري وعلوم فن الحرب. لتحديد بناء وإستخدامات القوات المسلحة في زمن السلم والحرب بما يحقق الأهداف والمصالح الوطنية^١، ويمكن تعريف العقيدة العسكرية بطرق مختلفة وفي دول مختلفة كما تختلف القرارات العسكرية من دولة إلى دولة، وهذا حادث بالفعل التعريفات المختلفة للمصطلح. تتأثر بالعوامل الأمنية التي تواجه تلك البلاد إلى جانب التوجهات والتطورات التكنولوجية القائمة والمستجدة، وعناصر السياسات الداخلية في أفرع وتخصصات القوات المسلحة، مثل المنافسة، والصراعات والأزمات المحتملة بين صناعات السياسة من العسكريين والمدنيين حول أولويات الأمن القومي والميزانية المالية والتي قد تضطر القوات المسلحة من خفض أو رفع حجم أهدافها العسكرية، وأحد تقديرات العقيدة العسكرية يصفها بتركيز القدرات العسكرية الإستراتيجية على تحديد الأهداف الإستراتيجية والنتائج النهائية المطلوب الوصول إليها مع وضع تفاصيل العمل العسكري المطلوب^٢ ومن خلال التعريفين هل العقيدة العسكرية هي القرارات العسكرية؟ سوف نرى ذلك بعد التطرق إلى الإستراتيجية العسكرية.

الإستراتيجية العسكرية: عرفها كلاوزفيلز بأنها فن إستخدام المارك كوسيلة للوصول إلى هدف الحرب، بينما عرفها ليدل هارت علي أنها فن توزيع وإستخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسة^٣

ومن خلال التعريفات لكل من العقيدة العسكرية والإستراتيجية العسكرية نلاحظ أن القرار العسكري هو مخرجات كل من العقيدة العسكرية والإستراتيجية العسكرية لأن كل منهما يستخدم من أجل تحقيق والوصول إلى أهداف معينة سواءا سياسية أو عسكرية وكلها تصب في قالب واحد وهو المصلحة العليا للدولة.

(١) زهرة شيخ الشيوخ، العقيدة الاستراتيجية لحلف مال الأطلسي بعد الحرب الباردة، ١٩٩٩، ٢٠٠٨، رسالة ماجستير فرع العلاقات الدولية، كلية العلوم السياسية والاعلام، جامعة دالي براهيم، ٢٠١٢. ص. ١٥.

(٢) بيرت تايان، العقيدة العسكرية، دليل مرجعي، ترجمة طلعت الشايب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الاولى، ٢٠١٥، ص. ١١.

(٣) ليدل هارت، الاستراتيجية وتاريخها في العالم. ترجمة، ص. ٤٧٧،

العلاقة بين القرار السياسي والقرار العسكري:

يقول بعض الإستراتيجيين أن خضوع الرجل العسكري للسلطة السياسية بات مطلوباً، في الوقت الحاضر أكثر من أي وقت مضى، وذلك من أجل المحافظة على حرية العمل وتوسيع مجالاتها كما بدأت السلطات السياسية في العديد من دول اليوم، بإتخاذ بعض القرارات المتعلقة بالأمور العسكرية، تلك القرارات التي كانت في السابق من مسؤولية القائد العام العسكري حصراً لذلك يجد القائد العسكري نفسه مكبلاً بقيود كثيرة حول الأهداف العسكرية، وأماكن تركيز القوي، ومدة العملية، وأسلوب القتال والأسلحة الواجب إستخدامها ومعني آخر أصبح تصرف القائد العسكري مقيداً تراقبه السلطة السياسية، يقول الجنرال إلبرتيني (إن وظيفة قيادة الجيش هي تدمير القوات المسلحة المعادية، وهدف الحرب هو النضال من أجل السلام ضمن رباط تتوافق مع السياسة التي تتبعها الدولة... ومن هنا تتوجب وتتطلب هذه الإعتبارات ضرورة وجود نوع من التنسيق وتوحيد وجهات النظر بين السلطة السياسية والقيادة العسكرية^(١)).

والسؤال المطروح كيف يمكن للسياسة أن تمارس دوراً رئيسياً وأكثر فعالية دون أن تلحق الضرر بإستراتيجية الأعمال العسكرية؟

إن الحرب شئ مختلف عما إعتاد المرء عليه فهي لا تمثل ظاهرة مستقلة. بل تخضع للضالعين في مجال السياسة وذلك إذا إفترضنا أن الحرب تنطلق من هدف سياسي، فمن الطبيعي أن يكون هذا الهدف هو الذي أوجد الحرب كدافع أول، إن السياسة تلازم الإستراتيجية العسكرية وتمارس تأثيراً دائماً فيها. طالما تسمح في ذلك طبيعة القوي المتفجرة، ومن هنا لا يسع الإستراتيجية العسكرية إلا أن تتبع قوانينها الخاصة بل يجب النظر إليها كجزء من الكل وهذا الكل هو السياسة، إن الإستمرارية المنطقية لفكرة أن السياسة تستخدم الحرب كوسيلة للوصول إلى الهدف يقع كلياً خارج مجالها، يجب بعد إنتهاء الحرب أو قرب إنتهاؤها أن تعود السياسة التي تولدت عنها الحرب للظهور أكثر فأكثر لتحل أخيراً المقام الأول عند عقد إتفاقيات السلام ورغم ضرورة إستقلالية الإستراتيجية العسكرية في الحرب إلا أن الكلمة الأخيرة عند العزم في الحرب وعند عقد إتفاق السلام تبقى للسياسة^(٢).

(١) العماد حسن التركماني، مرجع سبق ذكره، ص، ٧١.

(٢) العماد حسن التركماني، المرجع نفسه، ص ٧٣.

ومن خلال العلاقة بين القرار السياسي والقرار العسكري يري الباحثان أن السياسة دائما هي المحفز ونقطة البداية والنهاية لأي مبادرة من طرف مؤسسات الدولة ومنها المؤسسة العسكرية فالقرار السياسي هو المنسق والموجه والمنظم للقرار العسكري وذلك في السلم أو الحرب، لأن السيطرة المدنية منفصلة علي السيطرة العسكرية لكنها مهيمنة من الجانب المؤسساتي، سواء في السلم كما ذكرنا سالفا بواسطة الدبلوماسية والمفاوضات أو في الحرب وذلك من خلال التعبئة وإتخاذ القرارات..

ثالثا: أسباب ودوافع عسكرة الأنظمة في إفريقيا والوطن العربي

تحتوي القارة الإفريقية خاصة والوطن العربي عامة مجموعة من التناقضات، فهما وجهان لعملة واحدة من حيث الفقر والهشاشة والتخلف، إلى جانب إعتبارهم سيفسء من الثقافات الإثنيات، العرقيات والهويات، كل هذا التنوع والثراء جعل من معانتهما مع الإستعمار والإستيطان الذي ساهم في تكريس التخلف والأمية علي جميع الأصعدة.

فالدولة في إفريقيا منذ إستقلالها مازالت تعاني من مجموعة من التحديات والإشكاليات، تقف كحجرة عثرة أمام التنمية والتقدم، حيث لازالت الدولة لحد الآن تراهن على أشكال التنظيم والحكم الملائمة للوصول إلى دولة الحق والقانون، في حين نرى أن هذا الموضوع قد حسم منذ ظهور معاهدة وستفاليا سنة ١٨٤٦، فمنذ الستينات تراهن الدولة في إفريقيا على عملية التحول الديمقراطي وبناء مؤسسات وأجهزة ديمقراطية من أجل الأداء السياسي والإقتصادي وفض العلاقة مع المؤسسة العسكرية وتدخلها في الشؤون المدنية، ونفس الشيء والمعانات مع الدول العربية كذلك فالمعيار متطابق هنا، لأجل هذا وجب معرفة الأسباب الكامنة وراء جل هذه الإشكاليات.

١ - دراسة في الأسباب

التنشئة السياسية للمجتمعات في إفريقيا والوطن العربي:

يعرفها «نورمان أدلر» و«تشارلز هارنجنون» بأنها عملية تعلم القيم والاتجاهات السياسية ذات المغزى السياسي عن طريق الأسرة والمدرسة والتفاعل مع السلطة والمواقف السياسية المختلفة^(١).

(١) محمود حسن إسماعيل، التنشئة السياسية: دراسة في دور أخبار التلفزيون، ط ١، مصر: دار النشر للجامعات، ١٩٩٧، ص ٢٢، ٢٣

كما عرفت كذلك على أنها تلك العملية التي تسعى كافة مؤسسات المجتمع من خلالها إلى إكساب الفرد القيم، المعايير والتوجهات السياسية اللازمة والضرورية لتحقيق التكيف مع أهداف المجتمع^(١).

أما «هايمان» فيرى بأنها عملية تعلم الفرد الأنماط الاجتماعية عن طريق مختلف مؤسسات المجتمع التي تساعد على أن يتعايش مع هذا المجتمع سلوكيا ونفسيا^(٢)، فالتنشئة السياسية هي تلك العملية التي تنتقل عبرها الثقافة السياسية وبها تستمر ومن خلالها تتغير، وما يرتبط بها من دوائر تربوية وتوعوية وتعليمية بدءًا بالأسرة ومرورا بالمدرسة والنادي والمجتمع المدني والحزب وإنهاء بالدولة^(٣)، كما يعرفها فريد جريشتن، على أنها عملية تلقين لقيم وإتجاهات سياسية وإهتمامات إجتماعية ذات دلالة سياسية، ويعرفها أحمد بدر بأنها تعلم سياسي رسمي وغير رسمي مقصود أو غير مقصود أو مخطط له بحيث تتصل هذه العملية بجميع مراحل حياة الفرد، كما تشمل أيضا التعلم السياسي الصريح والواضح والتعلم الغير سياسي الذي يؤكد على السلوك السياسي فيتعلم الأفراد بعض الإتجاهات الاجتماعية ذات الإرتباط بالسياسة أو إكتساب الأفراد لصفحات شخصية ما^(٤).

من خلال كل ما سبق يمكن تعريف التنشئة السياسية إجرائيا بأنها كل ما يكتسبه الفرد من قيم ومكتسبات يتجاوز بها المرحلة البيولوجية والاجتماعية ليصبح كائنا سياسيا بإمتياز، وتساهم في هذه العملية مجموعة من المؤسسات إبتداء من الأسرة، المدرسة، الأحزاب وغيرها، وكذلك العناصر التالية، السيكلوجي والفيزيولوجي للأفراد والمجتمع، فالتنشئة السياسية في إفريقيا والوطن العربي، قد خضعت إلى الجانب النظري فقط، ولكنها لم تقبل الجانب التطبيقي، والتي سنتطرق لها في العقد الإجتماعي بين الحاكم والمحكوم، كما أنها مبنية على كيان الضعف وبناء المصلحة الخاصة على حساب المصلحة العامة وعدم المبالاة، كما تخضع لمعايير عدم الفهم للحقوق والواجبات، كما أن التنشئة السياسية في إفريقيا والوطن العربي تخضع لمعايير الإختيار

(١) كريمة حوامد، دور الجامعة في التنشئة السياسية لطلبة السنة الأولى والثانية علوم سياسية دراسة ميدانية جامعة باثنة، رسالة ماجستير غير منشورة، (باثنة: جامعة الحاج لخضر، ٢٠٠٨)، ص. ١٧.

(٢) محمود حسن إسماعيل، المرجع السابق، ص. ٢٢.

(٣) وسام محمد جميل صقر، الثقافة السياسية وانعكاسها على المواطنة لدى الشباب الجامعي في قطاع غزة: ٢٠٠٩، ٢٠٠٥، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الأزهر، ماي، ٢٠١٠، ص. ٢١.

(٤) أ.د، ميلود طواهري، فاطمة بن يحيى، دور عملية التنشئة السياسية في إرساء المشاركة السياسية للمرأة الجزائرية، مجلة الحقوق والعلوم السياسية، العدد، ١٢، جوان، ٢٠١٩، ص. ٠٥.

والتحيز لا إلى معايير الشمولية، فالإختلاف بيننا وبين الغرب هو أنهم يسعون إلى تنشئة أجيالهم تنشئة سياسية ثقافية، ذات أخلاق دائمة من أجل الحفاظ على الهوية والثقافة في الأجيال القادمة علي عكسنا نحن الذين نريد طمس كل ماهو موروث عندنا من ثقافات ودين وسياسة وهو العامل الذي أفرزته موجات العولمة أو ما يعرف بالغزو الثقافي فورثنا التقليد والتمني.

٢ - المجتمع المدني في إفريقيا والوطن العربي

«المجتمع المدني في أبسط معانيه هو النقابات وإتحادات العمال والمؤسسات والهيئات والجمعيات الخيرية والنوادي ومجموعة المنظمات غير الحكومية والغرف التجارية والإتحادات المهنية التي يربط بين أعضائها رباط إجتماعي»^(١).

كما يعرفه علي حرب بأنه: «مجتمع تداولي مفتوح للممارسة الإجتماعية الإختيارية من خلال كل المؤسسات المكونة للحياة الإجتماعية»^(٢).

تعرفه كذلك موسوعة ويكيبيديا بأنه يشمل كافة الأنشطة التطوعية التي تقوم لتحقيق مصالح وأهداف مشتركة للمنخرطين فيها، وتشمل العديد من المنظمات غير الحكومية والمنظمات غير الربحية مثل: النقابات المهنية والمنظمات الخيرية والمنظمات الدينية وجمعيات حقوق الإنسان وغيرها»^(٣).

كذلك عرفه «عزمي بشارة» «المجتمع المدني هو صيرورة فكرية وتاريخية نحو المواطنة والديمقراطية عبر مجموعة من التمهصلات والتميزات في العلاقة بين الفرد والجماعة أو بين المجتمع والدولة»^(٤).

من خلال التعريفات السالفة الذكر يرى الباحثان أن المجتمع المدني هو ذلك العمل الطوعي الذي تمارسه مجموعة من الأفراد لتحقيق مصالح مشتركة، خارج الجانب الرسمي، وأهدافه تخدم المجتمع والدولة ويسعي المجتمع المدني إلى خلق محفزات بين المجتمع والدولة وذلك عن طريق الديمقراطية التشاركية، وربط المجتمع بالدولة وأخلاق الحياة السياسية داخلها، غير أنه لاقي

(١) محمد عثمان الخشت، المجتمع المدني والدولة، ط١، مصر: النهضة، ٢٠٠٧، ص.٩

(٢) علي حرب، العالم ومآزقه منظم الصدام ولغة التداول، ط٢، المغرب: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧، ص.١٧

(٣) محمد أحمد علي مفتي، مفهوم المجتمع المدني والدولة المدنية، الرياض: مركز البحوث والدراسات، ص.١٣

(٤) محمد يحيى حسني، مفهوم المجتمع المدني لدى أنطونيو غرامشي، ط١، ألمانيا: المركز الديمقراطي العربي للنشر، ٢٠١٧، ص.١٢

كذلك دوامة الفشل داخل الحيز الإفريقي والعربي من خلال عدم التفريق بين الحزب السياسي والمجتمع المدني، وكذلك من خلال الإعتماد علي إشباع المصلحة الخاصة والضيقة علي حساب الصالح العام، فالمجتمع المدني في الغرب يسعى إلي فك وهدم الجدار العازل بين سلطة الدولة والمجتمع وذلك من أجل اقتسام المسؤولية والمنفعة المشتركة بين الحيز الحكومي والحيز المجتمعي، واما في إفريقيا والوطن العربي فالمجتمع المدني يحاول عزل السلطة أكثر لإشباع مصالحه الضيقة والوصول به إلي مناصب سياسية يعني نفس عمل الحزب السياسي، يعنب هناك خلط وبرغماتية سياسية.

٣ - الأحزاب السياسية في إفريقيا والوطن العربي

يعرفها لاسويل وكابلان» هو «مجموعة من الأفراد تصوغ القضايا الشاملة وتقدم مرشحين في الانتخابات».

كما يعرفه سيجموند نيومان « بأنه تنظيم للعناصر السياسية النشيطة في المجتمع يتنافس سعيًا للحصول على التأييد الشعبي مع جماعة أو جماعات أخرى تعتنق وجهات نظر مختلفة»^(١).

كما عرفت الموسوعة السياسية الحزب بإعتباره مجموعة من الناس ذوي الإتجاه الواحد، النظرة المتماثلة والمبادئ المشتركة، يحاولون أن يحققوا الأهداف التي يؤمنون بها، يرتبطون ببعضهم وفقا لقاعدة أو قواعد تنظيمية مقبولة من جانبهم تحدد علاقاتهم وأسلوبهم ووسائل عملهم»^(٢).

كما يعرفه أسامة الغزالي على أنه إتحاد أو تجمع ذو، بناء تنظيمي على المستويين القومي والمحلي يعبر في جوهره عن مصالح قوى إجتماعية محددة، يستهدف الوصول إلى السلطة أو التأثير عليها بواسطة أنشطة متعددة خصوصا من خلال تولي ممثليه المناصب العامة»^(٣)، ويمكن تعريف الحزب السياسي علي أنه جماعة منظمة من المواطنين تسعى بالطرق المشروعة إلي الوصول إلي مقاعد الحكم والدفاع عن من يتربع عليه، ومهما اختلفت التعاريف المقدمة بصدد الحزب السياسي إلا أن كلها تتفق في وجود منظمة من الأفراد قادرة علي التعبير عن مطالبهم وسياساتهم سواء كانوا رجالا أم نساء أو مجتمعيين، كذلك وجود مجموعة من الإقتراحات تمس سياسة الحكومة، وأخيرا وجود

(١) أسامة الغزالي حرب، الأحزاب السياسية في العالم الثالث، الكويت: دار المعرفة، ص. ١٤

(٢) تحقيق عبد الوهاب الكيالي وكامل زهيري، الموسوعة السياسية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،

١٩٧٤، ص. ٢٨٨

(٣) أسامة الغزالي حرب، مرجع سابق، ص. ٢٠

نشاط يهدف إلى السيطرة على السلطة وممارستها، مع أنها قد تختلف الأدوار والوظائف التي تقوم بها الأحزاب السياسية^(١).

والملاحظ أن الأحزاب السياسية دورها وهوايتها إنتقاد السلطة وتتبعها أما هدفها الأسمى فهو الوصول إليها والقيادة ضمن تعبئة شعبية ذات توجهات سياسية وحتى أيديولوجيا ببرامج وإستراتيجيات مختلفة تحمل على عاتقها، المنفعة للفرد والمجتمع والدولة، غير أن هذا الحلم المنشود لم يتحقق في إفريقيا والوطن العربي وذلك لوجود محفزات أخرى لهذه الأحزاب والتي سعت إلى إخماد ثورتها وثروتها السياسية والتي سوف نتطرق لها في الدوافع التي كرس مبدءا التخلف على جميع أجنحة التطور السياسي داخل الحيز العربي والإفريقي على حد سواء، فمن غير المعقول والمقبول أن يسعى حزب إلى التغيير ومناشدة الديمقراطية وإنتقاد السلطة في إفريقيا والوطن العربي بالإستبداد وإنتقادها، وهو يكرس نفس المبدأ في حزبه فهناك أحزاب قد إستحوذ عليها مجموعة من الأشخاص حيث تفوت مدة ترأسهم على هذه الأحزاب عشرون سنة، فكيف تكون الديمقراطية بمثل أحزاب كهذه، والغريب في الأمر أن هذه الأحزاب تنادي بتفعيل الديمقراطية والتداول السلمي على السلطة، فهل يعقل ان تنادي بشيء أنت أصلا لا تفعله ولست مقتنعا به، فهذا من بين الأسباب التي ساهمت في فشل الأحزاب السياسية في إفريقيا والوطن العربي، إضافة إلى العامل الديني والايديولوجي والذي طابعه بالدرجة الأولى مصلحي لأن الدين لا يستخدم للكذب على الشعوب أو من أجل الوصول به إلى السلطة، ونرى ذلك في الخطابات السياسية لبعض الأحزاب التي تستغل بعض المؤيدين لها بعبارات رنانة لكسب موالاتها وإستعطافها بإسم الدين الذي هو برئ من تصرفاتهم الاستغلالية.

٤ - الثقافة السياسية في إفريقيا والوطن العربي:

يعتبر جابريل ألووند من أوائل من أدخل مفهوم الثقافة السياسية «Political.Culture»، في الدراسات السياسية وذلك في مقالة هدف من خلالها إلى أن يقدم تصنيفا مقارنا للنظم السياسية نشرت عام ١٩٥٦م، والتي أشار فيها إلى الثقافة السياسية والتي يري فيها أنها ذات صلة وثيقة بالثقافة العامة فهو يري أن النظام السياسي يعيش في ظل ثقافة سياسية محددة كما أن السياسة والسلطة السياسية في أي مجتمع تتأثر أشد التأثير بالقيم والمفاهيم والتصورات السائدة داخل حيز

(١) د. مسراتي سليمة، دور الأحزاب السياسية في تفعيل المشاركة السياسية للمرأة، الأطر واستراتيجيات التمكين السياسي، مجلة صوت القانون المجلد الخامس، العدد، ٠٢، أكتوبر ٢٠١٨، ص، ٥.

المجتمع^(١)، ومن وجهة نظر أخرى وبعد أن وصل لنا مفهوم الثقافة كما تحدد في الفكر الأوروبي، ولفت إنتباهنا لكلمة الثقافة في لغتنا وتراثنا الإفريقي والعربي، لم تتمكن ولم نسهم بإضافة معرفية خلاقة تلفت الإنتباه علي مستوى الفكر الإنساني الذي ظل يسائل نفسه بإستمرار حول ماهي الثقافة ؟، وإلي يومنا هذا والسؤال عن ماهية الثقافة، مازال يطرح ويتجدد ولم تظهر إجابة يمكن وصفها بالنهائية والمكتملة، وعدم الإكتمال هو الذي يدفعنا نحو إدراك الحاجة المستمرة للثقافة وعدم التوقف عن إستنطاقها ومسائلتها والإصغاء إليها كلما تجددت الحياة وتغيرت أحوال الإجتماع الإنساني، كما لا ننسى أن هذه الحاجة بطبيعتها تستجيب لمتطلبات المجتمعات الإنسانية علي إختلاف مستوياتها المدنية والحضارية، المتقدمة منها ومن هي في طريق النمو وحتى المتخلفة التي نحن ضمن طريقها للنمو والتخلي عن هذه التبعية الثقافية العالقة في كياناتنا، إن فلسفة الإنسان وثقافته تستهدف من ثم أن تكون تجريبية بكل ما في الكلمة من معني، إنها تستهدف الكشف عن مشاركة الإنسان في متعدد الأبعاد، سياسي، ثقافي، وجودي، نوعي، عام، خاص، وهي تربط ما بين المفاهيم الملائمة للإضاءة هذه الخبرة في حدود كل ما يمكن أن نعرفه عنها وحين تقوم هذه الفلسفة بمهمتها علي خير وجه، فإنها في الحقيقة لن تمثل نظرة جديدة إلي العالم، ولكنها سوف تكون صياغة واعية، وتوصيفا نقديا لخبرة الإنسان وهو يشارك في دراما وجوده، وهو ما تقوله الثقافة وتدعمه السياسة داخل وخارج محيط الدولة ككيان وحيز مغلق ومفتوح في آن واحدة^٢ وإذا رجعنا إلي الماضي ومنذ أن أصر هارولد لازويل لأول مرة علي الأهمية المركزية للعمق النفسي الحديث لفهم السياسة، وحتى هذا اليوم لا يود شرعية تتصل بالروابط المهنية التي سعي لازويل لبنائها، قبل أن يحاول الدمج بين السياسة وعلم النفس حاول المفكر غراهام والاس، بطريقة أخرى أن يضع مشكلة الطبيعة الإنسانية ركيزة للدراسة السياسية، ويشارك والتر ليبمان في العدد من كتبه الأجندة نفسها مع والاس الذي كان أستاذا له، ولو أخذنا ذلك بمنظور أقدم من المائة سنة الأخيرة فقد كان اعظم مفكري الإغريقي يقولون بإستحالة تصور حياة سياسية دون إستبصار بالروح الإنسانية، لكن عندما يقترح شخص مثل فيلهلم راينخ علي سبيل المثال، موضوع علم النفس السياسي ولديه أهداف أيديولوجية ماركسية واضحة، فقد تبدوا مغامرة إقحام السياسة بعلم النفس محاولة تخريبية لكن الغايات الأخلاقية الخفية في العلوم الاجتماعية

(١) وسام محمد جميل صقر، مرج سبق ذكره، ص، ٢١.

(٢) زكي عبدالله احمد الميلاد، المسألة الثقافية، من أجل بناء نظرية في الثقافة، مركز الحضارات لتنمية الفكر الإسلامي، سلسلة الدراسات الحضارية، الطبعة الثانية، بيروت، ص، ٥٠.

(٣) أنطوني دي كرييني، و كينيث مينوج، ترجمة، د، نصار عبد الله، من فلاسفة السياسة في القرن العشرين، الهيئة المصرية للكتاب، الطبعة الثانية، ٢٠١٢، ص، ٨٠.

قد أثبتت إنتشارا واسعا، فالأيديولوجية مساعد علي شرح التعصب المنهجي جزء جعل من تاريخ التحليل الثقافي والنفسي وهو ما يعرف بالمفاهيم المتنافسة للحياة الجديدة التي يمكن أن تتحسن عبر التقييم الثقافي والنفسي^١، فالملاحظ أن الثقافة السياسية تنبع من النفس ثم المجتمع حتي تلتصق بالدولة، ففي دولة مثل الصين يثق المواطن فيها بالدولة حيث أن ثقافة الدولة تخدم المواطن لما له من إنعكاس عليها حيث أن المواطن من أسس لهذه الثقافة وأصبح ما يعرف بالثقافة الموازية بين الحاكم والمحكوم، أما في دول إفريقيا والعالم العربي فالثقافة السياسية موروثة من طابع الإستعمار القديم وهي تتجدد من وقت لآخر، ولا يستطيع المواطن العربي والإفريقي الإعتماد علي ثقافته من خلال تواجد سببين الأول عدم الثقة بين السلطة والمواطن والثاني ثقافة التقليد الاستعماري وتقليد الغير مما يجعله يستخدم ثقافات لاتخدمه ولا تخدم دولته بل تخدم الدول المصدرة لهذه الثقافات فهذا حال الثقافة السياسية في الوطن العربي وإفريقيا.

٢ - دراسة في الدوافع:

إن الدوافع التي كرس الأزمات السياسية في إفريقيا والوطن هي دوافع منبثقة، عن عدة إعتبرات سواء خاصة تتمثل في رؤية صناع القرار أو عامة وتتمثل في توجهات النخب داخل حيز الدولة سواء من القيادات العسكرية أو النخب السياسية وهذا ما زاد في حدة التأزم أثناء التحولات الديمقراطية وتتمثل في مجملها في التبعية، وعامل الإستعمار والولاء، العقد الاجتماعي وثقافة النخب السياسية.

- دافع التبعية المطلقة: وهنا وجب تعريف التبعية كحالة وكفكر وتوجه، فهي من أهم إتجاهات التنظير الماركسي للعلاقات الدولية وتسمي أيضا ب «النيوماركسية»، فهي تبحث عن أسباب التخلف في دول العالم الثالث، حيث تتعرض هذه الدول لشروط مفروضة في الإستثمار الأجنبي المباشر والعلاقات والإتفاقات التجارية الغير متساوية، من طرف ما يعرف بدول المركز أو الدول الإمبريالية حسب جون هبسون، وكما يعرفها «دوس سانتوس» «Dos.Santos»، بقوله التبعية في المقام الأول موقف شرطي تكون فيه إقتصاديات مجموعة من البلدان مشروطة بتطور وتوسع مجموعات أخرى^(٢) وأما علي المستوي الفكري لنظرية التبعية فيمكن القول أن

(١) بول روزان، ترجمة سارة اللحيدان، يوسف الصمعان، الأسس الثقافية للتحليل النفسي السياسي، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٧، ص، ١١.

(٢) د. محمد الطاهر عديلة، تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية، دراسة في المنطلقات والأسس، أطروحة دكتوراه منشورة، جامعة باتنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، ٢٠١٤؛ ٢٠١٥، ص، ٢٧١.

عودة الحديث عن الإمبريالية في عالم ما بعد الحرب الباردة وتشبيهاها بالعمولة وذلك من خلال المفهوم الأمريكي، حيث يمثل نموا متزايدا لتياراتها الفكرية ولا سيما منها تيار الإمبريالية ونموذج المركز - المحيط، بل فوق كل ذلك نجد أن العمولة منبثقة ومتأصلة في منظرية الإستعمار التي سوف نتطرق لها لاحقا أو ما يعرف بالإستعمار الجديد والتي ينظر للإمبريالية على أنها ظاهرة دولية مرتبطة بالرأسمالية من النواحي البنوية والاجتماعية وحتى الاقتصادية^(١) والسياسية فمن الناحية البنوية والاقتصادية فنرى تيار التخلف «Underdevelopment»، ويعد أندري غاندر فرنك من أبرز ممثلي هذا التيار في نظرية التبعية، فقد جمع كل أطروحاته الفكرية بشأن ظاهرة التخلف في كتابه المشهور «تنمية التخلف»، «The Development of Underdevelopment»، والتي إستمدتها من إنتقاداته لنظرية الحداث، ويحاول هذا التيار الكشف عن العوامل الداخلية والخارجية للتخلف، وقد حاول فرنك ولو نسبيا إبراز مفهوم التخلف فهو يرى أن التخلف نتيجة لعملية النمو الرأسمالي المترتب عن إندماج إقتصاديات التوابع في الإقتصاد الرأسمالي العالمي الذي يعمل بدوره على تنمية التخلف في الدول التابعة، ويعرف التخلف من منظور غاندر فرنك من الناحية الداخلية على أنه هشاشة البني الداخلية للدول التابعة، وأما خارجيا فيرى فرنك أن التخلف يرجع لعلاقات التبادل الغير متكافئ بين دول المركز ودول المحيط وهو ما يعرف عنده بالتخلف المزمن^(٢)، وفي ظل العمولة تقوم الدولة بالبناء والتشييد لغيرها وهو ما عبر عنه جون غالينغ في تيار الإمبريالية بنظرية التبعية، والدولة أو الدول بهذه الصفات هي تلك الدول التي يطلق عليها إسم «الدول الرخوة» وهو إسم إستخدمه غونار ميردال في أواخر الستينات للدلالة على إستعداد أغلبية الحكومات في دول العالم الثالث لتجاهل حكم القانون، ولتغليب مصالح أفرادها الخاصة على المصلحة العامة للوطن، وهي السمات التي أصبحت أكثر تجسيدا في الدول الإفريقية ودول الوطن العربي وهي من أهم العوامل المؤدية إلى المعوقات السياسية والتأزم والتنازع السلطوي، وعدم الإستقرار^(٣)، وإذا رجعنا الى تيار الإمبريالية عند جون غالينغ لنعرف أشكال التبعية والتي تجد أصولها في النظرة اللينينية الهوبسونية الإمبريالية وهوب ذلك إمتداد للفكر الماركسي التقليدي، غير أنه

(١) أ.د. عبد الناصر جندلي، النظريات التفسيرية للعلاقات الدولية بين التكيف والتغيير في ظل تحولات عالم ما بعد

الحرب الباردة، مجلة الفكر، العدد الخامس، ص ١٥.

(٢) ريمة كاية، العلاقات الامريكية - الافريقية منذ نهاية الحرب الباردة، رسالة ماجستير في الدبلوماسية والعلاقات

الدولية، جامعة باتنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، ٢٠١٠، ٢٠١١، ص، ٢٩، ٣٠.

(٣) أ.د. عبد الناصر جندلي، مرجع سبق ذكره، ص، ١٦.

يري أن الإمبريالية لا تقتصر على الجانب الإقتصادي فحسب بل تتعدي ذلك إلى جوانب أخرى السياسية والعسكرية والإتصالية والثقافية، فالجانب الإقتصادي يري جون غالting أن دول المركز توفر عمليات الإنتاج ووسائله، لما دول المحيط فتوفر المواد الأولية والأسواق أما الجانب العسكري فيري جون غالting أن دول المركز توفر التسليح ووسائل التدمير أما دول المحيط فتعمل على الخضوع والانضباط والإنصياح وتطبيق القوانين والإملائات، ومن ناحية الجانب الإتصالي والثقافي فيري أن دول المركز توفر الأخبار ووسائل الإتصال التعليم ونشر الثقافات أما دول المحيط فتعمل على تلقين التبعية الثقافية أو مايعرف بالغزو الثقافي، أما الجانب السياسي للإمبريالية والذي يهمننا في دراستنا فيري جون غالting أن دول المركز توفر القرارات والنماذج الديمقراطية وأما دول المحيط فتعمل كذلك على الإنصياح والولاء والتقليد والانضباط في التقليد ومن خلال ما تقدم نري أن التبعية السياسية لدول المركز هي من أهم العوامل المؤثر في عمليات التحول الديمقراطي في افريقيا والوطن العربي من حيث الإتباع والإنصياح وإنبطاح الحكومات الافريقية والعربية للإملاءات السياسية من القوي الاستعمارية التي سوف تنطرق لها فيما بعد، كذلك الجانب الإقتصادي وما يمثله في المشروطة السياسية على هذه الدول والتي تزيد من نمو تحلفها حسب فرنك كما لا ننسي أهم العوامل المساهمة في الأزمات السياسية في افريقيا والوطن العربي والتي أشار إليها غونار ميردال بمصطلح «الدول الرخوة» وهو إسم إستخدمه للدلالة على إستعداد أغلبية الحكومات في دول العالم الثالث لتجاهل حكم القانون، ولتغليب مصالح مصالح أفرادها الخاصة على المصلحة العامة للوطن، وهنا تحدث الأزمات بين العصب العسكرية والعصب المدنية، أو مايعرف بالإنسداد السياسي وغياب الحلول والبدائل وإستعمال المقاربات الصلبة.

- دافع الإستعمار وولاءات القيادات السياسية والنخب:

لقد عرفت بلدان القارة الإفريقية والوطن العربي في القرون الماضية ما يعرف بالإستعمار القديم وهو الإستعمار الذي يحاول الهيمنة على مقدرات الدولة أو الدول بواسطة التدخل العسكري والهيمنة الخارجية والداخلية، إلى أن تطور هذا الإستعمار من المباشر إلى الإستعمار الغير مباشر ومن التقليدي إلى الإستعمار الحديث قد جعل هذه الدول تعاني إلى حد الآن من ويلات وتركات الاستعمار.

(١) ريمة كاية، العلاقات الأمريكية - الافريقية منذ نهاية الحرب الباردة. مرجع سبق ذكره. ص، ٣٠.

إن نظام الدولة العربية السائد الآن في أنحاء الشرق الأوسط وإفريقيا كافة، وجذور أسلوب الحكم الرئاسي الفريد الذي يترافق معه ماهو إلا نتيجة لجملة من عوامل الحقبة الإستعمارية، والنظام العالمي = 'الجديد الذي يشتمل علي دول مستقلة، وهو النظام الذي ظهر بعد عام ١٩٤٥، برعاية الأمم المتحدة، لقد أسست أوروبا عددا معتبرا من المستعمرات الرسمية في هذه المنطقة لكن حدود ثلاثة مجموعات من الدول العربية المقبولة دوليا، أي تلك الموجودة في شمال إفريقيا، وفي الهلال الخصيب وفي شبه الجزيرة العربية، كانت إلي حد كبير من عمل الحكومتين البريطانية والفرنسية اللتين سعتا إلي تأسيس مناطق نفوذ لهما في الجهة البعيدة من البحر الأبيض المتوسط بحيث تكون بمحاذاة الطرق البحرية والبرية المتجهة شرقا نحو الهند، بدأت هذه العملية في الشمال الإفريقي العربي بالجزائر عام ١٨٣٠ واستمرت هذه العملية مع تأسيس محمية في تونس ١٨٨١م، ثم تبعها الاحتلال البريطاني لمصر في العام ١٨٨٢م والسودان في عام ١٨٩٨م، ثم الإجتياح الإيطالي لليبيا في العام ١٩١١م وإكتملت هذه العملية مع الإعلان الفرنسي إنشاء محمية في المغرب بعد سنة من الزمن، وما أن قرر العثمانيون دخول الحرب العالمية الأولى إلي جانب الألمان حتي بدأ الأوروبيون بوضع خطط لسلخ الدول العربية من الإمبراطورية العثمانية، وكانت نتيجة تلك الخطط أن ثبت الإنجليز أنفسهم في البلاد التي أصبحت لاحقا، العراق وفلسطين في الفترة التي تلت العام ١٩٢٢ وكذلك ما عرف بشرق الأردن «الأردن في وقت لاحق»، أما الفرنسيون فقد أقدموا في هذه الأثناء علي إنشاء دول جديدة في سوريا ولبنان^٢، كما كانت إفريقيا كيانات تتسم بالحكم القبلي، عبارة عن تجمعات بشرية ذات قرابة، تركز علي الثقافة والتقاليد وتستند إلي هياكل سياسية وإدارية منظمة يتولى الحكم فيها طبقة حاكمة تتولي أمور التجارة وعمليات التبادل مع جيرانها، وقد عمل الإستعمار علي تمزيق هذه الوحدة التي شكلت سر بقاء هذه الكيانات الإنسانية، من خلال تفويض فرض تطور هذه الكيانات إلي دول حديثة وعمل علي إنهاها تماما، ولم تسلم من هدم الهوية السياسية وثقافتها بل وحتى سيادتها، وصار زعمائها يعملون لصالح الاستعمار في تحصيل الضرائب والعمل علي تقوية الولاء الإستعماري وردع كل محاولة لمقاومته، وقد عملت هذه النخب السياسية والمتزعمة في وقتها علي تجنيد أفراد المجتمع في صفوف الاحتلال لخوض حروب خارجيه، فكانت النهاية بتمزيق هذه الشعوب وجعلها جماعات إثنية ضعيفة عمل قادتها علي خدمة الاحتلال وإطالة مدة بقائه مما أدي بدوره إلي بعث الروح القومية عند البعض الآخر

(١) للمزيد انظر الي كتاب جرج كاشمان، ترجمة د. احمد مدي محمود، لماذا تنشب الحروب، الجزء الأول.

(٢) رودجر أوين، ترجمة سعيد محمد الحسنية، الحكام العرب، مراحل الصعود والسقوط، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ص، ٢٧، ٢٨.

لتلك الجماعات الإثنية وولد لديها الشعور المشترك بالإظتهاد والاستغلال الإقتصادي والقمع الثقافي وهذا ما أدي بها إلي النهوض والنضال^(١)، ومعلوم أن القانون تاريخياً إستعمل أداة لفرض السيطرة والهيمنة من قبل القوي الكولونالية، ويمكن القول كذلك أن القانون إستخدم لتبرير السياسة الإستعمارية في المجالات المتعددة الإقتصادية والثقافية والإجتماعية والسياسية، لدرجة أن إعتبر قانون المستعمر الغربي أعلى درجة وأرقى من قوانين الشعوب المستعمرة، إنها ليست نظرة إستعلائية فقط وإنما وسيلة لتبرير سياسات مختلفة، والمتبع يري أن جميع القوانين التي صدرت من الهيئة الأمية ضد الإستعمار الصهيوني كلها ليست إلزامية وهذا مثال من بين كثير من الأمثلة التي تدعم الإستعمار بطرق مباشرة وغير مباشرة^(٢) وبالتالي فقد أثر الإستعمار علي جميع النواحي في افريقيا والوطن العربي حيث تركز في الأرض والإقتصاد والثقافة وحتى الذهنيات مما أكسبه ولاءات مازالت لحد اليوم تخدم مصلحة الإستعمار علي مصلحة الدولة، فالعقيلة الإفريقية العربية اليوم تعاني من أزمة الولاء والتقليد وحب المصلحة الذاتية فهي أمام أمرين إما النمو والتطور ثم التحرر أو الولاء والخضوع والتبعية المطلقة الدائمة والأبدية.

دافع العقد الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم: .. كيف تتأسس السيادة في افريقيا والوطن العربي/

تعود فكرة العقد بمعني الاتفاق «Agreement»، الي الفلاسفة اليونان القدامي وخاصة أرسطو الذي أكد علي الصفة الرضائية في تكوين الدولة، كما تعرض كتاب القانون الروماني لفكرة العقد في تحليلهم لطبيعة القانون وقبوله من طرف الجماعة، وإنتقلت الفكرة إلي العصور الوسطي بهدف الدفاع عن حريات الأفراد في مواجهة نظام الحكم المطلق الذي شاع آنذاك في نظام الإقطاع، ولكن لم تبلور فكرة العقد إلي نظرية تفسر نشأة الدولة بمعني إتخاذ فكرة العقد كأصل لميلاد الدولة إلا مع فلاسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر وبالتحديد توماس هوبز وجون لوك وجان جاك روسو^(٣)، وعليه فإن إنضمام الناس إلي بعضهم لتشكيل المجتمع يتم نتيجة للتفهم العقلاني ولنقل بدقة إلي عقد إجتماعي يبرمه كل واحد مع الآخر، أما مضامين الحجج التي إستند لها هوبز فتكمن في الربط ما بين هذا العقد الإجتماعي وعقد للخضوع «للتفضيل أو بالأحرى للتفويض بالصلاحيات»، فحجته تتضمن أن الأفراد المتعاقدين يتنازلون لطرف ثالث

(١) د.شكرين ديلمي، تطور مفهوم الدولة في افريقيا، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد، ٠٣، مارس، ٢٠٢٠، ص، ٤٢، ٤٣.

(٢) مضر قسيس، خليل نخلة، الإصلاح القانوني في فلسطين، تفكيك الاستعمار وبناء الدولة، معهد الحقوق جامعة بيروت، مركز البحوث للتنمية الدولية، ٢٠٠٩، ص، ٢٧.

(٣) أ.د.حسن سيد سليمان، المدخل للعلوم السياسية، منشورات جامعة افريقيا، الخرطوم، الطبعة الاولى، ٢٠١٠، ص، ٤٦.

عن حقوقهم الطبيعية «في كل شيء»، باستثناء حقوقهم في البقاء، والطرف الثالث هو الدولة والتي يدعن الأفراد المتعاقدون لسلطتها بدون قيود ولقد أطلق هوبز علي الدولة مصطلح الوحش الذي ورد ذكره في الكتاب المقدس المسيحي، وبما أن الدولة تحتكر إمتياز السلطة وإستخدام العنف بتتيجة إبرام العقد الإجتماعي، فإن بوسعها فرض نمط السلوك الإجتماعي حتي ولو تعرضت إلي مقاومة وهكذا فإن بإمكانها في كل وقت منع العودة المحتملة إلي الحالة الطبيعية ويسمح لها بإستخدام كل الطقوس بما فيها الدينية من أجل ضمان السلام^١، أما جون لوك فقد عاش وعاش في بريطانيا خلال الفترة ١٦٣٢م، ١٧٠٤م، وعاصر وتأثر بالثورة الدستورية التي حدثت في بريطانيا عام ١٦٨٨م، والتي ناصرها لتعزيد البرلمان ضد الملك علي أساس أن الملك جيمس الثاني قد أخل بشروط العقد الإجتماعي مما أعطي للشعب الحق في الثورة عليه، ومن هنا بدأ لوك يفكر في نشأة الدولة مختلفا مع هوبز حيث نظر الي الطبيعة البشرية نظرة تفاؤلية فنفي عن الانسان صفتي الشر والانانية ونعته بالطيبة والمسالمة مع الآخرين، واثرت نظرة لوك هذه عن الإنسان في تصويره للطبيعة وحالتها والتي وصفها بعكس هوبز بأنها ليست حالة حرب أو صراع بل حالة حرية ومساواة لجميع الأفراد حيث يعتبر أن القانون الطبيعي هو قانون العقل الذي يدعوا الفرد لعدم الإعتداء علي حياة وحریات أو ممتلكات الآخرين، فالقانون الطبيعي يعمل هنا للمحافظة علي جميع الافراد وليس المحافظة علي النفس فقط كما وصفه هوبز ولكن يري لوك أن حالة الطبيعة تفتقر إلي وجود سلطات عليا للتشريع ولتنفيذ وتطبيق القوانين، حيث يري لوك انه وجب إنتقال الأفراد من حالة الطبيعة إلي حالة الدولة حيث يتوفر الوضع الأنسب لضمان ممارسة الحقوق والحریات وذلك من خلال الجهاز المحايد وهو الدولة، كما تنشأ الدولة عند لوك من خلال عقدين يبدأ بعقد.

إجتماعي بين الأفراد لإقامة المجتمع السياسي وهنا يتنازل الأفراد عن بعض حقوقهم وليس كل حقوقهم كما ذكرناها علي هوبز، وخاصة حقهم في تطبيق القانون الطبيعي، أما بالنسبة للعقد السياسي الذي يؤسس الحكومة فإن السلطة التشريعية برضاء الأفراد وتصبح هي السلطة العليا في الجماعة^٢، «إن دستورا يتغير ليس البتة بدستور، المهم أن يطرأ حدث جلل داخلي أو خارجي يضطرنا إلي تغيير الدستور»، فإذا تم ذلك حسنت العلاقة الثنائية، وهي علاقة المواطنين ببعضهم البعض وعلاقة كل مواطن بالدولة، فأما علاقة مواطن بمواطن فيجب أن تقوم علي الإستقال التام

(١) اندرياس فيرايكة، بيرند مايرهوفر، فرانتس كوهوت، ترجمة، د، سامي ابوايحي، أطلس العلوم السياسية، المكتبة الشرقية، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠١٢، ص، ٤٧.

(٢) أ.د، حسن سليمان، المدخل للعلوم السياسية، مرجع سبق ذكره، ص، ٤٩، ٥٠.

وأما علاقته بالدولة فيجب أن تكون علاقة تبعية تامة، ولقد سبب هذا الرأي لروسو سوء فهم كبير وأثار سخط النقاد عليه وخاصة بين الليبراليين، والمزج أن روسو قصد بالتبعية للدولة وهي صنيعة إرادة الشعب العامة وجسمه السياسي، تبعية لقوة متعالية من زاوية معينة بحيث تكون قوتها بفضل القوانين وحدها لا غير، ضامنة لحرية المواطن في وجه كل متكبر، وأما تاج تلك العلاقات فهو العلاقات الأخلاقية الكامنة في افئدة المواطنين، إذ هي التي تصنع دستور الدولة الحقاني هكذا رأي روسو في العقد الاجتماعي^(١)، كما يعدد روسو «١٧١٢م، ١٧٧٨م»، من أهم ممثلي توجهات الفكر التنويري، فقد دحض الاعتقاد بالعقلانية والتقدم من خلال نقده للثقافة مستندا إلي الحنين للطبيعة وإلي أسلوب الحياة أو بالأحرى نحو الأحاسيس^(٢)، ومن خلال ما تقدم من التعريفات المتباينة للعقد الاجتماعي يجدر الإشارة أن الأزمة في دول إفريقيا والوطن العربي تتمثل في ما عرفه صامويل هنتغتون في كتابه «النظام السياسي لمجتمعات متغيرة»، حول الهوية السياسية حيث يرى أن التمايز السياسي الأبرز بين الدول لا يتعلق بنمط الحكم بل بدرجة هذا الحكم، ويرى أن الفروقات بين الديمقراطية والدكتاتورية هي أقل من الفروقات بين الدول التي يتجسد في سياستها الإجماع والإتفاق والشرعية، والتنظيم والفعالية والإستقرار وتلك التي تعاني سياستها من عجز علي هذا الصعيد، ان الدول الكليانية والدول الغربية الليبرالية تندرج معا عموما في فئة الأنظمة السياسية الفاعلة ولا تصنف كأنظمة سياسية ضعيفة فمثلا في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والإتحاد السفياتي سابقا أنماط مختلفة من الحكم، لكن الحكومات في هذه الأنظمة الثلاثة تحكم، كل دولة منها متحد سياسي فيه إجماع عارم من قبل الشعب علي شرعية النظام السياسي، وفي كل دولة يشترك المواطنون وقادتهم في رؤية المصلحة العامة للمجتمع والتقاليد والمبادئ^٣ فهل تتوفر هذه الصفات في الأنظمة السياسية في إفريقيا والوطن العربي فالمتمعن لما طرحه صامويل هنتغتون يرى أن الهدف ليس في شكل الأنظمة السياسية وإختلافها بل الهدف في مصداقيتها أمام شعوبها فالإختلاف لا يؤثر بقدر ما تؤثر المصداقية والثقة بين الحاكم والمحكوم، فعندما نتكلم عن فكر هيجل نري أنه يقول أن الأفراد الذين يجب التعامل معهم هم الشعوب والوحدات الكلية التي هي الدول وهو أمر ينطوي علي مشاركتهم الحرة بشكل ذاتي في أهداف تتسامي فوق المصالح

(١) فرجيل، ترجمة وتقديم، عبد العزيز لبيب، في العقد الاجتماعي او مبادئ القانون السياسي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى، ص، ٢٤.

(٢) اندرياس فيريكه، بيرند مايرهوفر، فرانس كوهوت، ترجمة، د، سامي ابوايحي، أطلس العلوم السياسية، مرجع سبق ذكره، ص، ٥٣.

(٣) صامويل هنتغتون، ترجمة سمية عبود، النظام السياسي لمجتمعات متغيرة، دار الساقى، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى، ١٩٩٢، ص، ١٠٧.

الأنانية البحتة، فالدولة عند هيجل هي وحدة دراسة التاريخ، إنها الحرية في صورتها الواقعية، كل نشاط فكري وكل عمل بشري إنما يتحقق من خلال الدولة وأنظمتها، فكما رأي هنتغتون أن الدول الناجحة هي التي تحضي بالشرعية المستمدة من الإجماع والإتفاق والتنظيم والفعالية المستمدة من الإستقرار والتي تجلب بدورها التطور للدول والنمو وليس الانقلابات كما يحدث في إفريقيا والوطن العربي. فليس الهدف في الإختلاف لكن الهدف من طبيعة الحكم وشرعيته ومن أين إستمدتها.

الخاتمة

تخضع العلاقات بين العصب المدنية والعسكرية في الحكومات الديمقراطية إلى ضوابط أساسها الفصل بين السلطات و نظام المؤسسات السياسية في ديناميكية قائمة على النسق البيوي الذي تسيطر عليه هذه الأخيرة، إلا أن هذه العملية نجدها محدودة أو بالأحرى تكاد أن تكون منعقدة داخل الدول في إفريقيا والوطن العربي فهي تخضع لمعايير أملتتها تذبذبات وأزمات داخلية وكذا أجنداث خارجية.

فالدولة في إفريقيا والوطن العربي لا تزال تراهن على القيم الديمقراطية فضعف التنشئة السياسية و غياب ثقافة سياسية و تغييب دور المجتمع المدني الذي يكون في غالب الأحيان تحت سيطرت النظام في الدولة إلى جانب محدودية دور الأحزاب السياسية، كل هذه الإشكاليات إنعكست على بناء الدولة في إفريقيا والوطن العربي وعملية التحول الديمقراطي السلس.

إلى جانب التبعية التي كرسها الإستعمار بطريقة غير مباشرة عن طريق الولاءات، وما يشكله من أزمات أثرت على جميع النواحي السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية و حتى الثقافية، كما أن الأزمة الحقيقية في إفريقيا والوطن العربي تكمن في العقد الإجتماعي فهو الأساس المحوري، بين السلطة السياسية والشعب، حيث يكمن ذلك كله في وازغ الثقة المتبادلة بينهما، وهي أساس النهوض والتحول السلس في معايير الديمقراطية، فمفهوم الديمقراطية يختلف من شعب إلى شعب، كذلك ملامح الديمقراطية تحولت من ديمقراطية مباشرة إلى ديمقراطية غير مباشرة، الأولى كانت إبان الدويلات اليونانية والثانية الغير مباشرة تشكلت وظهرت عند ظهور وتوسع شكل الدولة القومية بمفهومها الوستفالي، وهذا هو الخلل الواضح في إفريقيا والوطن العربي، حيث

(١) يحي سعيد محمد قاعد، طروحات فوكوياما وهانتغتون والنظام العالمي الجديد، دراسة تحليلية مقارنة، رسالة ماجستير علوم سياسية، جامعة الأزهر، غزة، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، ٢٠١٤، ص، ٤٦.

يظهر المفهوم ولكن تغيب الآليات، إذن فالأزمة الحقيقية تكمن في الفهم الخاطئ للديمقراطية من حيث المفهوم والآليات، سواء من النخب السياسية أو العصب العسكرية، وأشد من ذلك فهي تكمن أيضا في عدم التفريق بين المصلحة العليا للوطن وبين مصلحة الأفراد والشعوب وهذا مكمن التأزم في الديمقراطية في إفريقيا والوطن العربي.

قائمة المراجع:

أولا: الكتب

١. أسامة الغزالي حرب، الأحزاب السياسية فب العلم الثالث، الكويت دار المعرفة.
٢. أندرياس فيزاكيه، بيريد ماير هوفر، فرانتيس كوهت، ترجمة: د. سامي أبو يحيى، المكتبة الشرقية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢.
٣. أنطوني دي كويني، و كينت مينوج، ترجمة: د.نصار عبد الله، من فلاسفة في القرن العشرين، الهيئة المصرية للكتاب، الطبعة الثانية، ٢٠١٢.
٤. العماد الحسن التركماني، المذاهب العسكرية في العالم، دمشق للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧١.
٥. بول روزان، ترجمة سارة اللحيان، يوسف الصمعان، الأسس الثقافية للتحليل النفسي، جداول للنشر الترجمة و التوزيع بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٧.
٦. تحقيق عبد الوهاب الكيالي و كامل زهيرى، الموسوعة السياسية.
٧. جوزيف سوتيزا، بول بين، فن فينيا، مروبرت بسريرا، تحرير احمد ياسين، كتاب بعنوان غدارة المؤسسات العسكرية النظرية و التطبيق مركز الإمارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية، الطبعة الأولى.
٨. حسين سيد سليمان المدخل للعلوم السياسية منشورات جامعة إفريقيا الخروطم، الطبعة الأولى، ٢٠١٠.
٩. زكى عبد الله احمد الميلاد، المسألة الثقافية من أجل بناء نظرية في الثقافة، مركز الحضارات لتنمية الفكر الإسلامي، سلسلة الدراسات الحضارية الطبعة الثانية، بيروت.
١٠. صموال هيتغتون، ترجمة: سمية عبود النظام السياسي لمجتمعات متغيرة دار الشافي بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.
١١. على حرب العالم و مأزقه منظم الصدام و لغة التداول المغرب، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧.

١٢. فرجيل، ترجمة و تقديم عبد العزيز لبيب، في العقد الاجتماعي و مبادئ القانون السياسي المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
١٣. ليدل هارت، الإستراتيجيو و تاريخها في العالم، ترجمة.
١٤. محمد احمد على مفتى، مفهوم المجتمع المدنيو الدولة المدنية، الرياض، مركز البحوث و الدراسات.
١٥. محمد عثمان الخشت، المجتمع المدني و الدولة، مصر، النهضة، ط ١، ٢٠٠٧.
١٦. محمد يحيى حسني، مفهوم المجتمع المدني لدى انطونيو غرامشي، ط ١، ألمانيا، المركز الديمقراطي للنشر والتوزيع.

الرسائل العلمية:

❖ رسائل الدكتوراة

- ١ - محمد الطاهر عديلة، تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية دراسة في المنطلقات و الأسس، أطروحة دكتوراه منورة، جامعة باتنة، كلية الحقوق و العلوم الساسية، ٢٠١٥.

❖ رسائل الماجستير

- ١ - ريمة كايا، العلاقات الامريكية الافريقية مند نهاية الحرب الباردة، رسالة ماجستير في الدبلوماسية العلاقات الدولية، جامعة باتنة، كلية الحقوق و العلوم السياسية، ٢٠١١، ٢٠١٠.
- ٢ - زهرة شيخ الشيوخ، العقيدة الاستراتيجية لحلف شمال الاطلس بعد الحرب الباردة، ٢٠٠٨، ١٩٩٩، رسالة ماجستير فرع العلاقات الدولية، كلية العلوم السياسية و الاعلام، جامعة، الابراهيم، ٢٠١٢.
- ٣ - كريمة حوامد، دور الجامعية في التنشئة السياسية لطلبة السنة الأولى الثانية علوم سياسية دراسة ميدانية جامعة باتنة، رسالة ماجستير، غير منشورة، باتنة الحاج لخضر، ٢٠٠٨.
- ٤ - لرقط حسين، عملية ضع القرا السياسي في ظل التحول الديمقراطي دراسة حالة الجزائر، ١٩٨٩، ٢٠٠٩، رسالة ماجستير، ٢٠١٥، جامعة المسيلة.
- ٥ - نور الدين حفيطي، رسالة ماجستير بعنوان: العلاقات المدنية العسكرية و أثرها على مسار التحول الديمقراطي في مصر في ظل الحراك الشعبي اثرها، جامعة المسيلة، ٢٠١٦، ٢٠١٥.
- ٦ - وسام محمد جميل صقر، الثقافة السياسية و انعكاسها على المواطنة لدى الشباب، الجامعية في قطاع غزة: ٢٠٠٥، ٢٠٠٩، رسالة ماجستير في علوم السياسية، جامعة الأزهر، ماي، ٢٠١٠.

مقالات ودوريات:

١. أ.د. جندلي عبد الناصر، النظريات التفسيرية للعلاقات الدولية بين التكيف والتغير في ظل تحولات عالم
٢. امحمد رفيق غراب، مقال منشور بعنوان، العلاقات المدنية العسكرية: دراسة في الاطو التطرية، صر انمودجا
ذ، المجلة الجزائرية للامن و التنمية، العدد، الثالث عشر، جويلية ٢٠١٨.
٣. بومدين عربي، مقال منشور بعنوان العلاقات المدنية العسكرية و تحديات السيطرة المدنية في مصر، مجلة
الحوار المتوتطي، المجلد العاشر، العدد، ٢، جوان، ٢٠١٩.
٤. جلين فويلز، هل العلوم العسكرية علم، مجلة راقب raoeb، منشور في ٩ سبتمبر، ٢٠١٤.
٥. دلشاد محمود صلاح بابلا، مقال بعنوان المدخل المؤسساتي في دراسة النظام السياسي، المؤسسة العسكرية
التركية امودجا، العدد.
٦. شادية فتحى إبراهيم، العلاقات المدنية العسكرية و التحول الديمقراطي دراسة تحليلية للاحاهات النظرية،
مجلة النهضة، كلية الاقتصاد و العلوم الساسية، القاهرة، العدد الرابع، أكتوبر، ٢٠٠٦.
٧. د.شاهر إسماعيل الشاهر- النظريات التفسيرية لفهم عالم ما بعد الحرب الباردة، مجلة دراسات في العلوم
الإنسانية و الاجتماعية، عمان، الأردن، المجلد ٠٢، العدد ٨، ١٠، ماي ٢٠١٩.
٨. عبد المنعم المشاط، العسكريون و التنمية السياسية في العالم الثالث السياسة العدلية، مركز الاهرام للساسه و
الاستراتيجية، القاهرة، العدد، ١٩٢، افريل.
٩. د فاروق عمر العمر، صناعة القرار و الراى العام، بحث منشور و متوفر، موقع أصدقاء.
١٠. د مازن حسن و تامر عبد الحميد محمد مرتضى، العلاقات المدنية العسكرية دور المؤسسة العسكرية في المرحلة
الانتقالية في بوركينافابو، مجلة الدراسات الافريقية حوض النيل، المركز اليمقراطي العربي العدد الخامس من
٢١ جانفي ٢٠١٥.
١١. مسواتي سليمة، دور الأحزاب الساسية في تفعيل المشاركة السياسية للمرأة الاطرو استراتيجيات التمكين
السياسي، مجلة صوت القانون المجلد الخامس، العدد ٢ أكتوبر ٢٠١٨.
١٢. د مليود طواهاري، فاطمة بن يحيى، دور عملية النشئة السياسية في إرساء المشاركة السياسية في إرساء المشاركة
السياسة للمرأة الجزائرية، مجلة الحقوق و العلوم السياسة، العدد ٠٢ جوان ٢٠١٩.

المراجع باللغة الأجنبية:

- Monise, jaowitz, military, institution s and corcrin develeping, nation, chcage, pres/1977.
- Suzanme cnesen avil - nitiyary, relation the ory and military, effecvenes p ubluic, vol ten: numleer 20.2005.
- Websters thinid new international, dictionary, unabridged (sprungfeld/ ma: Merriam Webster, 1981).
- Scot robertson, the development of raf, strategic bombing doctrine 191951939 cl parker ubli 1995.



آليات مكافحة الفساد خلال فترة الحكومة الإنتقالية في السودان

إعداد: آدم الزبير أحمد محمد

باحث - جامعة الزعيم الازهري

مقدمة:

اندلعت سلسلة من الاحتجاجات يوم ١٩ ديسمبر ٢٠١٨م في مدن السودان المختلفة بسبب ارتفاع السعار وغلاء المعيشة وتدهور حال البلد على كل المستويات، والمطالبة بالإصلاحات الاقتصادية وإسقاط نظام البشير وفق مراحل من الإجراءات والتي تمثلت في العصيان المدني والإضرابات والمظاهرات في كل شوارع السودان والاعتصامات في الميادين. في الحادي عشر من أبريل ٢٠١٩م أعلن الجيش السوداني خلع الرئيس البشير عن السلطة وبدء مرحلة جديدة انتقالية في التحول الديمقراطي التي تكتنفها الكثير من التحديات، منها إيقاف الحرب وبناء السلام ومعالجة الوضع الاقتصادي وبناء اقتصاد يقوم على الإنتاج ووضع سياسية خارجية معتدلة، وبناء دولة القانون وبناء نظام سياسي تعددي يحتفي بالتنوع. ولكي توفق حكومة الفترة الانتقالية في مسيرتها يتوجب عليها مجابهة التحديات الماثلة والتي تعتبر ورثة كبيرة من الممارسات الفاسدة والنيابة العامة تحقق في أكثر من (٤٠٠) ملف فساد في كافة مرافق الدولة.

Abstract:

There was a series of protests on December 19, 2018 in various cities of Sudan due to the high prices, the high cost of living, and the deterioration of the country at all levels, and the demand for economic reforms and the overthrow of the Bashir regime according to stages of procedures, which were represented in civil disobedience, strikes and demonstrations in all the streets of Sudan and sit - ins in the squares.

On the eleventh of April 2019 AD, the Sudanese army announced the removal of President Al - Bashir from power and the start of a new transitional phase in the democratic transition that has many

challenges, including stopping the war, building peace, addressing the economic situation, building an economy based on production, developing a moderate foreign policy, building a state of law and building a system A pluralist politician celebrates diversity.

For the transitional government to succeed in its path, it must confront the challenges ahead, which are considered a large legacy of corrupt practices, and now the Public Prosecution Office is investigating more than (400) corruption files in all state facilities.

أولاً - مفهوم الفساد.. مدخل مفاهيمي:

يعتبر الفساد عائقاً رئيسياً أمام التنمية الاقتصادية للدولة، وهو التغيير من الحالة المثالية إلى حالة دون المثالية، بمعنى التغيير للأسوأ. لأن مصطلح الفساد يشير بشكل عام إلى حالات انتهاك مبدأ النزاهة.

ويعتبر الفساد من أخطر المظاهر السلبية المنتشرة في العالم وأكثرها فتكاً بالأمن والسلم المجتمعيين، وتصيب مفاصل حيوية ومؤثرة في الدولة، فالمال والرشوة والمحسوبية تعتبر العناوين الكبرى لهذه الظاهرة يترتب عليها شلل في عملية البناء والتنمية الاقتصادية والقدرة المالية والإدارية وبالتالي يتسبب ذلك في عجز الدولة وعدم قدرتها على مواجهة تحديات إدارة الموارد والاعمار وإعادة الأعمار والبنى التحتية اللازمة لذلك لم تفرق هذه الظاهرة بين دولة متقدمة وأخرى متخلفة لأنها مرتبطة بوجود الانسان أينما كان.

الا أن ما لا يمكن إنكاره في انتشار واستفحال ظاهرة الفساد لأنها أكبر واوسع في الدول النامية مقارنة بالدول المتقدمة حيث أنها تمثل بيئة خصبة لنمو هذه الظاهرة لعدم توفر ما يكفي من شفافية ونزاهة تكفل ضمان وجود رقابة مستمرة لإداء الاجهزة الادارية وتطبيق أمثل وأشمل للقانون. وينبغي اقناع الناس بان الفساد لم يستمر في أجهزة الحكم وان اتخاذ التدابير القانونية في الديمقراطية الخامسة للسودان أي فترة الحكومة الانتقالية كفيلة بمكافحة الفساد إلى أقصى درجة ممكنة. وللفساد تعريفات كثيرة طرحتها المنظمات الدولية بعض منها ينطوي على اساءة استغلال السلطة في القطاعين العام والخاص، وكذلك ان الاشخاص الذين لا يحسنون استخدام سلطاتهم يتكسبون من وراء ذلك منافع ليست من حقهم.

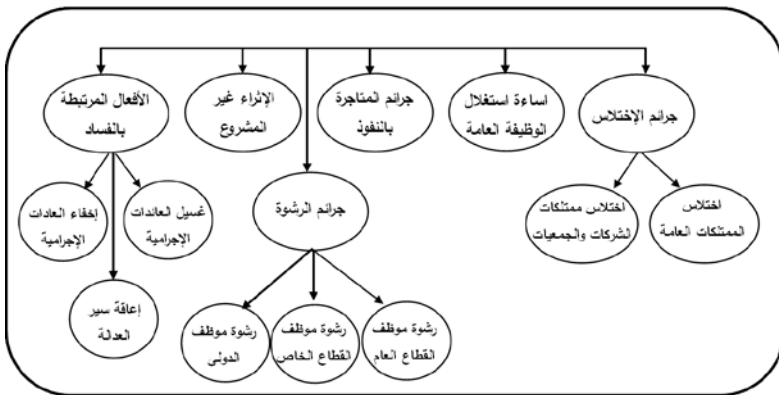
و مصطلح الفساد هو مصطلح جامع يضم كافة اشكال السلوك غير الشرعي كالرشوة والاختلاس واستغلال السلطة والابتزاز والاثراء غير المشروع والمتاجرة بالنفوذ، وغير ذلك من الانشطة المرتبطة بمباشرة أنشطة فاسدة اساسية. وغالباً ما تستخدم في المساعدة عليها كغسل الأموال واعاقبة سير العدالة ومنعها.

شرعت العديد من الدول في معالجة الفساد عبر الاطر الدستورية، وأن الآليات التي من شأنها الحد من الفساد تشمل منح صلاحيات رقابية مالية للسلطات التشريعية والأجهزة العليا للرقابة المالية وتصحيح الوضع الدستوري لأجهزة مكافحة الفساد والمحاكم المتخصصة بمكافحة الفساد واستخدام نظم وضوابط جديدة حديثة تعالج الاختلالات وتحقق التوازنات لتفادي تركيز السلطات في احدى سلطات الحكم من الفساد الكبير والذي تعرفه الامم المتحدة على أنه فساد يحتاج الأطر العليا من الحكم، ما من شأنه خلق استغلال كبير للسلطة^(١).

ويحدد البنك الدولي الفساد الكبير بأنه «استيلاء على الدولة». حيث يقدم فيه كبار المسؤولين مصالح جهات خاصة يدينون لها بفضل ما، أو مصالحهم الخاصة على المصلحة العامة^(٢).

الفساد الكبير يقابله الفساد البسيط أو الإداري، حيث يتورط موظفين صغار في بعض مبالغ صغيرة من المال لتقديم خدمات حكومية. وعلى الرغم من ان المبالغ المقبوضة تكون صغيرة في الفساد البسيط، إلا أنها قد يترك بمجموعها أثراً أكبر من المتوقع على اقتصاد البلد وتفضي إلى ضياع جزء كبير من الإيرادات^(٣).

الأفعال الموصوفة كجرائم فساد وفقاً للاتفاقية الدولية لمكافحة الفساد



(١) إجراءات مكافحة الفساد للمدعين العامين والمحققين، مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة، ص ٢١.

(٢) مكافحة الفساد في المراحل الانتقالية"، البنك الدولي، ص ٢.

(٣) إجراءات مكافحة الفساد للمدعين العامين والمحققين"، مصدر سابق، ص ٢١.

السلوك الذي يسلكه الموظف العام أو الخاص والذي يؤدي إلى أحداث ضرر عام أو خاص يضر باقتصاديات الدولة ولا يتماشى مع مقتضيات واخلاق الوظيفة بقصد تحقيق منفعة شخصية سواء كانت مادية أو معنوية، نقدية أو عينية^(١).

ونجد تعريفات كثيرة للجرائم الموصوفة في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد (٢٠٠٣م) والتي تدعو الدول الأطراف الى تحريم جملة من الاعمال الفاسدة حيث ضمت الاتفاقية حوالي (١٧١) دولة بينها (١٩) دولة عربية بل هنالك عدد من الاتفاقيات المتصلة بالفساد عند الاقتضاء من ضمنها^(٢):

◀ اتفاقية الاتحاد الأفريقي لمنع الفساد ومكافحته (٢٠٠٣م)، تضم (٣٥) دولة.

◀ اتفاقية القانون الجنائي بشأن الفساد التي اعتمدها اللجنة الوزارية لمجلس أوربا في عام (١٩٩٩م)، وتضم (٤٥) دولة.

◀ اتفاقية البلدان الأمريكية لمكافحة الفساد التي اعتمدها منظمة الدول الأمريكية في عام (١٩٩٦م)، وتضم (٣٣) دولة.

◀ الإتفاقية العربية لمكافحة الفساد (٢٠١٠م)، وتضم (٢٢) دولة (٣).

ويأخذ الفساد أشكالاً عديدة على النحو التالي:

١. اساءة استعمال ممتلكات عامة. « الاختلاس، التبيد، التسريب»

٢. الاثراء غير المشروع.

٣. غسل الاموال.

٤. الرشوة والجرائم المشابهة.

٥. الابتزاز.

٦. المنافرة بالنفوذ.

٧. اساءة استغلال الوظائف « محاباة الاقارب، محاباة المعارف، المحسوبية».

كما أنه هنالك مسببات ودواعي للفساد منها الأسباب الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، القانونية والقضائية، والإدارية والمؤسسية. وبالأسباب التي تمت الإشارة إليها يمكن أن نبين التالي:

أولاً: تقضي الفساد على احترام سيادة القانون ويزيد من خطر تراجع الديمقراطية وتوطيد الاستبداد، فهو يسئ على مبادئ المحاسبة الديمقراطية والشفافية والحكم لغير المحكومين،

(١) د. عوض الكريم حسن محمد، الاطار المفاهيمي للفساد، ورقة مقدمة لمنتدى مجلس الوزراء السوداني، نوفمبر ٢٠١٩م.

(٢) اتفاقية الاتحاد الأفريقي لمنع الفساد ومكافحته، حالة الاتفاقية، ٢٨ يناير ٢٠١٤م

(٣) الاتفاقية العربية لمكافحة الفساد (٢٠١٠م).

بالإضافة إلى المكاسب التي ترتبط بالمنصب لدى شاغلي المناصب لتثبت أقدامهم فيه عبر التلاعب بالانتخابات وتجديد المعارضة وإسكان الاصوات المخالفة.

ثانياً: من الممكن أن يشكل الفساد خطراً على الاستقرار الاجتماعي والسياسي في المدى البعيد نظراً لردود الفعل الشديدة التي يثيرها بين الناس. ففي افريقيا ودول الشرق الاوسط التي تشهد عمليات انتقال دستورية نتيجة انتفاضات، رفع الخط على وقاحة وفحش الأثراء الشخصي للأنظمة القائمة جعلت الكثير من المحتجين إلى النزول إلى الشوارع.

ثالثاً: من المرجح أن يؤدي الحد من الفساد إلى تقليل الفساد البسيط ايضاً، فصغار الموظفين يطلبون الرشاوي في كثير من الاحايين لدعم أجورهم المتدنية.

اذ أن الأموال التي تذهب إلى جيوب النخب الفاسدة في الدولي التي يستشرى فيها الفساد تعتبر بدرجة معينة سبباً في تدني أجور القطاع العام، ويمكن تحسن الخدمة المدنية لو لم يتم اختلاسها (١).

ثانياً - السياق الدولي لمكافحة الفساد:

أن الضغوط الخارجية الداعية إلى مكافحة الفساد تعني أنه لم يعد بوسع القادة السياسيين تجاهل هذه المشكلة وقد شارك مكتب الأمم المتحدة المختص بالمخدرات والجريمة في الجهود الاصلاحية في عدد من البلدان، كما قام برنامج الأمم المتحدة الإنمائي بتنفيذ برنامج اقليمي يركز على مكافحة الفساد. ويذكر أن منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية نشطت بفعالية في هذا المجال من خلال مبادراتها المسماة بالائتلاف العالمي. بالإضافة إلى مشاركة منظمات دولية غير حكومية في فضح الفساد وجعل قيام الحكومات بإخفاء الادلة على فسادها عن الناس أمراً صعباً. وفي غياب جهة دولية تراقب التزام الدول بمعاهداتها وممارسات مكافحة الفساد، تلعب المنظمات الدولية، غير الحكومية والمجتمع المدني دوراً لا غنى عنه في الضغط من اجل التزام اكبر، وفضح الانتهاكات وجمع بيانات شاملة عن الفساد.

ففي عام ٢٠٠٨م، تم انشاء شبكة اقليمية هيئات ومنظمات مكافحة الفساد (الشبكة العربية لتعزز النزاهة ومكافحة الفساد) وهي تعمل لتبادل المعرفة عن قضايا مكافحة الفساد.

منظمة الشفافية الدولية (TI) الموجودة في أكثر من (١٠٠) دولة، تعمل على قياس المستويات المدركة للفساد في العالم وتنشر بيانات عنهما، بينما تعمل أجهزة أكثر تخصصاً كمؤسسة مراقبة الإيرادات (Revenue Watch) ومنظمة الشاهد العالمي (Global Witness) على تسليط الضوء على الحوكمة السيئة والفساد في الصناعات الاستخراجية في الدول الغنية ومن ضمنها دول

(1) Montinola and Jackman, " Sources of Corruption", P154

في شمال افريقيا ومنظمة الشرق الاوسط. أن قدرة المنظمات الدولية غير الحكومية وسعة انتشارها جعل من الصعب على الحكومات اخفاء صفقاتها الفاسدة^(١)

ثالثاً - الفساد خلال فترة حكم الإنقاذ:

بلغ الفساد أشده في فترة حكم الانقاذ واوصل السودان أعلى مراحل بعد ١٩٥٦م، حيث غطى الفساد مساحات واسعة في الدولة والحياة السياسية والاقتصادية وأثر تأثير سلبياً على أداء الحكومة، وعلى رفاهية المجتمع بل أضعف الإدارة العامة بصفة عامة نسبة للسياسات الخاطئة والبرامج التي تم تصميمها وإدارتها بشكل سيئ، إلى جانب ضعف المجتمع المدني. وضعف الأجور المخصصة لموظفي الخدمة المدنية، وفشل المؤسسات التي من المفترض ان توفر الضوابط والموازن اللازمة.

أن قضية الفساد أو التعدي على المال العام من القضايا التي تركت واستفزت الرأي العام لأن التعدي على المال العام باختلاسه والاستيلاء عليه بغير وجه مشروع هو الاستغلال المتعمد للسلطة العامة لتحقيق مكاسب خاصة.

- الفساد المالي:

معلوم أن وزارة المالية لها الحق والولاية على المال العام إلا أن دورها تقلص بصورة واضحة لعجزها عن المراقبة وهذا يعتبر سبباً رئيسياً لعدم كشف مواطن الخلل، والتسبب الإداري الذي ساهم في دعم الفساد وسبب الفشل في السيطرة على جباية وصرف الأموال واحتفاظ العديد من مؤسسات الدولة على ما تحصله من أموال رسوم وضرائب وجمارك وغيره، والتصرف فيها بدون علم أو موافقة وزارة المالية وهو ما يعرف بالتجنيب. إذ اثر التجنيب على الوضع الاقتصادي وسبب في ضياع المال العام وذلك بتوظيف هذه الاموال بدون اسبقيات متفق عليها، والصرف خارج الميزانية بل سبب في تسهيل عمليات الاختلاس والاعتداء على المال العام، وتفتشي الرشوة والمحسوبية مما أدى ذلك إلى تعطل الحياة العامة وهدر الوقت والمال وانخفاض مستوى الخدمات، مما خلفت آثار اقتصادية تمثلت في ارتفاع تكلفة السلع والخدمات وكل أنواع المشتريات، ودعم السلوك الاحتكاري وتحجيم المنافسة بما يعني أيضاً زيادة التكلفة للمنتج والمستهلك وأضعاف المنافسة بين موردي السلع والخدمات، وتهريب الموارد، وارتفاع أسعار العملات الأجنبية ودعم العمليات المشبوه وغسل الأموال.

(١) خير الله خير الله، العرب اللندنية، ١١ يوليو ٢٠١٩م. على الموقع: <https://aawsat.com/home/article>

- الفساد في القطاع المصرفي والتجاري والصناعي والاستثماري:

تعرض السودان لهزات كبيرة بعضها مرتبطة بالظروف التي مرت بها البلاد، من حصار ومقاطعه ومصادرة أرصده ومنع استخدام النظام المصرفي الأمريكي بالعملة العالمية « الدولار»، غير أن الكثير من تلك الهزات تمثلت في فساد العاملين والمتعاملين، وتفاقم مظاهر الفساد من خلال القبلية والعشائرية والأسرية والجزئية في التعيين في الوظائف المالية عموماً وفي القطاع المصرفي على وجه الخصوص ويتدرج تحت هذا تعيين القيادات والخبراء والمستشارين بعقود خاصة من خلال متنفذين في القطاع المصرفي لانتمائهم القبلي آنذاك عدم العدالة والشفافية في مشتريات المصارف وخدماتها، وتمكن بعض الوسطاء من بيع وشراء الديون نظير عمولة معينة، واختراق النظم المحاسبية في المصارف من خلال الشبكات المتقاطعة بالإضافة إلى عدم إتباع الحوكمة وتجاوز المعايير الدولية وضعف الإلتزام بمنشورات بنك السودان فيما يتعلق بارتفاع التكلفة الإدارية بسبب مخصصات القيادات العليا ومجالس الإدارات. وكذلك ضعف نظم المشتريات والمقاولات والمناقصات والتعاقدات وعدم التزام المؤسسات والشركات التابعة للحكومة بالضوابط. وكذلك خلق المعوقات للمستثمرين نظير تحقيق فوائد شخصية لمتخذ القرار، والتلاعب في مواصفات السلع، والتلاعب في تقييم الأصول والضمانات والغش في العلامات التجارية وبراءات الاختراع والنماذج الصناعية من خلال إنتاج سلع مغشوشة في بلدان بخلاف البلد الأصل.

- الفساد في القطاع الزراعي:

في هذا القطاع مظاهر الفساد في تخصيص الأراضي الزراعية، والتمويل الزراعي، واستيراد البذور المحاصيل والتي لا تتبع فيه الأسس العلمية المطلوبة بغرض تمرير صفقات مشبوهة، وكذلك من مظاهر الفساد في قطاع الخدمات تتمثل في التعليم العام والتعليم العالي مجال التدريب. حيث أن استغلال النفوذ السياسي لتأسيس مؤسسات تعليمية استشارية اخل بالتنافس الأكاديمي وجعل التفوق الأكاديمي مرتبطاً بالمستوى المادي لولي الأمر. وقيام بعض ذوي النفوذ بتأسيس مراكز تدريب واحتكار أنشطة الحكومة التدريبية لها، أقل بمستويات التدريب ومبدأ المنافسة الحرة الشريفة. وغير ذلك من عمليات الفساد التي شملت العديد من القطاعات بمخالفات تتعلق بالمال العام سواء التصرف في مؤسسات القطاع العام أو غيره وأن السودان فقد عدد من المرافق المهمة كالنقل النهري والبحري والسكك الحديدية والخطوط الجوية السودانية جراء الخصخصة التي تمت بشكل غير صحيح.

رابعاً - آليات مكافحة الفساد خلال الفترة الإنتقالية:

يرى بعض الباحثون أن الفترة الإنتقالية بعد ثورة ديسمبر ٢٠١٨ تواجه تحديات كبيرة من أهمها تمدد الفساد في أجهزة الدولة وانتشار خطاب الكراهية الذي خلق مرارت واسعة تحتاج إلى تضميد الجراح وعقد مصالحة وطنية تحتاج إلى عدالة إنتقالية. كما أن الفساد تجلى في التحلل من ديون المصارف وظاهرة التجنيب ضد مبدأ الولاية على المال العام ونهب عائدات الصادرات، إضافة الى الخصخصة المزيفة لصالح النافذين.

ويرى بروفيسر عطا البطحاني أستاذ العلوم السياسية أن الفترة الآن تحتاج إلى استنفار القوى الحية في المجتمع العريض في تحالف تاريخي نادر لاستعادة الوعي والوطن المفقود، ويكون ذلك بالقضاء على كل التحديات الماثلة خلال تلك الفترة الإنتقالية والتي على رأسها الفساد الموروث من فترة حكم الانقاذ^(١).

وتحتاج الحكومة الإنتقالية إلى عدد من الآليات لمكافحة الفساد خلال هذه الفترة على النحو التالي:

(١) إستراتيجية وطنية لمكافحة الفساد:

لابد ان تكون هنالك مفوضية وطنية لمحاربة الفساد علي أن تعمل بكل شفافية، وأن تبنى على المعايير الدولية المتعارف عليها لمكافحة الفساد، ويتضح انه في فترة حكم الانقاذ كانت هنالك مفوضية لمحاربة الفساد ولكن لم يتم تفعيلها علي المفوضية الوطنية لتحقيق الاهداف الآتية:

- الارتقاء بمستوى الاداء الجهاز الحكومي لتحسين الخدمات للمواطنين.
- إرساء مبادئ الشفافية والنزاهة في كافة عناصر المنظومة الادارية.
- سن وتحديث التشريعات الداعمة لمكافحة الفساد.
- تطوير الاجراءات القضائية لتحقيق العدالة الناجزة.
- دعم الجهات المعنية لمكافحة الفساد.
- الارتقاء بالمستوى المعيشي للمواطنين وتحقيق العدالة الاجتماعية.
- رفع مستوى الوعي الجماهيري لخطورة الفساد وأهمية مكافحته وبناء ثقة المواطنين في مؤسسات الدولة.
- تعزيز التعاون المحلي لمحاربة الفساد.
- تعزيز التعاون الاقليمي والدولي في محاربة الفساد.

(١) عطا الحسن البطحاني، إشكالية الانتقال السياسي في السودان، الخرطوم: المركز الاقليمي لتدريب وتنمية المجتمع المدني، ط١، ٢٠١٩، ص ٧٩.

- مشاركة منظمات المجتمع المدني في محاربة الفساد.
- محاربة الفساد بصفة دولية والاستفادة من تجارب الدول.

(٢) ديوان المراجع القومي:

ديوان المراجع القومي مرفق مهم في الدولة وله الحق في التقاضي باسمه وفقاً للممارسات واختصاصات وسلطات الديوان المنصوص عليها في القانون.

إذ يتولى الديوان وضع معايير المراجعة في السودان والرقابة على الاداء المالي في كافة الاجهزة الخاضعة للمراجعة بما في ذلك تحصيل الايرادات والانفاق وفقاً للموازنات المتعمدة من الهيئة التشريعية. ويكون للديوان في سبيل مباشرة اختصاصه الحق في ممارسة جميع السلطات التي تمكنه من المراجعة والتحقيق من تنفيذ القوانين والنظم المالية والادارية والمحاسبية بما يحقق الاهداف الموضوعية باقتصاد وكفاءة وفاعلية^(١).

ولتحقيق الدور الطبيعي لمهام واختصاص وسلطات ديوان المراجعة القومي لابد من القيام بعمل وتنفيذ التالي^(٢):

- مراجعة القوائم المالية للأجهزة الخاضعة للمراجعة والتأكد من وجود نظم نقابة داخلية ومدى تطبيقها وتقييم فاعليتها واتساقها وتحديد نقاط ضعفها واصدار التوصيات بشأنها.
- القيام بمراجعة الاداء وفحص النظم بغرض توفير التقويم الموضوعي البناء للتأكد من أن الموارد تدار باقتصاد وكفاءة وفاعلية لتحقيق الاهداف، وتقييم الاداء المالي الكلي للأجهزة الخاضعة للمراجعة.
- فحص العقود واتفاقيات القروض والمنح بغرض التأكد من مطابقتها للقوانين واللوائح ومدى متابعة التنفيذ.

(٣) العدالة الانتقالية:

العدالة الإنتقالية Transitional Justice هي جملة من الآليات القضائية وغير القضائية التي يستخدمها مجتمع معين لتحقيق العدالة في فترة إنتقالية بهدف الإنتقال من مرحلة الصراع إلى مرحلة التوافق، وتهدف إلى وقف إنتهاك حقوق الإنسان وتحقيق السلام الدائم والمصالحة الوطنية^(٣).

(١) محبوب محمد صالح، مقابلة بمركز الايام بالخرطوم، ٢٨ يونيو ٢٠١٩م.

(٢) أوراق الملتقى العربي الثالث عن "مكافحة الفساد أولوية تنمية في المنطقة العربية"، أكتوبر ٢٠١٩م، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

(٣) ريم محمد موسى، الأزمة الليبية وأثرها على دول الجوار في المحيط الإقليمي.. السودان نموذجاً، مجلة السودان، الخرطوم: مركز السودان للدراسات والبحوث الإستراتيجية، العدد العاشر، مارس ٢٠١٨، ص ١٥٣.

فالعدالة الإنتقالية تختلف عن العدالة التقليدية في كونها تعني بفترات إنتقالية مثل الإنتقال من حالة نزاع مسلح أو حرب أهلية إلى حالة سلم واستقرار، أو من حالة حكم تسلطي إلى إنفراج سياسي وإنتقال ديموقراطي.

إذ أن العدالة الانتقالية تتسم بالمرونة وهي تؤسس لوضع جديد في فترة الحكومة الانتقالية لتحقيق التعافي وتلاشي المرات من النفوس والانتقال إلى مجتمعات في وضع مستقر وآمن لان العدالة الانتقالية آلياتها متعددة وتختلف في أنماطها وتختلف من بلد لآخر لأنها تؤسس لوضع جديد ينقل البلد إلى حياة أفضل. ولأبد من بناء المؤسسة القضائية بصورة فاعلة لأنها هي التي تقوم بممارسة تحقيق العدالة حتى تكون بصورة فاعلة، وأن تشمل العدالة الإنتقالية بجانب العدالة الجنائية جانب تقصي الحقائق وجبر الضرر.

(٤) تفعيل القوانين المتعلقة بمكافحة الفساد:

لابد من تفعيل كافة القوانين المتعلقة بمكافحة الفساد مثل الإفصاح عن الذمم وقانون الكسب غير المشروع (من أين لك هذا)، بجانب تشديد الأحكام المتعلقة بمكافحة الفساد.

الخاتمة:

تؤدي اجهزة الرقابة والمراجعة والسلطة التشريعية دوراً مركزياً في جهود محاربة الفساد، اذا تشكل المحور الرئيسي للمساءلة الانتخابية في الديمقراطية الفاعلة. والرقب على انفاق السلطة التنفيذية للأموال العامة، وتعد سلطة الرقابة على المال العام الضابط الاساسي للأنفاق غير الخاضع للمساءلة من طرف السلطة التنفيذية. ولما كان من السهولة بمكان ان تستغل الحكومات صناديق الطوارئ لتمويل الحسابات خارج الموازنة، فان مبدأ الشمولية يتطلب الا يتجاوز اشكال الانفاق غير الخاضع للمساءلة سقفاً محدداً، وان تخضع لرقابة الهيئة التشريعية على الاقل.

وضمن الخيارات الممكنة لحكومة الفترة الانتقالية بضرورة منح الهيئة التشريعية سلطة الرقابة على المال العام وضمان الصلاحيات الرقابية، وخلق آليات لمحاربة الفساد لتكون ضمن السلطة التشريعية نفسها، وإنشاء جهاز أعلى للرقابة المالية. ومنح الأجهزة العليا للرقابة تفويضاً واسعاً بما فيه الكفاية، و جعل الحماية الدستورية قائمة لاستقلالية الأجهزة العليا للرقابة سلطاتها وتمويلها، وأهمية إنشاء أجهزة النيابة العامة المختصة لمحاربة الفساد، وضرورة وضع التزام دستوري على الدولة من أجل استئصال الممارسات الفاسدة وضمان الامن والنزاهة في الحكومة.

توصي الدراسة بالآتي:

- ✍ نشر الوعي بأهمية محاربة الفساد.
- ✍ تعظيم دور أجهزة ومؤسسات محاربة الفساد.
- ✍ تبني وتطبيق مشروع الحكومة الالكترونية كآلية لمحاربة الفساد، وتفعيل تداول المعلومات وزيادة القدرات المجتمعية خاصة بالريف ووسط الطبقات الفقيرة أو تقديم المساعدة لهم للتواصل بالحكومة الالكترونية.
- ✍ استقلالية أجهزة المحاسبة وديوان المراجعة القومي.
- ✍ المحاسبة والإدارة الرشيدة للممتلكات العامة.
- ✍ إنشاء آليات استرداد الأصول المنهوبة.
- ✍ توفر الإرادة السياسية لمحاربة الفساد.

قائمة المراجع:

١. عطا الحسن البطحاني، إشكالية الانتقال السياسي في السودان، الخرطوم: المركز الاقليمي لتدريب وتنمية المجتمع المدني، ط١، ٢٠١٩.
٢. عوض الكريم حسن محمد، الاطار المفاهيمي للفساد، منتدى مجلس الوزراء السوداني، نوفمبر ٢٠١٩.
٣. ريم محمد موسى، الأزمة الليبية وأثرها على دول الجوار في المحيط الإقليمي.. السودان نموذجاً، مجلة السودان، الخرطوم: مركز السودان للدراسات والبحوث الإستراتيجية، العدد العاشر، مارس ٢٠١٨.
٤. مكافحة الفساد أولوية تنموية في المنطقة العربية، الملتقى العربي الثالث، أكتوبر ٢٠١٩ القاهرة، جمهورية مصر العربية.
٥. اجراءات مكافحة الفساد للمدعين العامين والمحققين، مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة.
٦. اتفاقية الاتحاد الافريقي لمنع الفساد ومكافحته، حالة الاتفاقية، ٢٨ يناير ٢٠١٤.
٧. الاتفاقية العربية لمكافحة الفساد ٢٠١٠.
٨. مكافحة الفساد في المراحل الانتقالية، البنك الدولي.
٩. خير الله خير الله، العرب اللندنية، ١١ يوليو ٢٠١٩. على الموقع:

<https://aawsat.com/home/article>

10.Montinola and Jackman. « Sources of Corruption», P15



أركان الدولة وأسس نشأتها والاعتراف بها في القانون الدولي

إعداد/ د. تاج السر عبدالمطلب محمد فقير

الأستاذ المشارك بكلية الأنظمة والدراسات القضائية

بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مقدمة:

لا شك أن للقانون الدولي العام أهمية كبيرة بالنسبة للمجتمع الدولي، كما أن له مكاناً مهماً في مجموعة القواعد القانونية عامة، بل يرى البعض أن قواعد القانون الدولي تحتل مكان الصدارة، وذلك لخطورة المسائل التي تدخل في نطاقها.

وكما هو معلوم أن الدول تمثل الشخص الرئيسي للقانون الدولي العام، لذلك فقد اهتم هذا القانون بالدولة، فوضعت العديد من القواعد المتعلقة بها، والتي من أهمها: القواعد المتعلقة بنشأة الدولة والاعتراف بها.

فالدولة: لا تنشأ إلا بعد توافر عناصر أساسية لها تعد بمثابة أركان لا بُدَّ من توافرها لنشأتها، كما لن تتمكن الدولة من ممارسة سيادتها أمام الدول الأخرى، أو تدخل في علاقاتٍ معها ما لم يتم الاعتراف بها أو بوجودها من قبل أعضاء المجتمع الدولي.

يتضح من ذلك ووفقاً لقواعد القانون الدولي فإن الدولة ككل شخصٍ معنوي تنشأ نتيجة لسلسلة من الأحداث المتتابعة، وتستطيع أن تدخل في علاقاتٍ مع غيرها بناءً على إجراءات محددة.

وقد آثرت في هذا البحث أن أتناول أركان وأسس ونشأة الدولة والاعتراف بها في القانون الدولي العام، وذلك من خلال مبحثين وفقاً لما يلي:

المبحث الأول: يتناول أركان ونشأة الدولة في القانون الدولي العام، والذي يعرض تعريف وعناصر الدولة وأسس نشأتها وذلك من خلال مطلبين متتاليين.

المبحث الثاني: يدور فيه البحث عن الاعتراف بالدولة من حيث المفهوم وطبيعته القانونية.

هذا إلى جانب تمييز الاعتراف بالدولة عن الاعترافات التمهيدية وطبيعة الاعتراف وأنواعه.

المبحث الأول

أركان ونشأة الدولة في القانون الدولي العام

تمهيد وتقسيم:

الدولة هي الشخص الرئيس للقانون الدولي العام، فمن أجل الدول وجد هذا القانون. وقد اهتم شراح القانون بالدولة فوضعوا لها تعريفات عديدة من ذلك:

أن الدولة: مجموعة من الأفراد يقيمون بصفة دائمة في إقليم معين وتسيطر عليهم هيئة حاكمة ذات سيادة^(١).

ومن التعريفات التي ذكرت أيضاً أن الدولة^(٢):

جماعة مستقلة من الأفراد يعيشون بصفة مستمرة على أرض معينة بينهم طبقة حاكمة وأخرى محكومة.

وقيل أن الدولة: مجموعة من الأفراد، مستقرة على إقليم معين ولها من التنظيم ما يجعل للجماعة في مواجهة الأفراد سلطة عليا أمر وقاهرة؛ أو أن الدولة: مجتمع إنساني يعيش على أرض خاصة به مملوكة له على سبيل الدوام والاستقرار، تسوده سلطة حاكمة تابعة منه، ويتمتع على إقليمه هذا بكل معاني السيادة والاستقلال.

ويلاحظ أن تلك التعريفات وإن اختلفت في الألفاظ إلا أنها تشير إلى أن وجود الدولة يتطلب توافر عناصر ثلاثة هي الآتية:

العنصر الأول: مجموعة من الأفراد.

العنصر الثاني: إقليم معين.

العنصر الثالث: الهيئة الحاكمة ذات السيادة.

(١) ينظر في ذلك: د/ علي صادق أبو هيف، مرجع سابق، ص (٩٥).

(٢) ينظر في ذلك: د/ محمد كامل ليلة، النظم السياسية. الدولة والحكومة، ملتزم الطبع والنشر، دار الفكر الغربي، ص (٢٠) وما بعدها.

وينظر كذلك: د/ عمر أحمد قدور، شكل الدولة وأثره في تنظيم موقف الأمن، رسالة دكتوراه ١٩٩٣م، مطبعة الإسكندرية، ٣ ش الإسكندرية مصر الجديدة، ص (١) وما بعدها.

وباكتمال تلك العناصر تنشأ الدولة والتي تمثل حدثاً تاريخياً مرتبطاً بحياة الشعوب وتطورها، وقد تكتمل بأوجه متعددة.

وفي هذا المبحث سيتم التعرض لعناصر الدولة ونشأتها وذلك من خلال مطلبين هما، عناصر الدولة، ونشأة الدولة.

المطلب الأول

عناصر الدولة

تمهيد وتقسيم:

من خلال التعريفات السابقة للدولة تبين لنا أن وجود الدولة مرتبط بتوافر عناصر ثلاثة، ومن خلال هذا المبحث يتم تناول تلك العناصر بشيء من الشرح والتوضيح من خلال ثلاثة فروع هي التالية:

الفرع الأول: يتم تناول فيه العنصر الأول المتمثل في مجموعة الأفراد.

الفرع الثاني: يوضح فيه الإقليم من خلال محاور متعددة.

الفرع الثالث: وسيكون هذا الفرع عن السيادة باعتباره من الأركان الأساسية التي تنشئ الدولة.

الفرع الأول

الأفراد

الاجتماع البشري ضرورة، وإقامة دولة تنظم العلاقات التي تقوم بين هذه الجماعات من أكبر الضرورات، يقول أحد الفلاسفة: «... في اعتقادي أن الدولة تنشأ من عجز الفرد ممّا على الاكتفاء بذاته وحاجاته إلى أشياء كثيرة، فحاجة الإنسان إلى توفير القوة والأرض وخلق علاقات وروابط اجتماعية قوية مع غيره من أسمى غايات المجتمعات البشرية، وكان لا بُدّ من وجود كيان ووعاء يحوي هذه التجمعات البشرية التي تسعى للأمن والاستقرار في مختلف النواحي، إذ لا بد من قيام دولة تمتاز بعلاقات ثابتة..»^(١).

(١) قائل هذه العبارة الفيلسوف أفلاطون.

ينظر في ذلك: د/ رضوان السيد، الأمة والجماعة والسلطة، دراسة في الفكر السياسي العربي الإسلامي، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، بيروت، لبنان، ص (١٧٩).

هذه المجموعة من الأفراد التي تكوّن الدولة، يجب أن تضم الجنسين معاً، ولا يشترط في هذه المجموعة أن يبلغوا قدراً معيناً.. بل يكفي أن يصلوا عدداً يمكنهم من التناسل والمحافظة على كيان المجموعة، كما لا يشترط فيهم وحدة الدين أو اللغة أو الأصل أو العادات.

هذه المجموعة التي تكون أحد العناصر الأساسية للدولة يُطلق عليها اسم شعب الدولة أو رعايا الدولة، ويجب أن يرتبطوا بالدولة برابطة سياسية تفرض عليهم الولاء للسلطة الحاكمة وخضوعهم لقوانينها، وفي المقابل يتمتعون بحماية الدولة لهم.

تلك الرابطة السياسية التي تربط بين أفراد الشعب والدولة تعرف في القانون بالجنسية^(١).

لفظ الجنسية إذاً يفيد انتساب الفرد لدولة معينة يدين لها بالولاء ويتمتع بحمايتها له.

وهناك رابطة الدين أو الأصل أو اللغة وهي رابطة طبيعية معنوية ولكن لا يترتب عليها أي أثر قانوني مباشر.

ومثل هذه الرابطة فإن الأفراد الذين يرتبطون بها يكونون أمة.

وليس هناك ما يمنع من أن تتألف الدولة الواحدة من أفراد ينتمون إلى أمم مختلفة.

وقد ترتفع أي أمة من الأمم إلى مصاف الدول وتثبت وجودها كدولة إذا ما استكملت العناصر الخاصة بذلك^(٢).

وهناك عناصر تؤدي إلى تكوين الشعب وهي تركز على الأصول التالية: ^(٣)

الأصل الأول:

أن يتميز الشعب بخصائص عريقة نتيجة للاستقرار في إقليم معين في فترة من الزمن تقوَّى الروابط الروحية والمادية بين الأفراد.

(١) د/ علي صادق أبو هيف، مرجع سابق، ص (٩٦).

(٢) قد حدث ذلك بعد الحرب العالمية الأولى بالنسبة للأمم البولونية والتشيكية واليوغسلافية فقد أصبحت دولاً مستقلة، واعترف بها كذلك في معاهدات صلح سنة ١٩١٩ م.

(٣) مرغني النصري، مبادئ القانون الدستوري، والتجربة الديمقراطية في السودان، ط ١، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م، مطبعة دار الطباعة، الخرطوم، ص (٦٧ - ٧٨).

الأصل الثاني:

أن يتميز الشعب بتاريخ طويل وحياة مستقرة، وعادات وتقاليد تحقق المصالح المشتركة، فكل هذه العناصر تؤدي إلى التماسك بين الأفراد.

الأصل الثالث:

أن يتميز الشعب بوجوده داخل إقليم معين يرتبط به ارتباطاً قديماً وقوياً.. وذلك يعمق عامل الولاء والنصرة.

تلك هي الأصول التي يركز عليها تكوين الشعب لأي دولة من الدول. وهي تؤدي إلى تحقيق القيم والمبادئ المشتركة، كما تؤدي إلى ترسيخ الأحاسيس النابعة من القيم الدينية واللغوية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية المكتسبة عبر الأزمنة الطويلة^(١).

وكل ذلك يساعد على نمو وتطور الإقليم ويؤدي إلى الارتقاء بمستوى الفرد داخل الدولة.

الفرع الثاني:

الإقليم

إن وجود مجموعة من الأفراد أياً كانت الرابطة التي تجمع بينهم لا يمكن أن يكون من هذه المجموعة دولة، طالما أنها لم تستقر على بقعة معينة تمارس فيها نشاطها الحيوي بشكل دائم.

فوجود هذه البقعة التي يطلق عليها إقليم الدولة أمر في غاية الأهمية، إذ لا معنى للدولة إذ لم يكن لها حدود معلومة تستطيع فرض سيادتها عليها.

لذلك كان الإقليم من الأركان الأساسية التي تؤدي إلى تكوين ونشأة الدولة^(٢).

ولا يشترط في الإقليم أي من الأمور التالية:

(١) أ. قرية نميري جموع، المبادئ العامة للشريعة الدستورية في القانون الوضعي والنظام الإسلامي، رسالة ماجستير في القانون العام، ٢٠٠١م، جامعة إفريقيا العالمية. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ص (٥٠ - ٥٣).

(٢) د/ محمد الصادق عفيفي، الإسلام والعلاقات العامة، سلسلة شهرية تصدر عن إدارة الصحافة والنشر، رابطة العالم الإسلامي، ص (١٧ - ١٨)، العدد (٣٦)، السنة الرابعة، ١٤٠٥هـ/ ديسمبر ١٩٨٤م سلسلة شهرية تصدر عن إدارة الصحافة والنشر، رابطة العالم الإسلامي، ص (١٧ - ١٨).

١ - أن يكون متصل الأجزاء بل يمكن أن يكون منفصل في بعض أجزائه كما هو الحال في بعض الدول كبريطانيا واليابان.

٢ - أن يبلغ مساحة معينة، إذ ليس هناك حد أدنى في هذا الشأن، فعلى الرغم من أن اتساع الإقليم قد يؤدي إلى قوة وسطوة الدولة، إلا أن ضيق هذه الرقعة لا يؤثر في وجودها وتمتعها بالشخصية القانونية الدولية. فقط يجب على الأقل أن تكون رقعة الأرض التي تقيم عليها مجموعة من الأفراد الذين يكونون الدولة تمتاز بالصفات التالية^(١):

أ - أن تكون واضحة المعالم والحدود.

ب - وألا تكون محل نزاع بينها وبين مجموعات مماثلة^(٢).

والإقليم بهذا المعنى يعني خضوعه بكل مشتملاته برًا وبحرًا وجوًا لسلطاتها وحدها دون غيرها من الدول الأخرى، وبناء على ذلك فلا يجوز قانونًا لأية دولة أن تتعرض لإقليم دولة أخرى لاستغلال موارده.. كما لا يجوز لأية دولة أن تدعى حقًا على إقليم آخر لدولة أخرى، فالأصل في الملكية الإقليمية أنها خالصة للدولة صاحبة الإقليم.

فالملكية الإقليمية هي تكتة السيادة التي تتمتع بها الدولة.

وبموجب قواعد القانون الدولي لا يمكن اكتساب الملكية الإقليمية إلا بالآتي^(٣):

أولاً: الاستيلاء:

وهو إدخال الدولة في حيازتها المادية إقليم غير مملوك لدولة ما بنية فرض سيادتها عليه.

وهذا يعني أن هناك شروط محددة لاكتساب الملكية بطريق الاستيلاء وهي الآتي:

(١) ألا يكون الإقليم محل الاستيلاء مملوك في الأصل لدولة ما.

(٢) أن تقوم الدولة المستولية بإبلاغ الدول الأخرى رسمية بالاستيلاء تجنباً للنزاعات بينها وبين الدول الأخرى.

(١) د/ علي صادق أبو هيف، مرجع سابق، ص (١٠٠ - ١٠١).

(٢) في عام ١٩٤٨ م وعندما أعلنت إسرائيل قيامها كدولة على الأراضي الفلسطينية حاربت الدول العربية ذلك، ولم يتم الاعتراف بها كدولة على أساس أن هذا الإقليم بالنسبة لإسرائيل يفتقد إلى صفات الإقليم. وذلك باعتبار أن إقليم فلسطين إقليم عربي في الأصل.

(٣) د/ علي صادق أبو هيف، مرجع سابق، ص (٣٠٠) وما بعدها.

وفي الوقت الحاضر فإن هذه الطريقة قد اندثرت وانتهت وذلك لعدم وجود أقاليم لا تخضع لولاية دولة ما.

ثانياً: الإضافة:

ويقصد بذلك الملحقات التي تضيفها الطبيعة لإقليم دولة معينة دون حاجة لأي إجراء خاص. وهاتان الطريقتان [الاستيلاء و الإضافة] من الطرق الأصلية لاكتساب الأقاليم الدولية.

وقد تكتسب الأقاليم الدولية نقلاً من الغير، ويتم ذلك عبر ثلاث طرق هي الآتي: ^(١)

أولاً: التنازل:

وهو تحلي دولة لدولة أخرى عن جزء من إقليمها بموجب اتفاق، وقد يكون بمقابل في صورة مبادلة أو بيع، وقد يكون دون مقابل والتنازل لا يكون صحيحة إلا بتوفر الشروط التالية:

١. أن تكون الدولة المنازلة أهلاً لمثل هذا التصرف القانوني. بمعنى أن تكون كاملة السيادة.

٢. ضرورة استفتاء السكان وموافقتهم على التنازل حتى لا يكون هناك إخلال بحق الشعوب في تقرير مصيرها. وذلك لأن التنازل إجراء قانوني يتبعه تغيير جنسية السكان.

ثانياً: الفتح:

ويقصد به أن تستولي دولة على إقليم تابع لدولة أخرى عنوةً. ولكن.. هذه الطريقة لا تعتبر من الطرق المشروعة. وإن كان البعض من شراح القانون يقرون ذلك إلا أن المواثيق الدولية التي أبرمت منذ الحرب العالمية الأولى أجمعت على اعتبار الفتح من الوسائل غير المشروعة ولا يجوز للدول أن تلجأ إليها في علاقاتها ^(٢).

(١) المرجع السابق، ص (٣٠٣) وما بعدها.

(٢) ينظر في ذلك: عهد عصبة الأمم لسنة ١٩١٩م، المادة (١٠)، وينظر كذلك: بروتوكول جنيف السنة ١٩٢٤م واتفاقات لوكارنو لسنة ١٩٢٥م، وميثاق باريس لسنة ١٩٢٨م. وينظر كذلك: ميثاق الأمم المتحدة، المادة (٢/٤). ومن الأمثلة الحديثة التي تؤيد = استبعاد الفتح من الوسائل المشروعة لاكتساب الإقليم موقف الجماعة الدولية من المحاولات التي قامت بها إيطاليا سنة ١٩٣٦م لضم إقليم الحبشة إليها بعد أن فتحت. وهزمت القوات الحبشية. وقد استولت إيطاليا على مقاليد الأمور بعد فتح الحبشة وأعلنت ضمها إليها فاعترضت على ذلك جماعة الدول ممثلة في ذلك الوقت في عصبة الأمم، واعتبرت عمل إيطاليا إخلالاً بعهد العصبة وتصرف عدواني غير مشروع يتوجب توقيع جزاء بموجب نص المادة (١٦) من عهد العصبة. ينظر في ذلك: د/ علي صادق أبو هيف، المرجع السابق، ص (٣٠٨).

ثالثاً: التقادم:

ويقصد به وضع اليد مدة طويلة، وهو طريق من الطرق الثابتة لاكتساب الإقليم الدولي. وهذا قول معظم شراح القانون الدولي، وإن كان البعض يرى غير ذلك.

وبصورة عامة فإن اكتساب الملكية الإقليمية عن طريق وضع اليد يشترط فيه الآتي:

١ - علانية وضع اليد.

٢ - استقراره دون اعتراض من الدولة صاحبة الإقليم أو من سكانه.

٣ - استمرار وضع اليد دون انقطاع ولمدة طويلة من الزمن.

والمدة اللازمة لاكتساب الإقليم بالتقادم لم تكن محل تحديد عام وثابت، وعادة تحدد في كل حالة على حدة وذلك تبعاً للظروف والوقائع الملازمة لها.^(١)

الفرع الثالث:

السيادة

لا يكفي لتكوين الدولة توافر عنصري الشعب والإقليم، بل لابد لاكتمال الصفة القانونية للدولة من وجود عنصر السلطة العامة والتي يعبر عنها البعض بالسيادة.^(٢)

فالسلطة العامة أو السيادة هيئة منظمة تقوم بالإشراف على الرعاية المقيمين بالإقليم وترعى مصالحهم وتعمل على بقاء الوحدة التي تجمعهم وتحقق الغرض الذي تجمعوا من أجله.

كما تقوم هذه السلطة بإدارة الإقليم واستغلال موارده والدفاع عن كيانه.

فالسيادة إذن تمثل ما للسلطة وما للدولة من سلطان على إقليمها بما يوجد فيها من أشخاص وأموال.

(١) في اتفاق للتحكيم أبرم عام ١٨٩٧ م بين بريطانيا وفنزويلا لتسوية الحدود بين هذه الدولة وغيانا البريطانية التي حددت هذه المدة بخمسين عاماً، اعتبرت كافية لاكتساب الملكية بوضع اليد. واقترح باسكال فيور في مشروع تقنيته نفس الأجل بصفة عامة ما لم تتفق الدول صاحبة الشأن على خلاف ذلك لاعتبارات خاصة. ينظر في ذلك: تقنين فيور، المادة (٥٦٢).

(٢) د/ كمال الغالي، مبادئ القانون الدستوري والنظم السياسية، ط٧، ديسمبر ١٩٩٣ م، منشورات جامعة دمشق، ص (٤٢) وما بعدها.

ولكي تتحقق سيادة السلطة العامة في الدول فلا بد من الآتي: ^(١)

(١) أن تكون نابعة من إرادتها الداخلية دون الخضوع لإرادة خارجية مهيمنة عليها.

(٢) أن تكون قادرة على تصريف شؤونها داخليا وخارجيا.

(٣) أن تكون قادرة على التعاطي مع المجتمعات في المحيط الدولي.

ومن الأهمية بمكان عند البحث عن عنصر السيادة التمييز بين السيادة القانونية والسلطة الفعلية. أي بين السيادة كوضع قانوني، وبين ممارستها كمركز فعلي.

فهناك أقاليم تتولى شؤونها كلها أو بعضها دول أجنبية عنها دون أن يتبع ذلك مجرد هذا الإقليم من سيادتها الخاصة واندماجها في تلك الدول بل يحتفظ الإقليم بالمركز القانوني ويتمتع بشخصية دولية مستقلة عن شخصية الدولة التي تمارس مظاهر السيادة كلها أو بعضها.

أما السيادة ذاتها فتظل لهذه المجموعة ما دام أن الإقليم لم يضم إلى الدولة الأجنبية بصورة نهائية. ^(٢)

فالسيادة إذن: وضع قانوني يثبت للدولة عند توافر مقوماتها المادية من أفراد وإقليم وهيئة حاكمة، يكون بمقتضاها للدولة الحق في مباشرة كافة الاختصاصات المتصلة بوصفها دولة سواء كان ذلك في داخل إقليمها أو في علاقاتها مع الدول الأخرى.

والسيادة في الماضي كانت تعتبر سلطة مطلقة لا يقيد الدولة في ممارستها غير إرادتها ورغباتها وقوتها، وقد ظلت هذه الفكرة سائدة حتى عهد قريب، بل ولا تزال هذه الفكرة - حسب تقديرنا - سائدة إلى وقتنا الحالي، لكن هذه الفكرة تترتب عليها نتائج خطيرة من شأنها أن تهدم قواعد القانون الدولي العام، وهذا ما نراه واقعا في العصر الحديث.

فالدول لا تُسَلَّم بوجود أي قوة أخرى فوق إرادتها ولو كانت قوة القانون أو قواعد الأخلاق، ولا تقبل أن يقف في طريق مطامعها أي حائل.

(١) د/ الشافعي محمد بشير، القانون الدولي العام في السلم والحرب، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص (٩٤).

(٢) مثل هذه الدول من حيث مركزها القانوني تكون دول ناقصة السيادة كالدول الواقعة تحت الحماية، أو الدول المشمولة بالوصايا. فهي دول تحتفظ بسيادتها القانونية.

ينظر في ذلك: د/ علي صادق أبو هيف، المرجع السابق، ص (١٠٢ - ١٠٣).

فإرادتها ورغباتها هي قانونها الأعلى.

ولا شك أن في هذا دمج بين فكرة القوة ومبدأ السيادة، ونتيجة لذلك فإن الدول القوية هي التي تنشأ وتستمر، أما الدول الضعيفة فتبتلعها تلك الدول الكبيرة وتسيطر عليها.^(١)

لكل ذلك فإن الحياة الجماعية تتجه في المحيط الدولي نحو التخفيف من فكرة السيادة لسهولة التعامل والتعاون بين الدول حتى تنهض بالمهام الإنسانية الملقة على عاتقها، والتي من أبرزها حفظ السلم والأمن الدوليين.

وقد فرضت بعض القيود التي تحد من فكرة السيادة المطلقة عن طريق المواثيق والاتفاقات الدولية كتحديد التسليح، وضرورة الرجوع إلى التحكيم في المنازعات الدولية قبل اللجوء إلى الحرب إلى غير ذلك من الالتزامات الأخرى.^(٢)

وليس في كل ذلك انتقاص من مبدأ السيادة لأنها التزامات عامة يجب أن تسري على جميع الدول، كما أن الدول قد قبلت بتلك القيود باختيارها وبما لها من سيادة.

ولكن الواقع يشير إلى غير ذلك، فالدول في العصر الحديث لا تخضع إلى القواعد القانونية إلا بقدر استسلامها لإرادة الدول الكبرى التي تصبغ المعاهدات والاتفاقات بإرادتها فقط.

وإذا جاز لنا التعبير يمكن أن نقول أن تلك الاتفاقات كعقود الإذعان فيما شملته من بنود والله المستعان.

(١) وعلى هذه الفكرة قامت سياسة ألمانيا منذ أواخر القرن التاسع عشر لتتوصل عن طريقها إلى فرض سيادتها على أوروبا، وتتلخص هذه السياسة في تلك العبارة المشهورة التي احتواها الكثير من كتابات مفكرتها وأقوال ساستها: (ألمانيا فوق الجميع).

ينظر في ذلك: فوشي (١) رقم (٢، ٣) ص (٤٢٧-٤٢٩)، وينظر كذلك: أكسيولي، (٢) رقم (٢٥٦)، ص (٢٦٠) وعلى هذه الفكرة أيضا قامت الولايات المتحدة الأمريكية ولا تزال هذه السياسة متبعة من أمريكا (٢) من الاتفاقات التي تدل على ذلك: عهد العصبة بعد الحرب العالمية الأولى. والتي تعتبر خطوة واسعة في هذا الاتجاه بما تقرر فيها من قيود على مبدأ السيادة المطلقة. وكذلك ميثاق الأمم المتحدة هذا الميثاق الذي ساهم في إهدار قواعد القانون الدولي والاتفاقات الدولية وأطلق العنان لرغبات الدول الكبرى وإرادتها في تعاملها مع الدول الأخرى. ينظر في ذلك: بحثنا بعنوان: النظام الدولي للحرب بين النظرية والتطبيق، بحث منشور بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، تصدر عن كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بجامعة إفريقيا العالمية، السودان، مجلة نصف سنوية - علمية محكمة. السنة الثالثة، العدد السادس - جمادى الآخر ١٤٢٦هـ. أغسطس ٢٠٠٢م ص (١٧٠-١٧٨).

المطلب الثاني

نشأة الدولة

استند المفكرون من رجال الدين والفلاسفة الغربيين إلى نظريات وأسس مختلفة للوصول إلى حقيقة أصل نشأة الدولة منها أسس اجتماعية وأخرى تاريخية.

فالأساس الاجتماعي لنشأة الدولة ينبني على نظريتين:

النظرية الأولى: نظرية القوة والتغلب؛

وتعني: خضوع جماعة بالقوة والتغلب إلى جماعة أو ملك وإعلان استسلامها التام له.

وهناك من شراح القانون من يؤكد صحة هذه النظرية بقوله: هذه النظرية تنطوي على جانب كبير من الصحة ولها أساس من التاريخ، فكثيراً ما أيدت الأحداث التاريخية صدق هذه النظرية^(١).

وهناك رأي يقول: «إنه من المغالاة حقاً أن نجعل القوة هي العامل الأساسي الوحيد الذي قامت وتقوم عليه الدول جميعها في كل الأزمان»^(٢).

وهذا يعني أن هناك عوامل أخرى لا بد من توافرها لقيام الدولة. فالقوة لا يمكن اعتبارها العامل الأساس لقيام الدولة.

ولكن السؤال الذي يمكن أن يثار هنا هو:

هل هذه العوامل لنشوء [دولة] توافرت في إسرائيل حتى يتم الاعتراف بها أو التعامل معها بوصفها دولة؟

هذا ما سنسعى للإجابة عليه من خلال المبحث الأول في الفصل الأول من القسم الثاني.

النظرية الثانية: نظرية التطور العائلي؛

وهذه النظرية تدور حول فكرة نشأة الدولة من التطور الذي حدث للأسرة فأصبحت قبيلة، وهكذا حتى كُثرت القبائل فأصبحت مدناً سياسية فأُمماً فتكونت منها الدول.

(١) د/ محمد كامل ليلة، المرجع السابق، ص (٨٧) وما بعدها.

(٢) د/ عثمان خليل، القانون الدستوري والكتاب الأول في المبادئ الدستورية العامة، تاريخ الطبع ١٩٥٦م، مطبعة مصر وشركة مساهمة مصرية، ٤ ش نوبات باشا/ القاهرة، ص (٦٦).

ولكن هذه النظرية قد انتقدت انتقادات وجيهة ومقبولة من ذلك: ^(١)

١. أن اجتماع الناس كان نتيجة الرغبة في التعاون وتحقيق المصالح المشتركة.

٢. أن هناك بعض الدول قامت دون تطور عائلي مثل مصر والفرس.

٣. هذا إلى جانب أن أهداف الدولة تفوق أهداف الأسرة.

٤. كما أن السلطة السياسية في الدول سلطة دائمة على العكس من السلطة في الأسرة التي تزول بزوال عامل البقاء.

تلك هي النظريات التي تدخل في إطار الأساس الاجتماعي لنشأة الدولة.

أما فيما يتعلق بالأساس التاريخي فهو ينطلق من مفهوم نظرية التطور التاريخي.

ويرى بعض شراح القانون أن نظرية التطور التاريخي من أقرب النظريات التي تفسر نشأة الدولة ^(٢).

فمضمون الأساس التاريخي ونظرية التطور التاريخي أن هناك عدة عوامل ساعدت على نشأة الدولة وأدت إلى تطورها.. فلا يمكن أن يكون هناك عامل واحد مثل سبباً في قيام الدولة، ولهذا التعدد تفاعلت الجماعة وأوجدت ما يعرف بالدولة من أجل استمرار الحياة الهادئة التي تحفظ فيها الحقوق المشروعة، وتمنع فيها التعدي.

ومن الأسس التي استند إليها المفكرون ورجال السياسة للوصول إلى أصل نشأة الدولة نجد كذلك أسس دينية وأخرى فلسفية.. ولكن في تقديرنا أن النظريات التي تدخل في تلك الأسس لا تشير إلى أصل نشأة الدولة بقدر ما تشير إلى السلطة الحاكمة في الدولة.

فالواقع أن الدولة ككل شخص معنوي حياتها سلسلة من الأحداث المتتابعة فهي تنشأ وتزدهر وتسود، كما قد تتدهور وتضمحل فتفنى.

والحقيقة القانونية التي لا يمكن إهمالها أن الدولة تنشأ بعد اكتمال العناصر المكونة لها بشروطها من رعايا وإقليم وهيئة حاكمة ذات سيادة ونشأة الدول حدث تاريخي. مرتبط بحياة الشعوب وتطورها، وهي قد تتم على أحد أوجه ثلاثة هي الآتي: ^(٣)

(١) د/ محمد كامل ليلة، المرجع السابق، ص (٩٣ - ٩٤)، وينظر كذلك: د/ عثمان خليل، المرجع السابق، ص (٧٧-٧٨).

(٢) د/ محمد كامل ليلة، المرجع السابق، ص (٩٧ - ٩٨).

٣ د/ علي صادق أبو هيف، المرجع السابق، ص (١٤٤) وما بعدها.

الوجه الأول:

أن تنشأ الدولة من عناصر جديدة وذلك باستقرار مجموعة من السكان على إقليم معين غير مأهول أو تسكنه قبائل همجية. تسيطر عليهم هيئة حاكمية ذات سيادة. وعلى هذا الوجه نشأت جميع الدول في العالم. ولكن في العصر الحالي فإن نشأة الدول بهذه الطريقة نادر الحصول، وذلك لعدم وجود إقليم غير مأهول بالسكان^(١).

الوجه الثاني:

أن تنشأ الدولة من عناصر قديمة نتيجة لتفكك أو انحلال بعض الدول القائمة، وهذا هو الوجه الغالب لنشأة الدول ويتحقق في الحالات الآتية:

١. قيام ثورة في ولاية أو مستعمرة تابعة لدولة ما بغرض الانفصال عن هذه الدولة واستقلالها بشئونها كدولة قائمة بذاتها^(٢).

٢. تفكك دولة كبيرة إلى عدة دول صغيرة نتيجة حرب أو حركة انفصالية^(٣).

٣. انفصال دول اتحاد فعلي أو تعاهدي^(٤).

الوجه الثالث:

أن تنشأ الدولة من عناصر قديمة ولكن عن طريق الانضمام أي انضمام عدة دول صغيرة إلى بعضها إما في شكل دولة واحدة بسيطة^(٥)، أو في شكل اتحاد فعلي^(٦). وإما في شكل دولة تعاهدية^(٧).

(١) من الأمثلة القليلة على نشأة الدول في القرن الماضي: نشأة جمهورية ليبيريا على شاطئ إفريقيا الغربي، وقد تكونت سنة ١٨٢١م من الأرقاء المحررين الذين نقلوا من أمريكا تحت رعاية شركة أمريكية لتحرير العبيد.

(٢) وهذا ما حدث لولايات أمريكا الشمالية عندما انفصلت عن إنجلترا سنة ١٧٧٦م. ويلحق بهذه الحالة الأقاليم التي تستقل عن دول كانت تتبعها أصلاً تحقيقاً لرغبة أهلها نتيجة استفتاء عام - كما حدث بالنسبة للسودان عن قيامه كدولة سنة ١٩٥٦م.

(٣) وقد حدث ذلك بعد الحرب العالمية الأولى بالنسبة لإمبراطورية النمسا والمجر فقد نشأت من انحلالها ثلاث دول منفصلة هي النمسا والمجر وتشيكو سلوفاكيا.

(٤) من أمثلة ذلك: انفصال دولتي السويد والنرويج عن بعضها سنة ١٩٠٥م وهذا انفصال اتحاد فعلي. أما من أمثلة الانفصال التعاهدي ما حدث من قيام جمهوريات أوكرانيا وروسيا البيضاء ومنغوليا كدول مستقلة عن حكومة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية.

(٥) من أمثلة انضمام عدة دول في شكل دولة واحدة بسيطة نتيجة لحركة قومية ما حدث بالنسبة لإيطاليا وألمانيا.

(٦) من أمثلة انضمام دول في شكل اتحاد فعلي النمسا والمجر عام ١٨٦٧م.

(٧) يعتبر الانضمام الذي حدث بين دول الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٧٧٨م من أبرز الصور الانضمام دول في شكل دولة تعاهدية.

تلك هي الأوجه التي تنشأ بها الدول بعد توافر العناصر المكونة لها. وبغير تلك العناصر بشروطها لا يمكن أن تنشأ الدولة، ولا يجوز أن نطلق على أي تجمع من الأشخاص لفظ دولة ولو وجدنا سلطة حاكمة إلا بوجود الإقليم. فافتقاد أي من تلك الأركان يعني انعدام الدولة.

وافتقاد أي شرط من شروط تلك الأركان يعني انعدام الركن. فوجود الدولة ونشأتها يلزم وجود:

١. شعب.

٢. إقليم بشروطه.

٣. سلطة حاكمة.

فهذه الأركان تنشأ الدولة وتردها وتثبت لها السيادة على إقليمها وعلى رعاياها دون نزاع.

المبحث الثاني

الاعتراف بالدولة

بعد نشأة الدولة بأي وجه من الوجوه التي أشرنا إليها سابقاً^(١)، يثبت وجودها في المجتمع الدولي كياناً مادياً مستقلاً وليس قانونياً.

ولكي تنضم مثل هذه الدولة للمجتمع الدولي ويحق لها مباشرة اختصاصاتها الدولية اشترط القانون الدولي ضرورة القيام بإجراء قانوني معين وهو الاعتراف بها.

وسوف نتناول في هذا المبحث هذا الإجراء من حيث:

١. المفهوم والطبيعة القانونية.

٢. حرية الاعتراف وأنواعه.

٣. التمييز بين الاعتراف بالدولة والاعترافات التمهيدية وذلك في ثلاث مطالب متتالية.

(١) ينظر في ذلك: المطلب الثاني من الفصل الأول.

المطلب الأول

مفهوم الاعتراف بالدولة وطبيعته القانونية

مفهوم الاعتراف:

الاعتراف مصطلح قانوني يقصد به التعبير الصريح أو الضمني الصادر عن إرادة الشخص القانوني الدولي في واقعة معينة أو ادعاء معين يعتبر أمراً مقبولاً من وجهة نظره^(١).

أو هو [التسليم من جانب الدول القائمة بوجود دولة جديدة وقبولها عضواً في الجماعة الدولية]^(٢). فالاعتراف إذاً من المسائل الضرورية في إطار القانون الدولي، وهو إجراء مستقل عن نشأة الدولة.

فالدولة لا تنشأ إلا باكتمال عناصرها من إقليم، وشعب، وسيادة، ولكنها لا تستطيع ممارسة سيادتها في مواجهة الدول الأخرى. أو مباشرة حقوقها داخل المجتمع الدولي إلا إذا تم الاعتراف بوجودها من الدول الأخرى.

الطبيعة القانونية للاعتراف:

لقد استقر الفقه والعمل الدوليان على ضرورة الاعتراف بالدولة الجديدة... ومع ذلك فإن الفقه الدولي قد اختلف حول الطبيعة القانونية للاعتراف بالدولة. فظهرت نظريتان:

النظرية الأولى: نظرية الاعتراف المشي^(٣):

يرى أنصار هذه النظرية أن للاعتراف صفة إنشائية بمعنى أن الاعتراف يخلق الشخصية القانونية للدولة، ويكسبها صفة العضوية في المجتمع الدولي. ومؤيدو هذه النظرية يرون أن توافر عناصر الدولة يؤدي إلى وجودها المادي فقط. هذا الوجود يتحول إلى وجود قانوني بعد الاعتراف بها من أعضاء المجتمع الدولي.

(١) د/ محسن أفكيرين، القانون الدولي العام، ط ١، ٢٠٠٥م، الناشر: دار النهضة العربية ٣٢ ش عبد الخالق ثروت، القاهرة، ص (١٧٩).

(٢) د/ علي صادق أبو هيف، مرجع سابق، ص (١٤٦).

(٣) من القائلين بهذه النظرية: أنزليوتي.. وأو بنهايم، والفقيه شتروب. وغيرهم.

ويترتب على هذه النظرية ما يلي:

١. عدم إمكان قيام علاقات دولية قانونية مع أي وحدة سياسية لم يعترف بها بعد.
٢. إن الدولة الجديدة لا تستطيع أن تتمتع بالحقوق التي يقر بها القانون الدولي العام إلا بعد اعتراف الدول الأخرى بها.
٣. أن الدول الجديدة لا تكتسب وصف الشخص القانوني الدولي إلا في مواجهة الدول التي اعترفت بها فقط.

هذه النظرية تعرضت لانتقادات عديدة من أهمها أنها اعترفت في الأخذ بمبدأ إرادة الدولة، ولكنها أغفلت في ذات الوقت مبدأ المساواة في السيادة. لذلك فقد ظهرت أفكار جديدة أدت في النهاية إلى تراجع هذه النظرية لتفتح المجال أمام نظرية أخرى وهي:

النظرية الثانية: نظرية الاعتراف المقرر (الكاشف)^(١):

أنصار هذه النظرية يرون أن الاعتراف إجراء مستقل عن نشأة الدولة، ولاحق لها، فالدولة الجديدة تكتسب حقوقها الدولية بمجرد اكتمال عناصرها، وليس نتيجة لإرادة الدول الأخرى، فالاعتراف بموجب هذه النظرية ما هو إلا إقرار من الدول بالأمر الواقع، ولا ينشئ الدولة، وإنما يقرر وجودها ويكفل لها ممارسة سيادتها الخارجية، وذلك بقبول التعامل معها.

فالدولة الجديدة تصبح شخصاً دولياً له ما للدول الأخرى من حقوق بمجرد اكتمال عناصرها وتستطيع ممارسة سيادتها في المحيط الدولي بمجرد الاعتراف بها^(٢).

تلك هي النظريات التي ظهرت حول مبدأ الاعتراف. والواقع أن الاعتراف لفظاً حسبما ذكر الدكتور علي صادق أبو هيف^(٣) «يحمل في مدلوله سبق وجود الشيء المعترف به، ولا يمكن أن ينصرف الاعتراف إلى غير موجود من قبل، فكيف يستساغ إذاً القول بأن الاعتراف صفة إنشائية».

واستطرد الدكتور أبو هيف قائلاً « وإذا نحن طرحنا جانباً منطق الألفاظ ومدلولها ونظرنا

(١) د/ محسن أفكيرين، المرجع السابق، ص (٣٥٩).

(٢) من أصحاب هذه النظرية: فوشي. ليفور. سيللي. بوستامنت، والفقيه جينيه، غيرهم.

(٣) علي صادق أبو هيف: رئيس قسم القانون الدولي، عميد كلية الحقوق بجامعة الاسكندرية سابقاً، ورئيس قسم القانون الدولي بجامعة الكويت سابقاً، له العديد من المؤلفات في إطار القانون الدولي من ذلك: القانون الدولي العام. القانون الدبلوماسي.

إلى المسألة من الناحية الموضوعية لما تغير الموقف، ولوجدنا أن الاعتراف لا يجدي شيئاً إذا لم تكن الدولة قد اكتملت عناصرها ووجدت من قبل، فإذا لم تستكمل الدولة، هذه العناصر فلا يمكن أن يجعل منها الاعتراف شخصاً دولياً لأنه لا يخرج عن كونه إجراء قانوني لإقرار مركز فعلي سابق وجوده عليه»^(١).

وقد جاء قرار مجمع القانون الدولي في اجتماعه بأوسلو سنة ١٩٣٢ م [أن الاعتراف لا يعطي للدولة استقلالها وإنما هو يقرر وجوده فقط، فهو بمثابة شهادة ميلاد أو وثيقة تعميم دبلوماسي]^(٢). هذا الرأي هو ما قال به معظم شراح القانون الدولي والفقهاء وهو الرأي الذي نُرجحه لوجهة أدلة القائلين به واتفاقه مع المنطق السليم.

المطلب الثاني

حرية الاعتراف وأنواعه

الفرع الأول

حرية الاعتراف بالدولة

الاعتراف بالدولة إجراء طبيعي بالنسبة للدول الجديدة، وعلى الدول الأخرى المبادرة بذلك متى ما اكتملت للدولة التي نشأت حديثاً كل مقوماتها حتى تتمكن من ممارسة نشاطها في المحيط الدولي وتنمية علاقاتها مع الدول الأخرى؛ ولكن بالرغم من ذلك ليس في قواعد القانون الدولي ما يفرض على الدول وجوب الاعتراف بالدولة الجديدة.

فالاعتراف من التصرفات التي تصدر عن حرية تامة ودون أي إلزام قانوني فالدول لها سلطة تقديرية فيما إذا كانت الظروف والوقائع تسمح لها بالاعتراف بالدولة الجديدة أم لا، وهي تعتمد في ذلك على الظروف التي نشأت فيها الدولة الجديدة لتحديد على أساسها موقفها منها فيما أن

(١) د/ علي صادق أبو هيف، مرجع سابق، ص (١٤٧).

(٢) ينظر في ذلك: مجمع القانون الدولي، الكتاب السنوي لمجمع القانون الدولي سنة ١٩٣٤ م، ص (٣٤٢). نقلاً

عن: د/ علي صادق أبو هيف، مرجع سابق، ص (١٤٧).

* وبنفس المعنى يعتبر الأستاذ لوريس بجامعة أدنبرة أن الاعتراف بالدولة بمثابة شهادة ميلاد لها فمتى اكتملت عناصرها أصبح من حقها الاعتراف بها.

تعترف بها فوراً، أو ترجى الاعتراف بها إلى موعد آخر تراه مناسباً، أو تمتنع عنه وفق مقتضيات سياستها الخاصة^(١).

ومع أن لكل دولة كامل الحرية في أن تعترف أو لا تعترف بالدولة الجديدة إلا أن عليها ألا تسعى استعمال حرية الاعتراف وذلك بأن تمتنع عنه مثلاً لمجرد التعنت ودون مبرر، فإن فعلت ذلك كانت مثل هذه الدولة عرضة للوم والاستهجان من الرأي العام^(٢).

ولكن لا لوم عليها إذا كان الامتناع عن الاعتراف بسبب مقبول، مثال ذلك إذا كانت الدولة الجديدة:

١. قامت نتيجة لأعمال عنف غير مشروعة.

٢. أو كانت الدولة الجديدة قامت على إقليم مغتصب من دولة أخرى.. أو رغماً عن سكانه الأصليين ودون مراعاة لمبدأ حق تقرير المصير.

ويرى البعض أن الدول ملزمة بالاعتراف بكل دولة جديدة متى توافرت فيها عناصر الدولة. ويبررون هذا الإلزام بالآتي: (٣)

أولاً: أن الاعتراف عمل قانوني، يصدر متى توافرت شروطه.

ثانياً: أن عدم الاعتراف يعتبر إخلالاً بحق الدولة في ممارسة اختصاصاتها بمجرد وجودها.

ولكن الراجح - حسب تقديرنا وهو الغالب في الفقه - أن مسألة الاعتراف بالدول يرجع إلى اعتبارات مختلفة سياسية واقتصادية واجتماعية، ولكل دولة حرية تقدير هذه الاعتبارات عند اتخاذ قرار بالاعتراف أو بعده.

يتضح مما تقدم أن الدولة الجديدة لا تتمتع بوصف الدولة إلا في مواجهة الدول التي اعترفت بها فقط.

كما أنه لا يجوز الاعتراف بالدولة إلا إذا:

(١) د/ علي صادق أبو هيف، مرجع سابق، ص (١٤٨/١٤٩).

(٢) د/ أحمد محمد رفعت، القانون الدولي العام، ص (١٧٩).

(٣) د/ أحمد محمد رفعت، مرجع سابق، ص (١٧٩).

١. استوفت جميع عناصرها.

٢. تهيأت لها أسباب الوجود كدولة.

والسؤال الذي يمكن أن يثار هنا:

هل يجوز سحب الاعتراف؟

إمكان سحب الاعتراف يرجع إلى طبيعة الاعتراف ذاته فإذا عدنا الاعتراف مجرد إقرار بالأمر الواقع فلا يكون هناك مجالاً لسحبه ما دام هذا الأمر قائماً.

أما إذا عدنا الاعتراف عملاً من الأعمال الإرادية الحرة من جانب المعترف كان من العسير القول بعدم إمكان الرجوع فيه.

وبوجه عام فإن سحب الاعتراف بعد صدوره عمل خطير يستحسن تجنبه إلا إذا كان هناك ما يبرر اتخاذه جدياً كأن تسلك الدولة الجديدة مسلكاً يتنافى مع واجباتها كدولة متمدنة، أو أنها لا تلتزم في تصرفاتها بالقواعد القانونية الدولية، أو أنها لا تحترم الأوضاع الثابتة التي تجرى عليها بقية الدول في محيط المجتمع الدولي.

وسحب الاعتراف لا يكون إلا بإعلان صريح بأي حالٍ من الأحوال^(١).

المطلب الثاني

أنواع الاعتراف

للاعتراف بالدولة صور وأنواع متعددة فلا يخضع الاعتراف لصورة محددة أو لقواعد شكلية معينة. وهذا يعني أن هناك أنواع مختلفة للاعتراف.. هذا الاختلاف يرجع إلى الزاوية التي ينظر إليه من خلالها، وقد جرى العمل الدولي على تقسيم الاعتراف إلى الآتي:

أولاً: بالنظر إلى نوع الاعتراف فيمكن تقسيمه إلى ما يلي:

١ - اعتراف صريح:

وهذا النوع هو ما يجري عليه العمل في معظم الأحيان، وهو اعتراف قانوني (de jure) يتم

(١) د/ علي صادق أبو هيف، مرجع سابق، ص (١٤٩).

النص عليه في معاهدة تعقد بين الدولة المعترفة والدولة الجديدة، تقرر بموجبها الدولة الأولى اعترافها بوجود واستقلال الدولة الثانية، وقد يتم في صورة إعلان أو وثيقة دبلوماسية من جانب الدولة المعترفة^(١).

٢- اعتراف ضمني:

وهو اعتراف يُستدل عليه من دخول دولة في علاقات مع دولة جديدة دون التعرض بصفة رسمية لموضوع وجودها القانوني، ويسمى هذا النوع من الاعتراف بالاعتراف بالواقع (defacto)^(٢).

من أمثلة تلك الأعمال التي تشير للاعتراف الضمني:

{أ} تبادل البعثات الدبلوماسية.

{ب} إبرام معاهدة.

{ج} وكذلك دعوة الدولة الجديدة لحضور مؤتمرات باعتبارها دولة مستقلة.

ثانياً: وينظر إلى شكل المعترف فيمكن تقسيم الاعتراف إلى نوعين:

[١] اعتراف فردي:

الاعتراف الفردي هو الاعتراف الذي يصدر صراحة أو ضمناً من دولة على حدة تجاه الدولة الجديدة. وهذا هو الشكل الغالب لما يجري عليه العمل في العلاقات الدولية. هذا النوع من الاعتراف لا يلزم إلا الدولة المعترفة فقط^(٣).

[٢] اعتراف جماعي:

الاعتراف الجماعي هو الاعتراف الصادر من عدة دول مجتمعة في معاهدة أو وثيقة مشتركة أو في مؤتمر دولي.

(١) د/ أحمد محمد رفعت، مرجع سابق، ص (١٨١).

(٢) المرجع السابق، ذات الصفحة. وينظر كذلك: د/ محسن أفكيرين، مرجع سابق، ص (٣٦٤).

(٣) قد يكسب الاعتراف الفردي وزناً وأهمية خاصة، مثال ذلك إذا صدر الاعتراف من دولة قائمة بالاستعمار بالنسبة للدولة الجديدة والتي كانت مستعمرة سابقة وحصلت على استقلالها. أو إذا كان الاعتراف صادر من دولة الأصل إذا كانت الدولة الجديدة قد نشأت نتيجة للانفصال عنها. ينظر في ذلك: د/ محسن أفكيرين، مرجع سابق، ص (٣٦٢).

وهذه الصور نادرة في التاريخ الدولي.

ويعتبر في حكم الاعتراف الجماعي: القرار الصادر من منظمة أو هيئة دولية لا تضم غير الدول كهيئة الأمم المتحدة أو ما يماثلها بقبول دولة جديدة في عضويتها^(١).

هذا النوع من الاعتراف لا يثير أي صعوبة إذا تم بإجماع الدول الأعضاء في المنظمة.

أما إذا كان هناك اعتراض من بعض الدول الأعضاء فهنا تثار المشكلة حول مدى حجية هذا الاعتراف في مواجهة الدول المعارضة.

وقد انقسم الفقهاء في ذلك إلى فريقين:

الفريق الأول: (٢)

ويرى أصحابه أن قبول أي دولة جديدة في منظمة دولية يتضمن الاعتراف بها من كافة الدول الأعضاء في المنظمة، وذلك للآتي^(٣).

{أ} أنه من غير المقبول أن تكون الدولة الجديدة شريكة للدول الأعضاء في المنظمة بما ترتبه عضويتها من حقوق والتزامات متبادلة تحتم وجود تعاون متبادل بين جميع الدول الأعضاء واشترائهم في المداولات واتخاذ قرارات المنظمة مع عدم اعتراف بعض الأعضاء بصفتها كدولة.

{ب} أن قبول دولة جديدة في منظمة دولية يستلزم الاعتراف لها بصفة الدولة.

{ج} أنه لا يمكن تجاهل وصف العضوية للدولة الجديدة في المنظمة الدولية.

الفريق الثاني:

أصحاب هذا الفريق يرون أن قبول دولة جديدة في عضوية منظمة دولية لا يفترض اعتراف كل دولة عضو في المنظمة بالدولة الجديدة، وذلك لأن الاعتراف من التصرفات التي تخضع لإرادة كل دولة وتقديرها الخاص، والتي لا تنسب إليها إلا إذا أتت بها عن حرية تامة^(٤).

(١) د/ أحمد محمد رفعت، مرجع سابق، ص (١٨٢).

وينظر كذلك: د/ صلاح الدين عامر، التنظيم الدولي، ط ٥، تاريخ الطبع: ١٩٩٧ م، الناشر: دار النهضة العربية، القاهرة، ص (٦٩٠).

(٢) يتزعم هذا الفريق الفقيه: جورج سيل.

(٣) د/ أحمد محمد رفعت، مرجع سابق، ص (١٨٣).

(٤) د/ أحمد محمد رفعت، مرجع سابق، ص (١٨٣). وينظر كذلك: د/ علي صادق أبو هيف، مرجع سابق، ص (١٥١).

والذي نراه راجح هو ما ذهب إليه الفريق الأول لقوة الأدلة التي استدلوها بها فهو في حكم الاعتراف الجماعي الضمني^(١).

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة التي جاءت تحت عنوان « أركان الدولة وأسس نشأتها والاعتراف بها في القانون الدولي » فقد خلصت إلى النتائج والتوصيات التالية:

النتائج:

١. ولادة الدولة يتوقف على اجتماع العناصر المكونة لها من إقليم وشعب وتنظيم سياسي، وهذا يتم على أحد شكلين:

أولاً: أن تنشأ الدولة من العدم، وذلك باكتمال عناصرها المادية التي أشرنا إليها وبشروط محددة لكل عنصر.

ثانياً: أن تنشأ الدولة نتيجة تغيير في السيادة على إقليم دولة معينة ك انفصال ولاية أو تفكك امبراطورية، أو اتحاد دولتين أو أكثر.

٢. يستلزم القانون الدولي أن يصاحب استكمال الدولة لعناصرها إجراء قانوني يتمثل في الاعتراف بالدولة الجديدة من أعضاء المجتمع الدولي حتى تتمكن من الدخول في علاقات مع الغير.

٣. الاعتراف بالدولة إجراء مستقل عن نشأة الدولة ولاحق لها، يقرر وجود الدولة الجديدة و يكفل لها ممارسة سيادتها الخارجية وقد يكون اعترافاً قانونياً (علنياً)، أو اعترافاً فعلياً (ضمنياً).

٤. مبدأ الاعتراف بالدولة لا يكون للدول الجديدة فقط بل يمكن أن يمتد ليشمل:

(١) من أمثلة الاعتراف الجماعي نجد:

{أ} الاعتراف الذي تم لبلجيكا في مؤتمر لندن عام ١٨٣١م.

{ب} الاعتراف باليونان في مؤتمر القسطنطينية سنة ١٨٣٢م.

{ج} ومن الأمثلة الحديثة: الاعتراف الجماعي للدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي عام ١٩٩٢م، بثلاث دول جديدة نتيجة لتفكك يوغسلافيا السابقة وهي: البوسنة والهرسك، كرواتيا، سلوفينيا.

ينظر في ذلك: د/ صلاح الدين عامر، مرجع سابق، ص (٦٩٠).

أ/ الاعتراف بالثورة.

ب/ الاعتراف بحالة الحرب.

ج/ الاعتراف بالأمة.

د/ الاعتراف بحركات التحرير الوطنية.

وتعتبر كل تلك الصور اعترافات تمهيدية للاعتراف بالدولة مستقبلاً.

٥. ليس في قواعد القانون الدولي العام ما يفرض على الدول وجوب الاعتراف بالدولة الجديدة.

٦. اختلف الفقه الدولي حول الطبيعة القانونية للاعتراف بالدولة فأدى هذا الاختلاف إلى ظهور نظريتان:

الأولى: نظرية الاعتراف المنشئ.

الثانية: نظرية الاعتراف المقرر.

٧. لا يجوز سحب الاعتراف المقرر، أما إذا كان الاعتراف عملاً من الأعمال الإرادية الحرة من جانب المعترف فيمكن سحبه وفقاً لما ذهب إليه الفقه القانوني.

٨. الاعتراف بالنظر إلى نوعه قد يكون صريحاً أو ضمناً، وبالنظر إليه من حيث الشكل قد يكون فردياً أو جماعياً.

٩. الاعتراف الجماعي الصادر من هيئة أو منظمة تثير اشكالاً حول مدى إلزام هذا الاعتراف في حالة عدم اعتراف بعض الدول الاعضاء بدولة تم قبول عضويتها. حيث انقسم الفقه القانوني في ذلك إلى فريقين منهم من يرى أن ذلك يعتبر اعتراف بتلك الدولة، ومنهم من يرى غير ذلك. تلك هي أهم النتائج التي خرجنا بها من هذه الدراسة وبناءً على ذلك فإن التوصيات التي نقرحها تتمثل في الآتي:

التوصيات:

١. توصي الدراسة بضرورة تطبيق نص المادة (١١) من الإعلان الخاص بحقوق وواجبات الدول والتي توجب الامتناع بأي حيازة إقليمية غير مشروعة.

فالاعتراف بإجراء قانوني يسبقه وجود الدولة بتوافر عناصرها... ولا يجوز قانونياً الاعتراف بدولة لم تنشأ من الأساس.

هذه التوصية إجراء لا بد منه لتصحيح هذا الوضع غير القانوني في المجتمع الدولي.

٢. ضرورة إلغاء عضوية إسرائيل في هيئة الأمم المتحدة لانعدام شخصيتها الدولية التي تكسبها تلك العضوية.

٣. على كل أعضاء المجتمع الدولي من دول ومنظمات وهيئات دولية النظر بعين الاعتبار إلى الأوضاع غير المشروعة للدول ومن ثم التدخل لاتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة حول التي نشأت بطريق غير مشروع حفاظاً للسلام والأمن الدوليين.

٤. ضرورة تفعيل قواعد القانون الدولي العام عن طريق إيجاد سلطة تشريعية وسلطة تنفيذية وسلطة قضائية فعالة ومحايدة تقضي على كل الظواهر غير المشروعة.

٥. على هيئة الأمم المتحدة مراعاة قواعد القانون الدولي واحترامها وذلك بعدم قبول أي عضوية بها إلا للدول تطبيقاً لنصوص الميثاق.

تلك أهم التوصيات التي خرجنا بها في خاتمة هذه الدراسة عليها تساهم في تفعيل القانون الدولي وتقضي على كل الأوضاع غير المشروعة ومن ثم يتحقق العدل حفظ السلم والأمن الدوليين.

قائمة المراجع والمصادر

أولاً: الكتب والبحوث

- [١] د. إبراهيم أحمد شلبي، مبادئ القانون الدولي العام، الدار الجامعية بيروت، ١٩٨٦م.
- [٢] د. أحمد محمد رفعت، القانون الدولي العام، ط ١، ت ١٩٩٩م.
- [٣] د. رضوان السيد، الأمة والجماعة والسلطة، دراسات في الفكر السياسية العربي الإسلامي، ت ١٩٨٤م، بيروت، لبنان.
- [٤] د. الشافعي محمد بشير، القانون الدولي العام في السلم والحرب، ط ٥، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- [٥] د. صلاح الدين عامر، تنظيم الدولة دار النهضة العربية القاهرة، ت ١٩٩٧م.

- [٦] د. عثان خليل، القانون الدستوري، الكتاب الأول في المبادئ الدستورية العامة، ت ١٩٥٦م، مطبعة مصر، شركة مساهمة مصرية.
- [٧] د. علي صادق أبو هيف، القانون الدولي العام، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- [٨] د. عمر أحمد قدور، شكل الدولة وأثرها في تنظيم مرفق الأمن، رسالة دكتوراه، ت ١٩٩٣، مطبعة الإسكندرية، مصر الجديدة.
- [٩] د. عمر حسن عدس، مبادئ القانون الدولي العام المعاصر، ت ٢٠٠٤م - ٢٠٠٥م، شركة مؤسسة الطوبجي للتجارة والطباعة والنشر.
- [١٠] أ. قرية نميري جهم، المبادئ العامة للشرعية الدستورية في القانون الوضعي والنظام الإسلامي، رسالة ماجستير، جامعة إفريقيا (٢٠٠١م)، رسالة غير منشورة.
- [١١] د. كمال الغالي، مبادئ القانون الدستوري والنظم السياسية، ت ١٩٩٣م، ط ١، منشورات جامعة دمشق.
- [١٢] أ. محسن أفكيرين، القانون الدولي العام، ت ٢٠٠٥م، ط ٧، دار النهضة العربية، القاهرة.
- [١٣] د. محمد الصادق عفيفي، الإسلام والعلاقات الدولية، ت ١٩٨٤م، إدارة الصحافة والنشر رابطة العالم الإسلامي.
- [١٤] د. محمد سامي عبد الحميد، د. محمد السعيد الدقاق، د. مصطفى سلامة حسين، التنظيم الدولي، ت ١٩٨٨م، الدار الجامعية، بيروت.
- [١٥] د. محمد عزيز شكري، مدخل للقانون الدولي العام، مطبعة جامعة دمشق.
- [١٦] د محمد كامل ليلة، النظم السياسية - الدولة والحكومة، دار الفكر الغربي.
- [١٧] أ. مرغني النصري، مبادئ القانون الدستوري والتجربة الديمقراطية في السودان، ت ١٩٩٨م، مطبعة دار الطباعة جامعة الخرطوم.
- [١٨] الندوة العالمية للشباب الإسلامية الأرض المباركة (فلسطين).

ثانياً: الاتفاقات الدولية:

- [١] اتفاقات لوكارنو، ١٩٢٥م.
- [٢] بروتكول جنيف، ١٩٢٤م.
- [٣] عهد عصبة الأمم، ١٩١٩م.
- [٤] ميثاق الأمم المتحدة، ١٩٤٥م.
- [٥] ميثاق باريس، ١٩٢٨م.

أهمية البنية التحتية وأثرها على المشروعات الإستثمارية

إعداد / د. التوم ادم يعقوب

الأستاذ المساعد بجامعة سنار - السودان

مستخلص:

تتناول هذه الورقة موضوع أهمية البنية التحتية وأثرها على المشروعات الإستثمارية. بحيث قامت بتعريف البنية التحتية وبينت مفهومها، والذي يقصد به مختلف المرافق والتشييدات التي تلبي حاجات المجتمع، مع ذكر أهميتها في تقديم خدماتها لكل القطاعات الإقتصادية، وإمكانية تطوير هذه الخدمات.

كما بينت أثر هذه البنية على المشروعات الإستثمارية من خلال دراسة لتقدير أثر رأس المال الإجتماعي على إنتاجية الصناعات الخاصة والتحويلية في الولايات المتحدة الأمريكية. وتأتي أهمية هذه الورقة في أنها إتبع المنهج الإستنباطي بغرض بيان تعريف ومفهوم البنية، والمنهج الإستقرائي بهدف معرفة أثر هذه البنية على المشروعات الإستثمارية. وأخيراً توصلت إلى أن البنية التحتية تمثل العمود الفقري وشريان الحياة لجميع الأنشطة الإقتصادية والإجتماعية والسياسية في المجتمعات المتحضرة. كما أوصت بضرورة تطوير هذه البنية وخدماتها حتي تتمكن المجتمعات من تحقيق التنمية والرفاه.

Abstract

This paper handles the importance of infra – structure and its impact on investment projects whereas, it defined the infra – structure and its concept which means any facilities which meet the community needs and mentioning its importance of offering its services to all economical sectors and the ability to improve services. Also this paper explained the impact of infra – structure on investment projects through studying social capital on especial industrial and

manufacturing industries production in the United State of America

This paper is important because it used the deductive methodology to explain the definition and concept of infra – structure and inductive methodology for recognizing the impact of infra – structure on investment projects.

Lastly the paper reached to that; infra – structure represents the backbone and lifeline to people, economical, social and political activities in the developed communities

Also the paper recommended to the necessity of developing infra – structure and it services so as to achieve development and prosperity.

المقدمة:

إن المشروعات العامة للدول تشيّد من خلال الإعتمادات المالية لها من الموازنات العامة من واقع الرؤية التخطيطية ومن واقع رؤية المجتمع لها. في ظل سياسات وموجهات واستراتيجيات الدولة الرامية لتوفير الخدمات الإجتماعية الأساسية لمواطنيها من (تعليم وصحة مياه وكهرباء) مع مقابلة توفير متطلبات السلام والإستقرار.

وتتركز أسبقيات التنمية في المشروعات الإستراتيجية بتأهيل البنيات التحتية لمرافق الري والمياه والكهرباء وإنشاء الطرق القومية والمطارات والموانئ وتوفير وسائل النقل والإتصالات واستخراج الطاقة، كما إن تنظيم الإستثمارات تتجه الى الصناعة وإلى تطوير الميكنة الزراعية وإلى التشييدات الخدمية العامة، كما تقوم بتمويل المشروعات الإنتاجية التي لها عائد يوجه إلى خدمة المجتمع نفسه. وبالتالي تسن التشريعات وتوضع اللوائح والقوانين المنظمة لذلك. وهذا مايعرف بالبنية التحتية والتي لا بد أن يكون لها أثر مباشر في تحقيق البنية الاستثمارية للدول. وبالتالي فإن دراسة الأثر شيء في غاية الأهمية. خاصة عندما يرتبط بعناصر التنمية.

وتشكل البنية الاساسية لأي بلد ركيزة أساسية من ركائز التنمية بها، كما إنها عامل مهم في تقديم الخدمات الاجتماعية والثقافية والتنموية والاقتصادية للمجتمع وامكانية القفز إلى مجتمع المعرفة والرقي والفضيلة الذي يشارك فيه المجتمع من خلال منهج علمي للبحث الإجتماعي والرصد والمتابعة والتخطيط الدقيق.

مشروعات البنية التحتية Infrastructure

تعريف ومفهوم البنية التحتية.

تعريف البنية لغة:

« جاء في المصباح المنير الباء مع النون وما يثلثهما. بني، الأصل بنو، وبنيت البيت وغيره أبنية وأبنيته فابني، مثل بعثته فانبعث. والبنيان ما يبني والبنية الهيئة التي بني عليها وبني علي أهله إي دخل بها. وأصله أن الرجل كان إذا تزوج بني للعرس خباءً جديداً وعمره بما يحتاج إليه. أو بني له تكرماً ثم كثر حتي كني به عن الجماع، وقال ابن دريد بني عليها وبني بها الأول أفصح هكذا نقله جماعة. ولفظ التهذيب والعامة تقول بني بأهله وليس من كلام العرب قال ابن السكيت بني علي أهله إذا زفت إليه»^(١).

«وتعريف التحتية، فجاء في باب الحاء وما يثلثهما، تحت نقيض فوق وهو ظرف مبهم لايتين معناه إلا بإضافة يقال هذا تحت هذا»^(٢).

«وجاء في باب بني في المعجم الوسيط. بني الشيء، بيا وبناء وبنينا: أقام جداره ونحوه. يقال بني السفينة، وبني الخباء. واستعمل مجازاً في معان كثيرة تدور حول التأسيس والتنمية. ويقال بني مجده، وبني الرجال، قال الشاعر: يبني الرجال وغيره يبني القري شتان بين قري وبين رجال. أبني فلاناً: مكنه أن يبني داره وبوجته: أدخله بها.

البنيان: ما بني، والبنية ما بني بني، البنية: ما بني بني، وهيئة البناء، ومنه بنية الكلمة أي صيغتها، وفلان صحيح البنية. البنية: كل ما يبني وتطلق علي الكعبة، البنية: بنية الطريق: طريق صغير متشعب من الجادة»^(٣).

« وجاء في باب تحت، تحت مقابل فوق. والنسبة إليها تحتي وتحتاني، والتحت: الكنز الدفين»

مفهوم البنية التحتية:

« البنية التحتية مصطلح عام يقصد به مختلف المرافق والتشييدات العامة التي يقع إنشاؤها بهدف تلبية حاجيات الإنسان الأساسية، فيستقلها في تأمين مجموعة من الخدمات والأنشطة المتلائمة مع

(١) أحمد بن محمد بن علي الفيومي: المصباح المنير، لبنان، مكتبة ناشرون ٢٠٠١، ص ٢٥

(٢) أحمد بن محمد بن علي الفيومي: مرجع سابق، ص ٢٨

(٣) إبراهيم أنيس، عبدالحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله: المعجم الوسيط، الجزء ١ - ٢، القاهرة ١٩٧٢

خصوصيات تلك المرافق. فالطرق والجسور والمطارات والسكك الحديدية والموانئ، تعد أمثلة تقليدية للبنية الأساسية فتلبي حاجة الإنسان الأساسية للنقل والتنقل، للمساهمة في أنشطة عديدة مثل التجارة والسياحة والشحن وغيرها^(١).

وينسحب هذا القول ذاته على أنماط أخرى من البنية التحتية كشبكات التصريف الصحي والعديد من المنشآت الرئيسية الأخرى في المدن والقرى، أو كالحزانات التي توفر إمكانية حفظ المواد الأساسية وتخزينها مثل المياه والوقود. أما بخصوص تكنولوجيا المعلومات والاتصال، فإن مصطلح البنية التحتية يشير في تعريفه التقليدي إلى شبكات الاتصالات التي توفر خدمة الهاتف الثابت التي تلبي حاجة أساسية لدى الإنسان ألا وهي إتصاله بأخيه الإنسان عن بعد.

« ومع التطور المتسارع لتكنولوجيا المعلومات والاتصال وما صاحبه في هذا المجال من إحتياجات متزايدة لإنسان العصر الحديث، أثرت تلك التطورات في مصطلح البنية التحتية وعمق مفهومها لتشمل وتتضمن بالإضافة إلى خدمات الهاتف الثابت، العديد من التجهيزات والمرافق التي تبني عليها كافة خدمات الاتصالات الحديثة من إنترنت وهاتف محمول وحواשב شخصية وإتصالات فضائية وغيرها^(٢).

«وأصبحت شبكة الإنترنت تمثل نموذجاً للطرق والجسور التقليدية التي تحقق المعلومات وتنقلها، وأصبحت الحواشب الخاصة نموذجاً (Servers) نموذجاً للخزانات الحافظة للمعلومات والمدخرة لها وتعتبر شبكة الإنترنت الدعامة الأساسية التي أفرزتها تكنولوجيا المعلومات والاتصال الحديثة لبناء مجتمعات المعلومات والمعرفة. وتحتل مكانة كبرى مساحة وحجماً. فهي تغطي حالياً جميع بلدان العالم تقريباً، وترتبط بين ما يفوق الـ ٢٠٠ ألف شبكة موزعة في شتى أنحاء البسيطة، ويستخدمها أكثر من مليار مستفيد بواسطة ما يربو على ٦٠٠ مليون حاسوب شخصي لاستغلال مختلف خدماتها، وخاصة منها محتواها المتنوع والثري والمتوفر على حوالي ٤٠ ألف مليون حاسوب وموقع وحوالي ٣٢٠ مليار صفحة ويب. وتعتبر البنية التحتية للاتصالات عاملاً محورياً لبناء مجتمع معلومات قادر على تحقيق الفائدة إلى ذلك الزاد المعرفي العالمي والمشاركة في إثرائه واستخدامه لبلوغ أهداف التنمية وترقية عيش الأفراد والمجتمعات والشعوب. لذلك

(١) عبد المجيد ميلاد: تكنولوجيا المعلومات والاتصال، الكويت ٢٠٠٥ ص ٩

(٢) هويشار معروف: التكنولوجيا والتحول الإقتصادي، الأردن، عمان، دار وائل للنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، ص ١٥

من المهم أن تحرص البلدان، في كل مكان على إرساء بنية تحتية للإتصالات مدروسة ومتكيفة مع الظروف الجغرافية والاجتماعية المحلية تعتمد مختلف التقلبات المتاحة بشكل يوفر بالنطاق العريض أو المدى الواسع broad band قادراً على استيعاب تدفق معلومات مختلفة الأحجام والأنواع، وفي أسرع وقت وبتكلفة معقولة»^(١).

«ويمكن تعريف مصطلح البنية التحتية (بأنه المظلة المعدة لعدة أنشطة يطلق عليها بصفة جماعية تعبير رأس المال الاجتماعي الثابت)»^(٢).

ومن المفاهيم الحديثة للبنية التحتية الاقتصادية^(٣):

« نخبرنا التاريخ الاقتصادي والتجارب التنموية الحديثة أنه من الصعوبة بمكان تحقيق تنمية اقتصادية حقيقية تتمتع بالاستمرارية من دون توافر بنية تحتية كافية تتمتع بالكفاءة والمفهوم التقليدي لها ينصرف إلى وافر خدمات الأمن الداخلي والخارجي والعدالة، بالإضافة إلى لائحة ممتدة من الخدمات العامة مثل توافر شبكة جيدة من الطرقات والمواصلات والإتصالات وخدمات الكهرباء والمياه والمطارات والموانئ وغيرها. أما المفهوم الحديث فيتضمن بالإشارة إلى ما سبق، توافر حد أدنى من خدمات الرعاية الصحية والخدمات التعليمية وتوافر البيئة الاقتصادية الملائمة لسياسات إقتصادية نقدية ومالية مشجعة على الاستثمار، وتوافر الإطار القانوني والقضائي الذي يحمي حقوق جميع الكيانات العاملة في الإقتصاد، أفراداً أو مؤسسات أعمال ». وبالرجوع الى تلك التعريفات وعلى الرغم من أن عناصر البنية التحتية غير متوافرة بالقدر الكافي أو الجودة الكافية أو كليهما في كثير من الدول النامية، فقد نجحت بعض الدول في تحقيق تقدم كبير في هذا الصدد بل إن مستوى الخدمات الحكومية في بعض الدول النامية يفوق مثيله في كثير من الدول المتقدمة إقتصادياً وهو إنجاز هائل بكل المقاييس وإن اختلفت حدود هذا الإنجاز من دولة لأخرى.

«وقد تواجه البنية التحتية عدة قضايا أساسية متمثلة في: إختلال التوزيع السكاني والتباين بين المناطق الإدارية في مجالات توزيع المرافق والخدمات العامة والتجهيزات الأساسية وعدم توفر قواعد بيانات لدي المناطق كافة، مع نقص في الكوادر»^(٤).

(١) عبد المجيد ميلاد: مرجع سابق ٢٠٠٥ ص ٩

(٢) وزارة المالية الإمارات العربية: قضايا اقتصادية، النشرة الاقتصادية العدد ١٤ يوليو ٢٠٠٣ ص ٣

(٣) جيمس كارليني: ورقة عن البنية التحتية، الرياض ٢٠٠٩ م ص ١، نت -

(٤) عبدالله بن علي المرواني: التخطيط التنموي، الإطار النظري والمنهج التطبيقي، معهد الإدارة العامة، السعودية، الرياض ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٥ م ص ٤١٥ .

«لقد أسهم هذا الإنجاز المتمثل في الإهتمام بالبنية التحتية إلى حد كبير في زيادة حجم الإستثمارات وتحقيق معدلات عالية من النمو الإقتصادي في تلك الدول. وعلى الرغم من أهمية خدمات البنية التحتية في تحديث الإقتصاد وتحقيق التنمية الإقتصادية فإن إستمرارية النمو الإقتصادي وتحسين الإقتصاد ضد الكثير من الأزمات والإختلالات الإقتصادية والمالية سواء كانت محلية أو دولية يتطلب توافر نوع آخر من البنية التحتية وهو ما يُطلق عليه البنية التحتية المالية.

ويمكن القول إن هذه البنية التحتية المالية تشير إلى المقومات القانونية والرقابية والتكنولوجية والبشرية التي توفر الإطار المؤسسي الملائم لعمل القطاع المالي بذراعيه الرئيسيتين (المؤسسات المالية والأسواق المالية) على نحو يتسم بالكفاءة والفاعلية ويسهم في تحقيق الأهداف الإقتصادية الإستراتيجية للمجتمع^(١).

«وقد أستخدم مصطلح البنية التحتية لأول مرة عام ١٩٢٧ في القرن التاسع عشر في فرنسا وذلك للإشارة إلى مجموعات الطرق والجسور وخطوط السكك الحديدية وما شابه ذلك لبدء العمل في نظام إقتصادي صناعي وقد أستخدم نفس اللفظ في المنشآت العسكرية»^(٢).

«ويطلق لفظ البنية التحتية: على كل ما هو متعلق بالمرافق والهيكل والنظم والعلاقات والمهارات التي تساعد المؤسسات والمنشآت على إنجاز أهدافها. وعموماً فإن البنية التحتية هي مجموعة مترابطة من العناصر الهيكلية التي توفر إطار دعم هيكلي. لذا فإن مفهوم البنية التحتية أوسع وأشمل فإنه يشير إلى الطرق والمطارات والمنافع. ومختلف هذه العناصر مجتمعة وقد زاد إستخدم هذا المصطلح وطبق على إطار أكبر وأضخم في كافة المجالات»^(٣).

ومع بدايات القرن العشرين ظهرت معالجات جادة تناولت فكرة التخطيط بشيء من التوسع كالإهتمام بمشروعات البنية التحتية المتمثلة في الخدمات الأساسية التي يحتاجها الإنسان كالمياه النقية وتوليد الطاقة وتعبيد الطرق وإنشاء خطوط السكة حديد والتعليم والصحة^(٤).

وعلى ضوء هذه المفاهيم والتعريفات يستطيع الباحث أن يسمي هذه الأنشطة بالمجالات والمرافق التالية:

(١) جيمس كاروليني مرجع سابق، ص ٢.

(٢) محمد أبو القاسم: الجمعية الليبية للذكاء، جامعة السابع من أبريل، محاضرة، ٢٠٠١ ص ٥.

(٣) منتدى الرياض الإقتصادي (الدورة الثالثة): الرياض، ورقة، قاعة الملك فيصل للمؤتمرات ٢٤ ذو القعدة ١٤٢٨ هـ، ص ٥.

(٤) بلول مختار: التخطيط الإقتصادي، الطبعة الأولى، الرياض، تهامة للطباعة والنشر ١٤٠٨ هـ، ص ٣٢.

أولاً: الخدمات الأساسية: هي الكهرباء، المواصلات السلكية واللاسلكية، وإمدادات الطاقة والمياه، والمرافق الصحية والتعليمية.

ثانياً: الخدمات الحيوية: هي الطرق والسدود والجسور وقنوات الري والصرف الصحي و المناطق الحرة والنفط والغاز الطبيعي والبتروكيماويات.

ثالثاً: خدمات النقل: السكك الحديدية والموانئ البحرية والممرات والمجاري المائية والمطارات.

«كما كانت البنية التحتية تسمى بالمشاريع الأساسية التي تمهد للنهضة الحديثة كما حدث بالنسبة للمملكة العربية السعودية، حيث أبرمت المعاهدات والاتفاقيات مع القوي الكبرى لإستخراج النفط ورصف الطرق والجسور وبناء المطارات وتأسيس مرافق التعليم والصحة وإنشاء محطات توليد الطاقة الكهربائية»^(١).

أهمية البنية التحتية:

إن البنية التحتية Infrastructure هي المشروعات التي تقدم الخدمات لكل القطاعات الإقتصادية في لحظة واحدة ويستفيد منها قطاع الأعمال والقطاع العام لأي دولة بصورة كبيرة وواضحة في زيادة الناتج القومي الإجمالي للمجتمع (GNP) وأيضاً يستفيد منها القطاع العائلي في تحقيق الاستقرار الإجتماعي.

«وعادة ماتدخل الدولة لتحقيق مواءمة واعية بين الناتج القومي وهيكله من جهة وبين الحاجات الإجتماعية (المرافق والبنية التحتية) من جهة أخرى، وذلك في شكل تصميم وتنفيذ برامج عمل مستقبلية لضمان إتجاه تحريك الإقتصاد»^(٢).

«ومن عناصر الإستراتيجية الجديدة هناك إعتبرات منهجية مهمة يجب أن تؤخذ في الإعتبار بشأن مبررات وأهداف التركيز علي قيام المرافق العامة (البنية التحتية) بقصد عملية التحول وتدخل الدولة لحفز المستثمرين ودفعهم إلي مصالحهم في تعظيم أرباحهم»^(٣).

(١) السلوم حمد: التطور التنظيمي للأجهزة الحكومية، الرياض ١٤١٩هـ، ص ٧ - ١١

(٢) قنديل عبدالفتاح: إقتصاديات التخطيط، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٢م، ص ٢٣

(٣) سعيد النجار: نحو إستراتيجية قومية للإصلاح الإقتصادي، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الشرق ١٩٩١م، ص ٣٠

«ومن العوامل الاقتصادية الرئيسة التي لها دور في تحديد العرض والطلب وتحديد مستوى الأسعار، هو توسع الدولة في إنشاء رأس المال الاجتماعي مثل التوسع في إنشاء طرق المواصلات والكهرباء والمياه وتحسين المرافق العامة»^(١).

ولقد اختلفت المفاهيم والنظريات الاقتصادية منذ العصر (الكلاسيكي) و(النيوكلاسيكي) في تعريف رأس المال الاجتماعي، إذ كان يقوم رأس المال الاجتماعي على مبدأ الحرية الاقتصادية. ولكن ظاهرة الكساد العظيم وإفراز البطالة كنتيجة لها أدى لظهور النظرية الحديثة التي نادى بضرورة تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي، فعرف رأس المال الاجتماعي بالمشروعات التي يحتاج إليها المجتمع بكل قطاعاته وأنشطته الاقتصادية ويتطلب رؤوس أموال ضخمة جداً وقلة العائد على هذه الأموال وطول فترة إسترداد رأس المال مما يدفع المستثمرين للإحجام عن الدخول فيها وهي مثل:

شق القنوات - تعبيد الطرق - تشييد خطوط السكة حديد - استنباط الطاقة - إقامة السدود والخزانات - بناء المرافق العامة.

«وللتعرف أكثر يمكننا قياس مدى إنتاجية النشاط الحكومي (رأس المال الاجتماعي) بالدراسة التالية^(٢):

«لقد جرت هناك محاولات عديدة لقياس مدى إنتاجية النشاط الحكومي في دول إقتصاد السوق وتوصلت هذه المحاولات إلى نتائج متضاربة بشأن إنتاجية هذا النشاط، فقد حاولت إحدى الدراسات قياس أثر رأس المال الاجتماعي (خاصة البنية التحتية) على الناتج الصناعي الخاص في ٤٨ ولاية أمريكية عبر الفترة ١٩٦٩ - ١٩٨٦ وقامت هذه الدراسة بتقدير دالة إنتاج مستخدمة الناتج الصناعي الخاص كمتغير تابع والعمالة الخاصة ورأس المال الخاص، ورأس المال الاجتماعي كمتغيرات تفسيرية وخلصت الدراسة إلى أن مرونة الناتج الصناعي الخاص لرأس المال الاجتماعي في الولايات المتحدة لا تختلف جوهرياً عن الصفر. وتفسير هذه النتيجة لا يعني أن البنية التحتية غير هامة وأنها لا تؤثر على المستوى الصناعي في الولايات المتحدة وإنما يعني أن رأس المال الاجتماعي في الولايات المتحدة الأمريكية قد وصل إلى مرحلة متقدمة بحيث أن الإلتفات إليه لم يعد هو العامل الأساسي في زيادة الناتج الصناعي الخاص.

(١) محمد خليل برعي، علي حافظ: مقدمة في النظرية الاقتصادية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩١م، ص ١٠٦.

(٢) عبد القادر محمد عبد القادر: اتجاهات حديثة في التنمية. الدار الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠٢/٢٠٠٣م، ص ٢٠٣.

ولكن أصبح الدور الأساس في النمو موكول لكل من رأس المال الخاص والعمل الخاص للذان أثبتت الدراسة أنها يؤثران تأثيراً جوهرياً على الناتج الصناعي».

«ويؤكد جميع الإقتصاديين على الأهمية الكبيرة لتراكم رأس المال في تحقيق التنمية ويتم من خلال عملية الإستثمار والتي تستلزم توفر حجم مناسب من المدخرات الحقيقية بحيث يتم من خلالها توفير الموارد لأغراض الإستثمار ويمكن أن تتم في البنية التحتية مثل خدمات النقل والاتصالات وتوليد الطاقة»^(١).

«ولقد حاولت دراسة أخرى أن تجيب على سؤال محدد طرحته منذ البداية:

هل الأنشطة الحكومية منتجة؟

وللإجابة على هذا السؤال إختبرت هذه الدراسة أثر الإنفاق الحكومي الرأسمالي (البنية التحتية) والجاري على إنتاج القطاع الخاص غير الزراعي في ٤٨ ولاية أمريكية خلال ١٩٧٠ - ١٩٨٦ وقامت الدراسة بتقرير دالة إنتاج للقطاع غير الزراعي الأمريكي الخاص مستخدمة رأس المال الخاص، والعمالة الخاصة، ورأس المال الاجتماعي (الإنفاق الحكومي على الطرق والصرف الصحي وغيرها) والإنفاق الحكومي الجاري كمتغيرات تفسيرية. ولقد انتهت الدراسة إلى أن رأس المال الاجتماعي إنتاجيته سالبة في تأثيره على القطاع غير الزراعي الخاص، وأن النوع الوحيد المنتج في الخدمات الحكومية الجارية هو الخدمات التعليمية وتفسير هذه النتيجة هو أنه كان هناك إسراف في إقامة البنية التحتية في الولايات الأمريكية المتحدة (over provision) مما أدى لسوء تخصيص الموارد. فلو تم تحويل جزء من المبالغ المنفقة على البنية التحتية إلى الاستثمار في القطاع الخاص لما نقص الناتج غير الزراعي الخاص وإنما ربما ازداد. وهذا يشير إلى وجود طاقة عاطلة بالبنية التحتية كما أشارت الدراسة إلى أن الإفراط في استثمار البنية التحتية ينصرف على الجانب الكمي فقط وأن هناك استهانة بالتنوع. وربما تتحول الإنتاجية السالبة لرأس المال الاجتماعي إلى إنتاجية موجهة إذا تم تحويل التوسع الأفقي فيها إلى توسع رأسي يركز على تحسين النوعية»^(٢).

تطوير خدمات البنية التحتية:

« تمثل البنية التحتية العمود الفقري وشریان الحياة لجميع أنشطة الحياة الإقتصادية والإجتماعية والسياسية في المجتمعات المتحضرة. وبدونها لا يمكن تحقيق أي تطور أو رفاهية حضارية في

(١) سعيد النجار، مدحت القرشي، التنمية الإقتصادية، نظريات وسياسات وموضوعات، الطبعة الأولى، دار وائل للنشر، الأردن ٢٠٠٧، ص ١٣٥

(٢) عبد القادر محمد عبد القادر: مرجع سابق، ص ٢٠٤.

المجتمع. وهذه الحقيقة تؤكدتها الدراسات والأبحاث القديمة والحديثة، كما تؤكدتها الرؤية الواقعية الراشدة لما تؤدي إليه خدمات البنية التحتية من دعم وتكامل وربط لمقومات الاقتصاد. وقد أوضحت معظم الدراسات التأثير الإيجابي لتوفر خدمات البنية التحتية وخصوصاً الاتصالات والطرق. فليس من المصادفة أن تكون الصين وسنغافورة وماليزيا وتايلاند، والتي إستثمرت جزءاً كبيراً من ناتجها المحلي الإجمالي في تطوير خدمات البنية التحتية، في مصاف أفضل الدول أداءً بين إقتصاديات العالم اليوم، ولما لخدمات البنية التحتية من أهمية في تحقيق التنمية المستدامة، فمن الملاحظ أن معظم دول العالم المتقدم تتنافس في الاستثمارات في مجالاتها المختلفة، حيث تنفق الدول على بناء البنية التحتية وتحسينها وتطويرها وصيانتها وإعادة تأهيلها، وتعلق الدول المتقدمة على ذلك أهمية كبرى كوسيلة لتطوير الإقتصاد الوطني وزيادة كفاءة الإنتاج الصناعي»^(١).

ونلاحظ أن كثيراً من الدول النامية قد سارت في ذلك الإتجاه لأنه الطريق إلى التنمية. «وتشكل مشروعات البنية التحتية لأي بلد ركيزة أساسية من ركائز التنمية بها كما إنها عامل مهم في تقديم الخدمات الإجتماعية والثقافية والتنموية والإقتصادية للمجتمع لإمكانية القفز إلى مجتمع المعرفة والرقى والفضيلة الذي يشارك فيه الجميع من خلال منهج علمي للبحث الإجتماعي والرصد والمتابعة والتخطيط الدقيق.

ومن الناحية التاريخية فإن الإستعمار البريطاني للسودان في الحقبة قبل الأخيرة من القرن الثامن عشر حاول إنشاء عدد من مشاريع البنية التحتية فقامت حكومة اللورد كتشنر بإنشاء خطوط السكك الحديدية عام ١٨٨٩م بهدف خدمة المجهود الحربي آنذاك والتي بدأت من وادي حلفا شمالاً لتكتمل باقي الخطوط تبعاً، فنجدتها وصلت إلى مدينة نيالا غرباً وإلى مدينة واو جنوباً والدمازين في الجنوب الشرقي ومدينة بورتسودان شرقاً واستجلبت القاطرات وعربات الركاب التي ساعدت في نقل الجمهور وترحيل المحصولات الإنتاجية للبلاد. ومن ثم قام المستعمر بإنشاء مشروع الجزيرة لزراعة القطن توطئة لإرساله إلى بريطانيا حيث مصانع الغزل والنسيج»^(٢).

«ولذلك أنشأت الحكومة البريطانية آنذاك خزان سنار عام ١٩٢٥م بغرض مد مشروع الجزيرة بالمياه عن طريق الري الإنسيابي وأيضاً لتوليد الطاقة الكهربائية التي أفتتحت محطاتها في عام ١٩٦٢م. كذلك قام المستعمر بإنشاء ميناء بورتسودان على البحر الأحمر وتأسيس مصلحة البريد والبرق والمواصلات والبدء في تشييد خزان الروصيرص لحماية البلاد من الفيضانات وتخزين المياه

(١) ندى الرياض الاقتصادي: مرجع سابق ص ٦.

(٢) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: هيكل الاقتصاد السوداني، النشرة الاقتصادية اليومية، ٢٨/٩/٢٠٠٦م، ص ١٢ - ١.

للإستفادة منها في توليد الكهرباء. ومن بعد ذلك واصلت الحكومات الوطنية إنشاء وتأسيس مشروعات البنية التحتية الخدمية المتمثلة في تأسيس المدارس والمستشفيات والمراكز الصحية والكهرباء والطرق والكباري والخطوط الجوية والبحرية.

وقد تنبّهت الدول المتقدمة مثل الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول غرب أوروبا واليابان ولحقت بهم مؤخراً كل من ماليزيا وأستراليا والصين وكوريا الجنوبية، لأهمية تطوير خدمات البنية التحتية الوطنية حيث نجحت تلك الدول باللاحق بركب التنمية الحديث بإستمرار التخطيط والتطوير والتمويل لتشييد البنية التحتية وتشغيلها وصيانتها بكفاءة، الأمر الذي وضعها في مصاف الدول المتقدمة^(١).

«وتبعاً لذلك أنشئت في الأقطار الرأسمالية هيئات خاصة لتنظيم الإقتصاد بأسره مثل لجنة التخطيط العام والبنية التحتية في فرنسا ومكتب التخطيط المركزي للبنات التحتية في هولندا، ومجلس التنمية القومي في بريطانيا، وأصبحت جزءاً من الجهاز الإداري الحكومي ويكمن عملها في تأسيس وتأهيل البنية التحتية»^(٢).

«وفي رأي الباحث إن أبرز ما يدل على أهمية الإستمرار في تخطيط خدمات البنية التحتية وتطويرها وتمويلها وتنفيذها ما توصل إليه البنك الدولي، فيما يخص ضرورة إستمرار تنمية قطاعات الخدمات المختلفة وأثرها على حركة الإقتصاد الوطني. والتي يمكن تلخيصها فيما يلي^(٣):

١ - يساعد توفر تجهيزات البنية التحتية على زيادة الناتج المحلي الإجمالي بطريقة مباشرة من خلال زيادة فعالية وإنتاجية رأس المال، ويتم ذلك بزيادة جاذبية المنطقة التي تخدمها هذه التجهيزات التي تعمل في الوقت نفسه على تنشيط وإنعاش سوق البناء والتشييد.

٢ - يؤدي توسيع شبكة خدمات البنية التحتية إلى نمو الإقتصاد الوطني وزيادة الفعالية المالية وتطور الهيكل الإجتماعي وخصوصاً نمو المراكز الحضرية والمناطق الأخرى المرتبطة بعضها البعض.

٣ - يمكن أن تؤدي الصيانة غير الكافية لتجهيزات البنية التحتية إلى زيادة تكاليف الإنتاج، كما يمكن أن تؤدي إلى إنبهار الأنشطة الإقتصادية في حالة تفاقم نقص الصيانة.

(١) وزارة المالية والإقتصاد الوطني، مرجع سابق ص ١٢ .

(٢) عزيز محمد: التخطيط الإقتصادي الشامل، جامعة قارونس، بنغازي ١٤٠٧هـ، ص ٢٣ .

(٣) وزارة المالية والاقتصاد الوطني، مرجع سابق، ص ١٣ - ٣ .

٤ - كما إن الإستثمارات الإستراتيجية طويلة المدى في تخطيط خدمات البنية التحتية وتطويرها وتمويلها وتشبيدها وتشغيلها وصيانتها بكفاءة مستمرة، يعد مطلب إقتصادي أساسي لنمو الإقتصاد الوطني.

٥ - كما إن التوسع في إستخدام التقنية المتقدمة وتوفير قاعدة معلومات متطورة يعمل على زيادة الإسهام الإيجابي في تطوير خدمات البنية التحتية ورفع كفاءة أدائها ويؤدي إلى نمو الإقتصاد الوطني.

«ويري الإقتصاديون أن البنية التحتية هي مشروعات عامة للمجتمع، تشمل شبكة المواصلات والقوي المحركة ومحطات خدمات المياه والمدارس والمشافي. حيث تحظى بحوالي ٤٠٪ من جملة التراكم الرأس مالي في الدول المتقدمة ولذلك ينصح هؤلاء الإقتصاديين الدول النامية بتخصيص هذه النسبة لإقامة مثل هذه المشروعات الحيوية، والتي يمكن بها نهضة الإقتصاد حال توفرها»^(١).

«ويعد التخطيط لقيام مشروعات بنية تحتية خياراً إستراتيجياً للدول النامية التي تسعى لتخليص إقتصادياتها وإجتماعياتها من العيوب، ورفع مستوى المعيشة وتحسين نوعية الحياة لمواطنيها وذلك من خلال إنشاء البنية التحتية والتجهيزات والمرافق الضرورية كنقطة إنطلاق ضرورية لبدء المسيرة التنموية وترشيد إستغلال الموارد الإقتصادية»^(٢).

«ويمكن القول بأن ضرورة التخطيط للتقدم الإقتصادي والإجتماعي لمشروعات البنية التحتية كآلية لتحقيق التقدم والتنمية، تبدو واضحة من أجل تجنب سلبيات الإقتصاد المعتمد علي التطور التلقائي للبنية التحتية المحفزة للإستثمار وتحقيق الإستخدام الأمثل لجميع الموارد في المجتمع لصالح تطوره»^(٣).

«كما يقصد بالتنمية التغيرات الهيكلية التي تحدث في المجتمع بأبعاده المختلفة من إقتصادية وسياسية وإجتماعية وفكرية وتنظيمية، مثل تأسيس مشروعات البنية التحتية من أجل توفير الحياة الكريمة لجميع أفراد المجتمع»^(٤).

(١) محمد علي الليثي: التنمية الإقتصادية، مفهومها - نظرياتها - سياساتها، الدار الجامعية للنشر، الإسكندرية ٢٠٠٤م، ص ٢٢٤.

(٢) مسعود مجيد: التخطيط للتقدم الإقتصادي والإجتماعي، دار الشباب للنشر، قبرص ١٩٨٧م، ص ٧.

(٣) كريم كريمة: التخطيط العيني والمالي للإقتصاد القومي، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٨ن، ص ١٩.

(٤) الحبيب فائر: مبادئ الإقتصاد الكلي، الطبعة الرابعة، الرياض ١٤٢١هـ، ص ٤٧٨ - ٤٨٠.

«ويجيب التنبؤ بالطلب على الإستثمار له دور مهم فيخطيط وتأسيس مشروعات البنية التحتية، لأن المبيعات هي المورد الأساسي لإيرادات المشروع الإستثماري كما أنها المحدد الأساسي لكمية الإنتاج الواجب إنتاجها أو تقديمها للمستهلك أو التصدير إلى الأسواق الخارجية»^(١).

ويهدف متابعة مدي كفاءة التطوير المؤسسي والتنظيمي في ملاحقة التطورات المنهجية لتخطيط وتأسيس البنية التحتية. ولقد أعتمدت بلدان كثيرة تخطيط البنية الاقتصادية والإجتماعية، كخطط أولي»^(٢).

«وعادة ماتقوم الدولة بإتفاق أموالها لإنجاز خدمات عامة يستفيد منها المجتمع. ويلاحظ عادة أن نفقات الحكومة من الميزانيات العامة توجه لتحقيق الخدمات العامة دون ما إنتظار لعائد معين مقابل الخدمات فتكون مجالات الصرف في:

الحفاظ علي كيان الدولة وأمنها وزيادة الدخل القومي والثروة الحقيقية للمجتمع والحد من التقلبات الإقتصادية التي تعيق التقدم الإقتصادي للدولة ونشر خدمات التعليم والصحة والمياه والكهرباء وبنيات النقل والطرق والسكة حديد وكذلك تحسين مستوي المرافق العامة»^(٣).

«كما أن رأس المال الثابت هو عبارة عن المباني والألات والقنوات والمخزون من المواد الأولية، غيرها، تسعى الحكومات لإنشائها»^(٤).

ويجيب الإهتمام بالمرافق الحيوية للخدمات الأساسية التي يحتاجها الإنسان كتطور مهم لقيادة المجتمع. خاصة تلك التي تساهم في خلق الوعي وتأمين حياة الناس، مثل التعليم والصحة والمياه والكهرباء.

«بحيث يعتبر قطاعي التعليم والصحة من العوامل الأساسية التي تقف وراء عملية الإنتماء المتجدد ذاتياً؛ لأنها تؤدي إلى إحداث تغييرات أساسية في مواقف ورؤية الأفراد في المجتمع حيث تسهم في القضاء علي الأمية والإهتمام الكافي بمشكلة الانفجار السكاني والقضاء علي الأمراض وتفشي العافية والثقافة الصحية»^(٥).

- (١) عبد العظيم سليمان المهل: مبادئ علم الإقتصاد، دار الأنوار للطباعة والنشر، دمشق ٢٠٠٣م، ص ١٥٦
- (٢) رزق أحمد عبدالرحيم: التخطيط الإقتصادي، النظرية، الأساليب، الطبعة الثالثة، جامعة الزقازيق، القاهرة، ص ٤٥
- (٣) عثمان إبراهيم السيد: الإقتصاد السوداني، الطبعة الثانية يناير ٢٠٠٣، ص ٩٨ - ٣
- (٤) أحمد جامع: النظرية الإقتصادية، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٦م ن ٨٩
- (٥) محمد عبد العزيز عجمية ومحمد علي الليثي: التنمية الإقتصادية، الأسكندرية ٢٠٠٤م، ص ١٣٩ - ١٤٠

«وعادة تؤخذ المنافع من تنمية الكهرباء المائية علي أنها الوفورات في التكاليف بالمقارنة بالمصدر البديل للطاقة والأكثر إقتصادياً. وفي نظام مائي بخاري مختلط فإن البديل البخاري المفترض للمائي لمقابلة متطلبات أقصى الإنتاج سوف تنتج الطاقة عند مستويات مادون الذروة الإنتاجية بطريقة إقتصادية أكثر من المصانع الموجودة والأقدم والأقل تكلفة»^(١).

وتعتبر الطاقة الكهربائية مهمة لكل العمليات الصناعية والزراعية كما حوجتها لخدمات الإنسان اليومية.

«ولقطاع النقل دورٌ مهمٌ كقطاع رائد في مجال الخدمات وذو أهمية إقتصادية وله القدرة في إستحداث فعاليات القطاعات الأخرى في إطار التشابكات الهيكلية. وتوليد الناتج القومي وتوفير فرص العمالة وإستتباب الإستثمارات الربحية وتوسيع آفاق العلاقات الإقتصادية الدولية وإستغلال الموارد والإمدادات العمرانية والتوسع والتوطين الزراعي ودعم البنية التحتية وإعمار المناطق النائية وتنشيط السياحة ونقل السلع والركاب وتعظيم المنافع بما يتواءم مع النظام»^(٢).

«وتعتبر وسائل النقل من أهم مجالات البنية التحتية للخدمات الأساسية التي تعتمد عليها الدولة في التنمية في كل مراحلها ومجالاتها السياسية والإقتصادية والثقافية والاجتماعية. حيث أنها عامل في بناء النسيج الإجتماعي والثقافي الذي يؤدي إلي نهضة البلاد ورفاهية الشعب. كما تعتبر ذات دورٌ مهمٌ في الإقتصاد لأنها تساعد في ربط أنحاء البلاد بالعالم الخارجي»^(٣).

إن هذه المشروعات في تشييدها لابد من توفير التمويل اللازم لها، فهنا تكمن أهمية المصارف المالية كبنية مهمة في التوفير والتأمين والحفاظ علي الثروة.

«إذ تقوم المصارف بدور جوهري في الحياة الإقتصادية المعاصرة وتلقي في أكثر بلاد العالم تنظيمها قانونياً شاملاً، بحيث يجعلها أداة فعالة في النهوض بتلك البلاد من مختلف النواحي الإقتصادية والاجتماعية وتعتبر الأعمال الإستثمارية من أهم الأعمال التي تباشرها المصارف، وتؤدي عن طريق هذه الوظيفة خدمة جوهريّة للإقتصاد القومي. ومن المعروف أن المصارف تعمل علي إجتذاب الودائع والمدخرات حتي تكون في مركز مالي يمكنها من ان تنزل الي ساحة الإستثمار لتستثمر

(١) انطوني فيشر: اقتصاديات الموارد والبيئة، ترجمة: عبد المنعم ابراهيم، أحمد يوسف، مراجعة: سرور علي، تقديم:

خالد بن عبدالله، السعودية، دار المريخ للنشر، الرياض ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ١٥٩

(٢) حمد سليمان المشوفي: إقتصاديات النقل والمواصلات، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ١٤١ - ١٥١ -

(٣) عثمان خضر بابكر: الإتصالات في السودان وأثرها علي النمو الإقتصادي، الخرطوم ١٩٨٥، ص ٢٣ - ١

أموالها. إما في أوجه الإقراض البحثية، وإما بالبحث عن أوجه استثمار أخرى، كتوظيفها في أسهم الشركات المساهمة، الصناعية والتجارية والمالية والعقارية، أو الإشتراك في تأسيس الشركات والإكتتاب في جزء، قل أو أكثر من رأس مال. وهو ما يجعل المصرف في هذه الحالة يقوم بمهمة الشركات التي تسمى بالشركات القابضة»^(١).

«ومن هنا يبدو واضحاً وجلياً بالدور الذي يباشره المصرف المودعي من ناحية، ومع المستثمرين من ناحية أخرى وهو دور وسيط بين رأس المال والعمل وهذه حقيقة دوره من الناحية الاقتصادية»^(٢).

أثر البنية التحتية علي المشروعات الإستثمارية

«ومن بين الدراسات التي سارت في هذا الإتجاه واحدة قامت بإختيار أثر البنية التحتية بوجه عام والاستثمار الحكومي في البحث والتطوير بوجه خاص على تكلفة الإنتاج من ١٢ صناعة تحويلية في الولايات المتحدة خلال الفترة (١٩٥٦ - ١٩٨٦م) ولقد اتبعت الدراسات أسلوباً أكثر تحديداً في تقديرها لأثر رأس المال الاجتماعي على إنتاجية الصناعات الخاصة. فما يؤثر على الإنتاجية في صناعة ما، ليس كل ما هو متاح من رأس مال اجتماعي وإنما ما يقدمه فقط من خدمات لهذه الصناعة. لذا يتعين تحديد المقدار الذي تستفيد به كل صناعة من رأس المال الاجتماعي وفقاً لعاملين هما وزنها النسبي بين الصناعات ونسبة تشغيل طاقتها الإنتاجية ويؤخذ هذان العاملان في الإعتبار. وقد قامت الدراسة بتقدير دالة التكاليف لإثني عشر صناعة تحويلية كل علي حدة ثم لها جميعاً دفعة واحدة واستخدمت متوسط التكلفة كمتغير تابع، والعمل الخاص، ورأس المال الخاص والمدخلات الوسيطة، بالإضافة إلي البنية التحتية والاستثمار الحكومي في البحث والتطوير كمتغيرات تفسيرية.

وانتهت الدراسة إلي أن الاستثمار في البنية التحتية وفي البحث والتطوير يؤثران جوهرياً وعكسياً علي متوسط التكلفة في الصناعات التحويلية محل الدراسة وفي تفسير هذه النتيجة، أنه في كثير من الحالات يعتبر رأس المال الاجتماعي إما بديلاً أو مكماً لرأس المال الخاص مع زيادة في رأس المال الاجتماعي بالإضافة إلي أن الاستثمار الحكومي في البحث والتطوير يزيد في إنتاجية الصناعات الخاصة بما تقدمه من تقدم تكنولوجي يمكنها استخدامه. وما تقتضيه هذه الدراسة هو

(١) محمد صلاح محمد الصاوي: مشكلة الاستثمار في البنوك الإسلامية، الطبعة الأولى، دارالقضاء للنشر، المنصورة ١٩٩٠، ص ١١١

(٢) محمد صلاح محمد الصاوي - المصدر السابق، ص ١١١

درجة استعادة جميع الأنشطة الخاصة في رأس المال الإجتماعي ليست واحدة بالرغم من أن الكمية المتاحة منه للجميع متساوية»^(١)..

«عندما أرادت الدول الغربية أن تبني نهضتها الإقتصادية بدأت أول ما بدأت بترتيب ما يسمى في عرف الإقتصاد بالبنية التحتية فصرفت على الطرق والجسور والمنشآت الأساسية والمرافق الصحية والمطارات والموانئ، ووسائل الاتصال المتاحة، بل شملت النظم والقوانين التي تهيم المناخ المناسب للإستثمار والتنمية الشاملة، ولذلك نجحت، ثم خطت خطوات أخرى نحو الرفاهية والمزيد من التنمية الشاملة وعلى عكس ذلك، بدأت معظم دول العالم الثالث بالرفاهيات، ونقل أحدث ما تصنعه التكنولوجيا الحديثة، ولذلك صرفت مئات المليارات، بل التريليونات ولم تتحقق التنمية، ولا الصناعة ولا الرفاهية»^(٢).

«ولتحقيق السيادة الوطنية والإستقلال السياسي والإقتصادي، تسعى الدولة دائماً لإستثمار الموارد الطبيعية لتأسيس المشروعات العامة (البنية التحتية) بهدف التنمية الإقتصادية التي تغير البنيان الإقتصادي الذي يحقق الرفاهية الإقتصادية»^(٣).

«وحديثاً هنا نجد أن حكومة السودان قد سمت البنية التحتية لكل المناشط فمن خلال مشروع الإستراتيجية ربع القرنية لقطاع التوجيه والشئون الإجتماعية ركزت على قضايا السكان والتنمية والحماية والرعاية الإجتماعية والتعليم العام والعالي والإعلام والاتصال والتقانة والثقافة والبحث العلمي والإرشاد والأوقاف والشباب والرياضة. وتميزت تلك الإستراتيجية بالشمول والأصالة مع التجديد والمعاصرة وهدفت إلى تأسيس نهضة تنموية حضارية شاملة»^(٤).

ومن خلال إطلاع ومتابعات ومشاركات الباحث يري أن إيجابيات كبيرة في بنيات تلك المشروعات قد تحققت ومثال لذلك:

١ - حدثت طفرة إعلامية كبيرة في تغطية البث الإعلامي داخلياً وخارجياً وقيام بعض الشركات والنشاطات الإعلامية والإتصالية المختلفة.

(١) عبد القادر محمد عبد القادر: مرجع سابق، ص ٢٠٤.

(٢) وجدي سالم: الجمعية الليبية للذكاء، جامعة السابع من أبريل، ٢٠٠١ ص ٣ نت .

(٣) السيد عبد المولي: أصول الإقتصاد، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٢٢١.

(٤) قطاع التوجيه والشئون الاجتماعية: السودان، الإستراتيجية ربع القرنية (٢٠٠٤ - ٢٠٢٨) ص ٨.

٢ - توحدت الرؤى في مجال التقنية والبحث العلمي محليا بإنتشار الخدمات التعليمية مع تطور في البيئة والسياسات والتشريعات التعليمية لمصلحة المجتمع وذلك بزيادة وإنتشار مؤسسات التعليم العام والتعليم العالي في معظم ولايات السودان كما توسعت مؤسسات التعليم الأهلي وتضاعفت فرص القبول إليها. وقامت بتشجيع الابتكارات والخلق والإبداع.

٣ - ترسيخ مفهوم البنيات التحتية ذات الشخصية الاعتبارية كأداة تنفيذية للعمل الثقافي وقيام مجلس المصنفات الأدبية والفنية وكذلك الشروع في المسح السياحي والأثري وإعداد الخريطة الإستثمارية وصيانة الآثار السودانية والترويج لها وصدور التشريعات السياحية المنظمة.

٤ - إنشاء إدارات العقيدة والدعوة بالولايات وقيام هيئتي الحج والعمرة والأوقاف الإسلامية.

٥ - تحقيق بعض المكاسب والإنجازات في مجال العمل الإجتماعي والسكاني والمرأة والطفل.

«إلى ذلك فإن ضمن أهداف التنمية بالمملكة العربية السعودية تركيز إهتمام السياسة في الأساس علي النمو السريع وتكملة مجموعة متزايدة من سياسات الرفاهية الإجتماعية. وبسبب الإيرادات النفطية الهائلة والعمالة الصغيرة نسبياً فإن رغبة الحكومة في معدلات التنمية وإختيار أسلوب كثافة رأس المال التي تعظم الإنتاج عن طريق الإستثمار الحكومي، فركزت علي بناء وتوسيع موارد الدولة. وكما هو متوقع كان إدراك وجود الفائض المالي حافزاً لزيادة مدي وحجم الخدمات الحكومية ويعد فعل ذلك إلي حد ما خياراً جذاباً للحكومة كوسيلة لإعادة توزيع الدخل ورفع مستوى المعيشة وبهذه الإستراتيجية مثلت الحكومة المستخدم الأخير لمشروعات (الصحة والتعليم والنقل)»^(١).

«والإستراتيجية ربع القرنية للقطاع الاقتصادي في السودان قد جاءت مستندة في إطارها الكلي وحركتها واستدامة نجاحها على مجموعة متكاملة ومتجانسة في المبادئ والأسس والموجهات المستوحاة من الرؤيا ربع القرنية ومن مرجعية المجتمع السوداني القائمة على إعلاء القيم الإيمانية الداعية للتقدم النوعي والإرتقاء لقيم العدالة والمساواة في توزيع الثروة. وفرص العمل المعتمدة على الذات دون انكفاء أو إنغلاق في عالم تتسع فيه دائرة الأعمال المتشابكة والمصالح المتبادلة للدول والشعوب. واعتمدت نهجاً اقتصادياً يلتزم الوسطية قيماً على الرفاه وألا يصير إلي دولة بين القلة مطلقاً الحرية الكسب وألا تنجح لفوارق أو فساد وإفساد أو غش، ضابطاً للممارسات بتحرير أصول

(١) روجر بأولز، ديفدك وبنز، التخطيط الإقتصادي علي المستوي الجمعي، تعريب: نعمة الله عجيب، ومراجعة: محمد حمدي، تقديم: سلطان بن محمد، السعودية، الرياض، دارالمرخ للنشر ١٤١٤/١٩٩٤م، ص ١٩٣

المنافسة والكسب الحلال، ومقيماً لعدالة إجتماعية تشجع تنوع الثقافات ورفيع الموروثات، متواصياً بالبر والإحسان لرفي الإنسان السوداني إنتقالاً من المواطن الصالح إلى الإنسان الصالح»^(١).

«كما أن الإستراتيجية ربع القرنية تدعو علي الإعتماد على الذات محركاً ومعبئاً لطاقات الأمة ومحرضاً على المنافسة والتعاون مستمسكاً بقيم المجتمع الإيمانية معلماً لقيمة العمل والإنتاج.

وتقوم الأهداف الكلية للقطاع الإقتصادي على توسيع الطاقة الإنتاجية والإستيعابية لكل القطاعات والمناشط الإقتصادية وتوجيه الإنفاق العام الحكومي والإستثمار الأهلي والخاص واستقطاب المدخرات بما يحقق التنمية المتوازنة والمستدامة في البنيات التحتية والخدمات الأساسية المختلفة بنسب لا تقل عن النسب العالمية وتحقيق التوازن الجغرافي والقطاعي والإجتماعي عدلاً ومساواة في توزيع الثروة والدخل والمعاش والإستخدام ورفع مستوى دخل الفرد ورفع معدلات الإدخار. وتحقيق معدل نمو سنوي موجب في الناتج القومي الإجمالي»^(٢).

وكتقييم لتلك التطلعات والموجهات التي أتت بها الإستراتيجية ربع القرنية ظهرت مؤسسات مالية إسلامية تمثلت في المصارف الإسلامية وشركات التأمين والصناديق الإجتماعية التكافلية وقيام سوق الخرطوم للأوراق المالية، وقيام هيئة الرقابة الشرعية مما يعني استكمال المفهوم الحديث للبنية التحتية.

وبالرغم من الجهد المبذول في برامج الإستراتيجية ومحاورها إلا أن الواقع الإقتصادي أصبح صعباً ومعقداً جداً، الشيء الذي كان له الأثر السلبي في تنفيذ كثير من مشروعات البنية التحتية.

ويتضح من ذلك أن تأسيس مشروعات البنية التحتية لها أثرٌ إيجابيٌ علي كل العمليات الإستثمارية الخاصة في المجالات الصناعية والزراعية والخدمات الأساسية الأخرى، والتي لها دورٌ في تحقيق زيادة النمو والرفاه.

الخاتمة:

لقد تناولت هذه الورقة موضوع أهمية البنية التحتية وأثرها علي مشروعات الإستثمارية، وذلك من خلال بيان تعريف ومفهوم ومدي تطوير خدمات البنية التحتية. وكذلك معرفة أثرها علي المشروعات الإستثمارية. ويتضح من ذلك أن تأسيس مشروعات البنية التحتية لها أثرٌ إيجابيٌ علي

(١) القطاع الاقتصادي: السودان، الإستراتيجية ربع القرنية، (٢٠٠٤ - ٢٠٢٨) ص ٦، -

(٢) القطاع الاقتصادي: الإستراتيجية ربع القرنية، (٢٠٠٤ - ٢٠٢٨) ص ٦، -

كل العمليات الإستثمارية الخاصة في المجالات الصناعية والزراعية والخدمات الأساسية الأخرى، والتي لها دورٌ في تحقيق زيادة النمو والرفاه.

النتائج:

- يطلق لفظ البنية التحتية على كل ما هو متعلق بالمرافق والهياكل والنظم والعلاقات والمهارات التي تساعد المؤسسات والمنشآت على إنجاز أهدافها.
- إن البنية التحتية هي مجموعة مترابطة من العناصر الهيكلية التي توفر إطار دعم هيكلي.
- إن مفهوم البنية التحتية أوسع وأشمل فإنه يشير إلى الطرق والمطارات والمنافع. ومختلف هذه العناصر مجتمعة وقد زاد استخدام هذا المصطلح وطبق على إطار أكبر وأضخم في كافة المجالات.
- إن كثيرا من الدول النامية قد سارت في اتجاه تأسيس بنية تحتية لأنه الطريق إلى التنمية.
- تشكل مشروعات البنية التحتية لأي بلد ركيزة أساسية من ركائز التنمية بها كما إنها عامل مهم في تقديم الخدمات الاجتماعية والثقافية والتنموية والإقتصادية للمجتمع لإمكانية القفز إلى مجتمع المعرفة والرقى والفضيلة الذي يشارك فيه الجميع من خلال منهج علمي للبحث الاجتماعي والرصد والمتابعة والتخطيط الدقيق.
- إن الاستثمار في البنية التحتية والبحث والتطوير يؤثران جوهرياً وعكسياً على متوسط التكلفة في الصناعات التحويلية. وأنه في كثير من الحالات يعتبر رأس المال الاجتماعي إما بديلاً أو مكملًا لرأس المال الخاص مع زيادة في رأس المال الاجتماعي بالإضافة إلى أن الاستثمار الحكومي في البحث والتطوير يزيد في إنتاجية الصناعات الخاصة بما تقدمه من تقدم تكنولوجي يمكنها استخدامه.

التوصيات:

- التركيز على قوة دراسات الجدوي لقيام المشروعات الإستثمارية، مع دراسة معوقات عدم قيام المشروعات ذات المجالات المتعددة بالرغم من وجود البنية التحتية.
- العمل على توطین مشروعات البنية التحتية بالمناطق المصنفة أقل نمواً والتوسع فيها بما يناسب

- المواصفات وكونها جاذبة ودافعة لقيام مزيد من المشروعات.
- العمل علي التأهيل المستمر للبنية القائمة، بالتركيز علي المرافق الحيوية. وإيلاء إهتمام أكبر لمشروعات مصادر المياه وإنشاء سدود وتوليد الطاقة وتعميد الطرق مع رسم برنامج دوري للتأهيل وإعادة التشغيل بالصورة المثلي.
- حشد وتعبئة الجهود والطاقات وتوجيهها نحو قيام مشروعات إستثمارية جديدة تنهض بالإقتصاد.
- تحقيق أكبر قدر من المشاركة الإيجابية بين الأجهزة الحكومية وأفراد المجتمع والقطاع الخاص، لأجل جذب المستثمرين وتهيئة المناخ له.

قائمة المصادر والمراجع

- ١- المصباح المنير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي
- ٢- المعجم الوسيط : إبراهيم أنيس، عبدالحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله
- ٣- تكنولوجيا المعلومات والاتصال: عبد المجيد ميلاد:
- ٤- التكنولوجيا والتحول الإقتصادي: هويشار معروف
- ٥- قضايا اقتصادية، النشرة الاقتصادية: وزارة المالية الإمارات العربية: البنية التحتية: جيمس كارليني
- ٦- التخطيط التنموي، الإطار النظري والمنهج التطبيقي: عبدالله بن علي المرواني:
- ٧- محاضرة/ الجمعية الليبية للذكاء، جامعة السابع من أبريل: محمد أبو القاسم: التخطيط الإقتصادي: بلول مختار: الطبعة الأولى
- ٨- التطور التنظيمي للأجهزة الحكومية: السلوم حمد.
- ٩- إقتصاديات التخطيط: قنديل عبدالفتاح.
- ١٠- نحو إستراتيجية قومية للإصلاح الإقتصادي: سعيد النجار
- ١١- مقدمة في النظرية الإقتصادية : محمد خليل برعي، علي حافظ.
- ١٢- اتجاهات حديثة في التنمية : عبد القادر محمد عبد القادر

- ١٣ - منتدى الرياض الاقتصادي : نت هيكل الاقتصاد السوداني، النشرة الاقتصادية اليومية : وزارة المالية والاقتصاد الوطني
- ١٤ - التخطيط الإقتصادي الشامل: عزيز محمد
- ١٥ - التنمية الإقتصادية، مفهومها - نظرياتها - سياساتها: محمد علي الليثي
- ١٦ - التخطيط للتقدم الإقتصادي والإجتماعي : مسعود مجيد
- ١٧ - التخطيط العيني والمالي للإقتصاد القومي: كريم كريمة
- ١٨ - مبادئ الإقتصاد الكلي: الحبيب فائز
- ١٩ - مبادئ علم الإقتصاد: عبدالعظيم سليمان المهمل
- ٢٠ - التخطيط الإقتصادي، النظرية، الأساليب : رزق أحمد عبد الرحيم
- ٢١ - الإقتصاد السوداني: عثمان إبراهيم السيد
- ٢٢ - النظرية الإقتصادية : أحمد جامع
- ٢٣ - التنمية الإقتصادية : محمد عبد العزيز عجمية ومحمد علي الليثي
- ٢٤ - اقتصاديات الموارد والبيئة : انطوني فيشر
- ٢٥ - إقتصاديات النقل والمواصلات: حمد سليمان المشوفي
- ٢٦ - الإتصالات في السودان وأثرها علي النمو الإقتصادي : عثمان خضر بابكر
- ٢٧ - مشكلة الإستثمار في البنوك الإسلامية: حمد صلاح محمد الصاوي
- ٢٨ - السيد عبد المولي: أصول الإقتصاد
- ٢٩ - التخطيط الإقتصادي علي المستوي الجمعي: روجراً باولز، ديفدك وبنز
- ٣٠ - الإستراتيجية ربع القرنية، (٢٠٠٤ - ٢٠٢٨): القطاع الإقتصادي السودا الإستراتيجية ربع القرنية: قطاع التوجيه والشؤو الإجتماعية

مستقبل الطاقة بين حسابات السياسة والاقتصاد

إعداد / د. شهناز صبيحي

أستاذة مساعدة بجامعة حسيبة بن بوعلي - الجزائر

البريد الإلكتروني: shahinazsbi@yahoo.fr

المخلص:

تطوّر المشهد الدولي للطاقة خلال الأعوام الماضية من خلال إرتباطها بحسابات سياسية أكثر منها إقتصادية، ممّا أضاف عوامل تأثير جديدة على سوق الطاقة العالمية، والتي أدت الى إعادة توزيع بعض الأدوار من خلال شكل الصراعات الناشئة والنفوذ والسيطرة على معابر الطاقة، بالتوازي مع عودة روسيا إلى الساحة الدوليّة، والاستدارة الأميركيّة نحو المحيط الهادئ أحد مؤشرات إعادة رسم خريطة العلاقات الدوليّة.

كما ان تغير مصادر الطاقة كان بالتوازي مع تغير في أنماط الاستهلاك للعديد من الاقتصادات الناشئة، تترافق هذه التغيّرات مع تطوّر معدّلات استهلاك الطاقة المتجدّدة التي يتمّ اكتشافها واستثمارها في البلدان التي لا تحتوي على موارد تقليديّة بشكل خاص، مما يعطي فرصة هذه الدول في زيادة مستوى الاستقلاليّة السياسيّة.

الكلمات المفتاحية: الطاقة - الحسابات السياسية - الاقتصاد - القوى العالمية

Abstract:

The international energy landscape has evolved over the past years through its association with political rather than economic calculations, adding new influence factors to the global energy market. Which have led to the redistribution of some roles through the form of emerging conflicts and control of energy crossings. Parallel

to Russia's return to the international arena.

The change in energy sources was in parallel with a change in the consumption patterns of many emerging economies. These changes are associated with the development of renewable energy consumption rates that are discovered and invested in countries that do not contain traditional resources in particular, giving them an opportunity to increase the level of political independence.

Keywords: Energy - Political Accounts - Economy - World Powers

مقدمة:

يُعد ملف الطاقة من أهم الملفات التي ستؤثر في رسم خريطة القوى العالمية المستقبلية وفي صعودها أو هبوطها، فقدرة أي قوة عالمية على تأمين الطاقة لمصانعها في الحاضر والمستقبل تحدد حجم مقعد هذه القوة على الساحة العالمية، وعليه أصبح تأمين الطاقة ضمن العديد من الاستراتيجيات التي تلت حقبة ما بعد الحرب الباردة، ومن خلال ملاحظة الصراعات الدولية الراهنة نجد أن الطاقة أضحت شأنها شأن العديد من المحددات التقليدية الأخرى مثل الحفاظ على مكانة الدولة والتوسع وتأمين الحدود لا سيما بالنسبة للدول الكبرى.

إن سعي دول العالم لا سيما القوى الصناعية الكبرى للحصول على الموارد الأولية يُعد هدفاً مهماً بالنسبة لها، إذ أن حيوية هذه المواد وعدم القدرة على تحقيق الاكتفاء الذاتي قد جعل الحصول عليها غالباً ما يصبح هدفاً ملحاً من أهداف السياسة الخارجية للدول. ومما زاد من أهميتها هو فشل المحاولات العديدة التي جرت وما زالت جارية من قبل الدول الصناعية، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية لتوفير طاقة بديلة للنفط كالطاقة الشمسية والطاقة النووية، وذلك لارتفاع سعر تكلفة هذه البدائل، وعدم جاهزيتها لتغطية كل الاستعمالات التي يوفرها النفط. تشير التقديرات إلى أن الإحتياطيات المتبقية من النفط تقدر ما بين ١,٢ - ١,٣ تريليون برميل، أما الغاز الطبيعي فتتراوح الإحتياطيات بنحو ١٨٠ تريليون من الأمتار المكعبة. كما تشير المعلومات المتوفرة بأن الطلب العالمي على النفط سوف يرتفع بمعدل ثابت يبلغ حوالي ١,٧٪ سنوياً للمدة

من ٢٠٠٠ - ٢٠٢٠، مما يعني أن الطلب على النفط سيرتفع الى نحو ١٠٧ مليون برميل يومياً في عام ٢٠٢٠، مقارنة بنحو ٩٠ مليون برميل يومياً في عام ٢٠١٠، ويرجح أن ترتفع النسبة إلى نحو ١٢٠ مليون برميل يومياً في عام ٢٠٢٥. في حين تشير التقديرات بأن الطلب العالمي على الغاز الطبيعي سيرتفع إلى نحو ٤,٧ تريليون متر مكعب سنوياً في عام ٢٠٢٠، مقارنة بنحو ٢,٥ تريليون متر مكعب سنوياً في عام ٢٠٠٠. وفي ضوء ذلك فقد أدرك صانع القرار السياسي الأهمية الإستراتيجية لإمدادات الطاقة ودورها في إدامة وتعزيز نمو الاقتصاد العالمي لا سيما في الدول المتقدمة. وهذه التطورات طرحت العديد من الأسئلة سنحاول الإجابة عليها من خلال هذه الدراسة أهمها: هل ستؤدي التحوّلات في خريطة مصادر الطاقة إلى تغيير الحسابات السياسية للدول المرتبطة بشبكات المصالح الاقتصادية والنفوذ على مصادر الطاقة، وهل تتحكم في الطاقة ومستقبلها حسابات السياسة أم الاقتصاد.

فرضية الدراسة:

ستحاول هذه الدراسة إثبات وتفنيد الفرضية التالية: «مستقبل الطاقة يبقى رهينة الحسابات السياسية والإستراتيجية للدول أكثر من حسابات الاقتصاد من العرض والطلب»

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى معالجة موضوع «مستقبل الطاقة بين حسابات السياسة والاقتصاد» من خلال مجموعة من النقاط:

- تحليل هيمنة الحسابات السياسية على سوق الطاقة بدل العوامل الاقتصادية كالعرض والطلب، بحيث تسعى كل دولة إلى جعل سوق الطاقة ساحة للصراع ولتصفية الحسابات.
- تحليل علاقة مصادر الطاقة ومستقبلها ببنية وتحوّلات النظام الدولي وخاصة في ظل ظهور الدول الصاعدة كفواعل مؤثرة في العلاقات الدولية.
- التعرف على حدود تأثير محددات الطاقة في توجهات السياسة الخارجية للدول وفي قدرتها على تعظيم قوتها للعب دور محوري في العلاقات الدولية.

أهمية الدراسة: تبرز أهمية دراسة في إبراز الأهمية التي تلعبها الطاقة على العلاقات الدولية باعتبار أن لعامل الطاقة دور كبير في تطور وقوة الدول، حيث تعتبر محركاً أساسياً لاقتصادياتها، وفي نفس الوقت عنصر خلاف وصراع بين الدول للسيطرة على مصادر إنتاجها ومن ثم التحكم بأسعارها.

بالإضافة إلى أهمية توضيح العلاقة بين الطاقة والسياسة والاقتصاد في ظل وجود خلل بين هيكل وبنية النظام الدولي وتوزيع مصادر الطاقة، من حيث العرض والطلب، بحيث تضطر الدول الكبرى والمهيمنة في النظام الدولي إلى الاعتماد على الخارج للإيفاء بحاجياتها من هذه الموارد الإستراتيجية المهمة، وهو ما كان من الطبيعي أن ينعكس على سياسة كل دولة، ففي ظل سوق عالمي يعاني من عدم الاستقرار والتأثر بالأحداث السياسية على المدى القصير أكثر منه محكوماً بالعرض والطلب. وفي ظل الصراعات والأزمات بين الدول كان من الطبيعي أن يختلف تأثير عدم توافر مصادر الطاقة على سياسة واقتصاد الدول.

المنهج المتبع: إتساقاً مع طبيعة الموضوع إعتدنا على المنهج الوصفي التحليلي وهذا من خلال جمع المعلومات والبيانات وتصنيفها ومحاولة تفسيرها وتحليلها من أجل قياس ومعرفة أثر وتأثير الحسابات السياسية على الطاقة ومستقبلها وإختبار مجموعة من الفرضيات ومحاولة إثباتها أو نفيها، وذلك من خلال دراسة مسحية شاملة.

كما سنحاول التطرق في هذه المداخل إلى المحاور التالية:

المحور الأول: أسعار الطاقة: إشكالية الطلب والنمو العالمي.

المحور الثاني: الأبعاد الجيوسياسية لمصادر الطاقة.

المحور الثالث: مستقبل الطاقة وهيمنة الحسابات الإستراتيجية للدول.

المحور الأول: أسعار الطاقة: إشكالية الطلب والنمو العالمي

أولاً - تطورات استهلاك الطاقة:

لقد شهد استهلاك الطاقة في مختلف بلدان العالم تطوراً ملحوظاً عبر الزمن وهذا راجع إلى عدة أسباب منها التطور الديمغرافي، ديناميكية النمو الذي تعرفه مختلف الاقتصاديات وخاصة اقتصاديات جنوب شرق آسيا، بالإضافة إلى التطور التكنولوجي وإتاحة المزيد من مصادر الطاقة.

وحسب تقرير شركة بريتيش بتروليم (BP) البريطانية لسنة ٢٠١٦ ارتفع استهلاك الطاقة العالمي بنسبة ١٪ فقط في ٢٠١٥، وهي نسبة مشابهة للنمو أقل من المتوسط الذي تم تسجيله

في ٢٠١٤ والبالغ ١, ١٪ وأقل بدرجة كبيرة من متوسط السنوات العشر الماضية والبالغ ١, ٩٪. بخلاف ركود عام ٢٠٠٩، تمثل هذه أقل نسبة نمو منذ عام ١٩٩٨، وكان نمو الطاقة أقل من متوسط السنوات العشر الماضية بالنسبة لجميع المناطق عدا أوروبا وأوراسيا؛ وكانت الاقتصادات الناشئة مسؤولة عن ٩٧٪ من الزيادة في الاستهلاك العالمي. ارتفع استهلاك دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD بنسبة طفيفة، حيث وازن النمو في أوروبا الانخفاضات في الولايات المتحدة واليابان^١. وظل النفط هو المورد الأكثر طلباً عالمياً، حيث بلغت حصته ٣٢, ٩٪ من استهلاك الطاقة العالمي. رغم استمرار الاقتصادات الناشئة في الهيمنة على نمو الاستهلاك العالمي للطاقة، إلا أن النمو في تلك الدول والذي بلغ ١, ٦٪، كان أقل بكثير من متوسط السنوات العشر الماضية والذي بلغ ٣, ٨٪. وتستهلك الاقتصادات الناشئة الآن ١, ٥٨٪ من استهلاك الطاقة العالمي، وتباطأ نمو الاستهلاك الصيني إلى ١, ٥٪ فقط، بينما سجلت الهند زيادة أخرى كبيرة في الاستهلاك بلغت ٥, ٢٪. ارتفع استهلاك دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية بنسبة طفيفة (+١, ٠٪)، مقارنةً بانخفاض سنوي بمتوسط ٣, ٠٪ على مدار العقد الماضي. تخطت زيادة نادرة في استهلاك الاتحاد الأوروبي +٦, ١٪ انخفاض الاستهلاك في الولايات المتحدة - ٩, ٠٪ واليابان - ٢, ١٪، حيث انخفض الاستهلاك إلى أقل مستوى له منذ عام ١٩٩١^٢.

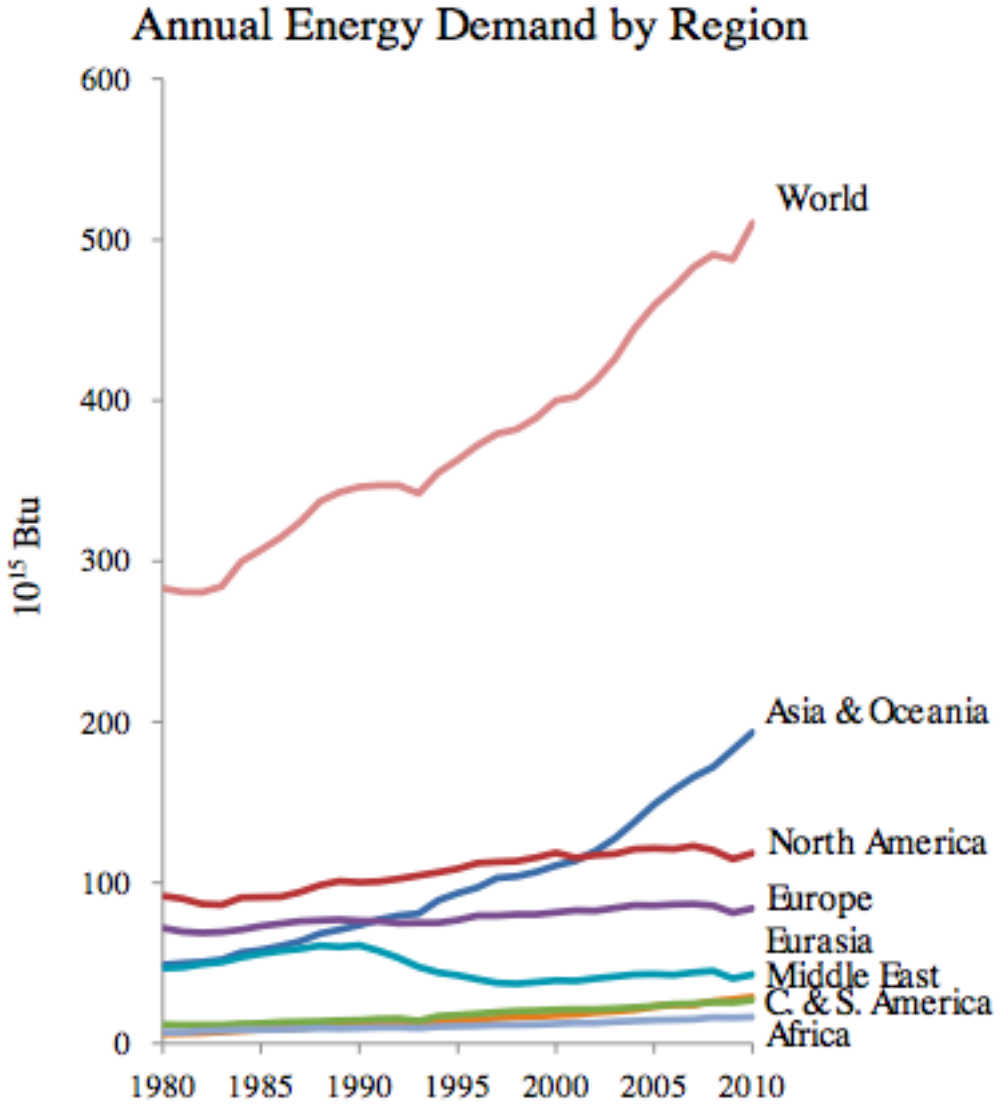
وحسب الحسابات التي قدمتها منظمة الطاقة العالمية، المبنية على أنماط استهلاك الطاقة الحالية، وفي ظل التوقعات التي تشير إلى مضاعفة الطلب العالمي على الطاقة بحلول العام ٢٠٥٠، إلى تزايد الطلب على الفحم الحجري بمعدل ٣٠٠٪، الغاز بمعدل ١٣٨٪ والنفط السائل بمعدل ٦٩٪.

(١) نبيل سرور، الصراع على النفط والغاز وأهمية منطقة الشرق الأوسط الاستراتيجية، مجلة الدفاع الوطني، العدد ٩٦، أبريل ٢٠١٦.

2- Colin J. Campbell and Jean H. Laherrère, 'The End of Cheap Oil', Scientific American, March 1998, p. 78 - 83, https://nature.berkeley.edu/er100/readings/Campbell_1998.pdf

(٣) نبيل سرور، الصراع على النفط والغاز وأهمية منطقة الشرق الأوسط الاستراتيجية، المرجع نفسه.

الشكل رقم (١٠): يوضح تصاعد الطلب العالمي على الطاقة



المصدر: نهي خالد، الخرائط والإحصاءات: استهلاك الطاقة في العالم، مقال منشور بموقع نون بوست،

ديسمبر ٢٠١٤، الموقع الإلكتروني: <http://www.noonpost.net/content>

وعلى الرغم من التغيرات الحادة في الأسعار العالمية، التي أثّرت سلباً على إنتاج النفط الصخري

خلال العامين الأخيرين، ولكون طبيعة إنتاج النفط الصخري الأمريكي تجعله مناسباً للنظام الصناعي، المالي، الديموغرافي والجيولوجي في الولايات المتحدة بشكل أساسي، ولكون سماته تجعله من بين المصادر الكثيرة الجدلية لأسباب تتعلق بالكلفة، الإنتاجية، الأسعار، الأثر البيئي والآفاق المستقبلية. إلا أن تزايد إنتاجه خلال العقد الأخير وتطور تقنيات الإنتاج التي تسمح بتخفيض الكلفة، غيراً في خريطة تجارة النفط العالمية وادى الى اشتعال حرب الاسعار.

ثانيا - تقلبات أسعار النفط:

ما من شك في أن النفط قد شكل منذ اكتشافه العام ١٨٥٩، ولا يزال حتى الآن العصب الرئيسي للطاقة، فمنذ اكتشافه أحدث ثورة هائلة في شكل الآلة وحجمها وقدراتها، واصبح بمثابة الدم الذي يجري في شريان الصناعة والحرب والنقل والتكنولوجيا، بل أن اكتشافه شكل في حد ذاته حافزا علمياً مهماً لتسهيل المزيد من الاختراعات، ويمكننا أن نقول إن الطائفة والصاروخ والأقمار الصناعية وغيرها من الآلات المتقدمة لم تكن لترى النور من دون النفط. ومنذ ذلك الوقت كان النفط هو العامل الأهم في مشهد الاقتصاد العالمي.

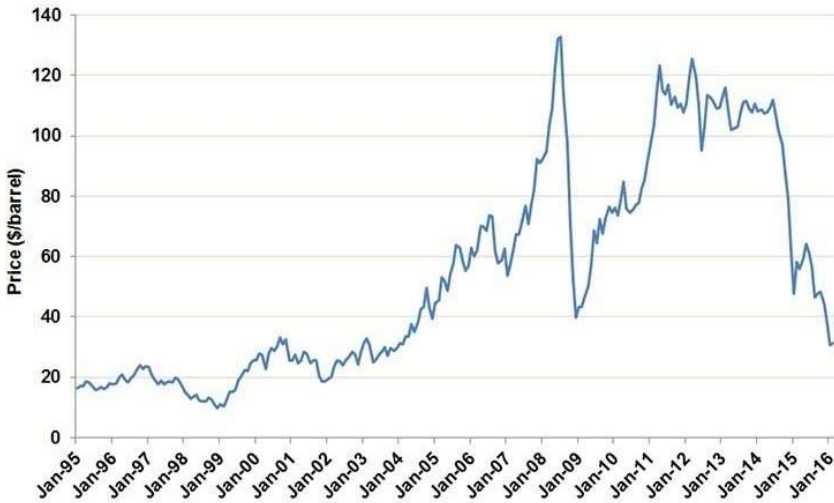
وفي سنة ١٩٩٨ تنبأ الجيولوجي البريطاني كولن كامبيل Colin J. Campbell بأن ذروة النفط ستكون سنة ٢٠٠٧، وأن أسعار النفط سترتفع نتيجة التناقص المطرد في المخزون العالمي وازدياد الطلب المستمر، ورغم أن كثيراً من الخبراء لا يوافقون على تحديد لحظة زمنية معينة باعتبارها ذروة النفط مع استمرار عمليات التنقيب واكتشاف حقول جديدة، فإن أغلبهم يرون أن ما يحدد ذروة النفط ليس هو حجم المخزون العالمي، الذي يُتوقع أن أكثر من نصفه لا يزال تحت الأرض، وإنما هي في الحقيقة مرتبطة بتكلفة الإنتاج، التي تتزايد باستمرار مع تناقص الموارد سهلة الاستغلال عبر ١٥٠ سنة الماضية، واضطرار المنتجين إلى التنقيب عن موارد أصعب في الوصول إليها واستغلالها، ما يرفع من تكلفة الإنتاج، وبالتالي يرفع من أسعار النفط في الأسواق^١.

وزاد من انتشار وجهة النظر هذه، الارتفاع المطرد لأسعار النفط في الأسواق العالمية طوال العقدين الماضيين بالتزامن مع النمو الاقتصادي العالمي منذ فترة التسعينات من القرن العشرين وزيادة الطلب العالمي على الطاقة من قبل الاقتصادات النامية مثل الصين والهند والبرازيل، وهو ما عزز فكرة نهاية عصر النفط الرخيص وبداية عصر النفط الغالي.

1 - Murphy, D. The Implications of the Declining Energy Return on Investment of Oil Production. Philosophical Transactions of the Royal Society, (2014), Volume 372, p 1 - 19, <https://royalsocietypublishing.org/doi/pdf/10.1098/rsta.2013.0126>

لكن عددًا من التحولات المحورية خلال السنوات القليلة الماضية أعادت النقاش حول هذه المسألة إلى نقطة الصفر؛ حيث أدت الأزمة المالية العالمية لسنة ٢٠٠٨ إلى انكماش في الاقتصاد العالمي ومن ثم انكماش حاد في الطلب العالمي على النفط، وهبوط في الأسعار عن حاجز ٤٠ دولارًا للبرميل للمرة الأولى منذ ٢٥ عامًا، أعقب ذلك انتعاشة ملموسة لأسواق النفط العالمية لتبلغ ذروة الأسعار سنة ٢٠١٤، مع وصولها إلى حاجز ١١٥ دولارًا للبرميل، قبل أن تهوي منتصف تلك السنة إلى مادون حاجز ٢٨ دولارًا للبرميل^(١)، مسجلة أرقامًا قياسية في الانخفاض الحاد منذ عقود. ولكن عقب ارتفاع أسعار البترول في عامي ٢٠٠٨ و ٢٠٠٩، اتخذت معظم الدول المستهلكة للبترول خطوات حاسمة للحد من استهلاك البترول، مما أثر على سياسة العرض والطلب للنفط الخام وللمشتقات النفطية التابعة^(٢) والشكل التالي يوضح ذلك.

تقلبات أسعار النفط في الفترة ما بين 1995 و 2016



Source: EIA

Source : Crude Oil Prices: West Texas Intermediate (WTI)”, Federal Reserve Bank - Economic Research, 13 March 2017, (Visited 28 January 2019)

<https://fred.stlouisfed.org/series/DCOILWTIC>

(١) محمد الكوخي، مستقبل الصراع على أسواق الطاقة بين النفط الخام والصخري، مركز الجزيرة للدراسات، مارس ٢٠١٧، ص ٣

(٢) نبيل سرور، الصراع على النفط والغاز وأهمية منطقة الشرق الأوسط الإستراتيجية، مجلة الدفاع الوطني، مرجع سبق ذكره

ونلاحظ من خلال الشكل أنه مع نهاية العقد الأول من القرن الحالي شهدت أسعار النفط ارتفاعاً وتزايد ملحوظاً وصل أرقاما قياسية، ولكن في نفس الوقت شهدت تذبذب كبير، عودة العديد من منتجي النفط وخاصة في الولايات المتحدة إلى النفط الصخري ما أدى مع نهاية ٢٠١٣ إلى ما يمكن تسميتها حرب الأسعار بـ «حرب الأسعار» بين النفط الصخري والنفط الخام الطبيعي؛ حيث نزل سعر النفط في الأسواق العالمية من حاجز ١٠٠ دولار للبرميل إلى حاجز ٩٠ دولاراً، في ظرف أقل من شهرين فقط، كنتيجة مباشرة للمنافسة ما بين نوعي النفط، كانت النتيجة الطبيعية لهذه الوضعية الجديدة هي انخفاض أسعار النفط وهو ما أدى إلى ارتفاع إنتاج الولايات المتحدة، أكبر مستهلك عالمي للنفط، من حوالي ٥ ملايين برميل يوميا سنة ٢٠١١ إلى أكثر من ٩ ملايين برميل يوميا سنة ٢٠١٥، وهو ما خفض من وارداتها النفطية بشكل كبير، ووصله إلى مستويات مقاربة لإنتاج السعودية (أكبر منتج في الأوبك) وروسيا، مع انخفاض الطلب العالمي بسبب تباطؤ الاقتصاد الدولي^١، نتج عن هذا التوسع السريع في قطاع النفط الصخري في أميركا الشمالية (الولايات المتحدة وكندا)، تدفق كبير لرؤوس الأموال نحو الشركات العاملة في القطاع، وتطوير أساليب وتكنولوجيا الاستخراج لخفض التكلفة والقدرة على منافسة النفط الخام الطبيعي، وهو ما انتهى إلى تحول النفط الصخري إلى منافس حقيقي للنفط الخام الطبيعي في أسواق الطاقة العالمية الذي تعد كل من المملكة العربية السعودية وروسيا أكبر منتجين عالميين له.

ونتيجة لذلك قامت السعودية باتخاذ سياسة الإغراق ما أدى إلى تدهور كبير في الأسعار، لتهدأ إلى أرقام قياسية في ٢٠١٥ و ٢٠١٦، وإلى ما دون حاجز ٣٠ دولاراً للبرميل.

كانت الملاحظة الأولى أنه وبعد انهيار أسعار النفط في الأسواق العالمية ابتداء من يوليو ٢٠١٤ لم يتراجع إنتاج النفط الصخري بل بالعكس ظل يتزايد ليصل ذروته في مارس ٢٠١٥، ومنذ ذلك الوقت عرف إنتاج النفط الصخري انخفاضا بلغ حوالي ١٧٪ ليصل في أوائل ٢٠١٧ إلى نفس مستويات الإنتاج التي كان عليها قبل قرار السعودية إغراق السوق بأسعار نفط متدنية، حيث وصل سعر برميل النفط الخام إلى حوالي ٥٣ دولاراً للبرميل، مع توقعات سنوية بوصوله إلى حدود ٦١ دولاراً، في حين بلغ سعر مزيج برنت ٥٥ دولاراً للبرميل، وبلغ سعر خام برنت

(١) محمد الكوخي، نفس المرجع السابق، ص ٥.

2- US shale oil output remains resilient despite rig count fall، Financial Times

12 January 2017، Visited: 28Décember 2018: site webhttps://www.ft.com/

content/73c5297e - d813 - 11e6 - 944b - e7eb37a6aa8e

أدنى مستوياته خلال الأعوام الثلاثة عشر الماضية، لكنه لا يزال أقل بكثير جداً من المستويات التي سجلها في يونيو ٢٠١٤ عندما تجاوزت الأسعار حاجز ١١٠ دولارات للبرميل، ما يعادل هبوطاً حاداً بنسبة ٧٥٪ من سعره في أقل من ١٨ شهراً. ويبدو أن حرب أسعار هذه مستمرة وقد تقود أسعار النفط إلى ما دون العشرين دولاراً للبرميل.

ومع هذا التراجع المخيف في أسعار الذهب الأسود، ارتفعت صيحات المطالبين لأوبك بخفض الإنتاج إلى حدود مليوني برميل يومياً، للحفاظ على تماسك الأسعار، وهنا يرى الخبراء أن الأمر محض سياسي يتعلق بحسابات سعودية - إيرانية متضاربة، كما أنه يعود إلى دخول منتجين غير شرعيين مثل «داعش» في سوريا والعراق، والمليشيات في ليبيا، وغيرها من الجماعات.

ويشير الخبراء إلى أن منظمة «أوبك» بصفتها الدولية وكونها المنتج لقراءة ثلث النفط العالمي، مطالبة بالتحرك العاجل من أجل حماية السوق من التراجع، والمحافظة على هذه مكانة في هذا السوق، بعد ظهور من يحاول سلب مكانتها في الفترة الأخيرة، من خلال النفط الصخري وعقد صفقات خلف الكواليس بهدف انهيار الأسعار.

ثالثاً: حرب الغاز العالمية

يشهد العالم منذ ما قبل بداية الألفية الثالثة، وبخاصة في قارتي آسيا وأوروبا، ما يسميه خبراء ومحللون إستراتيجيون حرب الغاز العالمية. ويلاحظ هؤلاء أن هذه الحرب قد استعرت بشدة مع اقتراب نزوب احتياطات النفط في عدة مناطق من العالم، وأيضاً مع تزايد الاعتماد العالمي على الغاز الطبيعي كأحد أهم مصادر الطاقة النظيفة، حيث ارتفع الاستهلاك العالمي من الغاز الطبيعي بنسبة ١,٧٪ في ٢٠١٧، وهو ما يمثل زيادة كبيرة عن النمو شديد الضعف (+٠,٦٪) الذي شهدته ٢٠١٤ لكنه لا يزال أقل من المتوسط العالمي للسنوات العشر الماضية البالغ ٣,٢٪ كما هو الحال بالنسبة للنفط^(١).

تتجه كثير من الدول إلى استثمار الغاز بصورة أفضل وأكثر تركيزاً من النفط، لاسيما أن الغاز يعد من العناصر الصديقة للبيئة أو الأقل تلويثاً لها من النفط ومشتقاته، لاسيما أنه موجود بكميات هائلة لدى الدول النفطية، الأمر الذي يدفعها إلى عقد صفقات كبرى في هذا المجال، وإقامة مشاريع مهمة تتعلق بثروة الغاز، إذ تشهد أسعار الغاز المرتبطة بأسعار النفط ومشتقاته تراجعاً خصوصاً بسبب فائض العرض في الغاز الصخري في الولايات المتحدة.

(١) يشهد العالم منذ ما قبل بداية الألفية الثالثة.

حيث إن إمدادات الغاز العالمية تتجاوز الطلب حالياً في وضع قد يفضي إلى "أزمة" تراجع في الأسعار على غرار ما حدث بسوق النفط الخام، فقد هوت أسعار الغاز أكثر من ٨٠٪ في العشر سنوات الأخيرة وما زالت تحت ضغط من جراء تنامي إمدادات الغاز الصخري وتزايد الغاز الطبيعي المسال الذي يمكن شحنه بحراً، وزادت الولايات المتحدة إنتاجها من النفط الخام والغاز الطبيعي زيادة كبيرة في السنوات الأخيرة مع تحسن تقنيات الحفر الذي أتاح استغلال احتياطات لم تكن في المتناول من قبل.

هناك قانون اقتصادي معروف لا يقبل الخطأ، وهو قانون العرض والطلب الذي يتضمن معادلة معروفة، فكلما زاد العرض قلّ الطلب وبالعكس أيضاً، وهذا الأمر سبق أن تعرض له القطاع النفطي ولا يزال تأثير الوفرة في العرض واضحاً على تذبذب أسعار النفط في الأسواق العالمية، لم يتوقف الأمر عند حدود النفط فيما يخص النفط، فقد التحق الغاز بالنفط في قضية تأثير العرض على الطلب، وها أن وكالة الطاقة الدولية تعلن عن حدوث في تباطؤ على طلب الغاز، وهو الأمر الذي طال قطاع النفط قبل سنتين تقريباً، وهبط بأسعاره من سقف الـ ١٠٠ دولار إلى الثلث أو الربع، والحال نفسه يتكرر مع الغاز^(١).

حيث تقول وكالة الطاقة الدولية إن نمو الطلب على الغاز الطبيعي سيتباطأ إلى متوسط ٥، ١٪ سنوياً حتى عام ٢٠٢١ إذ سيؤدي الركود في أوروبا والشكوك بشأن الاستهلاك الصيني إلى تقييد التأثير الإيجابي للنمو القوي في الهند. وبعد نمو بنسبة ٥، ٢٪ خلال السنوات الست الماضية يواجه الغاز منافسة من الطاقة المتجددة والفحم الرخيص مما يعني أن سوق الغاز العالمية ستظل تعاني من وفرة بالإمدادات.

يشتهر العديد من الخبراء في الولايات المتحدة تسعى إلى تجميد استغلال احتياطات غاز إيرانية ضخمة عبر فرض عقوبات على الجمهورية الإسلامية في إطار الملف النووي، بهدف زيادة إنتاجها الخاص الذي يشهد ازدهاراً مع الغاز الصخري. كما أن إعلان الولايات المتحدة الأمريكية عن إعادة فرض العقوبات التي رفعت بموجب الاتفاق المتعدد الأطراف المبرم عام ٢٠١٥، على إيران مقابل تعهدها بتجميد برنامجها النووي، وتهدد الولايات المتحدة طهران بالعقوبات «الاقوى

(١) ندى علي، الحرب العالمية للغاز: استعدادات لمرحلة ما بعد النفط، مقال منشور بتاريخ: ١٢/٠٦/٢٠١٨، تم الاطلاع بتاريخ: ٠٣/٠١/٢٠١٩، من الموقع الإلكتروني:

في التاريخ» اذا رفض الايرانيون شروطهم لابرام «اتفاق جديد» يشمل برنامج ايران للصواريخ البالستية.

وفي نفس الوقت قامت الولايات المتحدة الأمريكية بإطلاق إستراتيجية البحث عن اسواق لبيع غازها الطبيعي. حيث صدرت ١٧، ٢ مليار م^٣ عام ٢٠١٧ نحو موانئ الاتحاد الأوروبي. وبحسب مركز الدراسات «اي اتش اس ماركيت» فان «القدرة الاجمالية لاستيراد الغاز الطبيعي لدى اوروبا ستزيد بنسبة ٢٠٪ بحلول العام ٢٠٢٠. وبفضل تقنيات الاستغلال الجديدة في الاحواض الصخرية وخصوصا في منطقة الابالاش في شمال شرق البلاد، اصبحت الولايات المتحدة منذ ٢٠٠٩ اول منتج للغاز الطبيعي في العالم. وتصدر الولايات المتحدة جزءا من هذه الثروة الوفيرة عبر انابيب الغاز الى كندا والمكسيك، لكن لبلوغ اسواق ابعد، تعول الولايات المتحدة على الغاز الطبيعي المسال، الغاز المكثف بشكل سائل لتصديره بالطرق البحرية^(١).

وبدأت صادرات الغاز الطبيعي المسال ترتفع في ٢٠١٦ واكثر من ٥٠٪ من هذا الغاز يتم تصديره الى المكسيك وكوريا الجنوبية والصين، وحوالي الثلث الى أوروبا، ويتوقع ان ترتفع هذه الصادرات بشكل كبير النتيجة، حسب الوكالة الاميركية للمعلومات حول الطاقة هي ان الولايات المتحدة ستحتل المرتبة الثالثة بين الدول المصدرة للغاز الطبيعي المسال في العالم، بعد استراليا وقطر، متقدمة على ماليزيا، ويمكن للشركات الاميركية الاعتماد على طلب قوي على الغاز. فقد ذكرت وكالة الطاقة الدولية ان الطلب سيرتفع بنسبة ٦، ١٪ سنويا حتى ٢٠٤٠، مقابل ٥، ٠٪ للنفت و ٢، ٠٪ للفحم^(٢).

كما وذكرت وكالة الطاقة الدولية ان ٨٠٪ من زيادة الطلب على الغاز حتى ٢٠٤٠ تأتي من الدول الناشئة وعلى رأسها الصين والهند، لذلك قامت الولايات المتحدة الأمريكية الان تقوم بمفاوضات تجارية مع الصين وهو ما أكد وزير الخزانة الاميركي ستيفن منوتشين.

المحور الثاني: الأبعاد الجيوسياسية لمصادر الطاقة

منذ منتصف القرن العشرين والطاقة موضوع للصراع والازمات الدولية من حيث محاولة السيطرة على المناطق الغنية بها، أو إخضاعها لنفوذ قوي دولية في سياق عملية ضمان الطاقة

(١) الغاز الأمريكي جاهز لغزو العالم، جريدة الحياة، نشر بتاريخ: ٢٤/٠٥/٢٠١٨، تم الاطلاع بتاريخ:

http://www.alhayat.com من الموقع الالكتروني: ٠١/٠١/٢٠١٩

(٢) ندي علي، الحرب العالمية للغاز: استعدادا لمرحلة ما بعد النفط، مرجع سابق.

لتلك القوي، أو استخدام الطاقة كأداة لإدارة صراع دولي مع أطراف دولية أخرى، وكانت أهمية الطاقة تتزايد مع تزايد أهميتها كمصدر للقوة الاقتصادية والقوة العسكرية للدول. ويلفت النظر أنه خلال النصف الثاني للقرن العشرين كان النفط مورد قوة مالية أو اقتصادية فقط عند الدول المنتجة والمصدرة للنفط، بينما كان النفط مصدرا للقوة العسكرية والاقتصادية للدول المستهلكة المستوردة، فلا يمكن تصور وجود عسكري كبير وواسع خارج أراضي الدولة من دون امتلاك الدولة لأدوات نشر ذلك الوجود العسكري وعلى رأسها النفط. ولذلك استمرت خريطة علاقات النفط قائمة خلال تلك المرحلة الماضية على طرفين مختلفان في سبل توظيف النفط كعنصر قوة، فالدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي كانت الطرف المستورد والمستهلك للطاقة، وقد استطاعت توظيف تلك الطاقة في بناء قدراتها العسكرية والاقتصادية والحفاظ عليها بل وتطويرها، أما الدول المنتجة والمصدرة للطاقة فقد تمكنت من امتلاك قوة مالية، لكن من دون المنافسة عالميا أو دوليا على القوة العسكرية أو الاقتصادية.

ولكن خلال العقد الأخير بدأت مجموعة العوامل الاقتصادية، السياسية، التكنولوجية والبيئية تغير الخريطة التقليدية للطاقة، وقد أدت تلك العوامل إلى ولادة مراكز طاقة جديدة على مستوى الاستهلاك، تتمثل في الصين، الهند ودول أخرى في جنوب شرقي آسيا، ومن المتوقع أن يتضاعف حجم طلب الطاقة في آسيا خلال الفترة من ٢٠٠٨ إلى ٢٠٣٥، وستمثل الزيادة في طلب الصين نحو ثلث حجم الزيادة على الطلب العالمي للطاقة، وستمثل الزيادة في طلب الهند نحو خمس إجمالي الزيادة على الطلب العالمي، أي أن الزيادة في طلب الدولتين سيمثل أكثر من ٥٣٪ من حجم الزيادة في الطلب العالمي على الطاقة، وفي ذلك تأثيرات على علاقات وديناميكيات أمن الطاقة عالميا.

وفي هذا السياق يذكر أن الانخفاض في استهلاك الطاقة في الدول أعضاء منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية مقرونا بالزيادة في الإنتاج المحلي من النفط الخام في الولايات المتحدة الأمريكية ودول غربية أخرى، يفضي إلى تسريع التحول لوجهة التدفقات النفطية الشرق أوسطية من الغرب إلى شرق وجنوب آسيا، التي ستصبح مركز الاستقطاب الرئيسي لصادرات دول الشرق الأوسط النفطية.

ومن التغيرات المهمة التي يجب رصدها هو وضع الولايات المتحدة الأمريكية في معادلة الطاقة العالمية، إذ يُعد الإقتصاد الأمريكي أكبر اقتصاد منفرد في العالم تليها الصين بنسبة ٤ و ١١٪، ثم الهند

(١) مركز الروابط للبحوث والدراسات الإستراتيجية، خريطة جديدة: تحولات أمن الطاقة ومستقبل العلاقات الدولية، تم الاطلاع بتاريخ: ٠١/٠١/٢٠١٨، على الساعة: ١٠:٤٧، من الموقع:

//rawabetcenter.com/archives/28787

وروسيا بنسبة ٦، ٤٪ و ٣، ٢٪ على التوالي، ولا شك أن ضخامة حجم الإقتصاد الأمريكي جعل الولايات المتحدة الأمريكية تحتل المرتبة الأولى كأكبر دولة مستهلكة للنفط على الصعيد العالمي، وطبقاً للأرقام الصادرة عن وزارة الطاقة الأمريكية فإن الولايات المتحدة تستهلك أكثر من ٢٠ مليون برميل يومياً وبنسبة تقدر بنحو ٩، ٢٣٪ من إجمالي الإستهلاك العالمي، وهو ما يعادل إستهلاك الصين واليابان وروسيا وألمانيا والهند مجتمعة، في حين يصل إنتاجها إلى حوالي ٨ مليون برميل يومياً ما يعني أن الولايات المتحدة تستورد يومياً ما يزيد على ١٢ مليون برميل. ومن المتوقع أن يزداد الطلب الأمريكي على النفط إلى نحو ٢٧ مليون برميل في عام ٢٠٢٥، بزيادة سنوية تبلغ ٧، ١٪ في المتوسط مما يعني إن الولايات المتحدة سوف تضطر إلى تأمين أكثر من ثلثي إحتياجاتها. وعليه فإن السيطرة على مناطق النفط العالمية الرئيسة من قبل الولايات المتحدة هي جزء من السياسة القومية للطاقة التي وضعتها ومكون أساسي للأمن القومي وشرط مسبق لضمان النمو الاقتصادي المستديم، فضلاً عن إحكام السيطرة على مخزونات النفط العالمية مما يسهل عملية التحكم في الإقتصاد العالمي واقتصاديات الدول المنافسة بشكل اكبر، وفي هذا الصدد فقد أشار وزير الدفاع الأمريكي الأسبق «وليم كوهين» في تقرير قدمه إلى الرئيس والكونغرس عام ١٩٩٧ بقوله: «نحن لا نريد الصراع ندأ لنندبل نريد إمتلاك إمكانيات تضمن لنا التفوق الحاسم، إننا نعيش عصر الإمكانيات الإستراتيجية وبدون هذا التفوق ستكون قدرتنا على تحقيق السيادة العالمية موضع شك»^(١).

ومن التغيرات المهمة كذلك والمتعلقة بواقع أمن الطاقة الجديدة تلك التي تتعلق بإنتاج الصين المتوقع من الغاز الطبيعي، يلي الصين في هذا المجال الولايات المتحدة، وفي أوروبا توجد أكبر احتياطيّات الغاز في بولندا، فرنسا، النرويج، أوكرانيا، السويد، وبالطبع روسيا التي تعد دولة عظمى بالمعايير العسكرية، ومن كبري الدول المنتجة لكل من الغاز الطبيعي والنفط، وما زاد من أهميتها في مجال الطاقة تزايد الطلب الأوروبي على النفط الروسي، والأهم التزايد الكبير في الطلب الصيني والهندي، الآسيوي بشكل عام على النفط والغاز، وكان للجوار المباشر أو غير المباشر بين روسيا والدول الآسيوية الطالبة كموارد الطاقة تأثير مهم في زيادة أهمية روسيا كمصدر لتلك الموارد إلى الصين وأوروبا الشرقية والوسطى بل والغربية^(٢).

(١) سليم كاطع علي، الإدراك الإستراتيجي الأمريكي لأمن الطاقة، مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية، نشر بتاريخ: ١٢/ جانفي ٢٠١٧، تم الاطلاع بتاريخ: ٢٠١٩/٠٢/٠٢، على الساعة: ٢١: ١٨، من الموقع الإلكتروني:

<http://mcsr.net/news221>

(٢) مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، خريطة جديدة: تحولات أمن الطاقة ومستقبل العلاقات الدولية، مرجع سابق.

وبالإضافة إلى مصادر الطاقة تسيطر روسيا على شبكة خطوط نقل إلى دول وسط آسيا، ودول الاتحاد الأوروبي وكل ذلك يستخدم كأداة في يد روسيا لمكافحة أو معاقبة آخرين، من خلال قطع الإمدادات أو التهديد بقطعها، أو رفع الأسعار قسريا أو الاستحواذ على حصص من البنية التحتية للطاقة، أو من شركات الطاقة في دول أخرى للتأثير فيها، وذلك كما حدث مع الشركة الوطنية لنقل الغاز في روسيا البيضاء، وقد استطاعت روسيا توظيف قضية الطاقة وسياساتها كأداة للتأثير في دول الجوار الجغرافي، مثل أوكرانيا، ودول البلطيق (ليتوانيا، واستونيا، ولاتفيا) وأرمينيا، وجورجيا ومولدافيا، ودول آسيا الوسطى.

وما زادت أهمية روسيا هو أدوارها في إدارة أزمة جورجيا ٢٠٠٨، والأزمة السورية الممتدة منذ ٢٠١١، وأزمة أوكرانيا التي تفجرت في ٢٠١٤، وهي أدوار مهمة ومؤثرة بقوة في تطور كل من تلك الأزمات، حيث انشغلت روسيا بتعزيز سياسة إبعاد القوي الدولية الأخرى خاصة الأمريكية والأوروبية عن الوجود المباشر في مناطق الجوار المباشر كأوكرانيا وجورجيا، لأنه قد يؤثر سلبا في مصالح الأمن القومي الروسي كدول معبر لجزء كبير من إمدادات الطاقة الروسية إلى بلاد القارة الأوروبية، وفي الحالة السورية أتاح التدخل الروسي المباشر تعديل مسار المجتمع الدولي في تعامله مع تلك الأزمة.

وتقوم سياسة الطاقة الروسية على التعاون والتنسيق مع كبار منتجي الطاقة للحفاظ على السوق النفطية وضمان حد أدنى لأسعار النفط من خلال التحكم في حجم الإنتاج، وتنمية الصادرات الروسية من النفط والغاز لمختلف الأسواق الآسيوية والأوروبية، وتعزيز العلاقات المتنامية مع الصين ثاني أكبر مستوردي الطاقة عالميا، وكان ذلك واضحا في الزيارة التي قام بها الرئيس الروسي بوتين في ماي ٢٠١٤ للصين وتوقيع ٤٠ اتفاقية تعاون معها، ويمثل مشروع نقل الغاز الطبيعي الروسي إلى الصين واليابان أحد أهم ملامح التطور الراهن في سياسة الطاقة الروسية، واستكمال عملية مد أنبوب النفط الروسي الذي يمتد من سيبيريا إلى المحيط الهادي، والانطلاق في تصدير الغاز والنفط الروسي لن يتم فقط في آسيا ولكن أيضا أوروبا، حيث تقوم روسيا بإمداد الاتحاد الأوروبي بـ ٢٧٪ من احتياجاته من النفط، وأكثر من ٥٠٪ من احتياجاته من الغاز الطبيعي. بالإضافة إلى منطقتي المحيط الهادي والاتحاد الأوروبي فإن سياسة الطاقة الروسية تمتد كذلك إلى منطقة آسيا الوسطى، ذات الأهمية الخاصة جيواستراتيجية لروسيا، ضف إلى ذلك تدفع روسيا باستثمارات في قطاع الطاقة خارج روسيا مع تشجيع شركات النفط الروسية على فعل ذلك، ليس

فقط في مجال التنقيب وإنما أيضا في مجالات تطوير الإنتاج، والصناعات البتروكيمياوية، ولذلك امتدت خريطة الاستثمارات الروسية في مجال الطاقة لتشمل المنطقة العربية، إفريقيا، أمريكا اللاتينية وأوروبا^(١).

وتتناوب السعودية وروسيا صدارة كبري الدول تصديرا للنفط في العالم، ولدي السعودية نحو خمس احتياطي النفط المؤكد في العالم، وهي أكبر منتج ومصدر لإجمالي السوائل النفطية في العالم، ويشكل النفط أكثر من ٩٠٪ من صادرات السعودية، ونحو ٧٥٪ من إيراداتها الحكومية. وكبري الدول استيرادا للنفط السعودي هي اليابان، الصين، الولايات المتحدة، والاتحاد الأوروبي. وحافظت السعودية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية على شراكة إستراتيجية مع الولايات المتحدة تقوم على ضمان إمدادات النفط إليها مقابل مظلة أمنية غربية للمملكة ودول الخليج العربي الأخرى، ولسنوات طويلة أيضا تشاركت السعودية مع الغرب الأمريكي - الأوروبي في سياسات احتواء كل من الشيوعية والقومية العربية، وهو ما أدى إلى مواقف مشتركة من قضايا عدة في الشرق الأوسط، إفريقيا، آسيا، بل وأمريكا اللاتينية^(٢). كما عمل الطرفان على مواجهة النفوذ والتهديد الإيراني في الخليج العربي، بعد نشوب الثورة الإيرانية الخمينية في عام ١٩٧٩، وقد استمرت تلك العلاقة الإستراتيجية بين الولايات المتحدة وأوروبا الغربية من ناحية، والمملكة العربية السعودية ودول الخليج العربية من ناحية أخرى مثل الكويت، الإمارات والبحرين طوال مرحلة الحرب الباردة وفترة الحرب بين العراق وإيران منذ ١٩٨٠ وحتى ١٩٨٨، وحرب تحرير الكويت في عام ١٩٩١، ورغم الاحتلال الأمريكي للعراق في ٢٠٠٣، فإن خريطة علاقات الطاقة بين السعودية وبقية دول الخليج من ناحية، والولايات المتحدة وأوروبا الغربية من ناحية أخرى لم تعرف تغيرا جوهريا.

إلا أن السنوات الأخيرة القليلة شهدت تطورات وتغيرات أثرت في العلاقة الإستراتيجية بين السعودية والخليج العربي من ناحية، والولايات المتحدة ومستوردي النفط الآخرين، وخصوصا الصين من ناحية أخرى، فالتغير في الموقف الأمريكي من ملف البرنامج النووي الإيراني، والتطور الإيجابي المهم الذي حدث لمفاوضات (١+٥) والذي علق العقوبات الغربية على إيران، مقابل التزام الأخيرة بتخفيض مستوى أنشطة برنامجها النووي، هو تغير من شأنه أن يزيد المخاوف والتهديدات المحتملة لذلك البرنامج على الأمن القومي لدول الخليج العربية، وفضلا عن ذلك

(١) المرجع نفسه

(٢) نبيل سرور، الصراع على النفط والغاز وأهمية منطقة الشرق الأوسط الإستراتيجية، مرجع سابق.

فإن توافق السياسة الأمريكية مع النهج الروسي الرافض لحرب وعمل عسكري ضد النظام السوري، والانشغال بملف الأسلحة الكيميائية السورية، كانا من العوامل التي باعدت بين الموقف الأمريكي والموقف السعودي-الخليجي من أزمة الحرب الأهلية السورية، بما زاد من مستوي التوتر بين الطرفين، حيث يري الطرف الخليجي أن من شأن ذلك تقوية نهج إيران علي نحو يجعل من الصعب وضع حد للنفوذ الإيراني الشيعي في المنطق.

وبالإضافة لذلك فإن زيادة الإنتاج الأمريكي من النفط والغاز نتيجة لطفرة الغاز والنفط الصخري، قد تؤدي إلي انخفاض الطلب الأمريكي علي النفط الخليجي ولذلك، ارتفعت الصادرات النفطية السعودية إلي الصين، وتجاوزت الصادرات السعودية إلي الولايات المتحدة في عام ٢٠٠٩، وكذلك أخذت الاستثمارات الصينية في المملكة العربية السعودية في الارتفاع، وأنفقت الصين علي نطاق واسع علي مصافي النفط في المملكة، وتم توقيع اتفاق تعاون نووي بين الطرفين، وفي عام ٢٠١٤ زادت واردات الولايات المتحدة من النفط السعودي بعد أن كانت قد تأثرت بالأزمة المالية ٤، وحدث ذلك رغم أن الولايات المتحدة كانت قد أصبحت في عام ٢٠١٣ أكبر منتج للنفط والغاز الطبيعي، ولكنها تفضل الاحتفاظ باحتياطياتها منها أو بجزء مهم منها حرصا علي أمن الطاقة مستقبليا.

وعلي الجانب الآخر تقف الصين والولايات المتحدة ككبري الدول المستوردة للطاقة، وكان ذلك هو حال الولايات المتحدة طوال القرن العشرين، ودخلت الصين إلي حيز المنافسة علي استيراد النفط والغاز في إطار عملية تحولها إلي القوة الاقتصادية الثانية عالميا، وإلي القوة العسكرية الثالثة عالميا أيضا، وهو وضع تحدد وتبلور خلال العقد الماضي.

وتعد الطاقة لدي الولايات المتحدة الأمريكية أحد الجوانب المهمة للغاية للأمن القومي الأمريكي، حيث يعد تأمين مصادر الطاقة بكميات كافية، وبأسعار معقولة للمواطنين الأمريكيين أمرا مهما للحفاظ علي المكانة العالمية للولايات المتحدة التي تعد أعلى الدول استهلاكا لكل من النفط والغاز الطبيعي. وفي معظم الأوقات كانت هناك فجوة كبيرة بين المنتج والمستهلك من النفط والغاز، وكان الفرق يغطي بالمستورد، الأمر الذي جعل واشنطن دائما علي رأس قائمتي الدول المستهلكة والمستوردة لأهم موردين للطاقة، ونتيجة لأزمة أكتوبر ١٩٧٣ التي عانت فيها الولايات المتحدة ارتفاعا ضخما في سعر النفط، بعد تطبيق العرب سياسة الحظر النفطي علي واشنطن لمساندتها إسرائيل عسكريا في أثناء حرب أكتوبر، وهو ما أدى إلي تفكير الولايات المتحدة

الأمريكية فعليا إليارسال قوات محمولة جواً للسيطرة على حقول النفط الرئيسة في بعض دول الخليج، وهو ما كشفته وثائق سرية بريطانية آنذاك^(١)، لكن رغم ذلك استهدفها لدول المنطقة مازال واضحا، وفي هذا الإطار أكد الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون في عام ١٩٩١ على أهمية ضمان التدفق المتواصل لإمدادات الطاقة لا سيما النفط وضرورة الدفاع عنه بقوله: «إننا لا نذهب إلى هناك دفاعاً عن الديمقراطية ولا نذهب إلى هناك لمحاربة الدكتاتورية، ولا نذهب إلى هناك للدفاع عن الشرعية الدولية، إننا نذهب إلى هناك وعلينا أن نذهب لأننا لن نسمح بان تمس مصالحنا الحيوية»^(٢)، وإزاء تلك المخاوف من ندرة مصادر الطاقة ولا سيما النفط، فقد أصدر المجلس الأمريكي للعلاقات الخارجية ومعهد (جيمس بيكر) للسياسة العامة في آذار ٢٠٠١ تقريراً ورد فيه أنه: «مع بداية القرن الواحد والعشرين يعيش قطاع الطاقة حالة أزمة، أزمة يمكن أن تنشب في أي وقت نتيجة عدد من العوامل»^(٣)، وستؤثر حتماً على الأمن القومي والسياسة الخارجية للولايات المتحدة تأثيراً دراماتيكياً.

والسياسة الأمريكية المتبعة في مجال الطاقة مؤخراً تعلن عن طموحات كبيرة ببدء الوصول إلى حالة الاكتفاء الذاتي في الطاقة بدءاً من عام ٢٠٢٠، وذلك من خلال سياسات زيادة المنتج وانخفاض المستهلك من موارد الطاقة، علي نحو يحقق الاكتفاء الذاتي الكامل في عام ٢٠٣٥. وبطبيعة الحال هذه طموحات قد تواجه صعوبات متعلقة بارتفاع تكلفة إنتاج الغاز والنفط الصخري، وباحتمال اتجاه دول "الأوبك" إلى سياسات ومواقف قد تمثل تحدياً أو تفرض صعوبات، علي مسار الارتفاع الكبير في إنتاج موارد الطاقة الصخرية أمريكياً، ومن تلك السياسات زيادة إنتاج وعرض النفط والغاز وخاصة من السعودية، بما يؤدي إلى انخفاض سعرهما دولياً، ومن ثم تحدي آفاق الزيادة الضخمة المتاحة نظرياً للموارد الصخرية للطاقة في الداخل الأمريكي، حتي وإن ترتب علي ذلك انخفاض في سعر بترول "أوبك" المصدر إلى دول أخرى من بينها الولايات المتحدة.

وقد فرضت الصين نفسها علي خريطة الطاقة العالمية بعد عام ١٩٩٢، وهو العام الأخير لمرحلة الاكتفاء الذاتي للصين من موارد الطاقة، ومع ذلك لا تزال الصين حالة مختلفة فأكبر موارد الطاقة لديها هو الفحم الذي بلغ ٦٩٪ من استهلاكها من الطاقة في عام ٢٠١١، ويليه النفط بنسبة ١٨٪، ثم الغاز الطبيعي بنسبة ١٤٪، وهي ثاني أكبر مستهلك للنفط بعد الولايات المتحدة، ويتوقع أن

(١) نبيل سرور، الصراع على النفط والغاز وأهمية منطقة الشرق الأوسط الإستراتيجية، مرجع سابق

(٢) سليم كاطع علي، نفس المرجع.

(٣) سليم كاطع علي، الإدراك الإستراتيجي الأمريكي لأمن الطاقة، مرجع سابق.

تصبح أكبر مستهلك في عام ٢٠٢٧، وهي ثالث أكبر مستورد للغاز المسال في العالم. وتتميز سياسة الصين بتعدد دوائر تحرك سياستها الخارجية في مجال الطاقة، وتتضمن تلك الدوائر الخليج، إفريقيا، أمريكا اللاتينية، آسيا الوسطى والقوقاز، وهو ما يعطي لتلك السياسة الصينية مرونة وفعالية، ومساحة كبيرة للحركة وتعددا وتنوعا في البدائل المتاحة، وتعددا في مجالات التعاون من مجال التنقيب، وحتى مجال تمويل المشروعات التنموية، والاستثمار في مشروعات صينية أو مشتركة، وذلك نهج تختص به الصين من بين الدول المستوردة للنفط والغاز، فمحدودية مصادر الطاقة من نفط وغاز طبيعي في الصين لم تؤد إلى محدودية دورها الدولي، بل على العكس دفعتها إلى تبني مواقف وأدوات نشطة، والمزج بين أدوات متنوعة بما يتلاءم مع ظروف كل منطقة، وذلك نهج يختلف عما تتبعه دول أخرى تعاني محدودية أدوارها الخارجية بسبب محدودية مواردها من الطاقة، وكذلك عن النهج التدخل العنيف الذي تتبعه دول أخرى لتعويض حالة معاناتها من نقص الموارد المهمة للطاقة^(١).

وهكذا تتبع الصين نهجا تعاونيا يركز على توظيف أدوات القوة الناعمة في التعاون مع الدول المنتجة والمصدرة للنفط والغاز، وذلك من خلال تقديم الاستشارات والمساعدات التي تهدف إلى المشاركة في التنمية وليس فرض حالة هيمنة.

المحور الثالث :

مستقبل الطاقة وهيمنة الحسابات الإستراتيجية للدول

يشهد العالم نمطا صراعيا متناميا في عديد من المناطق الإستراتيجية، وهذه الصراعات سببها تقاطع خطوط نفوذ القوى الدولية والاقليمية، وعلى رأسها فضاء الطاقة العالمي سواء بمصادر الطاقة في الخليج العربي وإفريقيا وأمريكا الجنوبية، أو فيما يتعلق بممرات الطاقة البرية أو البحرية كمنطقة بحر الصين الجنوبي وفي سوريا وأوكرانيا، فمستقبل الطاقة رهينة الحسابات الجيو إستراتيجية وخاصة وأن الامن القومي للدول مرتبط بأمن الطاقة^٢.

(١) سليم كاطع علي، الإدراك الإستراتيجي الأمريكي لأمن الطاقة، مرجع سابق.

(٢) مالك عوني، "العامل المرواح: جدلية تأثير الطاقة في مرحلة إعادة تشكيل النظام الدولي"، مجلة السياسة الدولية، ملحق تحولات إستراتيجية، العدد ١٩٦، (أفريل ٢٠١٤)، ص ٠٣.

فمصادر الطاقة تؤثر على توجهات السياسة الخارجية للدول وخاصة في مجال التعاون والصراع الدولي، ففي حالتي المملكة العربية السعودية وروسيا كان لمصادر الطاقة تأثير في السياسة الخارجية، فقد كان للسعودية تأثير في النظام الدولي من خلال سياسة سعودية في مجال إنتاج وتسويق النفط، وروسيا كان لها التأثير من خلال استخدام الطاقة كسلاح لإستعادة مكانتها الدولية وخاصة في الأزمة الأوكرانية، فتأمين مصادر الطاقة تبقى كأهم مقاربة لتحليل الصراعات^(١).

وبهذا فإن هناك صراع حاد في المصالح بين الدول الصناعية وخاصة الدول العربية النفطية فيما يخص علاقة النفط بالسلطة والقوة. فالدول العربية النفطية مصدرة للخام. إنها تستغل قسطاً من ثروتها الطبيعية لإشباع حاجاتها المحلية والقيام ببرامجها التنموية. كما تعتمد اعتماداً أساسياً على حصيلة صادراتها النفطية لذلك تقتضي مصالحها زيادة الاستهلاك والتصدير، أما الدول الصناعية فهي عادة غير منتجة بل مستوردة للنفط. كما أن قدرتها التكنولوجية كفيلة بالحد من الاستهلاك وبالتالي تقليص الاستيراد دون أن تتأثر اقتصادياتها سلباً. وهكذا تصطدم المصالح الاقتصادية للدول الصناعية مع المصالح الاقتصادية للبلدان النفطية^(٢).

وعليه فإن مستقبل الطاقة سواء التقليدية أم المتجددة يبقو رهينة الحسابات الإستراتيجية للدول فكل دولة تسعى لإستخدام محدد الطاقة كورقة ضغط وكعامل مركزي في بناء القدرات الهجومية والدفاعية للدول، وهو ما نلاحظه في توجهات القوى الإقليمية والدولية في كثير من الملفات الإستراتيجية كالموقف الصيني والإيراني والروسي من القضية السورية والأزمة الليبية، فعلى سبيل المثال تسعى روسيا إلى بناء علاقات وشراكات إقتصادية مهمة سواء في الدول الآسيوية أو المناطق القارية البعيدة، وترتبط الأهداف الروسية بثلاثة قطاعات رئيسية هي الطاقة بما فيها النفط والغاز والتعاون التقني في المجالات الصناعية والتنموية والتعاون العسكري، ويحتل التعاون والتنسيق في مجال الطاقة قمة الأولويات للسياسة الروسية الخارجية^(٣).

(١) عبد الرحمن رضوان، استهلاك العالمي للطاقة في ٢٠١٥، تم الاطلاع في: ٢٧/١٢/٢٠١٨، على الساعة: ١٥:٣٠، من الموقع الإلكتروني: <https://www.ultrasawt.com>

(٢) صباح نعوش، "الدول العربية في مؤتمر باريس للمناخ"، مقال منشور بموقع الجزيرة، تاريخ الإطلاع: ٠٨/٠١/٢٠١٦، الموقع الإلكتروني: <http://www.aljazeera.net/news/ebusiness/2015>

(٣) بلقاسمي مولود، الثابت والمتغير في السياسة الخارجية الروسية: دراسة نموذج الأزمة السورية والأزمة الأوكرانية: توظيف نموذج تعديل المسار في السياسة الخارجية لـ "تشارلز هيرمان"، مجلة جيل البحث العلمي، العدد ٠٩، جوان ٢٠١٧، ص ١١٢.

فروسيا تحاول بناء شراكة إستراتيجية في مجال الطاقة للحفاظ على أسعار النفط في السوق العالمية وذلك من خلال الاستثمارات الروسية في مجال التنقيب والاستخراج في الدول العربية، وتبقى من أولويات السياسة الخارجية الروسية إيجاد ظروف مواتية لاقتصادها وتنشيط الدبلوماسية في المجال الاقتصادي مع مراعاة مصالح روسيا كدولة كبرى، وفي هذا السياق أعلن «ميخائيل ديمترييف» رئيس التعاون الفني والعسكري في الحكومة الروسية أن حجم الصفقات الروسية لسنة ٢٠١١ وصلت لنحو ٤٨ مليار دولار أي بزيادة ٩.٥ مليار دولار عن عام ٢٠١٠، وبهذا فإن روسيا تسعى الى وضع مجموعة من الأهداف والاستراتيجيات الاقتصادية من اجل بناء اقتصادها وذلك من خلال العلاقات الاقتصادية في مجال الطاقة وبيع الأسلحة.

وإنطلاقاً من الأسباب الحقيقية لإنهيار أسعار النفط فلا يمكن أن تظل أسعار النفط مرتفعتاً إلى الأبد، بل تمر بعدد من الدورات الاقتصادية في حالات التوسع والركود، ولكن تختلف أسباب التراجع من فترة لفترة، بحيث يتراجع الطلب على النفط من جانب عدد كبير من دول العالم في ظل تنامي الإمدادات العالمية سواء من الدول التقليدية المنتجة أو دخول منتجين جدد إلى الساحة العالمية وتارةً أخرى تتراجع الأسعار على خلفية بأن السوق لم يعد يحتمل مزيد من الإمدادات^١.

يعتبر النفط أهم محركات الاقتصاد العالمي، فقد إنخفض سعره من ١١٢ دولار للبرميل في بداية جوان ٢٠١٤ إلى ٥٠ دولار في جانفي ٢٠١٥ بمعدل إنخفاض سريع يقدر بـ ٥٥٪ في مدة ٦ أشهر فقط كما يوضح الشكل رقم ٠١، ومن الأسباب الظاهرة للإنهيار التخمّة الموجودة في السوق العالمي الناتج عن زيادة إنتاج الأوبك بـ ٢ مليون برميل فوق سقف الإنتاج، إضافة إلى بعض التباطؤ الاقتصادي في الصين ودول حوض الباسيفيكي والاتحاد الأوروبي، يضاف إلى كل هذا رفض منظمة الأوبك تخفيض الإنتاج بما يزيد عن ٢ مليون برميل، فالأوبك تمثل ٤٠ بالمئة من إنتاج النفط في العالم ومن واجبها الحفاظ على مصالح أعضائها برفع أسعار النفط، ٥ كما أن أسعار النفط يحددها الطلب العالمي والذي بدوره يتأثر بعاملين أولهما عامل الأحداث السياسية والتطورات الجيو إستراتيجية، وثانياً عامل النمو الاقتصادي العالمي (شكل رقم ٠١ يوضح مراحل إنهيار أسعار النفط).

وهناك عاملين كذلك يحددان سعر النفط أولهما الطلب العالمي على النفط فإذا إرتفع الطلب إرتفع السعر والعكس صحيح، وزيادة معدلات النمو الاقتصادي في العالم يزيد من الطلب ويرفع

(١) أسماء الخولي، "لعبة تبديل أدوار: ماذا تُعني عودة إيران النفطية لكل من أوبك وروسيا؟"، المركز الدبلوماسي للدراسات الإستراتيجية، تقرير الطاقة في العدد رقم ١٥ من تقرير الاقتصاد والأعمال، ١٥ - ٠٤ - ٢٠١٥، الموقع الإلكتروني: www.DCSS.com

فمن السعر، أما العامل الثاني فهو العامل التكنولوجي فكلما تقدمت التكنولوجيا كلما استطاعت إستخراج كميات أكبر من النفط، فرفع عامل الإستخراج بنسبة ١٪ فقط يضيف ١٢ مليار برميل إلى الإحتياط العالمي للنفط دون أن تحفر بئر نفط واحد.

ويجب الإشارة إلى أن هناك فرق بين كلفة الإنتاج وحاجة الميزانيات سواء الدول أو الشركات المستخرجة للنفط، فالعراق على سبيل المثال كلفة الإنتاج تقدر ب نصف دولار للبرميل، وفي الخليج حوالي ٥ دولار للبرميل، أما في الولايات المتحدة فتكلفة إستخراج النفط الصخري تقدر ما بين ٧٠ إلى ٨٥ دولار للبرميل، والمتجون الفعالون في العالم يتعايشون مع سعر ما بين ٥٠ إلى ٦٠ دولار للبرميل، ولكن الغالبية العظمى يحتاجون إلى سعر ٧٠ إلى ٨٥ دولار للبرميل، ولكن المشكلة الكبيرة في حاجة الميزانيات فدول الخليج تحتاج إلى ١٠٠ دولار فما فوق للبرميل لموازنة ميزانياتها، وإيران تحتاج إلى ١٢٥ دولار للبرميل رغم سعيها مؤخرا لتنويع مصادر دخلها، وروسيا تحتاج إلى ٩٠ دولار للبرميل، وفنزويلا تحتاج إلى ١٣٥ دولار للبرميل^١. وهناك أسباب أخرى لانخفاض الأسعار، فأزمة ٢٠٠٨ واجه العالم أكبر أزمة إقتصادية فقد إنهار السعر من ١٤٧ دولار إلى ٣٠ دولار أواخر ٢٠٠٨، ولكن في ٢٠٠٩ إلى ٢٠١١ عاش العالم أزميتين خطيرتين ومع ذلك لم ينهار سعر النفط فقد وصل إلى ١٠٠ دولار، ولهذا هناك أسباب أخرى سياسية أكثر منها إقتصادية، فروسيا على سبيل المثال ترى في إغراق السوق بالنفط وعدم تخفيض أوبك للإنتاج إستراتيجية لضرب إقتصاد وقوة روسيا، أما إيران فلا تستطيع إنتاج حصتها من النفط في منظمة الأوبك وهي ٤ مليون في اليوم، ولم تستطع بلوغ حتى ٣,٥ مليون برميل في اليوم بالإضافة إلى إستهلاك داخلي ما يقارب ٢ مليون برميل في اليوم، وتداعيات العقوبات المفروضة عليها ودعمها للحرب في سوريا ولجتماعات في مناطق عديدة من العالم.

أما تأثير دخول الولايات المتحدة الأمريكية لسوق النفط بحصتها من النفط الصخري فهو مبالغ فيه، فقد كانت تستورد ١٤ مليون برميل في اليوم ولا زالت تستورد ٧,٥ مليون برميل في اليوم، وستحافظ الولايات المتحدة الأمريكية على مصالحها في الشرق الأوسط وذلك أن الصين

1- Aurélien Saussay, La baisse de prix de pétrole: Aubaine économique, défis écologique, Terra Nova, 1/38, 12 mai 2015, web: www.tenova.fr

- مع العلم كانت دول الخليج في التسعينات تحتاج إلى سعر ٢٠ دولار للبرميل، ويمكن خلال خمس سنوات يمكن أن تحتاج إلى ١١٠ إلى ١٢٠ دولار للبرميل الواحد.

أكبر مستورد للنفط السعودي بالعالم، وثاني أكبر مستورد للنفط الإيراني وأكبر مستثمر في النفط في العراق، وأي نزاع أو حرب بينهما بشأن تايوان أو جزر البحر الأصفر الصيني يعني إغلاق مضيق هرمز في وجه صادرات النفط للصين ولهذا تبني الإحتياط الإستراتيجي لمدة ٩٠ يوم، كما لا ننسى التحالف الإستراتيجي الصيني - الروسي كأكبر منتج روسي وأكبر مستورد صيني^(١).

فالتخمة والتباطؤ الاقتصادي لا يبرران لوحدهما إنهيار أسعار النفط، فهناك تواطؤ سياسي بين الولايات المتحدة الأمريكية والسعودية وحرب غير معلنة هي حرب النفط، فالسعودية تريد أن تضعف النفود والبرنامج النووي الإيراني والذي يمتد في الشرق الأوسط من العراق ولبنان واليمن وغزة، أما الولايات المتحدة تستغل إنهيار الأسعار لضرب الاقتصاد الروسي رغم تضرر سعر النفط الصخري الأمريكي، وأعطت الأسبقية السياسية الإستراتيجية على الضرر الاقتصادي، وهناك دراسة مقدمة للبنك الدولي من طرف الخبير ممدوح سلامة ترى أن ١١ حرباً قامت في العالم بسبب النفط منذ ١٩٤١ إلى ٢٠١٤، آخرها حرب أوكرانيا.

فيما تعاني الأسواق العالمية بالأساس من تخمة في المعروض، يتوقع ارتفاعها في ظل سباق بين المنتجين على حصصهم في الأسواق. ومن المؤشرات المقلقة، ليس للاقتصاد الصيني فحسب بل على صعيد الاقتصاد العالمي وبخاصة اقتصاديات الخليج، المنتج الرئيس للنفط في منظمة «أوبك»، تراجع معدل طلب الصين الضخم على المواد الخام العالمية وفي مقدمتها النفط والمعادن، علماً بأن الصين استوردت في عام ٢٠١٤ ما يقرب من ٢,٦ مليون برميل من النفط يومياً، منها حوالي ٣,١ مليون برميل من منطقة الشرق الأوسط^(٢).

فالحسابات السياسية تتركز على الصراع على مناطق النفود وموارد الطاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وبين السعودية وإيران، فكل منهم يحتاج للنفط لدعم الجماعات المسلحة والأنظمة المتحالفة معها في هذه الصراعات.^(٣)

1 - Etude prospective et stratégique، « Impact de la baisse du prix du pétrole sur les payes producteurs d'Afrique équatoriale »، Bruxelles: Ministre de la défense - DGRIS، N23، 25 septembre 2015، p 4 - 5 - 6

٢ - أسماء الخولي، "أسعار النفط العالمية... تُقبل على الانتحار"، المركز الدبلوماسي للدراسات الإستراتيجية، تقرير الطاقة في العدد رقم ٣١ من تقرير الاقتصاد والأعمال، ٢٠١٥ - ٠٨ - ٠٤، الموقع الإلكتروني: www.DCSS.com

٣ - عبد الرحمن رضوان، استهلاك العالمي للطاقة في ٢٠١٥، مرجع سبق ذكره

ويجب الإشارة إلى أن الاقتصاد العالمي لا يستطيع التعايش مع إنهيار الأسعار وذلك لأنه يعتمد على ركيزتين أساسيتين:

١ - الاستثمارات العالمية بما فيها في مجال النفط والطاقة.

٢ - الصناعة النفطية في العالم وهي أهم ركيزة، فأكبر الشركات العالمية تحتاج إلى أكثر من ١٠٠ دولار للبرميل لموازنة ميزانياتها، فهي تحقق خسائر كبيرة ولهذا تخفف من استثماراتها للسنوات القادمة وحتى أن بعضها كـ «شال» و «إكسون موبيل» و «بريتش بتروليوم» و «شفرول» بدأت تباع بعض المنشآت المنتجة ولهذا ستقل حصتهم في الإنتاج وهذا ما يضع ضغط على الإنتاج فيدفع الأسعار للإرتفاع من جديد.

خاتمة:

يمكن القول أن مستقبل الطاقة يبقى خاضعا لحسابات السياسة أكثر منها للاقتصاد فلمصادر الطاقة دور أساسي في توجهات الدول، وخاصة النفط، كأحد الموارد الإستراتيجية، ذات تأثير بالغ الأهمية على الأمن لكل من الدول المصدرة والمستوردة لها، وذلك من خلال تأثيرها على الأمن الدولي وطبيعة الاستراتيجيات والتحالفات الدولية، ويبدو من خلال المعطيات الحالية أن قضايا الأمن والتحالفات الإستراتيجية ستبقى لفترة طويلة قادمة تركز على قضية أمن ومصادر الطاقة، كما أن المياه ضرورية لإنتاج الطاقة مما يضاعف الضغط على مصادر المياه وعلى هذا فقد يبلغ الإرتفاع المتوقع في استهلاك المياه ٨٥٪ خلال هذه الفترة حتى عام ٢٠٣٥ مما يعكس التحرك نحو توليد المزيد من الطاقة كثيفة استهلاك المياه.

سيبقى العالم في حاجة للنفط، ولكن الإنتاج في الدول المنتجة سينخفض بسبب الإستهلاك الداخلي المتزايد وبسبب الدعم المالي، فالإستهلاك الداخلي مثلا لدول مجلس التعاون الخليج يوميا يقدر ب ٦ مليون أي ٣٠ بالمئة مما تنتج من النفط، وهناك دراسات في البنك الدولي ترى إذا استمرت الإتجاهات الإستهلاكية والدعم المالي يمكن للسعودية في سنة وأخيرا فإن تحولات مصادر الطاقة من خلال سعي الدول الى ضمان أمن الطاقة سيفرض على العالم بشكل عام والاقتصاد الدولي بشكل خاص تحديات كثيرة تهدد الاستقرار الدولي، ذلك راجع الى حساسية نظام الطاقة العالمي وخاصة مع دخول الغاز الصخري سوق الطاقة العالمية وما يشهده من انخفاض أسعار النفط وتداعياتها السياسية والاقتصادية. ٢٠٢٥ لا يكفيها إنتاجها للإستهلاك الداخلي مع إنخفاض صادراتها.

قائمة الهوامش:

- 1 - Colin J. Campbell and Jean H. Laherrère, 'The End of Cheap Oil', Scientific American, March 1998, p. 78 - 83, https://nature.berkeley.edu/er100/readings/Campbell_1998.pdf
- ٢ - عبد الرحمن رضوان، استهلاك العالمي للطاقة في ٢٠١٥، نفس المرجع.
- ٣ - ندي علي، نفس المرجع.
- ٤ - سليم كاطع علي، الإدراك الإستراتيجي الأمريكي لأمن الطاقة، مرجع سابق.
- 5- Aurélien Saussay, 'La baisse de prix de pétrole : Aubaine économique, défis écologique', Terra Nova, 1/38, 12 mai 2015, web : www.tenova.fr



إدارة الصكوك الحكومية ودورها في تمويل التنمية الاقتصادية

إعداد/ د. أسامة عبد الوهاب محمد إبراهيم

استاذ مساعد كلية الاقتصاد والعلوم الادارية جامعة المشرق

الخرطوم بحري الخرطوم السودان

o.abdelwhab.mohamed@mashreq.edu.sd

ملخص

هدفت الدراسة إلى توضيح الأهمية الاقتصادية للصكوك الحكومية ودورها في رفع معدلات النمو الاقتصادي، وذلك من خلال استعراضها كأداة من أدوات التمويل، وتقديم توصيات للحالة المصرية من خلال نتائج البحث، وذلك بغرض الإجابة على فرضيات الدراسة التي ترى أن الصكوك الحكومية ذات أثر إيجابي على مستوى الاقتصاد الكلي. لذلك تقسم الدراسة إلى ثلاث محاور هامة هي، أولاً: الصكوك (تعريفها- نشأتها - أنواعها)، ثانياً: الفرق بين الصكوك الحكومية والأسهم والسندات، ثالثاً: الأهمية الاقتصادية للصكوك الحكومية.

Abstract

The research aimed to clarify the economic importance of government instruments and its role in raising economic growth rates through reviewing it as a financing tool and presenting recommendations to the Egyptian case through the results of the research in order to answer the research hypotheses, government instruments having a positive effect on the macroeconomic level.

مقدمة:

لاقت الصكوك انتشاراً واسعاً في كثير من دول العالم بصفة عامة والسودان واحد من بين هذه الدول، وذلك لما حققته من نتائج إيجابية في مجالات التمويل والاستثمار في كثير من القطاعات الاقتصادية، كما أنها تتميز بتعدد أنواعها كصكوك المشاركة والمضاربة والسلم، وغيرها، مما فتح أبواباً كثيرة للاستثمار، فأدى ذلك إلى زيادة قوة الصكوك الحكومية كأداة من أدوات التمويل الإسلامي. وأكد صندوق النقد الدولي أن الأدوات المصرفية الحكومية تشهد نمواً متسارعاً ويمكن إرجاع ذلك إلى توسع رقعة الحلول والمنتجات التي تتماشى مع قطاعات واسعة من المستثمرين سواء الحكومات أو الشركات أو المؤسسات المالية نفسها. وسعى السودان إلى إصدار الصكوك الحكومية؛ لما لها من أهمية على مستوى الاقتصاد الكلي سواء في تمويل عجز الموازنة أو تنشيط الأسواق المالية أو تمويل المشروعات التنموية ومشروعات البنية التحتية. ونتيجة لأهمية وانتشار الصكوك الحكومية كأداة تمويلية، ظهرت العديد من الدراسات التي اهتمت بالموضوع، تأتي هذه الدراسة متناولة أثر الصكوك الحكومية على النمو الاقتصادي في السودان.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية البحث من الانتشار الواسع للصكوك وتزايد أهميتها الاقتصادية في تمويل مشاريع التنمية الاقتصادية ودفع عجلة النمو الاقتصادي، واستخدامها كأداة للتمويل بجانب السندات والأسهم.

١. الأهمية العلمية:

تكمن الأهمية العلمية من خلال الانتشار العالمي للصكوك وتزايد أهميتها الاقتصادية في تمويل مشاريع التنمية الاقتصادية، كذلك الدور الفعال للصكوك كبديل لإيجاد مصادر تمويل ضخمة يسهل استخدامها في تمويل المشاريع التنموية، أيضاً زيادة الرصيد المعرفي والعلمي في مجال البحث العلمي، كذلك سد الثغرات التي أغفلتها الدراسات السابقة.

٢ - الأهمية العملية:

تنبع أهمية الدراسة في أهمية تمويل مشاريع التنمية الاقتصادية في النشاط الاقتصادي من خلال الصكوك، وأهميتها بالنسبة للأفراد، حيث أنها تمثل لهم مصدر لتوظيف مدخراتهم وزيادة عائداتهم المالية والنقدية، وأيضاً تقديم معلومات لمتخذ القرار تساعده في اختيار أفضل الطرق لتمويل مشاريع التنمية الاقتصادية.

مشكلة الدراسة:

إن عملية النمو والتنمية في أى دولة يتطلب توفير رؤوس أموال كافية لتمويل مشاريع التنمية الاقتصادية، وعلى الرغم من وجود أدوات تمويلية تقليدية مثل السندات والأسهم إلا أنها غير كافية لتمويل الاستثمارات الطويلة والمتوسطة الأجل ومشاريع البنية التحتية، فكان من الضروري البحث عن أدوات تمويلية أخرى تساعد في التمويل، فكانت الصكوك الحكومية من أفضل الوسائل التمويلية والتي لاقت انتشاراً واسعاً.

تساؤلات الدراسة:

انبثق عدة تساؤلات تسعى هذه الدراسة للإجابة عليها:

١. ماهية الصكوك (تعريفها - وأنواعها - ونشأتها) ؟
٢. ما الفرق بين الصكوك الحكومية وغيرها من الأدوات التمويلية الأخرى (الأسهم والسندات)؟
٣. ماهى الأهمية الاقتصادية للصكوك الحكومية على مستوى الاقتصاد الكلى ؟

فرضيات الدراسة:

١. الصكوك الحكومية ذات أثر إيجابى على مستوى الاقتصاد الكلى.
٢. يرتبط الناتج المحلى الإجمالى ارتباطاً طردياً مع الصكوك الحكومية.

منهج الدراسة:

تم استخدام المنهج التاريخي والمنهج التحليلي الوصف.

مصادر جمع البيانات:

المصادر الأولية: المقابلات.

المصادر الثانوية: وتشمل المراجع، الرسائل العلمية، المجلات، المنشورات، التقارير الدورية، المواقع الإلكترونية.

يعتمد هذا البحث على اتباع المنهج التحليلي والوصفي

ثانياً: الدراسات السابقة

١ - دراسة محمد الفاتح عثمان صبير ٢٠٠٤ م^(١):

تهدف هذه الدراسة إلى إجراء مقارنة بين المصارف الإسلامية والبنوك التقليدية وتعرض إلى بعض صيغ التمويل الإسلامي.

ويمكن توضيح مشكلة الدراسة في الآتي.

ما هي المشاكل والمعوقات في تطبيق صيغتي المربحة والمضاربة؟

ما هي معوقات التمويل التقليدي في صيغتي القروض والاعتمادات؟

وجود بعض الشكوك والشبهات التي أثرت حول صيغة المربحة؟

هل تتعدد صيغة التمويل المصرفي الإسلامي؟

هذا وقد توصل الباحث إلى عدد من النتائج أهمها؛ الموارد الخارجية في المصارف الإسلامية. هنالك بعض التشابه مع اختلاف الأهداف بينها وبين المصارف التقليدية، وأيضاً توصل الباحث إلى أن الموارد الداخلية في المصارف الإسلامية لا تختلف عن الموارد الداخلية في البنوك التقليدية إذ أنها تتكون من رأس المال المدفوع والاحتياطات بأنواعها والأرباح غير الموزعة، الهدف الرئيسي للمصارف الإسلامية هو تطبيق شرع الله في المعاملات المالية والمصرفية والتمييز بين الخبيث والطيب.

(١) محمد الفاتح عثمان صبير ٢٠٠٤ م، صيغ التمويل المصرفي الإسلامي والتقليدي دراسة مقارنة لمصرفي أبوظبي الإسلامي وبنك أبوظبي الوطني دولة الإمارات العربية رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السودان.

كما أن الباحث قدم توصياته ومنها، فك القيود المفروضة على المصارف الإسلامية من أجهزة الدولة في بعض الدول، وفتح مجالات الدول أمامها اقتداءً بالبنوك التقليدية، ومساعدة المصارف الإسلامية على التوسع وفتح فروع جديدة لها علماً بأن هذه المصارف هدفها خدمة وتنمية المجتمع للوصول إلى صيغة موحدة للعمل المصرفي الإسلامي، ووضع استراتيجية موحدة تحت راية الاتحاد الدولي للمصارف الإسلامية، الترويج للنظام المصرفي الإسلامي، وشرح خصائصه، وأهدافه حتي تتم معرفته من الجميع.

لم يوضح الباحث المنهج الذي اتبعه في هذه الدراسة.

٢ - هناء محمد هلال الحنيطي، الامارات، ٢٠١٥ م:

هدفت الدراسة إلى معرفة دور الصكوك الإسلامية في التنمية الاقتصادية، وتتمثل مشكلة الدراسة في معرفة دور الصكوك الإسلامية في تحقيق التنمية الاقتصادية من خلال (التمويل بالصكوك، الاستثمار بالصكوك، الناتج المحلي الإجمالي) في بنك دبي الإسلامي، أيضاً تهدف هذه الدراسة إلى بيان دور الصكوك الإسلامية في التنمية الاقتصادية من خلال (التمويل بالصكوك، الاستثمار بالصكوك، الناتج المحلي الإجمالي)، عرض نماذج دولية لإصدارات الصكوك الإسلامية، اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وافترضت الدراسة أنه لا يوجد دور للصكوك الإسلامية في التنمية الاقتصادية من خلال (التمويل بالصكوك، الاستثمار بالصكوك، الناتج المحلي الإجمالي) في بنك دبي الإسلامي. من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة وهي:

أن الصكوك الإسلامية تحتوي على تشكيلة متنوعة من الأدوات والمنتجات المالية التي تختص بالكثير من المميزات والإيجابيات وهذا يتيح فرصاً ومجالات أكثر لتمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة، وتذبذب في نسبة التمويل بالصكوك إلى الناتج المحلي الإجمالي خلال فترة الدراسة مما يعني أن مساهمة التمويل بالصكوك في الناتج المحلي الإجمالي لم يأخذ اتجاهاً موحداً (ارتفاعاً أو انخفاضاً)، وغير مستقر. بالتالي أوصت الدراسة بتعبئة الموارد المالية بشكل أكبر من خلال التركيز على الصكوك الإسلامية بأنواعها المختلفة.

الصكوك الحكومية كأحد الأدوات المالية

المقدمة:

لأن الدول في حاجة لمزيد من الابتكار في الأدوات المالية؛ لمواجهة مخاطر وتحديات التمويل لديها، فكانت الصكوك في هذا المجال هي بمثابة أداة تمويلية مبتكرة وشائعة؛ حيث يشكل إصدار الصكوك وخاصة الحكومية - وهي موضوع الدراسة - تغييراً جوهرياً في هيكل تمويل الدول ومصارفها ومؤسساتها المالية الأخرى، بالإضافة إلى أنه بمثابة أداة جيدة للتكامل بين مؤسسات التمويل جميعاً.

وفي هذه الدراسة سوف نتناول الصكوك الحكومية على النحو التالي:

أولاً: ماهية الصكوك الحكومية (ماهيتها - نشأتها - أنواعها).

ثانياً: مقارنة الصكوك الحكومية بغيرها من الأدوات التمويلية الأخرى (السندات والأسهم).

ثالثاً: الأهمية الاقتصادية للصكوك الحكومية .

أولاً: الصكوك (ماهيتها - نشأتها - أنواعها)

نتعرف هنا على الصكوك الحكومية من ناحية التعريف والنشأة كيف بدأت وكيف صارت، ونتناول أنواعها المختلفة كذلك. ونتطرق بداية لمعرفة ماهية الصكوك لغةً واصطلاحاً على النحو التالي:

ماهية الصكوك:

الصكوك لغة:

الصكوك: جمع صك، وتلاقي حرفي الصاد والكاف يعني اندماج الشئين وبشدة، بما في ذلك قول: «صككت الشئ صكاً»^(١).

الصكوك اصطلاحاً:

يوجد العديد من التعريفات لمصطلح الصكوك، ولكن جميعها يدور حول أن الصكوك هي: "عملية تحويل الأصول المالية السائلة، مثل القروض إلى أوراق مالية يمكن تداولها في سوق رأس المال، مثل الأسهم والسندات وتستند هذه الأوراق إلى ضمانات عينية ونقدية"^(٢).

(١) خالد بن سعود الرشود، "العقود المبتكرة للتمويل والاستثمار بالصكوك الإسلامية"، ٢٠١٣، ص ٣٥.

(٢) معطى الله خير الدين، شرياق رفيق، "الصكوك الإسلامية كأداة لتمويل مشاريع التنمية الاقتصادية"، جامعة قلمة، ٢٠١٢، ص ٢٣٧.

الصكوك الحكومية؛

فقد عرفت هيئة المحاسبة والمراجعات للمؤسسات المالية الحكومية بأنها: «وثائق متساوية القيمة تمثل حصصاً شائعة في ملكية أعيان أو منافع أو خدمات أو موجودات مشروع معين أو نشاط استثماري خاص، وذلك بعد تحصيل قيمة الصكوك وقفل باب الاكتتاب، وبدء استخدامها فيما أصدرت من أجله»^(١).

نشأة الصكوك؛

نشأت الصكوك الحكومية؛ بسبب حاجة الناس لمصادر تمويل مستمدة من الشريعة الحكومية بديلاً عن المصادر الأخرى المقترنة بفوائد ثابتة.

فبدأ البعض بطرح صكوك المقارضة لأول مرة عام ١٩٧٧، ومن ثم ظهر نوع آخر بتركيا لتمويل جسر البوسفور الثاني عام ١٩٨٣ وهو سندات المشاركة، وهكذا بدأت تظهر الأنواع الأخرى للصكوك الحكومية في العديد من الدول الحكومية كماليزيا، حيث كان أول إصدار لها عام ١٩٩٥؛ لبناء محطة طاقة كهربائية، وكذلك البحرين، وأيضا الدول الغربية كبريطانيا؛ حيث أرادت تمويل الموازنة العامة للدولة، وكذلك ألمانيا^(٢).

وتقوم الصكوك الحكومية على مبدأ التوريد، وهو مصطلح اقتصادي يعنى: «تحويل قيمة الأصول المالية إلى أوراق مالية يمكن تداولها في السوق، ويساعد ذلك المصارف والمنشآت المالية الأخرى على توفير سيولة لديها؛ لتمويل مشاريعها التنموية».

ويختلف التوريد عن الطرح الأولي للأوراق المالية، في أن الأول يسبقه امتلاك المنشأة لأصل يدر دخلاً بمفرده، في حين أن الثاني يستخدم لاقتناء الأصول^(٣).

أنواع الصكوك الحكومية؛

للصكوك الحكومية أنواع عديدة منها صكوك المشاركة والمضاربة والاستصناع والمزارعة والمغارسة والمرابحة والسلم والإجارة وغيرها من الأنواع الأخرى.

(١) هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، "المعايير الشرعية للمؤسسات المالية الإسلامية"، البند ٢ من المعيار الشرعي رقم ٥١٧، النماة - البحرين، ٢٠٠٧، ص ٢٣٨.

(٢) حسين شحاتة، "نشأة وتطور فكرة المصارف الإسلامية"، جامعة الأزهر - القاهرة، ١٩٩٦.

(٣) معطى الله خير الدين، شرياق رفيق، مرجع سابق، ص ٢٣٧.

وتتنوع الصكوك الحكومية لاعتبارات عدة حيث يمكن تقسيمها حسب نوع النشاط الذي أصدرت من أجله سواء كان نشاطاً زراعياً أم خدماً أم استثمارياً، وأيضاً يمكن تقسيمها طبقاً لاعتبار الأمان إلى صكوك أكثر أماناً كصكوك المراقبة حيث أنها أكثر أماناً من أنواع الصكوك الأخرى كصكوك المشاركة أو المضاربة حيث يشارك المستثمر في الربح أو الخسارة بناء على نتائج المشاركة.

ويمكن تقسيم الصكوك حسب أجل الصك سواء كان قصير الأجل أو متوسط أو طويل الأجل وأيضاً يمكن تقسيمها إلى صكوك الاستثمار كصكوك المضاربة والمشاركة وصكوك التمويل كصكوك الاستصناع أو السلم ولقد حددت هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الحكومية نحو أربعة عشرة نوعاً من الصكوك الحكومية، سنتناول بعضاً منها كالتالي:

١/ صكوك المشاركة:

صكوك المشاركة هي: "وثائق متساوية القيمة تصدر لإنشاء مشروع أو لتوسيع مشروع قائم بالفعل بحصيلة هذه الصكوك وذلك على أساس عقد المشاركة الشرعية، وقد تصدر مؤسسة مالية وسطية هذه الصكوك بالنيابة عن الشركة، ويكتب الراغبون في الاكتتاب في هذا المشروع باعتبارهم شركاء حيث أنه يتحدد نصيبهم في الأرباح، وكذلك نصيبهم في الخسائر"^(١).

٢/ صكوك المضاربة:

تعرف صكوك المضاربة على أنها: «وثائق مشاركة تمثل مشروعات أو أنشطة تدار على أساس المضاربة بتعيين مضارب من الشركاء أو غيرهم لإدارتها»^(٢).

حيث أن صكوك المضاربة هي صكوك متساوية القيمة يصدرها المضارب سواء كان هذا المضارب صاحب المشروع أو النشاط أو شخص ينوب عنه، والمكتتبون في هذه الصكوك هم أصحاب المال، وحصيلة الاكتتاب هي رأس مال المضاربة التي يستثمرها المضارب في المشروع، ويتم تقسيم الأرباح المحققة وفقاً لنسب معينة يتم الاتفاق عليها في عقد المضاربة.

ويجب أن تتضمن نشرة إصدار الصكوك جميع شروط عقد المضاربة من حيث الصفة الشرعية لمصدر الصكوك، هل يصدرها باعتباره مضارباً أم يصدرها نيابة عن مضارب آخر يستثمر

(١) العربي مصطفى، حو سعية "دور الصكوك الإسلامية في تمويل الاقتصاد - ماليزيا أنموذجاً" مجلة البشائر الاقتصادية، المجلد الثالث، العدد ١ مارس (٢٠١٧)، ص ٧٠.

(٢) كتاف شافيه "أهمية الصكوك في تنشيط الأسواق المالية" ورقة عمل مقدمة إلى مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسير، جامعة سطيف، العدد ١٤ لسنة ٢٠١٤ ص ٨٣.

حصيلتها، ويجب أن توضح نشرة الإصدار موضوع النشاط ومدته، والأرباح المتوقعة منه وطريقة توزيعها وغيرها من شروط الإصدار الأخرى.

٣/ صكوك الاستصناع:

عرفتها هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الحكومية على أنها «وثائق متساوية القيمة يتم إصدارها لاستخدام حصيلة الاكتتاب فيها في تصنيع سلعة، ويصبح المصنوع مملوكاً لحملة الصكوك»^(١).

وبالتالى فإن صكوك الاستصناع تصدر لاستخدام حصيلتها من الأموال في تصنيع سلعة معينة، حيث أن مصدر هذه الصكوك هو الصانع والمكتتبون فيها هم المشترون، وحصيلة الاكتتاب هى تكلفة المصنوع، ويملك حملة الصكوك المصنوع ويستحقون ثمن بيعها. وحقوق حملة الصكوك تتمثل فيما دفعوه ثمناً لهذه الصكوك بالإضافة إلى الربح الناتج من الفرق بين تكلفة تصنيع الأصل والتمن الذى بيع فيه.

٤/ صكوك المراجعة:

هى عبارة عن أوراق مالية متساوية القيمة تصدر لتمويل شراء سلعة وتصبح السلعة بعد ذلك مملوكة لحملة الصكوك.

وبالتالى فإن المصدر لصكوك المراجعة هو البائع للبضاعة والمكتتبون فيها هم المشترون للبضاعة، وحصيلة الاكتتاب هى تكلفة شراء البضاعة^(٢).

٥/ صكوك المزارعة:

صكوك متساوية القيمة يتم إصدارها لاستخدام حصيلة الاكتتاب فيها في تمويل مشروع على أساس المزارعة، ويصبح حملة الصكوك هم أصحاب المحصول.

٦/ صكوك المساقاة:

هى وثائق متساوية القيمة يتم إصدارها لاستخدام حصيلة الاكتتاب فيها في سقي أشجار مثمرة والإنفاق عليها ورعايتها على أساس عقد المساقاة، ويصبح حملة الصكوك حصة من ثمار الأشجار وفقاً لما حدده عقد المساقاة.

(١) هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية "كتاب المعايير الشرعية"، البحرين، ٢٠١٠، ص ٢٣٩

(٢) العربى مصطفى، هو سعدية، مرجع سابق، ص ٧٠

٧/ صكوك المغارسة:

وثائق متساوية القيمة يتم إصدارها لاستخدام حصيلة الاكتتاب فيها في غرس أشجار، وما تتطلبه عملية الغرس من أعمال ونفقات على أساس عقد المغارسة، ويصبح لحملة الصكوك حصة في الأرض والغرس وفقاً لما تضمنه عقد المغارسة^(١).

٨/ صكوك الإجارة:

هى عبارة عن صكوك متساوية القيمة تمثل ملكية أعيان مؤجرة أو منافع أو خدمات، وهى قائمة على أساس عقد الإجارة^(٢).

أنواع صكوك الإجارة:

١/ صكوك ملكية الأعيان المؤجرة: وهى تصدر عن مالك عين من خلال وسيط مالي بغرض البيع واستيفاء ثمنها من حصيلة الاكتتاب وتصبح العين مملوكة لحملة الصكوك.

٢/ صكوك ملكية المنافع: يصدرها مالك عين موجودة بنفسه أو من خلال وسيط مالي، وتقسم إلى صكوك ملكية منافع أعيان موجودة، وصكوك ملكية منافع أعيان موصوفة في الذمة.

٣/ صكوك ملكية الخدمات: تصدر بغرض تقديم خدمة من طرف معين، وتقسم إلى صكوك ملكية خدمات من طرف معين، وصكوك ملكية خدمات من طرف موصوف في الذمة.

٤/ صكوك السلم: هى عبارة عن عقد يتم من خلاله دفع قيمة السلعة حالاً مع تأجيل الحصول عليها في وقت لاحق متفق عليه بين الطرفين^(٣).

وبالتالى طبقاً لذلك تقوم الدولة ببيع "سلم" سلعة محددة توصفها على أن تاخذ ثمنها من المشتري حالاً وتقوم بتسليم السلعة للمشتري في وقت لاحق، وهذا النوع من الصكوك يناسب الدول التى لديها موارد طبيعية كالنفط وأيضاً الطاقة الكهربائية.

(١) إسلام عبد الناصر "أثر الصكوك الإسلامية في تمويل الإنفاق الحكومى بالتطبيق على الحالة المصرية" رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ٢٠١٦ - ٢٠١٧، ص ١٦

(٢) معطى الله خير الدين، شرياق رفيق، مرجع السابق، ص ٢٤١.

(٣) أحسين عثمان، خولة الناصري، "أهمية الصكوك الإسلامية في تمويل مشاريع البنية التحتية - تجارب عربية وعالمية مختارة -"، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلد ١٣، العدد الثالث، ٢٠١٧، ص ٧.

ثانياً: الفرق بين الصكوك الحكومية والأسهم والسندات

تعد الصكوك الحكومية والأسهم والسندات أدوات مالية يتم التعامل بها في الأسواق المالية من أجل تمويل الجهات التي تصدر هذه الأدوات للحصول على رأس المال اللازم للنمو والتطوير كما تلجأ الحكومات إلى إصدار السندات لعدد من الأهداف منها تمويل الإنفاق العام، وحتى تتبين طبيعة هذه الأدوات سنقوم بالفرقة بين الصكوك والأسهم من جهة والصكوك والسندات من جهة أخرى^(١).

جدول (١): الفرق بين الصكوك الحكومية والأسهم

أوجه المقارنة	الصكوك الحكومية	الأسهم
التعريف	هي وثائق متساوية القيمة تمثل حصصاً في ملكية أعيان أو خدمات أو منافع أو أصول مشروع معين أو نشاط استثماري خاص، بحيث لا يكون للمالكه فائدة أو نفع مقطوع وإنما تكون نسبة من الأرباح من هذا المشروع بقدر ما يملك من صكوك، الصكوك الحكومية إذن معرضة للربح والخسارة على السواء كأي استثمار يخضع لأحكام الشريعة الحكومية، وقد اصطلح على السندات الحكومية صكوكاً تمييزاً لها عن السندات التقليدية	عبارة عن صك ملكية حامله أحد مالكي الشركة بنسبة ما يملكه في الشركة من أسهم، أي أنها تمثل حصصاً في رأس مال الشركة أو المشروع الذي يزمع إقامته، ومن يكتب فيها يكون شريكاً مالكا لحصة في المشروع الذي رصدت حصيلة هذه الأسهم لإقامته، ونتج عن ذلك نشأة ما يعرف بشركة الأموال المساهمة

(١) غالى زهير، "تمويل عجز الموازنة العامة للدولة بين البدائل التقليدية والبدائل الإسلامية - عرض تجارب دولية -"، رسالة دكتوراه، جامعة حسيبة بن بو علي - الشلف -، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، سنة (٢٠١٦) - (٢٠١٧)، ص ٣٠٥.

١. لها قيمة اسمية ٢. متساوية القيمة. ٣. قابلة للتداول. ٤. صاحبها معرض للربح والخسارة، فليس للأرباح المضمونة مكان في الأسهم والصكوك الحكومية. ٥. كلاهما يمثل ملكية أصول مدارة لعائد أو المشاركة في رأس مال مشروع مربح. ٦. ليست مالاً متقوماً في ذاتها ولكنها وثيق بالحق ودليل عليه.	أوجه الاتفاق ن
١ - السهم يعطي لصاحبه الحق في حضور الجمعية العمومية للشركة، والتصويت والاشتراك في الإدارة والرقابة وغير ذلك. ٢ - السهم جزء من رأس مال الشركة، وهذه الشركة ليس لها تاريخ تصفية أي أن عمر السهم ممتد من عمر الشركة لأن الغرض الرئيسي من إنشائها هو الاستثمار والتوسع إلى أجل غير مسمى. ٣ - حامل السهم له عند تصفية الشركة نصيب من أصول الشركة وتسديد ما عليها من ديون.	١ - الصك لا يمنح لحامله مثل هذه الحقوق (حق حضور الجمعية العمومية للشركة والتصويت والاشتراك في الإدارة والرقابة وغير ذلك). ٢ - الصكوك ليست دائمة دوام الشركة المصدرة بل إن لها أجلا ويجري تصفيته بالطرق المنصوص عليها في نشرة الإصدار. ٣ - حامل الصك يسترد رأس ماله أو قريبا منه عند انتهاء مدته بصرف النظر عن قيمة أصول المصدر للصكوك أو قدرته علي سداد ديونه. أوجه الاختلاف

المصدر: نبيل خليل طه، «سوق الأوراق المالية الإسلامية بين النظرية والتطبيق - دراسة حالة سوق رأس المال الإسلامي في ماليزيا»، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية - غزة، كلية التجارة، ٢٠٠٧، ص ٥٦.

الفرق بين الصكوك الحكومية والسندات

انتشرت في الآونة الأخيرة عمليات إصدار الصكوك الحكومية، وذلك على غرار السندات التقليدية التي تصدرها البنوك التجارية من أجل توفير التمويل للمشروعات المختلفة، وهي تقوم بنفس وظائف السندات بل وأكثر كما أنها تمثل في نفس الوقت استثمار للمدخرات^(١).

جدول رقم (٢): الفرق بين الصكوك الحكومية والسندات

أوجه المقارنة	الصكوك الحكومية	السندات
التعريف	هي وثائق متساوية القيمة تمثل حصصاً في ملكية أعيان أو خدمات أو منافع أو أصول مشروع معين أو نشاط استثماري خاص، بحيث لا يكون للمالكه فائدة أو نفع مقطوع وإنما تكون نسبة من الأرباح من هذا المشروع بقدر ما يملك من صكوك، وقد اصطلح على السندات الحكومية صكوكاً تمييزاً لها عن السندات التقليدية.	هو صك مديونية حامله أحد دائني الشركة أو هي أوراق مالية لا تعطي لمشتريها الحق في الدخول في ملكية أصول المشروع لكونها تمثل قرضاً في ذمة مصدرها يلتزم من خلالها بفوائد محددة سلفاً، والغرض من إصدارها هو تمويل المشروعات التي تخدم التنمية الاقتصادية بالإضافة إلى تحقيق فوائد مجزية لحاملي تلك السندات.
أوجه الاتفاق	١ - كلاهما أوراق مالية متداولة غرضها الأساسي التمويل. ٢ - تعتبر الصكوك الحكومية والسندات بوجه عام أوراقاً مالية متدنية المخاطر وذات استقرار كبير. ٣ - يساعدان في التحكم في السيولة النقدية وتمويل الأغراض المختلفة.	

(١) فؤاد محمد أحمد، "الصكوك الإسلامية (التوريق) وتطبيقاتها المعاصرة"، بحث مقدم إلى ندوة الصكوك الإسلامية، مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الشارقة، ٢٠٠٩، ص ١٤.

١ - السند يمثل قرضاً في ذمة المصدر. ٢ - عوائد السندات هي التزام من المقترض (مصدر السند) يلتزم بالوفاء بها في مواعيد استحقاقها. ٣ - السندات علي العكس من ذلك.	١ - الصك يمثل حصة في المشروعات. ٢ - عوائد الصكوك ناشئة من أرباح وبالتالي فهي ليست التزاما في ذمة المصدر. ٣ - الصكوك الحكومية لا مجال لسعر الفائدة في التعامل بها أو في أنشطتها.	أوجه الاختلاف
---	--	----------------------

المصدر: بن عمر يوسف، «دراسة أثر الصكوك علي المؤشرات العامة للأسواق المالية التالية: (ماليزيا والبحرين والامارات والسعودية)»، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، ٢٠١٤، ص ٧.

مميزات الصكوك الحكومية عن غيرها من السندات:

١. وسيلة لعلاج التضخم والكساد وهي من السياسات النقدية الناجحة التي قد تتبعها الدولة.
 ٢. وسيلة للتوزيع العادل والثروة من خلال تمكينها لجميع المستثمرين بالانتفاع بالربح الحقيقي، كما أنها تقوم بخدمة المشاريع التي تستفيد منها المجتمعات.
 ٣. تمكن المصارف والمؤسسات المالية الحكومية من توظيف الفائض لديها في الصكوك، وإن احتاجت للسيولة تقوم ببيعها في السوق الثانوية، وبالتالي هي وسيلة مجدية لإدارة موجودات تلك المصارف والمؤسسات الحكومية.
 ٤. من أفضل الوسائل في تمويل المشروعات الكبيرة وتوفير السيولة.
 ٥. تحقق أرباح مشروعة لأرباب الاعمال.
- وثمرة الكشف عن هذه الفروق هو أن الصكوك بديل شرعي مقبول مرحلياً في الصناعة المالية الحكومية عن السندات التقليدية، وهي في نفس الوقت تقريب لفكرة الأسهم، وهذا ما يوضح لنا طبيعة الصكوك بشكل واضح^(١).

(١) أحمد عبد الصبور عبد الكريم، "الصكوك الإسلامية ودورها في تمويل التنمية الاقتصادية"، دار المنظومة، مجلد ٢٣، عدد ٤٠، محكمة، ٢٠١٤، ص ١١٢.

ثالثاً: الأهمية الاقتصادية للصكوك الحكومية

لقد ازدادت أهمية إصدار الصكوك الحكومية نتيجة العديد من العوامل، من أبرزها أنها: تساعد على النهوض بالاقتصاد الإسلامي نظرياً وعملياً؛ أما نظرياً فهي استكمال لحلقات الاقتصاد بجانب شركات التأمين والمصارف الحكومية.

أما عملياً فإن وجودها يساعد على رفع الحرج عن المستثمرين الذين يطلبونها، تلبي احتياجات الدولة في تمويل مشاريع البنية التحتية بدلاً من الاعتماد على سندات الخزينة والدين العام^(١)، يثري بها الأسواق المالية الحكومية؛ لأنها الطرف المكمل للأسهم، والجناح الثاني للبورصة، التي من خلالها تتحرك الأموال بحرية وسهولة، تعتبر من الأدوات الهامة لتنويع مصادر الموارد الذاتية، وتوفير السيولة اللازمة للأفراد والمؤسسات والحكومات، تغطي عدداً كبيراً من الشركات التي تحتاج إلى تمويل طويل الأجل، إتاحة الفرصة أمام البنوك المركزية لاستخدام الصكوك الحكومية ضمن أطر السياسة النقدية وفقاً للمنظور الإسلامي بما يساهم في امتصاص السيولة، ومن ثم خفض معدلات التضخم، وإتاحة الفرصة أمام المؤسسات المالية الحكومية لإدارة السيولة الفائضة لديها، كما تساعد في تحسين ربحية المؤسسات المالية والشركات ومراكزها المالية، وذلك لأن عمليات إصدار الصكوك الحكومية تعتبر عمليات خارج الميزانية، ولا تحتاج لتكلفة كبيرة في تمويلها وإدارتها.

وأخيراً الصكوك أداة تساعد على الشفافية، وتحسين بنية المعلومات في السوق؛ لأنه يتطلب العديد من الإجراءات، ودخول العديد من المؤسسات في عملية الإقراض، مما يوفر المزيد من المعلومات في السوق^(٢).

أهمية كل نوع من الصكوك

تختلف أهمية كل نوع من الصكوك عن الأخرى، حيث أن كل نوع منها له أهمية اقتصادية في مجال من مجالات الاقتصاد المختلفة، وفيما يلي سنتعرف على أهمية كل نوع من الصكوك الحكومية:

(١) سامر قطنجي، "صكوك الاستثمار ودورها التنموي في الاقتصاد"، رسالة ماجستير، معهد الدعوة الجامعي

للدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا، ٢٠٠٩، ص ١٤

(٢) زياد الدماغ، "دور الصكوك الإسلامية في دعم قطاع الوقف الإسلامي"، المؤتمر العالمي «قوانين الأوقاف وإدارتها

- وقائع وتطلعات»، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ٢٠ - ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٩، ص ٤٠.

١ - أهمية صكوك المشاركة:

تلعب صكوك المشاركة دوراً كبيراً في عمليات التمويل، حيث تعتبر هي الأساس الذي يجعل الاقتصاد قادراً على ربط إنتاج السلع والخدمات أى (دورة الاقتصاد) بدورة النقود، وبذلك يجعل الاقتصاد حقيقياً يعتمد على الإنتاج، كما أنها تساهم في الحد من التضخم، وبالتالي الحد من زيادة الأسعار، كما أنها تقلل من تكاليف الإنتاج؛ لأنها لا تتحمل بتكاليف التمويل وأعبائها كما في القروض؛ وذلك لأن صكوك المشاركة ترغم مؤسسات التمويل على استغلال كل طاقاتها في مشروعات تنمية حقيقية لكي تحقق عائداً فعلياً لأصحابها، ولأنها لا تعتمد على محصلاتها من الفوائد كما يحدث في البنوك الربوية^(١).

وتعتبر صكوك المشاركة من أفضل التمويل المتوسط والطويل الأجل، وذلك لمواجهة مشكلة انخفاض قيمة العملة وهذه ميزة للبلدان التي تعاني من انخفاض قيمة عملتها أمام العملات الأجنبية، كما أنها يمكن أن تعالج مشكلة عجز الموازنة فتستطيع الدولة إصدارها لتمويل المشروعات الاستثمارية الكبرى دون أن يترتب عليها التزامات ثابتة إما للممولين أو أعباء الدين في حالة القروض سواء الداخلية أو الخارجية^(٢).

٢ - أهمية صكوك المضاربة

ولصكوك المضاربة أهمية كبرى تبرز في أنها^(٣):

- يمكن استخدامها في التمويل الطويل والمتوسط الأجل لتمويل المشروعات الاقتصادية الكبرى مثل إنشاء الدولة لمشروعات بنية تحتية أو تنمية محور قناة السويس، حيث يكون عائد الصك جزءاً من ربح المشروع.
- تعتبر صكوك المضاربة حلقة وصل بين رؤوس الأموال وذوى الخبرات الاقتصادية وهما أساس التنمية الاقتصادية.
- وتستطيع صكوك المضاربة أن تستخدم في تمويل عجز الموازنة عندما تستخدمها الحكومة في

(١) أحمد جابر بدران، "الصكوك كأداة للتمويل بين النظرية والتطبيق"، مجلة المسلم المعاصر، لبنان، عدد ١٥٣، ٢٠١٤.

(٢) أحمد فؤاد أمين، "مؤتمر خبراء استثمار المصارف الإسلامية"، مجلة البنوك الإسلامية، العدد ٣٨، ص ١٢.

(٣) البنك الإسلامي للتنمية، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، "صنع تمويل التنمية في الإسلام"، ندوة، ٢٩ ص ٥٣.

المشروعات المدرة للربح، حيث يمكن للحكومة أن تمول مثل هذه المشروعات على أساس المضاربة بحيث لا يشارك أصحاب الأموال في القرارات الاستشارية والإدارية بالشركة وتكون الإدارة للحكومة.

٣ - أهمية صكوك الإجارة

تعتبر من أهم أساليب التمويل الإسلامي بالنسبة لمصادر التمويل التقليدية وأشكال التمويل الحكومية الأخرى ومن مميزاتها:

◀ تتميز صكوك الإجارة لخضوعها لعوامل السوق من عرض وطلب، حيث ترتفع قيمتها إذا ارتفعت القيمة السوقية للأصول والمنافع، وتنخفض قيمتها إذا انخفضت القيمة السوقية للأصول والمنافع.

◀ كما أنها تتمتع بدرجة عالية من المرونة من حيث المشروعات التي يمكن تمويلها فيمكنها تمويل القطاع العام والخاص والخيري، ومرونة من حيث الوساطة المالية بحيث يمكن إصدارها إما من قبل المستفيد مباشرة أو من وسطاء ماليين كالبنوك مثلاً، كما أنها مرنة بالنسبة لاستخدامها في أغراض تمويلية مختلفة، بحيث يمكن أن تستخدم بهدف تحقيق الربح مثل تمويل شراء آلات لمصنع أو أثاث لتاجر، ويمكن استخدامها في أغراض تمويلية لا تهدف للربح مثل شراء سيارة إسعاف لجمعية خيرية، ويمكن استخدامها بغرض النفع العام كتمويل بناء الجسور والمطارات.

◀ تتميز صكوك الإجارة بالاستقرار في السعر وثبات العائد وترتبط ارتباطاً مباشراً بدورة الإنتاج والتوزيع للسلع الاقتصادية.

◀ صكوك الإجارة تعد مناسبة لتمويل الأصول الثابتة، حيث يستفاد من مبلغ الإيجار دون تحمل نفقات الصيانة ومخاطر الملكية من هبوط في الأسعار.

◀ يستخدم هذا النوع من الصكوك في تمويل عجز الموازنة، حيث يمكن استعمالها من قبل البنك المركزي في عمليات السوق المفتوح لقلّة المخاطر المترتبة عليها واستقرار أسعارها وعوائدها.

٤ - أهمية صكوك المrabحة:

هو نوع من الصكوك القادر على التمويل بغير فائدة، حيث بإمكانه تمويل متطلبات التنمية من مواد وأدوات وآلات إنتاجية لازمة للصناعة والزراعة وكافة مستلزمات الإنتاج، كما أن صكوك

المربحة يمكنها تمويل السلع الصغيرة والكبيرة، وهي بذلك أتاحت الفرصة للمنتجين خاصة صغارهم من امتلاك أدوات الانتاج اللازمة لممارسة نشاطهم الاقتصادي، على أن يحصلون على مستلزمات إنتاجهم بشرائها ثم يقومون بتسديد ثمنها بالأقساط.

وتعتبر صكوك المربحة أيضاً من أهم القنوات الاستثمارية الموجودة حتى الآن، ومن الجدير بالذكر أن المربحة بلغت نسبة ٨١٪ عام ١٩٨٤ و ٧٣٪ عام ١٩٨٧ من استثمارات البنك الإسلامي الأردني^(١).

ومن مميزات المربحة حسب المؤسسات المالية التي تستعمل صيغة المربحة:

- ◀ لها ضمانات جيدة لتجنب مخاطر عدم سداد الأقساط الآجلة.
 - ◀ تتميز بسهولة التنفيذ والمتابعة فعلى الرغم من عائدها المنخفض إلا أنه يسهل متابعتها وتنفيذها خاصة في العمليات الاستثمارية التي يصعب الإشراف عليها مقارنة بصيغ التمويل الأخرى.
 - ◀ كما يمكن لصكوك المربحة أن تسهل تمويل بعض بنود الميزانية المتعلقة بشراء المستلزمات والمعدات والاستثمارات عن طريق المربحة مع البنوك الحكومية^(٢).
- وعلى الرغم من مميزات المربحة إلا أنه لها آثار سلبية حيث قد تؤدي إلى حدوث تضخم نتيجة ما يضاف من هامش الربح إلى تكلفة المواد الخام، وبالتالي يؤدي إلى زيادة أسعارها.

٥ - أهمية صكوك السلم والاستصناع:

تعتبر صكوك السلم من الأدوات التمويلية عالية الكفاءة خاصة في النشاطات الحكومية، حيث تتميز باستجابتها لحاجات التمويل المختلفة سواء كان تمويلاً قصيراً أم متوسطاً أم طويلاً الأجل وأيضاً تمويل النشاطات الاقتصادية المختلفة الصناعية والزراعية ... وأيضاً استجابتها لتمويل نفقات التشغيل والنفقات الرأسمالية الأخرى.

كما تعتبر صكوك السلم بديلاً إسلامياً لسندات الخزنة الحكومية التي تعتمد على سعر الفائدة أما عن صكوك الاستصناع لها أهمية اقتصادية كبيرة سواء للصانع أو المشتري أو المستهلك

(١) سامي حمود، "تطوير الأعمال المصرفية بما يتفق والشرعية الإسلامية"، ط٢، مكتبة الشرق، عمان، ١٤٠٢هـ، ص ٤٣٤.

(٢) موسى شحادة، "تجربة البنك الإسلامي الأردني للتمويل والاستثمار"، البنك الإسلامي الأردني، بحث مقدم لندوة تجربة البنوك الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٠، ص ١١.

فتوفر صكوك الاستصناع التمويل اللازم لقطاع الصناعة لممارسة النشاط الإنتاجي وتضمن له أسواق واسعة لتصريف منتجاته على الجانب الآخر تؤمن احتياجات المشتري أو المستهلك من الحصول على السلع الصناعية بالمواصفات المطلوبة وأيضا تمكنه من استثمار أمواله بحصوله على الربح من عملية الشراء والبيع خاصة إذا كان تاجراً.

من أهداف ومميزات صكوك بيع السلم والاستصناع:

- ◀ تعتبر أداة لمعالجة فوائض السيولة النقدية قصيرة الأجل في المؤسسات المالية بديلاً عن استثمارها في المعاملات الربوية.
- ◀ تستخدم كأداة هامة لإنجاح فكرة إنشاء سوق مالية ونقدية عالمية.
- ◀ لتعطى دوراً كبيراً للمؤسسات المالية الحكومية لتوفير التمويل اللازم للاحتياجات الحكومية قصيرة الأجل، وبالتالي تخفف العبء عن كاهل الحكومات في تدبير التمويل وأيضاً في تنمية الإنتاج الغذائي، حيث تساهم هذه النوعية من الصكوك في التغلب على نقص التمويل الزراعي، وبالتالي يحمي من مخاطر استيراد الغذاء والتبعية الاقتصادية.
- ◀ لتعمل على تقليل آثار التضخم؛ لأنها لا تضيف إلى رأس المال التكلفة التي تضيفها الفائدة وبالتالي تسهم في تخفيض الأسعار.

٦ - أهمية صكوك المزارعة:

تكمن أهمية صكوك المزارعة في أنها تساهم في عملية التنمية الزراعية في العالم الإسلامي، حيث أصبح الغذاء ليس فقط وسيلة تقوم عليها الحياة، بل أصبحت وسيلة ضغط سياسي واقتصادي تمارسها بعض الدول على الأخرى لتحقيق مصالحها الاقتصادية والسياسية.

لذلك يمكن لصكوك المزارعة توفير التمويل اللازم لإستثمار الأراضي الصالحة للزراعة وإعادة تأهيلها من شق للقنوات وبناء السدود وتوفير وسائل الإنتاج .

الأهمية الاقتصادية للصكوك الحكومية بالنسبة للاقتصاد الكلي:

تعد الصكوك الحكومية من أهم البدائل للاقتصاد الربوي، حيث يمكنها المساهمة في تحقيق تنمية اقتصادية، وذلك عن طريق الاستثمار الذي ينتج عنه زيادة الطاقة الإنتاجية الفعلية للبلد، وذلك لقدرتها على حشد الموارد المالية لتمويل المشروعات الاستثمارية الكبرى، كما أن الصكوك الحكومية

تكون قادرة علي تحقيق التوزيع العادل للثروة فهي وسيلة لتحقيق عدالة توزيع الأرباح والخسائر. وللصكوك دور كبير في معالجة العجز في الموازنة العامة، وحل مشكلة المديونية، وذلك لأنها تعطي الفرصة لكل أفراد المجتمع لسد الاحتياجات التمويلية اللازمة لدعم الموازنة العامة فيمكن للدولة أن تصدر صكوك بأنواعها لاستثمار حصيلتها في المشاريع المدرة للدخل والربح، وبالتالي تخفف الحمل علي ميزانيتها.

تساهم أيضًا الصكوك في القضاء على البطالة والأموال المعطلة، حيث تعمل على زيادة مستوى تشغيل الأموال العاطلة بما يحقق رغبات المستثمرين والمدخرين. ويمكننا حصر أهمية الصكوك على الاقتصاد في النقاط التالية:

المساهمة في تحقيق التنمية الاقتصادية

فتستطيع الصكوك الحكومية أن تحقق تنمية اقتصادية، حيث أنها تتميز بالخصائص التي تجعلها معدة لدور الوساطة بين المدخرين والمستثمرين، كما أنه ينشأ عنها استثمار حقيقي من خلال قدرتها على حشد الموارد المالية لتمويل المشروعات التنموية الكبرى مثل مشروعات البنية التحتية كالنفط والغاز والطرق والموانئ وغيرها، كذلك لتمويل لتوسعات الرأسمالية للشركات^(١).

تحقيق التوزيع العادل للثروة

حيث أن الاستثمار الإسلامي يعتمد على مبدأ الربح والخسارة، وهو أساس العدل في العمل الاقتصادي، كما أن الصكوك قائمة على المشاركة، وبالتالي تتضمن عدالة توزيع الأرباح، ومن ناحية أخرى تتحقق العدالة في توزيع الثروة من خلال الزكاة التي تقوم بهذه العملية بشكل يتناسب مع حجم الثروات والموارد المتاحة^(٢).

حل مشكلة المديونية ومعالجة الموازنة العامة

تتيح الصكوك الحكومية الفرصة أمام أفراد المجتمع للمشاركة لسد الاحتياجات التمويلية اللازمة لدعم الموازنة العامة، حيث أنها تحتاج إلى تمويل ضخم لتنفيذ برامجها الاقتصادية وسد العجز في موازنتها^(٣).

(١) عبد الكريم قندوز، مداني أحمد، "الاقتصاد الإسلامي، الواقع ورهانات المستقبل"، معهد العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة غرداية ص ٢٥١ - ٢٥٨.

(٢) محمد تقى العثمانى، "الصكوك كأداة لإدارة السيولة"، بحث مقدم للندوة العشرون للمجمع الفقهي الإسلامي، مكة المكرمة، ٢٥ - ٢٩ ديسمبر ٢٠١٠، ص ٦.

(٣) زياد الدماغ، «دور الصكوك الإسلامية في دعم الموازن العامة من منظور تمويل إسلامي»، بحث مقدم للمؤتمر

لذلك فيمكن للدولة أن تصدر الصكوك بأنواعها مع مايتلائم مع تحقيق هدفها، وذلك لتمويل مشاريعها التي تحتاج إلى أموال ضخمة لتنشيط مشاريع مدرة للربح كي تساعد في علاج موازنتها.

أما بالنسبة لدور الصكوك في حل مشكلة المديونية سواء كانت ديوناً خارجية أو ديوناً داخلية في شكل قروض ربوية، فإنه بإمكان الدولة تحويل تلك القروض إلى صكوك ملكية خدمات عامة تقدمها الدولة مثل خدمات التعليم أو الصحة أو النقل أو عن طريق صكوك استصناع سلع تنتجها الدولة بحيث يحصل حاملها على سلع بقيمة ما قدموه من قروض سابقاً^(١).

النمو الاقتصادي

يعني النمو الاقتصادي «حدوث زيادة مستمرة في متوسط الدخل مع مرور الزمن»، أما متوسط دخل الفرد بالنسبة للدخل الكلي: يُشير لنصيب الفرد من الدخل الكلي للمجتمع أو ما يعرف بالنتائج القومي في السودان، وهذا يشير إلى أن النمو الاقتصادي لا يعني مجرد حدوث زيادة في الدخل الكلي أو الناتج الكلي، وإنما يتعدى ذلك إلى حدوث تحسن في مستوى معيشة الفرد ممثلاً في زيادة نصيبه من الدخل الكلي، وبالمطابق فإن هذا لا يحدث إلا إذا فاق معدل نمو الدخل الكلي (الناتج الكلي) معدل نموه السكاني، فإذا حدث وكان معدل نمو الدخل الكلي مُساوياً لمعدل نمو السكان فإن نصيب الفرد من الدخل الكلي سوف يظل ثابتاً، أي أن معيشة الفرد تبقى في مستويات ثابتة، وفي هذه الحالة لا يوجد نمو اقتصادي وتظل الدولة أي الشعب في وضع سكون وهو ما نقصده حيث تري الأبنية الشاهقة والسيارات الفارهة والشعب يشكو الجوع ويفتك به الأمراض الوبائية.

أما إذا زاد الدخل الكلي (الناتج القومي) بمعدل أقل من معدل النمو السكاني فإن متوسط نصيب الفرد من الدخل الكلي سوف ينخفض وبالتالي يتدهور مستوى معيشته، وتعني هذه الحالة حدوث نوع من التخلف الاقتصادي،

حيث نستنتج من ذلك، أن معدل نمو الدخل الكلي بالنسبة لمعدل النمو السكاني، لن يكون موجباً إلا إذا كان معدل نمو الدخل الكلي أكبر من معدل النمو السكاني وهو ما ذهب إليه السودان في تعداد الخاطئ الأخير نتيجة الاعتبار السياسية، الأمر الذي أثر عليه في نظرة العالم للدولة من الناحية التنموية.

الدولي للصيرفة والمالية الإسلامية، الجامعة العالمية الإسلامية، ماليزيا، ١٥ - ١٦ جوان ٢٠١٠، ص ١.
(١) زاهر على محمد بنى عامر، "التصكيك ودوره في تطوير سوق مالية إسلامية"، دار عماد الدين، عمان، ط ١، ٢٠٠٩، ص ١٩٧: ٢٠٠.

ولكن يلاحظ من ناحية أخرى أن النمو الاقتصادي يعني حدوث زيادة في الدخل الفردي الحقيقي وليس النقدي، فالدخل النقدي يُشير إلى عدد الوحدات النقدية التي يستلمها الفرد خلال فترة زمنية معينة (عادة ما تكون سنة) مقابل الخدمات الإنتاجية التي يُقدمها.

أما الدخل الحقيقي فهو يُساوي الدخل النقدي مقابل المستوى العام للأسعار، أي أنه يُشير لكمية السلع والخدمات التي يحصل عليها الفرد من إنفاق دخله الفردي خلال فترة زمنية معينة يقدر بعام ميلادي.

فإذا زاد الدخل النقدي بنسبة معينة، وزاد المستوى العام للأسعار بنفس النسبة، فإن الدخل الحقيقي سوف يظل ثابتاً ولا يحدث هناك تحسن في مستوى معيشة الفرد في هذه الحالة يسمى بالركود الاقتصادي.

أما إذا زاد الدخل النقدي بمعدل أقل من معدل الزيادة في الأسعار (معدل التضخم) فإن الدخل الحقيقي للفرد ينخفض وتدهور معيشتة، ومن ثم لن يحدث هناك نمو اقتصادي، إلا إذا كان معدل الزيادة في الدخل النقدي أكبر من معدل التضخم، ففي هذه الحالة يزداد الدخل الحقيقي مُثلاً في كمية السلع والخدمات التي يُمكن للفرد أن يحصل عليها خلال الفترة محل البحث، وعليه نلاحظ مما سبق أن معدل الزيادة في الدخل الفردي النقدي إلى معدل التضخم، لن يكون موجباً إلا إذا كان معدل الزيادة في الدخل النقدي الفردي أكبر من معدل التضخم^(١).

كما يُشير التعريف السابق إلى أن النمو ظاهرة مستمرة وليست ظاهرة عارضة أو مؤقتة، فقد تُقدم دولة غنية إعانة لدولة فقيرة فتزيد من متوسط الدخل الحقيقي فيها لمدة عام أو عامين، ولكن لا تعتبر هذه الزيادة المؤقتة نمواً اقتصادياً.

فالزيادة في الدخل يجب أن تنجم عن تفاعل قوى داخلية مع قوى خارجية بطريقة تضمن لها الاستمرار لفترة طويلة نسبياً حتى تعتبر نمواً اقتصادياً.

(١) عثمان يعقوب محمد (سبتمبر ١٩٩٩م)، التضخم والسياسة في السودان، ورقة سمينار رقم (٤٢) مقدمة للمركز القومي للبحوث، معهد الأبحاث الاقتصادية والاجتماعية برنامج سلسلة السمينات الداخلية الشهرية بالتعاون بالتعاون مع مؤسسة قريدايرنت، الألمانية، ص ١٢.

ويلاحظ في هذا الصدد أن مفهوم النمو الاقتصادي يُركّز عن التغيّر في الكم الذي يحصل عليه الفرد من السلع والخدمات في المتوسط دون أن يهتم بهيكل توزيع الدخل الحقيقي بين الأفراد أو بنوعية السلع والخدمات التي يحصلون عليها، فالزيادة في متوسط الدخل لا تعني أن كل فرد من أفراد المجتمع قد زاد دخله من الناحية المطلقة أو من الناحية النسبية، فقد تحصل طبقة قليلة من الأغنياء على كل الزيادة في الدخل لكلي وتحرم منها الطبقة العريضة من الفقراء وبالرغم من ذلك يزداد متوسط الدخل الفردي، بل أكثر من ذلك فقد تنخفض الدخل المطلقة لطبقة الأغلبية من الفقراء أو ينخفض نصيبهم النسبي من الدخل الكلي وبالرغم من ذلك يزداد متوسط الدخل الفردي وهذا ما يحدث في السودان حيث انعدمت الطبقة الوسيطة فأصبحت هناك طبقتان طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء حتى الافندية تدنت درجتهم إلى الطبقة الفقيرة واصبحوا تحت حد الفقر.

إذن مفهوم النمو الاقتصادي لا يهتم بهيكل توزيع الدخل بين طبقات المجتمع، ومن جهة أخرى لا يركز النمو الاقتصادي على نوعية التغير في الإنتاج، وعليه فإن مفهوم النمو يركز على كمية التغير وليس على نوعية التغير. كما يلاحظ أن النمو الاقتصادي مفهوم غير شامل لكل ما يحدث من تغيير في رفاهية الفرد وذلك للأسباب التالية:

لا يعكس التغيرات السلبية التي تصاحب التقدم الاقتصادي المادي كزيادة درجة التلوث وزيادة معدل الجريمة، معدل العمر، التعليم، الصحة... الخ، إذ يركز على الجانب المادي للرفاهية ويهمل الجوانب الأخرى كحرية الرأي والمشاركة السياسية والوعي الثقافي وغيره.

هذا يقودنا إلى البحث في مفهوم آخر ألا وهو مفهوم التنمية الاقتصادية.

التنمية الاقتصادية

يلاحظ من خلال هذا البحث على أنه على العكس من النمو الاقتصادي، تنطوي التنمية الاقتصادية: على حدوث تغيير في هيكل توزيع الدخل وتغيير في هيكل الإنتاج وتغير في نوعية السلع والخدمات المقدمة للأفراد بجانب التغير في كمية السلع والخدمات التي يحصل عليها الفرد في المتوسط، ولعلّ هذا يعني أن التنمية الاقتصادية لا تركز فقط على التغير الكمي وإنما تمتد لتمثل التغير النوعي والهيكلية. ويمكن بوجه عام أن نعرف التنمية الاقتصادية «بأنها العملية التي يحدث من خلالها تغير شامل ومتواصل مصحوب بزيادة في متوسط الدخل الحقيقي وتحسن في توزيع الدخل لصالح الطبقة الفقيرة وتحسن في نوعية الحياة وتغير هيكل في الإنتاج.

ويمكن تقديم بعض المبادئ التي يُنادي بها بعض الكتاب الاقتصاديين، ومنها تحقيق التكامل بين تنمية القطاع الزراعي والقطاع الصناعي في خطة التنمية الشاملة، نشر الصناعة في المناطق الريفية بدلاً من تركيزها في المناطق الحضرية، وتحقيق التكامل بين برنامج التصنيع المحلي وبرنامج التصدير البيني والدولي.

أما عن الجوانب السلبية للتنمية فهي تتضمن كسر حاجز الرغبات وزيادة درجة النهم للماديات بالإضافة إلى إحداث تفكك أُسري من خلال القضاء على الروابط، التي كانت مابين أفراد العائلات المحافظة فاستشري الفساد الأخلاقي بين الطبقة الفقيرة دون احترام للوزاع الديني والاخلاقي، يضاف إلى ذلك إحداث تدمير للبيئة بما يصاحب التنمية من تلوث هوائي ومائي وصوتي وكل هذا يجد من إمكانية استمرار التنمية، ولتجاوز كل ذلك ظهر مفهوم التنمية المستدامة كبديل استراتيجي متكامل.

وصول الاقتصاد القومي مستوى التوظيف الكامل:

في هذه الحالة فإن الموارد الاقتصادية والإنتاجية لن تصل إلى طاقتها القصوى أي لم تستغل كلها وبناءً عليه فإن الزيادة في الطلب تؤدي إلى زيادة مشابهة في عرض السلع والخدمات مما يزيد حركة المبيعات ومن ثم زيادة أرباح المنتجين مما يشجعهم اتجاهات الإنتاج المختلفة وقد يؤدي ذلك إلى نقص في بعض عناصر الإنتاج أي أن الزيادة في الطلب قد لا تقابله زيادة ماثلة في العرض مما يؤدي إلى ارتفاع الأسعار ومن ثم التضخم بالرغم من أن الاقتصاد لم يصل إلى مرحلة التوظيف الكامل.

حالة ما بعد وصول الاقتصاد إلى مستوى التوظيف الكامل:

في هذه الحالة تصل الموارد الاقتصادية إلى أقصى طاقتها الإنتاجية، وبناءً على ذلك فإن الزيادة في الطلب الكلي لا تنجح في إحداث زيادة ماثلة في عرض السلع والخدمات كما في الحالة الأولى لأن مرونة عرض هذه السلع والخدمات تبلغ صفر ويتمخض عن ذلك زيادة في الأسعار وعليه فإن التضخم من وجهة نظر النظرية العامة لكينز هو زيادة حجم الطلب الكلي على حجم العرض الحقيقي إلى فائض في الطلب على السلع وعوامل الإنتاج يفوق المتاح من حجم الطاقة الإنتاجية.

في السبعينات حدثت أحداث أضافت للتضخم خصائص جديدة لم يستطع الفكر الكنزي تفسيرها وهي ظاهرة تزامن البطالة مع التضخم وعادت الأمور مرة أخرى لنظرية كمية النقود^(١).

(١) د. رمزي زكي، علاقة التضخم بالتراكم الرأسمالي في البلاد الآخذة في النمو، مصدر سابق.

مما تقدم يرى الباحث أن هنالك صراعاً فكرياً بين الاقتصاديين حول تفسير ظاهرة التضخم في الدول النامية ويتفق أن هنالك تفسير لظاهرة التضخم في الدولة النامية من وجهة الهيكلين (المدرستين)، هذا بالإضافة إلى أهمية الجانب النقدي في هذه الظاهرة.

ومن أهم مصادر التضخم في الدول النامية مصدرين خارجي وداخلي، ويمثل التضخم الخارجي التضخم المستورد من الدول الصناعية الكبرى، عن طريق ارتفاع تكاليف السلع ومدخلات الإنتاج منها فتضطر الدول النامية إلى الاستيراد بالرغم من أسعارها المرتفعة لتلبية الحاجيات الداخلية، أما التضخم الداخلي أو المحلي فهو نتيجة ضعف الإنتاج وقلة الموارد المحلية تجاه التوجهات التنموية للدول النامية بصفة عامة، وقد تميل الدول إلى تغطية نفقاتها غير المغطاة من الإيرادات بالتمويل بالعجز (الاستدانة من الجهاز المصرفي) مما يؤدي إلى زيادة الطلب الكلي عن العرض الكلي مما يؤدي إلى ارتفاع مضطرد متواصل في أسعار السلع.^(١)

خاتمة

الانواع المتعددة للصكوك والصيغ المختلفة لها تمنح الصكوك درجة من المرونة حيث تتيح إصدار الصكوك حسب الصيغة التي يقتضيها المشروع. كما تمثل الصكوك موارد إضافية للدولة لان الاموال التي توفرها الصكوك من خارج خزانة الدولة أي من القطاع الخاص. أيضاً توفر الصكوك استقطاب المدخرات القومية وتشجيع الاستثمار.

مراجع

- ١- إسلام عبد الناصر «أثر الصكوك الإسلامية في تمويل الإنفاق الحكومي بالتطبيق على الحالة المصرية» رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ٢٠١٦ - ٢٠١٧.
٢. أحسين عثمان، خولة الناصري، «أهمية الصكوك الإسلامية في تمويل مشاريع البنية التحتية - تجارب عربية وعالمية مختارة -»، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلد ١٣، العدد الثالث، ٢٠١٧، ص ٧.
٣. أحمد عبد الصبور عبد الكريم، «الصكوك الإسلامية ودورها في تمويل التنمية الاقتصادية»، دار المنظومة، مجلد ٢٣، عدد ٤٠، محكمة، ٢٠١٤.
٤. أحمد جابر بدران، «الصكوك كأداة للتمويل بين النظرية والتطبيق»، مجلة المسلم المعاصر، لبنان، عدد ١٥٣.
٥. أحمد فؤاد أمين، «مؤتمر خبراء استثمار المصارف الإسلامية»، مجلة البنوك الإسلامية، العدد ٣٨.

(١) المرجع السابق.

٦. البنك الإسلامي للتنمية، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، "صيغ تمويل التنمية في الإسلام ندوة ٢٩"، البنك الإسلامي للتنمية، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب.
٧. العربي مصطفى، "حمو سعدية" دور الصكوك الإسلامية في تمويل الاقتصاد - ماليزيا أنموذجاً - "مجلة البشائر الاقتصادية، المجلد الثالث، العدد ١ مارس (٢٠١٧).
٨. حسين شحاتة، "نشأة وتطور فكرة المصارف الإسلامية"، جامعة الأزهر - القاهرة، ١٩٩٦.
٩. خالد بن سعود الرشود، العقود المبتكرة للتمويل والاستثمار بالصكوك الإسلامية، ٢٠١٣.
١٠. زاهر على محمد بنى عامر، "التصكيك ودوره في تطوير سوق مالية إسلامية"، دار عماد الدين، عمان، ط ١، ٢٠٠٩.
١١. زياد الدماغ، "دور الصكوك الإسلامية في دعم قطاع الوقف الإسلامي"، المؤتمر العالمي "قوانين الأوقاف وإدارتها - وقائع وتطلعات"، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ٢٠ - ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٩.
١٢. زياد الدماغ، "دور الصكوك الإسلامية في دعم الموازن العامة من منظور تمويل إسلامي"، بحث مقدم للمؤتمر الدولي للصيرفة والمالية الإسلامية، الجامعة العالمية الإسلامية، ماليزيا، ١٥ - ١٦ جوان ٢٠١٠.
١٣. سامر قنطججي، "صكوك الاستثمار ودورها التنموي في الاقتصاد"، رسالة ماجستير، معهد الدعوة الجامعي للدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا، ٢٠٠٩.
١٤. سامي حمود، تطوير الأعمال المصرفية بما يتفق والشريعة الإسلامية، ط ٢، مكتبة الشرق، عمان، ١٤٠٢ هـ.
١٥. عبد الكريم قندوز، مداني أحمد، "الاقتصاد الإسلامي، الواقع ورهانات المستقبل"، معهد العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة غرداية.
١٦. عثمان يعقوب محمد (سبتمبر ١٩٩٩م)، التضخم والسياسية في السودان، ورقة سمنا رقم (٤٢) مقدمة للمركز القومي للبحوث، معهد الأبحاث الاقتصادية والاجتماعية برنامج سلسلة السمناات الداخلية الشهرية بالتعاون بالتعاون مع مؤسسة فريدايرنت، الألمانية.
١٧. كتاف شافيه "أهمية الصكوك في تنشيط الأسواق المالية" ورقة عمل مقدمة إلى مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة سطيف، العدد ١٤ لسنة ٢٠١٤.
١٨. محمد الفاتح عثمان صبير ٢٠٠٤م، صيغ التمويل المصرفي الإسلامي والتقليدي دراسة مقارنة لمصر في أوظيفي الإسلامي وبنك أوظيفي الوطني دولة الإمارات العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السودان.
١٩. محمد تقى العثماني، "الصكوك كأداة لإدارة السيولة"، بحث مقدم للندوة العشرون للمجمع الفقهي الإسلامي، مكة المكرمة، ٢٥ - ٢٩ ديسمبر ٢٠١٠.
٢٠. معطى الله خير الدين، شرياق رفيق، "الصكوك الإسلامية كأداة لتمويل مشاريع التنمية الاقتصادية"، جامعة قالمة، ٢٠١٢، ص ٢٣٧.

٢١. موسى شحادة، "تجربة البنك الإسلامي الأردني للتمويل والاستثمار"، البنك الاسلامي الأردني، بحث مقدم لندوة تجربة البنوك الاسلامية، القاهرة، ١٩٩٠.
٢٢. غالى زهير، "تمويل عجز الموازنة العامة للدولة بين البدائل التقليدية والبدائل الإسلامية - عرض تجارب دولية -"، رسالة دكتوراه، جامعة حسينية بن بو علي - الشلف -، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، سنة (٢٠١٦ - ٢٠١٧).
٢٣. فؤاد محمد أحمد، "الصكوك الإسلامية (التوريق) وتطبيقاتها المعاصرة"، بحث مقدم إلى ندوة الصكوك الإسلامية، مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الشارقة، ٢٠٠٩.
٢٤. هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، "المعايير الشرعية للمؤسسات المالية الإسلامية"، هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، البند ٢ من المعيار الشرعي رقم ٥١٧، المنامة - البحرين، ٢٠٠٧.
٢٥. هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية "كتاب المعايير الشرعية"، البحرين، ٢٠١٠.



التغيرات المناخية وآثرها في السودان - ولاية شمال دارفور نموذج حالة

د. إقبال محمد أحمد وراق

أستاذ مساعد كلية البئية وإدارة الكوارث قسم إدارة الكوارث والأزمات

جامعة الرباط الوطني

Email: egbalwarrag@gmail.com

مقدمة

كُثر الحديث في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين عن التلوث البيئي وما يمكن أن يترتب عليه من تغيّرات مناخية خطيرة تهدد الإنسان على كوكب الأرض، بالرغم من أن موضوع تلوث الهواء بشكل خاص نال نصيباً كبيراً من الدراسة إلا أن العلماء لم يتفقوا على شيء موحد بخصوص ذلك. فمنهم من يقول بأن تلوث الهواء ليس بالشئ الجديد على كوكب الأرض وهو موجود منذ الأزل وإن للغلاف الجوي خواص تمكنه من التخلص من الملوثات والحفاظ على توازنه وإن الكائنات الحية (الإنسان، الحيوان، والنبات) لديها القدرة على تكيف نفسها مع ما يستجد من تغيّرات مناخية. يعتبر السودان من البلدان النامية التي تأثرت أيضاً بهذه التغيّرات، ولذلك من الضروري تناول هذه التغيّرات على الحياة الاقتصادية والاجتماعية وأساليب التكيف مع التغيّرات في ولاية شمال دارفور من خلال توفر المعلومات والإحصاءات المناخية التي يمكن أن تساعد المخططين في إتخاذ القرارات اللازمة لمعالجة مشكلات هذه المنطقة والبيئات المشابهة لها.

وارجع تقرير كتب عن المناخ^(١) يوضح أن ظاهره تغيّر المناخ التي شغلت العالم مؤخراً إلى آخر تقرير علمي صدر عن الهيئة الحكومية لتغيّر المناخ (المرجع العلمي للعمل في مجال تغيّر المناخ) والذي يؤكد أن التغيّرات المناخية لم تعد مجرد نتائج لبحوث علماء أو توقعات، إنما هي واقع معاش اليوم كما تم تفسير كثير من الظواهر التي تحدث الآن من فيضانات وتيارات بحرية ضربت سواحل وجذر في أنحاء العالم واشكالات الامطار التي يترتب عليها مشاكل أمن الغذاء.

(١) قطبي، نجم الدين، تقرير علمي عن الاتفاقية الاطارية بشأن تغيّر المناخ، ٢٠١٠ - unfccc - الفقرة ٦٦، الوثيقة ٣، ٢٠٠٩ م.

هدفت الدراسة لمعرفة آثار التغيرات المناخية على الواقع الاجتماعي والاقتصادي والبيئي لمجتمع ولاية شمال دارفور، في جوانب الحياة المختلفة للتحقق من أسباب التنافس بين المزارعين والرعاة وأخيراً دراسة أساليب المجتمع للتكيف مع التغير المناخي، وسوف تشمل الدراسة على عدد من المحاور تتضمن مفاهيم ونظريات التغير المناخي، ثم أسباب التغير المناخي وأخيراً اشتمل المحور الأخير على أسباب التغير والتكيف المناخي في السودان (ولاية شمال دارفور). وسوف يتبع الباحث المنهج الإحصائي الوصفي وذلك من خلال وصف منطقة الدراسة والتعرف على الخصائص العامة المميزة لها، وتغطي الدراسة شريحة المزارعين والرعاة وسوف يتبع الباحث المنهج التاريخي لتتبع تغيرات المناخ التي طرأت على المنطقة عبر الزمن خاصة الأمطار، باستخدام متوسطات الأمطار من هيئة الإحصاء الجوي. كما سيستعين بالمصادر الثانوية خاصة التقارير من الهيئات والوزارات المختلفة.

من المتوقع ان تسهم الدراسة بتقديم حلول دراسية من خلال إجراء المسح المستمر لرصد التغيرات البيئية الذي يتم عبر تطوير المحطات المناخية والاستفادة من الأقمار الاصطناعية التي تقوم بتصوير كل منطقة على سطح الأرض بطريقة تكرارية منتظمة تكشف عن تطور حجم المشكلة لقطاع الزراعة وقطاع الرعي، والتقنيات الحديثة؛ وذلك لرفع القدرات المحلية والمحافظة على الموارد، وتعزيز الاتجاهات والممارسات لحماية البيئة المحلية.

تنطلق هذه الدراسة من فكرة محورية و هي إن مجتمع شمال دارفور بدأ يتعرض منذ أواسط الثمانينات لمؤثرات كبيرة نتج عنها آثار اجتماعية، إقتصادية نتيجة للتغيرات المناخية لأسباب مختلفة ومعقدة. لتحقيق من هذه الفكرة تم صياغتها في الفروض التالية:

- تغير المناخ أثر على حياة الإنسان في شمال دارفور (محلية الفاشر) بصورة مباشرة وغير مباشرة.
- تغير المناخ زاد من هشاشة مجتمع شمال دارفور (محلية الفاشر) ويظهر ذلك مع تغير المهن وزيادة المنافسة في سبل كسب العيش.
- التغير المناخي فرض نمطاً من الحياة مبني على التكيف في مختلف جوانبها على المجتمع المحلي والنازحين والأجئين. و إثبات إن خطط التأهيل البيئي والتعامل مع ظاهرة التغير المناخي يساعد في تقليل خطر الظاهرة.

المحور الأول: مفاهيم ونظريات التغير المناخي

يعد موضوع التغير المناخي من المواضيع المهمة والحديثة التي حازت على إهتمام العديد من الباحثين في العقود الاخيرة من القرن الماضي والقرن الحالي و ما يترتب عليه من تأثيرات مستقبلية خطيرة تهدد الانسان ونشاطاته المستقبلية والبيئة المحيطة به وما يترتب عليه أيضاً من أضرار مدمرة متوقعة في السنوات القادمة.

ويعد مصطلح التغير المناخي تحول في نمط الطقس لمدة لا تقل عن ٣٠ عاماً. وكلمة مناخ غالباً ما تفهم على أنها الطقس، ولكن الطقس هو المدى القصير للظروف الجوية كمخطط درجة الحرارة وتساقط الأمطار، وارتبط مصطلح المناخ بعدد من المصطلحات نذكر منها:

١ - مفهوم التدهور البيئي:

تعرض مفهوم التدهور البيئي لرأى كثير من الباحثين والعلماء وهو يصف حالة التآلف لجزء من البيئة الطبيعية كما يمكن أن يشير إلى الأضرار التي لحقت بالأرض في الماء والهواء أو فقدان المورد الطبيعي في منطقة ما. تدهور البيئة ليس شيئاً جديداً فقد كان يحدث في جميع أنحاء العالم لعدة قرون، المشكلة هي أنه يحدث الآن بمعدلات أسرع وبالتالي لا يترك وقتاً كافياً للبيئة للتجديد مقابل الطلب المتزايد عليها عن طريق زيادة عدد السكان الذي يشكل ضغطاً وعبئاً على الموارد الطبيعية المحدودة للأرض وقد يكون هذا التدهور نتيجة لعوامل طبيعية كالعوامل المناخية^(١) الذي يؤدي بدوره للتلوث البيئي.

٢ - مفهوم التلوث البيئي

يعبر هذا المفهوم عن الاختلال في محتويات النظام البيئي لذلك فالتلوث عبارة عن حال غير مرغوب فيها بالبيئة الطبيعية والتي أفسدت بواسطة مواد موزية ناتجة عن أنشطة الإنسان^(٢) مما كان لها دور كبير في التغير المناخي.

(١) الأمم المتحدة، بيان اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مؤتمر الأمم المتحدة الثالث المعني باقل البلدان نمو الفقر والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بروكسل الدورة الخامسة والعشرين ٢٠٤ مايو، ٢٠٠١م.

(٢) اسلام احمد محمد رفعت، التلوث مشكلة العصر سلسله علوم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب الكويت، الكويت، ١٩٩٠م.

٣ - مفهوم التغير المناخي

يُطلق مصطلح تغير المناخ على التغير الملموس وطويل الأثر الذي يطرأ على معدل حالة الطقس لمنطقة ما، شاملاً معدلات الهطول المطري، ودرجات الحرارة، وحالة الرياح، وتُعزى أسباب حدوث هذه الظاهرة إلى عمليات ديناميكية للأرض أو قوى خارجية أو إثر النشاط الإنساني. ساهمت الثورة الصناعية المندلعة منذ أكثر من ١٥٠ عاماً في استهلاك مليارات الأطنان من الوقود الأحفوري لغايات توليد الطاقة من خلال حرقها، والتي ساهمت بدورها في حبس الغازات الدفيئة، ومن أهمها: ثاني أكسيد الكربون، وبالتالي تغير المناخ في الكرة الأرضية، فارتفعت درجة حرارتها إلى نحو ٢, ١ درجة مئوية عند مقارنتها بما قبل الثورة الصناعية^١ مما كان له تأثير على التنمية.

٤ - مفهوم التنمية المستدامة:

الفكرة الأساسية التي بنيت عليها أجندة القرن الحادي والعشرين هي فكرة التنمية المستدامة. ومفهوم التنمية المستدامة متعددة الاستخدامات ومتنوع المعاني فالبعض يتعامل مع التنمية المستدامة كروية أخلاقية تناسب اهتمامات النظام العالمي الجديد وقد وزعت على أربع مجموعات هي الاقتصادية والبيئية والاجتماعية والإنسانية والتقنية والإدارية^٢ وابتدعت وسائل لمواكبة تنميته والتكيف مع تغيرات المناخ في ذات الوقت.

٥ - مفهوم التكيف:

ارتبط هذا المفهوم بالعلوم البايولوجية عبر نظرية (دارون) أصل الأنواع وهو يعني أن كل سلالة من الكائنات لا تستمر كما هي بل تحدث لها تغييرات يصبح من خلالها الكائن أكثر قدرة على الاستمرار في البيئة المعنية أكثر من غيره^٣.

كل هذا التوضيح والتعريف بهذه المفاهيم يساعد على فهم التغير المناخي وبخاصة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وللتوضيح أكثر نتعرف على بعض النظريات.

١- حسين زهدى، كتاب الأرصاد الجوية ونظرة للمستقبل، الطبعة الأولى. سلسلة العلم والحياة، مؤسسة الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٧م.

٢ طريح، عبدالعزيز، الجغرافيا المناخية والنباتية، الجزء ١، ط ٥، ١٩٩٧م.

3- Watson, R, T 4/" Summary for Policymakers – 2001 Synthesis Report ".Cambridge University Press, Cambridge, United Kingdom (2001)

النظريات:

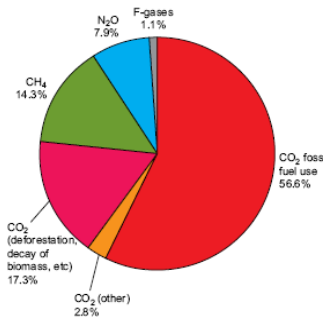
١ - نظرية البقع الشمسية:

هي بقع داكنة تظهر على الكرة المضئية في الشمس وتتميز بدرجة حرارة منخفضة وتظهر هذه البقع كل إحدى عشرة وربع سنة وبدأت ملاحظتها منذ آلاف السنين تقريباً، ولكن دراستها جدياً كانت لسنوات ١٩٣٧ - ١٩٤٧ - ١٩٥٨ وما بعدها، تؤثر التيارات الكهرومغناطيسية القادمة من الشمس بسبب اللكف الشمسي على: (الأقمار الصناعية وذبذبات التواصل بينها وبين الأرض، الاتصالات اللاسلكية واتصالات الهواتف النقالة، التأثير على القوى المغناطيسية، زيادة الأشعة فوق البنفسجية على الكواكب، التأثير على النباتات ونموها^(١)).

٢ - نظرية الغازات:

هي الغازات التي تقوم بامتصاص الأشعة الحرارية تحت الحمراء، التي تنطلق من سطح الأرض، وتعيدها مرة ثانية إلى الأرض، مسببة ظاهرة الاحتباس الحراري. ويوجد بعض هذه الغازات بشكل طبيعي في الغلاف الجوي، مثل غاز ثاني أكسيد الكربون، وأكاسيد الآزوت، وغاز الميثان. ولولا وجود هذه الغازات، والدور الذي تقوم به لكانت درجة حرارة الأرض أقل مما هي عليه الآن، ولكانت الحياة مستحيلة على سطح الأرض^(٢).

الشكل (١): نسب تأثير غازات الدفيئة على تغير المناخ



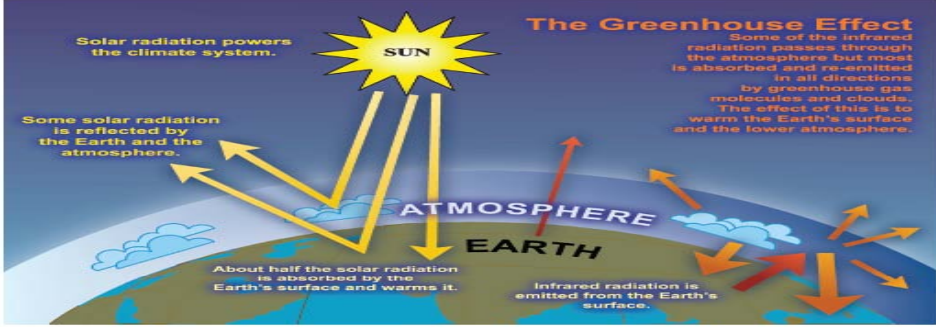
المصدر: NGGIP Guidelines: ١٩٩٦

١ - نور الدين أحمد عبدالله، ورقة علمية أثر العواصف الشمسية على مناخ الكرة الأرضية، ٢٠١٢.

2- UNEP & WMO, " Revised 1996 IPCC Guidelines for National Greenhouse Gas Inventories", IGES, Japan, April (1997).

يوضح الشكل اعلاه نسبة توافر الغازات المسببة للاحتباس الحراري ومسببتها حيث تقوم هذه الغازات بإصدار الأشعة تحت الحمراء في كل الاتجاهات بما فيها إلى الأسفل نحو سطح الأرض. ولذا فإن هذه الغازات تحبس الحرارة بآلية تعرف ب (الاحتباس الحراري الطبيعي). كما في الشكل (٢) وتمتص السحب الأشعة تحت الحمراء وتصدرها، ولذا فهي تعمل كغاز دفيئة. ومن جهة أخرى تقوم هذه السحب بعكس الإشعاع الشمسي الساقط عليها. ونتيجة لهذين التأثيرين المتعاكسين، فإن محصلة تأثيرها، هو تبريد بسيط. غير إن هذا الأمر يختلف كثيراً بحسب الظروف، ويعتمد على ارتفاع السحب وعلى كثافتها الضوئية^١. وقد لعب الرصد المناخي في توضيح التغير في درجات الحرارة والامطار.

الشكل (٢): ظاهرة الاحتباس الحراري



المصدر: (National Research Council (NRC): ٢٠٠٥

يوضح الشكل أعلاه ظاهرة الاحتباس الحراري من خلال توضيح المسارات للأشعة الضوئية وطريقه امتصاص وانعكاس الأشعة القادمة من الشمس والتي من خلالها تأتي ظاهرة الاحتباس الحراري وذلك بسبب توافر الغازات الدفيئة في الغلاف الجوي.

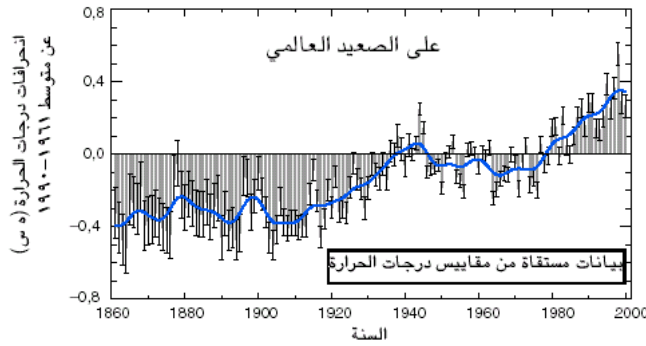
الرصد المناخي: (التغير في درجة الحرارة حسب دراسات IPCC):

بدأ قياس درجة الحرارة منذ منتصف القرن التاسع عشر. ورصدت تغيرات الطقس الأخرى مثل الهطول، وشدة الرياح، منذ نحو مئة عام. كما أجريت قياسات لمستوى سطح البحر منذ أكثر من ١٠٠ عام. غير إن شبكة قياس المد والجزر بسجلاتها القديمة لم توفر سوى تغطية عالمية محدودة. أما درجات حرارة طبقات الجو العليا، فقد بدأ قياسها منذ منتصف الخمسينات من القرن الماضي

١ آدم، حسين سليمان، التحولات المناخية الجمعية السودانية للارصاد الجوي، ٢٠٠٠.

فقط، بواسطة المناطق. لكن توزيع مراكز القياس كان غير متساو. وتتوفر سجلات طويلة للرصد السطحي من السفن للمحيطات، منذ منتصف القرن التاسع عشر، وبواسطة عوامات خاصة لهذا الغرض منذ أواخر سبعينات القرن الماضي. وتوجد قياسات لدرجات حرارة المحيطات تحت السطح، بدءاً من أواخر الأربعينات. ومنذ السبعينات، بدأ استخدام الأقمار الاصطناعية في قياس المناخ. لكن تفسيرها الصحيح لا يزال يحتاج إلى تطوير. وقد بدأت محطات الرصد الأرضية تناقص، مع زيادة الاعتماد على الأقمار الصناعية^(١).

الشكل (٣): إنحرافات درجات الحرارة



المصدر: (آل الشيخ، ٢٠١١)

الشكل أعلاه يوضح إنحرافات درجات الحرارة للأعوام من ١٨٦٠ إلى ٢٠٠٠م والتي تبين مدي تذبذب درجات الحرارة وانحرافها عن متوسط ١٩٦١ - ١٩٩٠

٥/ أسباب التغير المناخي:

من أهم العوامل الخطيرة ذات التأثير السيئ على مناخ الكرة الأرضية إفراط الإنسان في استخدام الوقود الأحفوري خلال حقبة طويلة من الزمن. ومن المعروف أن احتراق الوقود الفحمي والبترولي تسببا في انبعاث مركبات الكبريت والكربون وهذه المركبات والتي من شأنها تلويث الهواء مما يؤثر بالسلب على صحة الإنسان والكائنات الحية الأخرى بالإضافة إلى تغير المناخ بشكل غير مرغوب فيه. ولقد وجد بحساب ثنائي أكسيد الكربون الموجود في الجو الآن بمعدلاته الحالية سوف يتضاعف عند سنة ٢٠٥٠م وهذا من شأنه أن يؤدي إلى ارتفاع درجة الحرارة قرب

1- Nakicenovic, N., Swart, R., (2000): "Emissions Scenarios: Intergovernment Panel on Climate Change", Cambridge University Press, Cambridge, UK

سطح الأرض. وهذا الارتفاع المحتمل في درجة الحرارة سوف يؤدي إلى تغير نمط توزيع الأمطار على سطح الأرض بشكل غير مرغوب فيه بحيث تؤكد الدراسات أن المطر سيسقط على البحار وليس اليابسة والأنهار مما يسبب موجات الجفاف^(١).

ويمكن تقسيم أسباب التغير المناخي إلى مجموعتين:

١. طبيعية: ومنها:

- أ. ثورات البراكين حيث ينبعث منها الغازات الدفيئة بكميات هائلة مثل: بركاني آيسلندا وتشيلي.
- ب. العواصف الترابية في الاقاليم الجافة وشبة الجافة التي تعاني من تدهور الغطاء النباتي وقلة الزراعة والأمطار، ومن أمثلتها رياح الخماسين وما تثيره من غبار عالق في جو الأردن والمنطقة.
- ج. ظاهرة البقع الشمسية وهي ظاهرة تحدث كل ١١ عام تقريباً نتيجة اضطراب المجال المغناطيسي للشمس مما يزيد من الطاقة الحرارية للإشعاع الصادر منها.
- د. الأشعة الكونية الناجمة عن انفجار بعض النجوم حيث تضرب الغلاف العلوي للأرض وتؤدي لتكون الكربون المشع.

٢. اصطناعية:

- وهي المسببات الناجمة عن الأنشطة البشرية وترتبط بالنمو السكاني المتزايد بالعالم:
- أ- الغازات المنبعثة من الصناعات المختلفة كتكرير النفط وإنتاج الطاقة الكهربائية ومعامل إنتاج الاسمنت ومصانع البطاريات
 - ب- عوادم السيارات والمولدات الكهربائية
 - ج - نواتج الأنشطة الزراعية كأسمدة والأعلاف وعمليات إزالة الغابات والأشجار التي تعتبر أكبر مصدر لامتصاص غازات الاحتباس الحراري CO₂^(٢).

1- EPA 2001 Answers to Frequently Asked Questions...Global Warming

٢- مجله اسيوط للدراسات البيئية - العدد الحادي والاربعون (يناير ٢٠١٥)

٦/ سيناريوهات المناخ Climate Scenarios:

السيناريو مجموعة من الشروط التي تمثل ظروفاً مستقبلية مختلفة، وتستخدم السيناريوهات في أحيان كثيرة لتقدير النتائج المحتملة في المستقبل، واستعداد الأفراد والمؤسسات لها، أو استجابتهم إليها. على سبيل المثال، يستخدم رجال الأعمال السيناريوهات لتقرير ما إذا كانت بعض الاستراتيجيات مناسبة أم لا. في مجال المناخ تستخدم السيناريوهات بسبب حالة عدم التأكد في تغيير المناخ على المستوى الإقليمي. ويعني بالمناخ الإقليمي، المناخ على مستوى شبه قارة، أو على مستوى منطقة واسعة. وعلى الرغم من أن درجة الحرارة سترتفع في مناطق عديدة من العالم، إلا أن تغييرات هامة في المناخ كالهطول، غير مؤكدة في كثير من المناطق. وحتى في حالة معرفة اتجاه التغيير المناخي تظل هناك درجة من عدم التأكد من شدته ومداه وتوقيته والاتجاه الذي سيسلكه. ولذا تساعد السيناريوهات في فهم تغيير المناخ الإقليمي واستجابة الأنظمة البيئية له. يجب أن تلتزم السيناريوهات بالمعايير التالية:

- إن تتسق مع ما نعرفه عن التأثير البشري على المناخ.
- إن تتسق داخلياً، أي إن تكون التغييرات مفهومة فيزيائياً.

إن أفضل طريقة للتأكد من صحة السيناريوهات هي تأكيدها من قبل خبراء المناخ الإقليميين بحسب التغييرات الملحوظة والمقاسة فعلاً. ومن أجل استخدام السيناريوهات لتقدير درجة التأثير، والتأقلم مع التغييرات المناخية، يجب الأخذ بعين الاعتبار تلك المتغيرات التي تؤثر فيها زمانياً ومكانياً. وقد يتطلب ذلك بيانات يومية، أو خلال اليوم الواحد ضمن حيز مكاني كمزرعة مثلاً. ومن المهم أن نعرف إن السيناريوهات الإقليمية، ليست للتنبؤ بالمناخ في المستقبل، وإنما لتقدير تأثير الإنسان على المناخ، وكيفية تأثير النظم البيئية الأخرى بذلك. ويمثل الشكل (٢، ١٧) كيفية استخدام النماذج المناخية للحصول على سيناريو تغيير مناخي، واستخدامه لمعرفة التأثير به، والتأقلم معه^(١).

1- Simpson, LG, Land Tenure, in Graig, GM(ed.), The Agriculture of the Sudan, Oxford University Press, New York, 1991 Watson, R, T

المحور الثاني: تغيير المناخ في السودان

أ. تغيير المناخ:

تغيّر المناخ بالنسبة للسودان ليس مجرد قضية بيئية تُعرف بكميات الأمطار وارتفاع درجات الحرارة المتوقعة. إن تغيّر المناخ يمثل عقبة أمام التنمية المستدامة للمواطنين الموزعين على الكثير من المجتمعات الهشة وإن مواجهة هذا الموقف يحتاج إلى جهد جماعي وسند مالي من داخل وخارج الحدود السودانية، تختلف الأسس التي تقسم الأقاليم المناخية، وأوستن ملنر (١٩٣١) اعتمد على طول فصل النمو بينما اعتمد ثورنثويت (١٩٤٨) على حساب التبخر الكلي والربط بينه وبين رطوبة التربة كما أن تقسيم كوبت اعتمد على الجمع بين درجة الحرارة والمطر وتوزيعها الفصلي.

وقد قسم حسب خريطة هاريسون وجاكسون ١٩٥٨ مناخ السودان إلى^(١):

١ / أقاليم مناخية وهي على النحو التالي:

- ❖ الإقليم المناخي ذو الأمطار الصيفية (السافنا) الذي يمتد من دائرة العرض ١٠° شمالاً ماعدا جزء من منطقة النيل الأبيض.
- ❖ الإقليم المناخي شبه الصحراوي الحار الجاف في وسط البلاد الذي يمتد من دائرة العرض ١٠° إلى ١٥° شمالاً.
- ❖ الإقليم المناخي الصحراوي الجاف الحار الذي يقع شمال دائرة العرض ١٥° شمالاً.
- ❖ إقليم المناخ المعتدل الذي يقع في الأجزاء الجنوبية للبحر الأحمر شكل رقم (١٩, ٢)

٢ / القطاعات المتأثرة بالتغيرات المناخية:

هنالك العديد من القطاعات في السودان التي تأثرت بالتغيرات المناخية منها، قطاع المياه. قطاع الزراعة والموارد الطبيعية، التنوع الحيوي، القطاع الصحي (النواقل والأمراض الوبائية)، القطاع الاقتصادي الصناعي، القطاع الجغرافي السياسي (الصراعات حول المصادر الطبيعية المحدودة)، تأثير ذلك على الأجيال الجديدة القادمة، إن تأثر القطاعات يؤثر على حياة الأجيال القادمة^٢، والتي ابراز اسبابها الجفاف.

١ - التوم مهدي امين، مناخ السودان، الخرطوم المنظمة العربية، ١٩٧٤ م.

٢ - الجزولي، اسماعيل، التغيرات المناخية واثرها على قطاعي المياه والزراعة في السودان، المجلس الأعلى للبيئة والموارد الطبيعية، ورقة علمية، دمشق سوريا، ٢٠١٠.

٣/ الجفاف في السودان:

إن الزراعة التقليدية المعيشية هي السائدة في الاقتصاد السوداني إذ يعتمد حوالي ٨٠ ٪ من المواطنين على إنتاج الحبوب وتربية الماشية كأهم مصادر المعيشة. وإن الزراعة تشارك بحوالي نصف الناتج المحلي الإجمالي وتعتبر أهم نشاط اقتصادي لأغلبية السكان. والقطاع الزراعي يسيطر عليه صغار المزارعين. وهؤلاء يعيشون تحت ظروف الفقر ويعتمدون في حياتهم على الزراعة المطرية التقليدية. مجموع هذه العوامل توصف تلك المجموعات بالهشاشة مع تغيرات المناخ والدليل على ذلك ما حل بسكان الريف إثر موجات الجفاف القاسية المنصرمة للفترة من ١٩٧٣. وإن العديد من التحديات التنموية تبرز مع ازدياد مخاطر المناخ. إن تدهور التربة والتصحر هو نتيجة الاستغلال غير الراشد للأرض من قبل الإنسان وتكرر الجفاف فأصبحت هذه العوامل تهدد مناطق تشكو أصلاً من الهشاشة. إن إزالة الغابات - أساساً كوقود في المنازل - يهدد التنوع الإحيائي والمجتمعات البشرية ويقلص قيمة الخدمات التي يمكن أن تقدمها الغابات. كما أن النفايات الصناعية والبشرية تعرض نوعية المياه للخطر والتلوث في مناطق تشكو سلفاً من نقص في هذا العنصر المهم. إطار برنامج التكيف. إن هشاشة المجتمعات والقطاعات الاقتصادية المتعلقة بآثار المناخ نجدها مرتبطة بتذبذبات الجو في المدى القصير (تباين المناخ) كما بالتذبذبات في أنماط الجو في المدى الطويل (تغير المناخ). في السودان نجد أن أهم المخاطر المناخية الحالية هما الجفاف والفيضانات العارمة إن منحى تناقص الأمطار وزيادة تباينها يؤسس لشروط الجفاف في أماكن كثيرة في السودان. إن نمط هطول الأمطار في المدن الواقعة في النظم الإيكولوجية المختلفة والتي تمت مناقشتها في الفترات ١٩٤١ - ١٩٧٠، ١٩٥١ - ١٩٨٠، ١٩٦١ - ١٩٩٠، ١٩٧١ - ٢٠٠٠ برهنت على مؤشرين هامين في فترة الستين سنة هذه. أولاً إن متوسط كمية الأمطار قد تقلص من ٤٢٥ مم إلى حوالي ٣٦٠ مم أي بمعدل حوالي ٥, ٪ مم سنوياً... ثانياً إن منحني معامل التباين للأمطار أشار إلى ارتفاع مما يعني زيادة في تذبذب الأمطار. إن تذبذب الأمطار يمثل خطورة أكبر في المنطقة الجافة في شمال القطر حيث يصل متوسط معدل التباين إلى أكثر من ١٠٠ ٪، عانى السودان الكثير من الفيضانات المدمرة وفترات جفاف متكررة في العقود الأخيرة. وكان من نتيجة ذلك فقدان العديد من الممتلكات وخسارة فادحة في سبل الري وخدمات الماء مع انتشار الأمراض المرتبطة بالمياه. إن مستويات المياه من الهضبة الأثيوبية (مصدر مياه النيل الأزرق) تتباين بشكل ملحوظ كما إن المنطقة عرضة للفيضانات العارمة والجفاف. وفي السنوات ذات الأمطار الاستثنائية نجد أن الأنهر الثلاثة الرئيسية وهي النيل الأزرق، نهر عطبرة والسوبات

تسبب في فيضانات واسعة النطاق خاصة في ما تُعرف بسهول الفيضانات الواقعة في جنوب شرق السودان فمثلاً نلاحظ إن فيضانات ١٩٨٨ و فيضانات ١٩٩٨ كانت الأكبر ضرراً على الإطلاق^(١).

٤/ الموارد الطبيعية وعملية خطة العمل القومية للتكيف مع تغيّر المناخ:

❖ النطاقات الإيكولوجية والنظم الإيكولوجية الجافة وشبه الجافة، توجد هذه المناطق في شمال وأواسط البلاد وتمثل أكثر من ٥٠٪ من المساحة الكلية أي ما يقارب ١٢٥ مليون هكتار.

❖ نظام السافانا (الطينية): من خصائص هذا النظام قلة الأمطار كما إن التربة الطينية هي الطاغية وتمثل ٥٪ من مساحة القطر الكلية أي حوالي ١٢ مليون هكتار.

❖ نظام السافانا (الرملية): الأمطار في هذا النظام أيضاً قليلة وتسود فيه التربة الرملية ويمثل ٣٪ فقط من المساحة الكلية أي حوالي ٨ مليون هكتار. وأخيراً نطاق الملاريا في السودان.

❖ ظام الجنوبي المهدد بالفيضانات: تقع هذه المناطق تحت درجة العرض ١٠ شمالاً وتحتل مساحة تُقدر بحوالي ٣٪ من المساحة الكلية أي حوالي ٨,٥ مليون هكتار.

في مسيرتها اختبرت خطة العمل القومية للتكيف مع تغيّر المناخ في السودان اقترحت أولويات المعالجة (التدخل) المناسبة في وجه ما يحدق بها من مخاطر بسبب تغيّر المناخ، واضعة في الاعتبار سمات كل المناطق. في المناطق الجافة وشبه الجافة يعمق الجفاف من الهشاشة الحالية للنظم وينتج عن ذلك تناقص في خصوبة الأرض وبالتالي استمرارية غياب الأمن الغذائي. إن الجفاف المتكرر لا يعفي مناطق السافانا وتتعدد المشاكل عندما يندمج الجفاف مع الرعي الجائر وتعرية التربة وانفجار الأمراض الوبائية المستوطنة مثل الملاريا. كما إن الفيضانات العارمة المستعصية على المواجهة وتمدد مرض الملاريا المتكرر يعرض تلك المجتمعات لظروف ضاغطة يزيد من حدتها وهي بدائية البني التحتية في مجتمع خرج لتوه من حروب أهلية طاحنة امتدت لعقود، فلا بد من التكيف معها^(٢).

ب/ التكيف مع التغيّرات المناخية في السودان

يختلف التعرض للتغيّر المناخي بحسب المناطق، وبالنسبة للسكان في كل منطقة. ويؤدي

(١) عوض الله جعفر، التكيف مع تغير المناخ السودان الهيئه القومية للغابات، المجلس الأعلى للبيئة والموارد الطبيعية، قانون حماية البيئة لسنة ٢٠٠١ الخرطوم، ٢٠١١م.

(٢) الجزولي، اسماعيل، مرجع سبق ذكره.

الاختلاف في مناخ كل منطقة، والتغير المناخي المتوقع إلى تعرض متباين للتغير. وتتفاوت النظم الطبيعية والاجتماعية في خصائصها ومصادرها ومنظمتها من منطقة لأخرى. ولذا فإن تعرضها للضغوط يعطي حساسيات وتكيفات مختلفة. وحتى ضمن المنطقة الواحدة، يوجد تفاوت في تأثيرها وتعرضها وقدرتها على التكيف الذي يعد عملية مستمرة متغيرة ومتطورة، وأهم وسائلها هي القدرة على التكيف (العامل البشري) لذلك يتطلب التكيف معرفة بتغير المناخ كما يتطلب تأهيل للكوادر البشرية بهدف مجابهة التغيرات.

١/ أساليب التكيف مع تغير المناخ:

يبدل السودان أقصى جهده ليضمّن خطة التكيف مع تغير المناخ في مسيرة التنمية بإدخال المناخ والهشاشة في سياساته القطاعية والتنمية الكاملة للبرنامج البيئي المضمن في الاستراتيجية القومية العشرية (١٩٩٢ - ٢٠٠٢) وكذلك في الخطة الاستراتيجية الكاملة الممتدة لفترة ٢٥ عاماً والمتوازية مع أهداف خطة التكيف مع تغير المناخ.

٢/ خطة العمل القومية للتكيف:

اختبرت خطة العمل القومية للتكيف مع تغير المناخ كل منطقة على حدة لتتقترح أولويات المعالجة والتدخل المناسبة في وجه ما يحدق بها من مخاطر بسبب تغير المناخ، ووضعة في الاعتبار سمات كل منطقة. في المناطق الجافة وشبه الجافة يعمق الجفاف من الهشاشة الحالية للنظم وينتج عن ذلك تناقص في خصوبة الأرض وبالتالي استمرارية غياب الأمن الغذائي. إن الجفاف المتكرر لا يعني مناطق السافانا وتتعدد المشاكل عندما يندمج الجفاف مع الرعي الجائر وتعرية التربة وانفجار الأمراض الوبائية المستوطنة مثل الملاريا، كما إن الفيضانات العارمة المستعصية على المواجهة وتمدد مرض الملاريا المتكرر يعرض تلك المجتمعات لظروف ضاغطة يزيد من حدتها بدائية البني التحتية في مجتمع خرج لتوه من حروب أهلية طاحنة امتدت لعقود تهدف الخطة القومية للتكيف إلى: (استراتيجية تخفيف الفقر: إن أهم جزء في تقرير السودان الخاص بمحاربة الفقر (٢٠٠٤ - ٢٠٠٦) يركز على الزراعة، موارد المياه والصحة العامة نفس القطاعات التي استهدفتها خطة العمل القومية للتكيف مع تغير المناخ، حصاد المياه كجزء من المشاريع القومية نجد أن فنيات حصاد المياه بدأت تطبق في تسع مناطق وفي عدد من الولايات (شمال دارفور، ولاية النيل، شمال كردفان وغرب كردفان). هذه المشاريع أدت إلى زيادة فرص الحصول على الماء وإلى تقوية قدرات تلك المناطق للتواءم مع تقلص الأمطار، وارتفاع درجات الحرارة والجفاف وقد ضمنت جميعها

في محاور خطة العمل القومية للتكيف مع تغيُّر المناخ. على مستوى الدولة، يلاحظ إنشاء العديد من مجالس البيئة في تعاون كامل مع خطة العمل القومية مع تغيُّر المناخ ينفذ السودان حالياً برنامجاً قومياً تحت عنوان دحر الملاريا والذي يحتوي على منهج متكامل يهدف إلى تحسين الإشراف وإدارة الأمراض والأمراض الوبائية بغرض خلق خيارات للتدخل الوقائي. واضعين في الاعتبار الآثار المتوقعة لتغيُّر المناخ على الأوضاع المتردية أصلاً للصحة العامة. و التمثيل الواسع للمستهدفين في نشاطات ومشاورات خطة العمل القومية للتكيف مع تغيُّر المناخ. ووضع وتحديد استراتيجيات متكاملة للتكيف وتحديد المشروعات والبرامج ذات الصلة. وتطوير شروط تناسب ظروف البلد لتقييم ووضع الأولويات لمعالجات التكيف. وسمات منظومة للمبادرات السريعة والضرورية للتكيف. وتوصيات بتحديد أنشطة تكيف أوسع مجاًلاً مثل بناء المقدرات، إصلاح السياسات والتنسيق بين المؤسسات) وقد أبرزت الخطة القومية المنفذة بواسطة المجلس الأعلى للبيئة وبعض المنظمات الدولية بعض المشاريع ذات الأولوية في أربعة نطاقات بيئية كإيلي: (مشاريع للتكيف مع تغيُّرات المناخ بولاية نهر النيل والتي تمثل إقليم الصحراء بينما تمثل إقليم شبه الصحراء بولاية شمال كردفان والتي تحتوي على سبعة مشاريع وإقليم السافانا الطنية بولاية القضايف والتي تحتوي على ثمانية مشاريع والسافانا الرملية في ولاية جنوب دارفور والتي تمثل ثمانية مشاريع)^(١).

المحور الثالث: أسباب التغير المناخي والتكيف معها في ولاية شمال دارفور (الفاشر)

اختلفت الروايات وتعددت حول معني الفاشر (بكسر الشين)، إلا أن الرواية الأكثر شيوعاً وأقوى حجة هي التي تذهب إلى أن اللفظ يعني مجلس السلطان.

وتلقب بالفاشر أبو زكريا نسبة إلى الامير زكريا والد السلطان علي دينار، حيث امتدت فترة حكم سلاطين الفور الي مايقارب الخمسة قرون، وقد كانت نقطة إنطلاق القوافل التجارية، وفي عام ١٨٢١م غزا محمد علي باشا السودان واحتل عاصمتها وفي عام ١٨٨٤م احتلت قوات المهدي مدينة الفاشر وقد تم هزيمة خليفة المهدي عبدالله من قبل القوات البريطانية عام ١٨٩٠م وتم استعادتها علي يد السلطان دينار في ١٩٠٩م حتي ١٩١٦ عندما وضعت قوات الحكم الثنائي نهاية لذلك^(٢).

١ - عوض الله جعفر، مرجع سبق ذكره.

2- Francis, shillington, encyclopedia of Africa history, taylor, London, 2004.

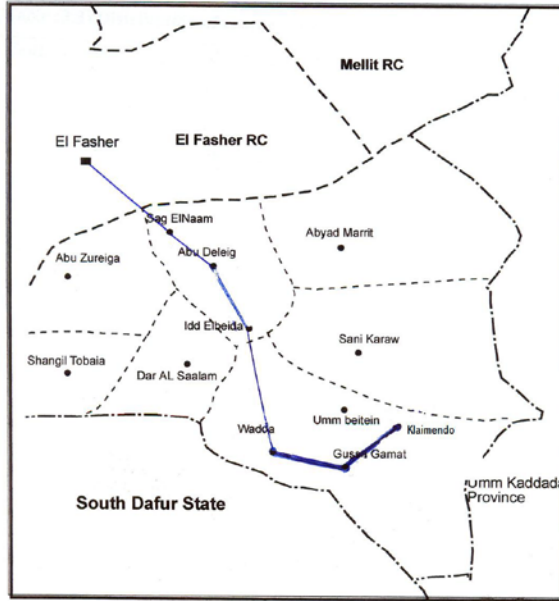
الخصائص الطبيعية لمنطقة الدراسة:

تقع محلية الفاشر على كثبان رملية يتوسطها بحيرة مائية كبيرة تتجمع فيها مياه الأمطار الموسمية في فصل الخريف من الوديان لوادي قولو وجدير السيل المياه المنحدرة من داخل المدينة وتستقل مياهها في أعمال البناء وسقي الأشجار والحيوانات، أما مياه الشرب فمن خزانات قولو وآبارها والآبار الجوفية مثل حجر قدو وبعض المضخات اليدوية داخل المدينة^(١).

وقد أدرك السكان في فترات الجفاف والهجرات الريفية للأسباب المختلفة نتيجة للتغيرات المناخية وطموحات الأجيال الحديثة ووسائل الحياة المختلفة للتكيف معها.

تأثرت المدينة بأحداث سوق المواسير وعدم الاستقرار الأمني مما أدى إلى هجرة أغلب السكان الأصليين إلى العاصمة. كما تأثرت المدينة بموجات النزوح في الفترات السابقة مما تسبب في إيجاد ما عرفت بالمعسكرات التي أعدت لهم مثل معسكر أبي شوك، أبوجا ونيفاشا وزمزم وتعد هذه المعسكرات مدن لحالها، أضيفت إلى المدينة وازدياد عدد السكان مما ساهم في تردي الأحوال الاقتصادية والاجتماعية الأمنية وغيرها تتمركز المصالح الحكومية في وسط المدينة.

الشكل (٤): حدود منطقة الدراسة



المصدر: عبدالله يعقوب: ٢٠٠٧

(١) محمود، كوثر ابوعين، النظام البيئي وصحة المجتمع، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ٢٠٠٦.

يوضح الشكل أعلاه حدود الدراسة في دوله السودان ولاية جنوب دارفور كما توضح منطقه الفاشر في الجزء الشمالي الشرقي لمنطقه ولاية جنوب دارفور.

٢. المناخ:

منطقة الدراسة حسب موقعها الجغرافي كما ذكر (الشامي: ١٩٧٢) تكون خصائصها المناخية أقرب للخصائص المناخية في الصحراء الحار شتاءً، كما يصبح الفصل الممطر أقرب ما يكون للخصائص المناخية في المناخ السوداني الممطر صيفاً، وهذا بمعناه إن المناخ في منطقة الدراسة والمناخ السائد في الصحراء يفرض كل مناخ تأثيره المباشر وغير المباشر في فترة محدودة، وهذا يعني إن السنة في منطقة الدراسة تتضمن ثلاث فصول هي:

- فصل الشتاء الجاف من نوفمبر إلى مارس.
- فصل الصيف الحار من أبريل إلى يونيو.
- فصل الصيف الحار الممطر من يوليو إلى أكتوبر

جدول (١): المناخ

متوسط حالة الطقس في الفاشر												
الشهر	متوسط درجة الحرارة الكبرى ب°ف	متوسط درجة الحرارة الصغرى ب°ف	هطول الأمطار ب بوصة	متوسط درجة الحرارة الكبرى ب°م	متوسط درجة الحرارة الصغرى ب°م	هطول الأمطار ب مم						
يناير	٨٦	٤٨	٠	٣٠	٩	٠						
فبراير	٩٥	٥٢	٠	٣٥	١١	٠						
مارس	٩٩	٥٩	٠	٣٧	١٥	٠						
أبريل	١٠٠	٦٤	٠,٠١	٣٨	١٨	٠,٣						
مايو	١٠٠	٧٠	٠,٠٢	٣٨	٢١	٠,٦						
يونيو	١٠٠	٧٣	٠,١٢	٣٨	٢٣	٣,١						
يوليو	٩١	٧٢	٠,١٨	٣٣	٢٢	٤,٥						
أغسطس	٩٥	٧٠	٠,٢٢	٣٥	٢١	٥,٧						
سبتمبر	٩٥	٧٠	٠,٠٦	٣٥	٢١	١,٤						
أكتوبر	٩٠	٦٤	٠,٠١	٣٢	١٨	٠,٢						
نوفمبر	٩٠	٥٥	٠	٣٢	١٣	٠						
ديسمبر	٨٦	٤٨	٠	٣٠	٩	٠						
المعدل السنوي	٩٣	٦١,٧	١,٠٢	٣٤,١	١٦,٥	٢٦						

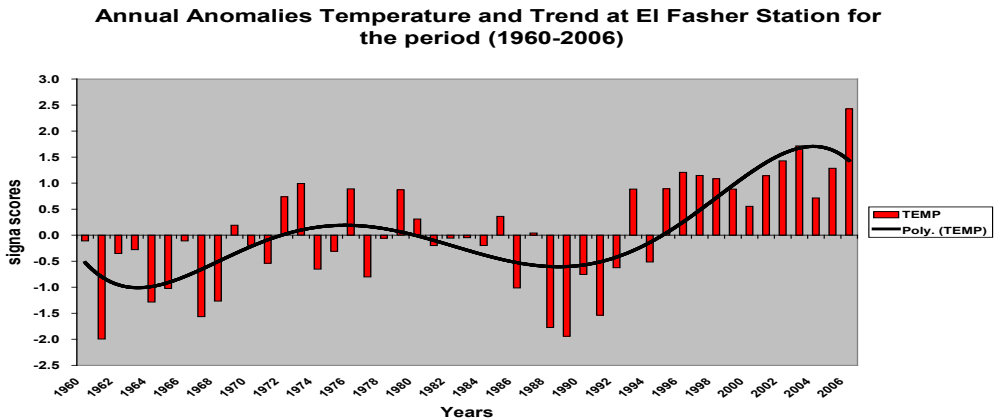
المصدر: (الارصاد الجوي ٢٠١٣)

الجدول أعلاه قام بمقارنه متوسط درجات الحرارة الصغري والكبري ومعدلات هطول الامطار بالملم في عام ٢٠١٣ من شهر يناير الي ديسمبر لقراءة حاله الطقس في مدينة الفاشر.

(أ) الحرارة: تتميز منطقة الدراسة بوجود تطرف نحو لإرتفاع في درجات الحرارة، بسبب القارية، سجلت فيها درجات حرارة عظمى قريبة من القمم التي ترتفع إليها درجات الحرارة في العالم، وكانت أعلاها ٤٣°، ٥° مئوية في أغسطس عام ١٩٩٨م، كما تنخفض فيها درجات الحرارة أحياناً إلى ما دون ١٠° مئوية بسبب تأثير الكتل الهوائية الباردة التي تغزو البلاد في فصل الشتاء، ترتفع الحرارة .

الحرارة أثناء النهار ودرجة الحرارة أثناء الليل، ومع نهاية سبتمبر وحلول أكتوبر يكون قد توقف المطر؛ ويكون إرتفاع درجة الحرارة واضحاً وكأنها العودة إلى حرارة الصيف الحار الجاف في شهري أبريل ومايو^(١).

الشكل (٥): تغيّرات مناخية في درجات الحرارة في الفترة من ١٩٦٠ - ٢٠٠٦م، في محلية الفاشر



المصدر: اسماعيل الجزولي: ٢٠١٠م

يشير الجدول أعلاه إلى التغيرات المناخية في درجات الحرارة في أعوام مختلفه لتحديد العوامل المناخية المؤثرة علي التغير المناخي مع تسجيل لدرجات الحرارة العليا والدنيا.

(١) عبدالرسول، أحمد أبو القاسم، الأوضاع الهيدرولوجية بمنطقة جبل مرة، رسالة دكتوراة (غير منشورة)، جامعة الخرطوم، ٢٠٠١م.

ب/ أما بالنسبة للرياح المحلية (الهبوب) فإن أهميتها على مناخ المنطقة ترجع إلى الآتي:

أ. تعد ظاهرة الهبوب إحدى مقدمات الأمطار.

ب. إن درجة الحرارة لحظة مرور الهبوب تنخفض بشكل نسبي تتراوح فيما بين ٥ - ٧ درجات مئوية.

ت. تأتي عواصف الهبوب في الغالب متقدمة العواصف الرعدية، كأنها هي التي تقودها وتحدد مساراتها، ونتجت عنها تغيرات تشير إلى حالة التناقص في كميات الرطوبة الجوية التي تصل إلى منطقة الدراسة، وتمثل تلك التغيرات كما ذكر في الآتي:

١ - لم تعد ظاهرة الهبوب، تلك العواصف الهوجاء العنيفة التي تقلع الأشجار وتهدم المباني، وتحول ضوء النهار إلى ظلام، إنما أصبحت زوايا ترابية عادية ضعيفة، تظهر وتختفي في فترة وجيزة، إلا في السنوات المطيرة.

٢ - إستمرار الزوايا الترابية خلال الموسم المطري^(١).

أما سرعة الرياح فهي تتأثر بظروف السطح والتضاريس وبالتالي تتباين سرعتها من فصل لآخر.

ويبلغ سرعة الرياح في المتوسط ١٧ كلم/ الساعة^٢، وتهب الرياح الشمالية الجافة من شهر أكتوبر حتى مايو وهي باردة نسبياً في فصل الشتاء، أما في فصل الصيف فتهب الرياح الجنوبية الغربية الرطبة تحت تأثير الضغط الجوي المنخفض على قلب الصحراء الكبرى، وتغزو الرياح المحلية المنطقة من الغرب إلى الشرق وتثير الغبار وترتفع درجات الحرارة عن المعدل بدرجة ملحوظة، وتسقط الأمطار.

(ج) الأمطار: المطر في منطقة الدراسة فصلياً، حصيلة الرطوبة التي تؤدي إلى التساقط عند ما تغزو الرياح الجنوبية المنطقة، وبالتالي الأمطار يتأثر بسلوك وطبيعة الفاصل المداري التي يتأثر بدورها بظروف الضغط الجوي. فزيادة طول الفصل الممطر يرتبط بطول الفترة التي تسيطر فيها الرياح الجنوبية الغربية الرطبة، ومن الملاحظ إن شهر أغسطس هو الشهر الذي تسجل فيه قمة

(١) سبيل، عمر إبراهيم، أثر تذبذب الأمطار على المجتمع الريفي في المناطق الجافة وشبه الجافة، دراسة حاله محلية الفاشر، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعه النيلين، ٢٠٠٨ م.

(٢) الارصاد الجوي محطة الفاشر، ٢٠١٣، بيانات غير منشورة.

المطر بصفة عامة، وإن ظاهرة تقدم الرياح الرطبة وظاهرة تراجعها تتم بسرعة شبه منتظمة، ويبدأ فصل المطر والتساقط في منطقة الدراسة في كل من شهر يونيو ويوليو وأغسطس وسبتمبر.

وفي أواخر سبتمبر يبدأ في التراجع ويكون الجفاف (الجدول: ٤، ٤) ومن خلال ذلك من شأنه أن يكون دليلاً على مدى ما نتوقعه من احتمالات التبكير أو التأخير في بداية فصل المطر وإحتمالات التبكير أو التأخير في نهاية فصل المطر.

جدول (٢) معدلات هطول الأمطار بالشهور بلملم في منطقة الدراسة في الفترة ما بين عامي (١٩٩٤ - ٢٠١٣م)

السنة	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	إكتوبر	كمية المطر
٢٠١٣	٠,٩	٢٠,٠	١٣٩,٠	٦٧,٥	٢٥,١	٠,٠	٢٥٢,٥
٢٠١٢	١٩,٢	١٨,٧	٥٩,٥	١٦٦,٩	٢٣,٤	٠,٠	٢٨٧,٧
٢٠٠٥	٢٣,٠	٧,٠	٣١,١	١٤٩,٠	١٠,٦	٠,٠	٢٢٠,٧
٢٠٠٣	٣,٨	١٦,٣	٢٩,٥	١٠٠,٢	٨,٢	٠,٠	١٥٨,٠
٢٠٠٠	٢١,٧	٢١,١	٩٩,٩	٧٦,٢	٢٠,٧	٠,٠	٢٦٦,٦
١٩٩٧	٢,٣	٤١,٧	٢٧,٤	٨٢,١	١,٠	٠,٠	١٥٤,٨
١٩٩٤	١٤,٥	٢٢,١	٦٣,٤	١٥٧,٩	٥٢,٦	٠,٠	٣١١,٤

المصدر: (الإحصاء الجوي الفاشر: ٢٠١٣)

يوضح الجدول أعلاه معدلات هطول الأمطار بالشهور في كل سنة مع حساب مجمل هطول الأمطار في السنة الواحد، في الأعوام من ١٩٩٤ إلى ٢٠١٣م في منطقة الفاشر.

١. الآثار المترتبة على التغيرات المناخية في محلية الفاشر:

من خلال النظر للتغيرات المناخية نرى تآثر قطاع الزراعة والغابات ويرجع السبب في ذلك إلى عدم الاستقرار للأمطار والزراعة تعتمد على حراره المناسبه لإنبات المحاصيل والتربه المناسبه والرطوبه وهى تتأثر بعوامل التى تودى إلى تغير المناخ مثل التصحر والفيضانات والعواصف كذلك تتأثر المراعى بتغيرات توفر المياه وحراره والضغط.

ونلاحظ التغير المناخي في غرب أفريقيا والذي يقع السودان ضمنه (ارتفاع درجات الحرارة وقلة الأمطار) مثال في ١٩٩٣ - ٢٠٠٣ نقصان في إنبات القمح والذره مما ادي إلى مشاكل نقص الغذاء كما إن ارتفاع درجة الحرارة أثر على إنتاجية الحيوانات مما أدى إلى نقصان إنتاجية الألبان وعلى صحة الحيوان وغرب السودان أكثر مناطق السودان تأثراً بالتغيرات خاصة منطقة دارفور حدث ارتفاع على في درجة الحرارة ونقص في كمية الأمطار ونقص في إنتاجية المحاصيل مما أدى اخلى النقص حاد في الموارد الغذائي والمراعى وتأثر حزام الصمغ العربى كذلك بالجفاف وقد استبين الباحث في الدراسة ميدانية عن مدي تفهم سكان المنطقة للتغير المناخي في الجدول التالي:

جدول (٣): فهم التغير المناخي:

النسبة %	التكرارات	التغير المناخي
٨,٤	١٧	انخفاض خصوبة التربة
٨٤,٦	١٧٢	انخفاض وتذبذب الأمطار
٣,٠	٦	تغير في الغطاء النباتي
٢,٥	٥	انخفاض إنتاجية المحاصيل
١,٥	٣	أخرى
١٠٠,٠	٢٠٣	الجملة

المصدر: من عمل الباحث، ٢٠١٨

من الجدول اتضح أن انخفاض وتذبذب الأمطار يمثل نسبة ٨٤,٦ بانه سبب التغير المناخي وقد لجأ سكان المنطقة للتكيف مع التغيرات باستخدام عدة أساليب.

التكيف:

إن تغير المناخ بالنسبة للسودان ليس مجرد قضية بيئية تُعرف بكميات الأمطار وارتفاع درجات الحرارة المتوقعة؛ إن تغير المناخ يمثل عقبة كأداء أمام التنمية المستدامة للمواطنين الموزعين على الكثير من المجتمعات الهشة وإن مواجهة هذا الموقف يحتاج إلى جهد جماعي وسند مالي من داخل وخارج الحدود السودانية. كما أنه سوف يؤثر على حياة السكان الاقتصادية والاجتماعية. وذلك باستخدام عدة برامج.

جدول (٤): برامج التكيف

النسبة %	التكرارات	برامج التكيف
٤,٤	٩	إرشاد المزارعين والرعاة
٥.	١	التأقلم
١,٠	٢	تطور زراعي
٥.	١	تقنية الزراعة الحديثة
٣٦,٠	٧٣	تنوع المحاصيل
٣٢,٠	٦٥	حسب الأمطار
٢٥,٦	٥٢	الذين لم يجيبوا
١٠٠,٠	٢٠٣	الجملة

جدول المصدر: عمل الباحث

من الجدول اتضح ان اهم وسيلة للتكيف مع تغير المناخ هي تنوع المحاصيل علي حسب كميته الامطار المتساقطة للتكيف مع الاوضاع الجديدة.

تشكل الزراعة والرعي أساس استخدام الأرض وعليها انبت كثير من العمليات والعلاقات الاجتماعية التي بدورها

أثرت على الأوضاع الاقتصادية في الفاشر في أنماط السلوك وحركة المجتمع بدرجات متفاوتة في مختلف الأزمنة والأمكنة. نتج عن هذه الآثار تحولات عميقة وعمليات كبيرة كمغادرة السكان بالهجرة والنزوح أحياناً، أو جدت درجة من الاستقرار.

النتائج اختبار الفروض:

أجرى الباحث اختبار عددا من الفروض خلال اختبار وتوصلت الي عدد من النتائج:

الفرض الاول: تغير المناخ اثر على حياة الإنسان في شمال دارفور (محمية الفاشر)، ومن خلال دراسته الباحث لمعدلات تذبذب الامطار والتغيرات في درجات الحرارة أدي بصورة مباشر في التأثير علي القطاعات الاقتصادية من حيث الانتاجية وذلك من خلال التأثير علي الزراعة التي

تعتمد على حراره المناسبه لإنبات المحاصيل والتربه المناسبه والرطوبه وهى تتاثر بعوامل التى تودى إلى تغير المناخ مثل التصحر كذلك تتأثر المراعى بتغيرات توفر المياه والحرارة، نتج عن هذه الآثار تحولات عميقة وعمليات كبيرة أثرت اجتماعياً والتي تسبب في مغادرة السكان بالهجرة والنزوح أحياناً، وقد تطرأ النزاعات بين الرعاة والمزارعين فقد تصل مرحلة الحروب بينهما، وتستخدم فيها الأسلحة الحديثة. ولقد تواترت مثل هذه النزاعات خاصة فيما بعد سبعينات القرن العشرين، فقد شهدت الفترة من ١٩٧٦ م وحتى ١٩٩٨ م صراعات بين مختلف المجموعات بلغت ستاً وعشرين في مجملها.

جدول (٥): الاثر الاجتماعي للتغير المناخي:

القيمة المعنوية	قيمة اختبار X2	العبارة
.٠٠٤	٦.١١	العلاقة بين الاعتقاد بأن هنالك أثر اجتماعي للتغير المناخي والنزاع حول المزارع

عمل الباحث ٢٠١٨

من الجدول أعلاه تم حساب الدلالة المعنوية وهى تدل على أن هناك علاقة طردية فكلما زاد التغير المناخي زاد النزاع حول المزارع.

الفرض الثاني: تغير المناخ زاد من هشاشة مجتمع شمال دارفور (محلية الفاشر) ويظهر ذلك مع تغير المهن وزيادة المنافسة في سبل كسب العيش: كما أن تذبذب الأمطار وعدم إنتظامها في توزيعها الزماني، وطول الصنبات، يقلل من نمو النبات ويؤدي إلى توالد العديد من الحشرات مثل البق والذبابة البيضاء وأبوحميرة، بالإضافة إلى الديدان خاصة دودة النفاشة لتكون هذه الآفات سبباً آخر لفشل إنتاجية المحاصيل الزراعية^١. وعليه فإن مع الفشل المستمر في إنتاجية تلك المحاصيل تراجع نطاق زراعة المحاصيل، وإن إنسان المنطقة التي يعتمد في اقتصادياته على الأمطار أخذ في التخلي وبشكل تدريجي عن زراعة بعض المحاصيل فمثلاً محصول الدخن الذي يمثل الغذاء الرئيسي للسكان، فإن معظم المزارعين يمارسون زراعة الدخن الأحمر (الدمبي) الذي يتحمل نقصان في كميات الأمطار. فإنه يمثل المصدر الوحيد الذي يزرع في الأراضي الرملية مما أدى الى ظهور بعض المهن الهامشية التي أدت الى هشاشة المجتمع.

(١) سبيل مرجع سبق ذكره، ٢٠٠٨.

لوحة (١): أثر نقصان الأمطار على محصول الذرة قبل فترة النضج في منطقة (شق الشحيط شرق الفاشر وحدة مطبعة) لعام ٢٠١٣م.



المصدر: العمل الميداني ٢٠١٣

هنا يتضح إن بمنطقة الدراسة إرتباط واضح بين إتجاهات السكان حول كفاية الأمطار للزراعة بالمنطقة، فإن معظم المزارعين يمارسون زراعة الدخن الأحمر (الدمبي) الذي يتحمل النقصان في كميات الأمطار، ، كما إنخفاض إنتاجية الذرة والبقول السوداني والسمسم والكر كدى والتمباك، مقارنة بالأعوام ذات الهطول الجيد^١، إن متوسط إنتاج الخمس من الدخن قد تناقص من ٨ - ١٢ جوال في الستينات إلى أقل من ١ - ٢ جوال في الثمانينات وحتى بداية القرن الحالي.

إن التغيرات المناخية كانت بالغة الإثر فقد الرعاة أعداد كبيرة من ثروتهم الحيوانية ونزوح بعضهم إلى الجنوب بحثاً عن المراعي والمياه، أما المزارعون فقدوا معظم المحاصيل بسبب تذبذب الأمطار والجفاف، فقد نزوحوا إلى المدن للبحث عن مهنة أخرى. ومما زاد الأمر سوءاً في مرحلة نقصان الأمطار التي سادت في السنوات الماضية أصاب عائلات رعوية كثيرة فقدت معظم حيواناتها، مما جعلها تعتمد اعتماداً كلياً على الزراعة، مما زاد الضغط على الأرض الزراعية المجهددة أصلاً. وبالتالي نشؤ ظروف حياتية قاسية تجعل حياة الإنسان محفوفة بالمخاطر نتيجة للتدني في الإنتاج الزراعي وبالتالي تدني مستويات الدخل وتأثر مستوى المعيشة، كذلك الإضطرابات النفسية نتيجة الإحساس بالخطر وعدم الشعور بالإستقرار لدى المجتمع في منطقة الدراسة. والجدول التالي يوضح تعدد الفصائل بمنطقة الدراسة.

(١) الإحصاء الزراعي، الفاشر، ٢٠٠٠.

الجدول (٦) تعداد الفصائل المختلفة من الثروة الحيوانية في منطقة الدراسة في السنوات ٢٠٠٦ - ٢٠٠٩ م

النوع	العدد ٢٠٠٦	العدد ٢٠٠٩	العدد ٢٠١٣
الضئان	٩٣٢٥٩	٩٠١٢٨٤	٩٥٢٢٤٧
الماعرز	٥٢٣٠٦	٨٣٤١٨٠	٢٥٧٣٥٨
الإبل	٢٢٣٦٠٨	١٢٣٦٠٨	١٩٨٤٥١
الأبقار	١٢٧٤٨	١١٩٨٧١	١٢٤٧٥٤
أخرى (خيول - حمير)	١٠٠٠٠	٢٦٧٦٣١	٢٥٧٩٤٢

المصدر: (وزارة الثروة الحيوانية: ٢٠١٣)

ذكرت وزارة إن منطقة الدراسة فقدت أعداد كبيرة من الضئان والماعرز والأبقار بسبب الجفاف وتذبذب الأمطار خلال الفترة (١٩٨٣ - ١٩٨٥ م) وتكرر ذلك في الأعوام (١٩٩٠ - ١٩٩٢ م) نتيجة لشح الأمطار وفشل المواسم الزراعية. كما نفقت أعداداً كبيرة من الحيوانات وباع السكان الأعداد الأخرى، لتوفير النقد اللازم لشراء المواد الغذائية ويرجع ذلك إلى:

١. إن كثير من الحشائش والأعشاب الطبيعية قليلة القيمة الغذائية وغير مستساغة، وخاصة الحشائش الجافة خلال فصل الصيف.

٢. التوسع الزراعي الأفقي في أراضي المراعي وممارسة الزراعة المتنقلة فكأن ذلك على حساب المراعي الطبيعية خاصة في سهول الأودية والخير إن التي هي أخصب المناطق الرعوية بالمنطقة.

٣. قلة الموارد المائية وروافده خلال فصل الصيف وبُعد مناطق المراعي عنها.

٤. الحرائق التي تحدث في منطقة الدراسة من حين لآخر، أدى إلى ضياع الكثير من المراعي الطبيعية.

٥. النزاعات التي تحدث أحياناً بين المزارعين والرعاة من حين لآخر حول الأراضي والجدول التالي يوضح المساحات المزروعة والانتاجية.

الجدول (٧) المساحات المزروعة والإنتاجية بالطن للمحاصيل النقدية بمنطقة الدراسة

المحصول	السنة	المساحة بالفدان	الإنتاج بالطن
الفول السوداني	٢٠٠٣/٢٠٠٤	١١٥٥٠	٤٧٩٢٧
حب البطيخ	-	٢١١٤٣	-
السهم	-	١١١٩٠	٣٣٧٢
الفول السوداني	٢٠٠٥/٢٠٠٦	٢٥٣٣٠	١٦٢٧١
حب البطيخ	-	٦٥٧٤	٢٦٢٨
السهم	-	٣٧٥١٦	٤٦٩٦

المصدر: (الإحصاء الزراعي - الفاشر: ٢٠٠٨)

الفرض الثالث: التغير المناخي فرض نمطاً من الحياة مبني على التكيف في مختلف جوانبها على المجتمع المحلي والنازحين والأجئین. واثبات أن خطط التأهيل البيئي والتعامل مع ظاهرة التغير المناخي يساعد في تقليل خطر الظاهرة.

إن التغيرات المناخية التي يسعى الأهالي إلى التكيف مع الواقع الجديد لها. وذلك عن طريق استخدام أساليب وطرق زراعية مختلفة وإدخال محاصيل وتربية حيوانات أخرى مواكبة للتغيرات الجديدة. وإن تذبذب الأمطار وما تبعها من تحولات بيئية، أدى إلى تدهور سريع في المراعي الطبيعية وتدنّي نوعيتها، مما أثر ذلك في جوانب مختلفة من حياة الحيوان، ونقص المراعي الطبيعية وقلة الكأ التي يمكن تفصيلها كالآتي:

أ. انخفاض معدلات النمو وإنتاج الألبان ويرجع ذلك لتدهور المراعي الطبيعية وفقرها، بسبب سيادة نباتات حولية غير ذات قيمة غذائية مستساغة للحيوانات.

ب. انخفاض الخصوبة ومعدلات التكاثر. إهتمت العديد من الدراسات بإيجاد العلاقات والروابط بين عناصر المناخ خاصة الحرارة ونسبة الخصوبة التي تساعد على تكاثر وتوالد الحيوان، حيث إن معدلات تكاثر الحيوان تزداد في المناطق المعتدلة عما هو عليه في المناطق التي تزداد فيها درجة الحرارة مع حدة الجفاف^(١).

(١) محمد، يعقوب عبدالله، الاعتبارات البيئية للتنمية في ولاية شمال دارفور، معهد الدراسات البيئية، الخرطوم، ١٩٩٢م.

حيث يلاحظ أن تربية الماعز والضأن صارت أكثر إنمياط الإنتاج الحيواني إنتشاراً بمنطقة الدراسة بدلاً من الأبقار والجمال.

إن البيئة الطبيعية (مناخ، مياه، وبنية جيولوجية والنشاط البشري) من الأسباب الرئيسية لتدهور الغطاء النباتي وتعرية التربة، وخرجت الدراسة بأساليب التكيّف مع تغيّرات المناخ ومن أهمها تحديد مسارات الرعاة، وأيضاً أوصت وزارة الزراعة في المسح الزراعي ٢٠١٣م، بتنفيذ دور الإرشاد الزراعي، وتوفير التقاوي المحسنة، وتوفير مشاريع حصاد المياه والتصدي للآفات^١. وتحديث ورقة إسماعيل الجزولي عن تغيّر المناخ وتجربة السودان في مجال تغيّر المناخ وذلك بتنفيذ مشاريع بناء القدرات في مجال تغيّر المناخ ومشروع الاستراتيجية التكيّف مع المناخ^٢.

علي ضوء ذلك إبتدع الأسر وسائل للتكيف مع هذا الوضع منها الإعتماد على المخزون من الحبوب الغذائية وإستخدامه في فترات الجفاف الحرجة، كما أن الكثير من السكان في المنطقة إعتمدوا على الزراعة الصيفية والشتوية (زراعة الخضروات) على ضفاف الأودية والإستفادة من عائدها في توفير الغذاء. والبعض من السكان في الفترات السابقة إستخدموا ثمار (المخيت - التملিকে - القلقمة....) كغذا في الأوقات الحرجة.

اقترح نمر بعض الإجراءات لوضع استراتيجيات الإصلاح البيئي ورسم سياسات جديدة للتنمية تتمثل في ترك مناطق شبه الصحراء التي تتعرض للتدهور الشديد كالأراضي الرعوية^٣. كما قامت وزارة الزراعة بولاية شمال دارفور بمسح زراعي عن إنتاج المحاصيل النقدية الغذائية، إن الجفاف خلال الثلاث عقود الماضية أثر تأثيراً كبيراً عليها وواصت الدراسة بإحداث تنمية شاملة كاساس لحل مشكلة تذبذب الامطار ومكافحة الجفاف.

يتضح أن هنالك تغيّرات اقتصادية حدثت في المحلية نتيجة لتغيّرات المناخية التي ضربت المنطقة خلال العقود الأخيرة وتمثلت هذه التغيّرات الاقتصادية في تدني الإنتاج وهجر معظم الأهالي مهنة الزراعة وترك حرفة الرعي نسبة لضعف عائدها وعدم توفر المراعي الجيدة للرعاية الحيوان.

(١) حسن، آثار تدهور الغطاء النباتي والتربة في البيئات الجافة (دراسة محلية الفاشر)، 1999م.

(٢) الجزولي، ٢٠١٠، مرجع سبق ذكره.

(٣) نمر، معتصم، التنمية وحماية البيئة بولاية دارفور الموحدات العامة إدارة الموارد الطبيعية، ورقة علمية، ١٩٩٢م.

خاتمة:

إن ظاهرة تغير المناخ تضع أمام الدول النامية مثل السودان تحديات معنوية ليس فقط لأن أنظمة البيئة الأكثر أهمية سوف تتأثر سلباً ولكن لأن المزارعين والرعاة المنتشرين في آلاف القرى من المناطق الصحراوية في الشمال إلى مناطق الغابات في الجنوب سوف تواجه صعوبات جمة كي تتمكن من لقمة عيشها تحت ظروف ضغط الحرارة المتزايد والجفاف المتكرر.

تغير المناخ بالنسبة للسودان ليس مجرد قضية بيئية تُعرف بكميات الأمطار وارتفاع درجات الحرارة المتوقعة إن تغير المناخ يمثل عقبة كأداء أمام التنمية المستدامة للمواطنين الموزعين على الكثير من المجتمعات الهشة مثل: محلية الفاشر وإن مواجهة هذا الموقف يحتاج إلى جهد جماعي وسند مالي من داخل وخارج الحدود السودانية. بالرغم من الوسائل التي استخدمت للتكيف مع التغيرات المناخية.

ويمكن صياغة النتائج:

- أهم ما توصلت اليه دراسته من استنتاجات اجتماعية واقتصادية نستخلص النقاط الآتية:
- هنالك تأثيرات جوهرية نتجت عن التغيرات المناخية اثرت على الاحوال الاقتصادية و الاجتماعية بطريقه مباشرة وغير مباشرة.
- ان النزاع السائد حول الارض بين المزارعين والرعاة نتاج للتغيرات المناخية وعدم اعتقادهم بأن هنالك تغير مناخي يتسبب في تراجع مساحات الارض الزراعية بالإضافة للنزوح.
- حدوث تحولات مهنيه للمزارعين والرعاة أدت إلى عدم استقرار معيشي واصبحت مهنة الزراعة مهنة موسمية واصبحت لهم مهن أخرى غير احترافية وهامشية.
- أدت أساليب التكيف مع التغير المناخي واستخدام أسلوب الزراعة المتنقلة كأحد أساليب التكيف إلى وجود اشكالات في حيازات الارض. نجد أن من انطب الخطة للتكيف مع التغير المناخي في حرفه الرعي هي التحكم في العديده وتغيير نوعيه الحيوان.
- ظهر للباحث عن طريق الملاحظة أن هناك دعم مقدم من المنظمات للسكان في المنطقة.

التوصيات:

١. الإهتمام بتطوير أعمال الحصاد المائي بغرض حجز المياه عقب هطول الأمطار والاستفادة منها في تغذية المخزون الجوفي (Aquifer recharge)، وكذلك حفر آبار في المناطق عالية العائد المائي ذات القدرة التخزينية. وذلك كإستراتيجية من استراتيجيات التكيف مع نقص المياه بناء المزيد من محطات الإرصاء الجوية في مواقع مختلفة من المنطقة لمتابعة الأحوال المناخية ورصد عناصرها المختلفة بقصد التنبؤ والإنذار المبكر، وكذلك إجراء المسح المستمر لرصد التغيرات البيئية الذي يتم عبر تطوير المحطات المناخية والاستفادة من الأقمار الاصطناعية التي تقوم بتصوير كل منطقة على سطح الأرض بطريقة تكرارية منتظمة تكشف عن تطور حجم المشكلة.
٢. ينبغي النظر إلى الجفاف وتذبذب هطول الأمطار باعتباره ظاهرة وحدثاً متكرراً لا مفر منه لظاهرة طبيعية؛ لذا يجب التكيف معه وأخذ الإحتياطات اللازمة تجاهه
٣. تنشيط قانون حماية البيئة القومي والولائي والعمل على إنزاله لأرض الواقع بإفراد مساحة واسعة.

قائمة المراجع:

اللغة العربية:

١. طريح، عبدالعزيز (١٩٩٧): الجغرافيا المناخية والنباتية، الجزء ١، ط ٥
٢. محمد، يعقوب عبدالله (١٩٩٢): الإعتبارات البيئية للتنمية في ولاية شمال دارفور، معهد الدراسات البيئية، الخرطوم.
٣. عبدالرسول، أحمد أبو القاسم (٢٠٠١): الأوضاع الهيدرولوجية بمنطقة جبل مرة، رسالة دكتوراة (غير منشورة)، جامعة الخرطوم
٤. نور الدين أحمد عبدالله (٢٠١٢) ورقة علمية أثر العواصف الشمسية على مناخ الكرة الأرضية
٥. ادم، حسين سليمان (٢٠٠٠) التحولات المناخية الجمعية السودانية للارصاد الجوي
٦. آل الشيخ، عبدالملك بن عبدالرحمن (٢٠١١): استراتيجيات مقاومة التصحر في ظل التغيرات المناخية المتوقعة، المملكة العربية السعودية نموذجاً، جامعة الملك سعود، الرياض

٧. التوم مهدي امين (١٩٧٤م)، مناخ السودان، الخرطوم المنظمة العربية
٨. الجزولي، اسماعيل (٢٠١٠)، التغيرات المناخية واثرها على قطاعي المياه والزراعة في السودان، المجلس الأعلى للبيئة والموارد الطبيعية، ورقة علمية، دمشق سوريا
٩. عوض الله جعفر ٢٠١١ التكيف مع تغير المناخ السودان الهيئة القومية للغابات
- المجلس الأعلى للبيئة والموارد الطبيعية، قانون حماية البيئة لسنة ٢٠٠١ الخرطوم
١٠. دقطني، نجم الدين (٢٠٠٩) تقرير علمي عن الاتفاقية الاطارية بشأن تغيّر المناخ unfccc ٢٠١٠
الفقرة ٦٦ الوثيقة ٣
١١. الامم المتحدة، بيان اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مؤتمر الامم المتحدة الثالث المعني باقل البلدان نمو الفقر والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بروكسل الدورة الخامسة والعشرين ٢٠٠٤ مايو، ٢٠٠١م.
١٢. حسين زهدى (١٩٩٧): كتاب الأرصاد الجوية ونظرة للمستقبل، الطبعة الأولى. سلسلة العلم والحياة، مؤسسة الأهرام للترجمة والنشر
١٣. مجله أسبوط للدراسات البيئية - العدد الحادي والأربعون (يناير ٢٠١٥)

المراجع الانجليزية:

- 1 - Watson، R، T 4/ Summary for Policymakers – 2001 Synthesis Report، Cambridge University Press، Cambridge، United Kingdom (2001)
- 2 - EPA 2001 Answers to Frequently Asked Questions...Global Warming Site:
- 3 - Nakicenovic، N.، Swart، R، (2000): «Emissions Scenarios: Intergovernment Panel on Climate Change»، Cambridge University Press، Cambridge، UK
- 4 - National Research Council (NRC)، 2005: Radiative Forcing of Climate Change. National Academy Press، Washington، DC
- 5 - Science Q&A. Online: <http://www.epa.gov/globalwarming/fag/index.html>
- 6 - Simpson، LG، Land Tenure، in Graig، GM(ed.)، The Agriculture of the Sudan، Oxford University Press، New York، 1991 Watson، R، T

- 7 - Summary for Policymakers – 2001 Synthesis Report « Cambridge University Press, Cambridge, United Kingdom (2001)
- 8 - UNEP & WMO, « Revised 1996 IPCC Guidelines for National Greenhouse Gas Inventories», IGES, Japan, April (1997).



وفيات الأطفال بمدينة بورتسودان – دراسة تحليلية في الجغرافية السكانية

Infant Mortality in Port Sudan

إعداد/ د. ياسر عبد المحمود حامد التهامي

استاذ مشارك قسم الجغرافيا كلية الاداب العلوم الانسانية – جامعة البحر الأحمر

مخلص الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة أهم أسباب وفيات الأطفال، ومعرفة التركيب النوعي، والعمرى، والسكنى لوفيات الأطفال بالمنطقة. واستخدم الباحث في هذه الدراسة المنهجين الوصفي والإحصائي، وتم جمع المعلومات من سجلات الوفيات بالمنطقة.

توصلت هذه الدراسة إلى تفوق معدلات وفيات الأطفال الذكور على الأطفال الإناث بالمنطقة، وارتفاع وفيات الأطفال الذين لم يبلغوا السنة الأولى؛ لاسيما وأن معظم الأمراض المتسببة في وفيات الأطفال مرتبطة بالظروف البيئية مثل سوء التغذية وأمراض الجهاز التنفسي.

أوصت الدراسة بضرورة توفير الرعاية الصحية للأطفال والأمهات الحوامل، توفير الغذاء اللازم أثناء الحمل وبعد الولادة، القضاء على الفقر والجوع، وتحسين مستوى التغذية، توعية نساء الريف من خلال وسائل الإعلام المختلفة باستخدام اللهجات المحلية.

Abstract:

This study aimed at identifying the most important causes of infant mortality, it also aimed at identifying the age, sex, and residential structure of infant mortality in the study area. The researcher has

used the descriptive and statistical methods. whereas the data have been gathered from mortality records in the study area.

The study has concluded that mortality ratios of male infants exceed female infants ones in the area and the high rate of mortality of infant who did not complete their first year. Most diseases that cause infant mortality are linked to environmental circumstances such as malnutrition diseases and respiratory diseases.

The study recommends the necessity of providing health care for infants and pregnant mothers by supplying them with proper nutritious food during gestation period and after delivery. Conquering poverty, starvation and improving nutrition standard. Educating country women through different mass media by using local dialects.

مقدمة:

من الحقائق الهامة في العلوم الإنسانية أن السكان هم المحور الرئيسي، الذي تدور حوله وتنبع منه كثير من الدراسات في شتي المجالات. ومن هنا تصبح دراسة السكان ذات أهمية قصوى حيث تتأثر حياة المجتمعات بعضها ببعض وترتبط الظواهر السكانية في معظم دول العالم، وبالسياسات الإقليمية والدولية التي تشابك في نهاية الأمر لتكون الصورة عالمية ذات علاقات متبادلة بين أجزائها، ولذلك فان معرفة الحقائق السكانية تعد أساساً هاماً لفهم الكثير من المتغيرات الدولية.

يبدأ دارس علم السكان بثلاثة أسئلة رئيسة تكون في الواقع مجال الدراسة وإطارها العام ولعل أهمها: ما هي التغيرات التي تطرأ علي حجم السكان وتؤثر فيه بالزيادة أو النقصان؟ ويقصد بها المواليد والوفيات والهجرة. تكمن أهمية دراسة حجم السكان ومكوناته في رسم سياسات الدولة ووضع خطط التنمية المتعددة الجوانب وفق حجم السكان^(١).

١ - أبو عيانة، فتحي محمد (١٩٩٣): الجغرافية البشرية (أسس وتطبيقات)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

وقد شهدت معظم الدول انخفاضاً في مستوى الوفاة بين سكانها في السنوات الأخيرة سواء كانت دولاً متقدمة أو نامية، ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى التقدم الطبي الذي انتشر في معظم أقاليم العالم. من ثم يعد انخفاض معدلات الوفيات من العوامل الرئيسية التي أدت إلى ظاهرة الانفجار السكاني Population Explosion، والتي تعد من أهم ملامح التاريخ البشري الحديث، وخاصة في الدول النامية، حيث يمثل تحدياً واضحاً لمواردها.

مشكلة البحث:

تعتبر الوفيات أهم ثاني عنصر من عناصر التغير السكاني وتؤثر على حجم السكان وتركيبهم خاصة العمري. الاهتمام بصحة الأطفال من أولويات الدول والمنظمات الدولية وهو مؤشر هام يبين ويعكس الأوضاع الاقتصادية والصحية للمجتمعات. تتباين معدلات وفيات الأطفال من مكان لآخر وفقاً للظروف البيئية والاقتصادية والصحية. ولناقشة هذه المشكلة نطرح الأسئلة الآتية:

- ١- ما هي الأسباب والأمراض الرئيسية وراء وفيات الأطفال بمنطقة الدراسة ؟
- ٢- هل نقص الغذاء والفقر عوامل مؤثرة في زيادة معدلات وفيات الأطفال بمنطقة الدراسة ؟
- ٣- ما هي الحلول لمكافحة الأمراض التي تؤدي إلى وفيات الأطفال بمنطقة الدراسة ؟

فروض البحث:

- ١ - تزداد معدلات وفيات الأطفال الرضع (أقل من سنة) بمنطقة الدراسة.
- ٢ - سوء التغذية من أهم أسباب وفيات الأطفال بمنطقة الدراسة.
- ٣ - معدلات وفيات الأطفال الذكور تفوق معدلات الأطفال الإناث بمنطقة الدراسة.

أهداف البحث:

- ١ - توضيح أهم أسباب وفيات الأطفال بمنطقة الدراسة.
- ٢ - معرفة التركيب النوعي والعمري والسكاني لوفيات الأطفال بالمنطقة.
- ٣ - المساهمة في وضع حلول تساعد في خفض معدلات وفيات الأطفال بمنطقة الدراسة.

منهجية البحث:

استخدم الباحث المناهج التالية^(١):

١ - **المنهج الوصفي**: وهو يتضمن دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة أو موقف أو مجموعة من الأوضاع، وتهدف البحوث الوصفية إلى دراسة ووصف خصائص وأبعاد ظاهرة من الظواهر في إطار معين أو في وضع معين يتم من خلاله تجميع البيانات والمعلومات اللازمة عن الظاهرة، وتنظم هذه البيانات وتحليلها للوصول إلى أسباب ومسببات هذه الظاهرة والعوامل التي تتحكم فيها، وبالتالي استخلاص نتائج يمكن تعميمها مستقبلاً.

٢ - **المنهج الإحصائي**: وهو عبارة عن استخدام الوسائل الحسابية والرياضية في تجميع البيانات المختلفة ومن ثم تنظيم وتبويب تلك البيانات والمعلومات عن طريق الأرقام والحسابات والعمليات المرتبطة بها ومن ثم الحصول على نتائج الدراسة.

أسباب اختيار الموضوع:

- ١ - لقلة الدراسات في هذا الموضوع.
- ٢ - أهمية الدراسة خاصة وأن معرفة معدل وفيات الأطفال يعتبر أحد المؤشرات التي يقاس بها تقدم الأمم.

حدود البحث:

أ - الحدود المكانية: تتمثل في مدينة بورسودان التي تقع بين دائرتي عرض ١٨ و ٢٣ درجة شمال خط الاستواء، وبين خطي طول ٣٣ و ٣٩ درجة شرق جريتش وبغض المناطق الريفية حول المدينة.

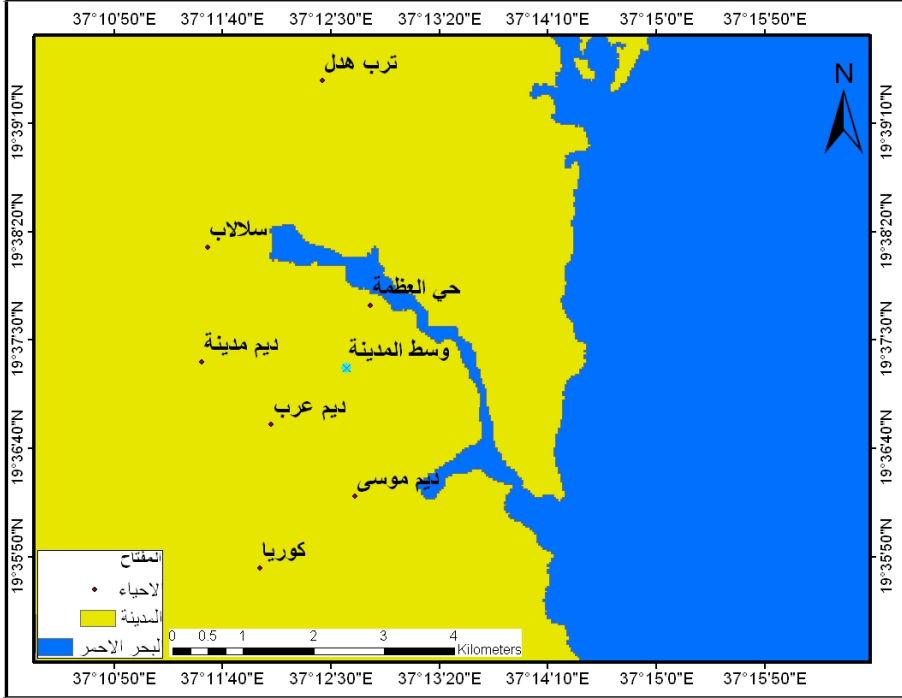
ب - الحدود الزمنية: تتناول الدراسة الفترة الزمنية بين ٢٠٠٨ - ٢٠١٢ م.

ج - الحد البشري: تركز هذه الدراسة على وفيات الأطفال (الفئة العمرية من عمر يوم إلى خمس سنوات) بمدينة بورسودان وريفها.

١ - قنديلجي، عامر إبراهيم (١٩٩٩): البحث العلمي واستخدام مصادر البحث، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان.

د - الحد الموضوعي: ركزت الدراسة علي موضوع نوع وأعمار ومكان سكن وأسباب وفيات الأطفال بمدينة بور تسودان وريفها.

خريطة (١) توضح مدينة بور تسودان



المصدر: الباحث ٢٠١٤م

٨ - مصادر جمع المعلومات:

هناك مصدرين أساسيين للبيانات هما:

أ - مصادر البيانات الأولية: تستخدم فيها أدوات وسائل البحث الميداني المعروفة مثل الاستبيانات والملاحظة الشخصية والمقابلات وغيرها.

ب - مصادر البيانات الثانوية: هي البيانات المنشورة أو التي جمعها الباحث فعلاً من الميدان في حالات سابقة ومن أهم مصادرها المراجع العلمية المتعلقة بالموضوع، وبالأبحاث العلمية التي أجريت في الموضوع، والمقالات المنشورة في الدوريات العلمية من المكتبة العامة والمتخصصة.

الإطار النظري للدراسة

الوفيات:

مصطلح الوفاة Mortality يعني نهاية حياة الفرد، وفيات الأطفال هي عبارة عن الوفيات التي تحدث للأطفال قبل بلوغهم سن الخامسة، ووفيات الرضع تحدث عندما يموت طفل بعد الولادة، معظم الإحصاءات الوطنية تميل إلى تجميع معدلات وفيات الاثنى عشر عاماً، حيث وجد أن عشرة ملايين رضيع وطفل يموتون كل عام قبل بلوغهم سن الخامسة وأن تسعة وتسعين في المائة من هذه الوفيات الرضع والأطفال تحدث في الدول النامية. مما لا شك فيه أن معدل الوفيات يحدد معدل النمو الطبيعي ذلك لأنه الفرق بين معدل المواليد ومعدل الوفيات هو الذي يعطينا معدل النمو الطبيعي، فأعداد الأطفال المولودة تؤثر في مجمل النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والفعاليات البشرية عموماً ولكن هذا التأثير لا يمكن أن يأخذ دوره إلا بعد معرفة معدل الوفيات الذي يبين في النهاية كتلة السكان المتزايدة سنوياً، والتي يجب أن يحسب لها الحساب اجتماعياً من أجل تأمين المستلزمات اللازمة لحياتها ونموها واستمرارها^(١).

ويهتم الجغرافي في مجال دراسة الوفيات بأنماط التوزيع المكاني لها والأسباب الرئيسية المسببة للوفاة وارتباطها بالظروف البيئية السائدة، معتمداً في ذلك على مقاييس الوفاة التي تعد مؤشرات للأحوال الصحية السائدة، ولكن يعوق من اتساع مجالات البحث قلة البيانات عن أسباب الوفيات في البيئات المختلفة بالعالم وخاصة في البيئات النامية.

أوضحت الدراسات السكانية أن نسبة وفيات الأطفال الذكور أعلى من الأطفال الإناث حيث وجد أن معظم أمراض الأطفال الخطرة تصيب الذكور أكثر من الإناث، مثال ذلك الإسهال والحصبة والدفتيريا والكوليرا والمalaria، وأنواع حميات المناطق الحارة.

وتشير إحصائيات نسبة النوع في مختلف فئات العمر أن الميزان النوعي العام لصالح الإناث يتمثل في العام الأول من العمر، حيث تتفوق نسبة الوفيات من الذكور على نسبة الوفيات من الإناث، وهي ظاهرة تغير نسبة النوع لصالح الإناث مع تقدم العمر وعلى كل السكان الأحياء بكل أعمارهم في مقياس موحد، وهي ظاهرة عالمية، تستوي فيها ويتشابه سكان الدول المتقدمة والنامية (جودة، ٢٠٠٤م، ص ٥٤)^(٢)

١ - العيسوي، محمد فايز (٢٠٠٨): أسس الجغرافية البشرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

٢ - جودة، حسنين جودة (٢٠٠٤): أسس الجغرافية العامة، دار المعارف، الإسكندرية.

العوامل المؤثرة في معدلات الوفيات^(١)؛

تؤثر في معدلات الوفاة مجموعة من العوامل يمكن تحديدها في مجموعتين:

المجموعة الأولى: وهي تضم عدداً من الأسباب الخارجية أي خارجة عن الحيوية (الكائن الحي) ذاتها أي بيئية تتعلق بالوسط الجغرافي المحيط بالكائن الحي وأهمها:

١- سوء التغذية: سواء كان أثناء فترة الحمل أم بعد الإنجاب، وهذا مرتبط بظروف الحياة العامة للأسرة والأم، والمجتمع بشكل عام، وفي حالات كثيرة يكون الجوع الحقيقي هو سبب الوفاة كما يحصل في بعض المناطق المنكوبة في العالم وخاصة في أفريقيا.

٢- انتشار الأمراض ونقص العناية الصحية والوعي الصحي عند الأمهات وفي الأسرة والمجتمع، فقد تؤدي بحياة الكثير من الأطفال. وقد تزداد نسبة الوفيات قبل الولادة لعدم العناية بالأمهات الحوامل وتقديم العون الطبي لهن والوعي اللازم عن الحمل والطعام والعمل والاعتناء بأنفسهن وغير ذلك. وفي بعض المناطق توجد أمراض مستوطنة كالمالاريا والبلهارسيا والشلل والأمراض المعدية وغيرها.

٣- السكن غير الصحي واكتظاظ الأسر في بيوت صغيرة لا تمتلك المقومات الصحية ولا تدخلها الشمس وغير مزودة بشبكات الصرف الصحي أو شبكات المياه العذبة، وقد تنتقل الأمراض من بعض الحيوانات الأليفة في المدن أو المدججة في الأرياف لعدم وجود فصل صحي بين تلك الحيوانات وأماكن السكن للبشر في حالات كثيرة في أرياف الدول النامية.

٤- الكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين والعواصف والفيضانات التي تحدث سنوياً وقد تؤدي لقتل الآلاف وأحياناً مئات الآلاف سنوياً في مناطق الأمطار الموسمية في جنوب وجنوب شرق آسيا وغيرها من المناطق.

٥- حوادث التسمم الغذائي والتسمم من بعض الصناعات (كما حصل في الهند عندما توفي عدة آلاف من البشر نتيجة تسرب الغازات السامة في منتصف التسعينات من القرن الماضي).

٦- الحروب بين الدول أو داخل الدولة الواحدة.

٧- حوادث وسائل النقل المتنوعة (البري والمائي والجوي).

١ - ابوعيانة، فتحي محمد (١٩٩٣)، مصدر سابق، ص ١٦٤ - ١٦٥.

المجموعة الثانية: وهي الأسباب الكامنة التي تُعد في معظمها بيولوجية، وهي في ذلك ترجع إلى أسباب خلقية أو راجعة إلى تغيّر سريع في التركيب الوظيفي للجسم، وتعتبر العوامل المؤدية إلى وفيات الرضع في الأيام الأولى من حياتهم، وكذلك الأورام الخبيثة، وأمراض الجهاز الدوري والدموي ضمن هذه الأسباب الكامنة.

وليس الأمر كذلك في الأمراض الكامنة التي ارتفع معدل الوفيات بها ارتفاعاً ملحوظاً، ويُعد السرطان هو أحدها في تزايد مستمر بل يُقدّر أن نسبة الإصابة به قد تضاعفت حوالي ١٥ مرة. ويُعزى بعض الباحثين ذلك إلى أنه يصيب السكان في الأعمار المتقدمة في معظم الأحوال، وكما كان أمد الحياة في تزايد مستمر، وبالتالي يتزايد عدد السكان في الأعمار الكبيرة فإن حالات الوفاة تكون كثيرة بينهم، ومن أسبابها هذا المرض الذي بدأ تشخيصه، ومحاولة التصدي له يُحظى باهتمام كبير في دول العالم.

وتفاوتت أسباب الوفيات أيضاً لفئات العمر، ففي العالم الغربي فإن أمراض القلب والسرطان هي السائدة وخاصة بين كبار السن، أما في بلدان العالم النامي فإن أمراض الجهاز الهضمي والأمراض المتوطنة يحصد أعداداً كبيرة وخاصة من الأطفال الرضع، وجدير بالذكر أن وفيات الأطفال الرضع هي العامل المسئول عن ارتفاع معدلات الوفيات في العالم النامي حيث تبلغ ٦٥ في الألف في حين تتدنى المعدلات في البلدان المتقدمة لتصل إلى ٩ في الألف فقط.

مقاييس الوفيات:

يمكن الحكم على مستوى الوفيات السائد في المجتمع عن طريق بعض المقاييس المرتبطة به، والتي تتمثل في معدل الوفيات الخام ومعدل الوفيات العمري النوعي ومعدل الوفيات للأطفال الرضع ثم معدل الوفيات حسب السبب.

أ - معدل الوفيات الخام:

وهو أكثر المقاييس شيوعاً حيث يمثل نسبة جميع الوفيات المسجلة خلال سنة معينة إلى عدد السكان الكلي مضرراً في ١٠٠٠ ويكتب على الصورة التالية:

$$\text{معدل الوفيات الخام} = \frac{\text{عدد الوفيات المسجلة خلال سنة ما}}{\text{عدد السكان الكلي في منتصف السنة}} \times 1000$$

لهذا المعدل مزايا من أهمها إنه يبيّن مستوى الوفاة لمجتمع بأكمله في سنة ما^(١).

(١) أبو عيانه، فتحي محمد (١٩٩٣)، مصدر سابق، ص ١٤٧.

ولكن من عيوب هذا المقياس أنه لا يبيّن معدلات الوفيات وفقاً للمراحل العمرية ذلك لان ارتفاع معدل الوفيات في المرحلة الأولى من الحياة حتى سن الخمس سنوات قد يكون كبيراً في دولة نامية وفي الوقت نفسه يكون معدل الوفيات كبيراً في مرحلة متقدمة من العمر بعد ٦٥ سنة في دولة متقدمة فإذا أخذنا المعدل العام للوفيات في دولتين من هذا القبيل فقد يكون واحداً أي مساوياً ولكن الواقع غير ذلك إذن لا يعبر هذا المقياس عن مدى التقدم الحضاري في المجتمع أبداً فهو مضلل ولا يستخدم للمقارنة بين المجتمعات أو بين الذكور والإناث أو بين المراحل العمرية من حياة الإنسان^(١).

ب - معدل الوفيات حسب العمر:

هو معدل خاص بكل فئة عمرية، حيث ينسب عدد الوفيات التي حدثت في كل فئة إلى جملة السكان في نفس الفئة مضروباً في ١٠٠٠ ومن المفيد أن تُحسب هذه المعدلات للذكور والإناث، وبذلك تصبح معدلات عمرية نوعية وهذه المعدلات العمرية تعد أساسية في المقارنة بين المجتمعات بعضها البعض أو بين طوائف السكان في داخل المجتمع الواحد وتعد الفئات العمرية ذات الخمس سنوات الصورة الشائعة في حساب معدلات الوفيات الخاصة بالعمر، وهي توضح الأنماط الرئيسية لتغيير مستوى الوفاة حسب العمر وفي العادة لا تكون البيانات على درجة كافية من الدقة بحيث تبرر استخدام فئات أصغر.

وتتأثر الوفيات بعامل السن والنوع تأثيراً كبيراً، كذلك فإن هناك اعتبارات أخرى تؤثر في الوفاة بالإضافة إلى هذين العاملين البيولوجيين كنمط الحياة في الريف والحضر والتفاوت الاجتماعي والاقتصادي بين المجتمعات السكانية في البيئة الواحدة.

وبدراسة العلاقة بين الوفاة العمرية أو ما يسمى بالمعدلات العمرية للوفاة، يلاحظ أن منحني هذه المعدلات له نمط معروف تبدأ قيمه بعد المولد مباشرة، ثم يهبط إلى حده الأدنى في الفترة من ٥ - ١٥ سنة، وما يلبث أن يرتفع ببطء حتى بداية الأعمار المتقدمة، ويصل بذلك إلى نهايته متخذاً بذلك شكل حرف U المعروف، وذلك فيما بعد الخامس والستين أو السبعين.

(١) سعيد، إبراهيم احمد (١٩٩٧): أسس الجغرافية البشرية والاقتصادية، جامعة حلب.

وقد تقسم معدلات الوفيات العمرية هذه إلى أربع فترات من فترات العمر، وهي فترة الرضاعة وفترة الطفولة، وفترة الحمل والإنجاب، ثم فترة الكهولة والشيخوخة.

ويعوض هذا المقياس النقص الموجود في مقياس معدل الوفيات الخام حيث يقوم بإيضاح معدلات الوفيات في كل فئة عمرية سواء كانت من الذكور أم الإناث، فالمقياس يبين النسبة الألفية بين عدد المتوفين في مرحلة عمرية محددة ومجموع السكان من الفئة العمرية نفسها ويمكن أن نحسبها منفصلة بالنسبة للذكور أو الإناث.^١ وبحسب معدل الوفيات النوعي كالآتي:

$$\text{معدل الوفاة النوعي} = \frac{\text{عدد حالات الوفاة في عمر محدد}}{\text{عدد الأفراد العام في العمر المحدد نفسه}} \times 1000$$

ج - معدل وفيات الرضع:

وهو معدل يختلف في حسابه عن المعدلين السابقين، حيث نحصل عليه بقسمة الأحياء خلال نفس السنة مضروباً في ١٠٠٠ ويكون هذا المعدل مرتفعاً دائماً عن معدل الوفيات الخام، حيث يعكس مدى ما تقدمه الدولة من خدمات صحية لمواطنيها، ويكون هبوطه أول خطوة في هبوط مستوى الوفيات ككل في المجتمع وفي كثير من الدول يأتي معدل وفيات الأطفال في فئة السن ١ - ٤ سنوات بعد معدل وفيات الرضع مباشرة - حتى أنه في معظم الدول النامية يكون أكثر من نصف عدد الوفيات بها في أي سنة - لأعمار تقل عن ٥ سنوات.

$$\text{معدل وفيات الرضع} = \frac{\text{عدد حالات الوفاة للأطفال أقل من سنة}}{\text{مجموع عدد المواليد الأحياء في نفس السنة}} \times 1000$$

ويرتبط بهذا المعدل معدلات فرعية أخرى لتحليل الجوانب المنفصلة للوفاة في السنة الأولى من العمر ذلك لأن جزء من وفاة الرضع يتأثر بظروف الميلاد لأنها تبدأ مباشرة بعد وقت الولادة ويسمى هذا الجزء بوفاة المواليد المبكرة وجرى العرف على قياسه بمعدلات الوفيات للشهر الأول من العمر، وبعد ذلك أمراً هاماً في دراسة وفيات الرضع لأنه يمثل نسبة كبيرة منها.

وينبغي الإشارة إلى أن دقة هذه المعدلات ترتبط بدقة الإحصاءات الحيوية وتدل الشواهد في كل مكان تقريباً على أن تسجيل وفيات الرضع يكون أقل من الواقع، وبذلك يكون ناقصاً، ويزيد هذا النقص حيثما كانت وفيات الرضع مرتفعة ويكون أكثر شيوعاً بين الوفيات في الساعات (١) سعيد، إبراهيم احمد (١٩٩٧): مصدر سابق، ص ٣٩ - ٤٠.

والأيام الأولى من العمر ونتيجة ذلك فإن بيانات وفيات الأطفال المبكرة تُعد أقل البيانات ثقة على الإطلاق^(١).

ويعكس هذا المقياس إلى درجة كبيرة مستوى التقدم والاجتماعي الحضاري بشكل عام في أي مجتمع من المجتمعات لأن هذا المعدل مرتبط بالمستوى المعيشي للسكان، وبالخدمات الصحية، وبالوعي الثقافي للأسرة، وفي الدول النامية ترتفع فيها معدلات وفيات الرضع ارتفاعاً كبيراً وقد تصل حتى ٢٠٠ بالآلاف أي نحو خمس الولادات والأحياء حتى سن السنة الأولى ويزداد بالوقت نفسه معدل الوفيات الرضع بين الإناث منه على الذكور وهذا عائد لعوامل اجتماعية، وبشكل عام يزداد هذا المعدل في عمر اليوم الأول والأسبوع الأول وحتى الشهر الأول^٢.

ويعتبر معدل وفيات الأطفال الرضع واحداً من مؤشرات قياس المستوي الاجتماعي والاقتصادي والصحي في المجتمع وخاصة ما يتصل برعاية الأمومة والطفولة^٣.

د - معدل الوفيات حسب السبب:

وهو من المعدلات المستخدمة في دراسة الوفيات في المجتمعات المختلفة حيث يبين مستوى الصحة العامة والأمراض السائدة وتفاوت دورها في الوفيات التي تحدث للأفراد وتصنف الوفيات في كثير من الأقطار حسب الأسباب التي أدت إليها وتعد هذه المعدلات أساساً هاماً لمقارنة الدول حسب مستواها الصحي السائد.

وتحسب معدلات الوفيات حسب السبب عن طريق نسبة عدد الوفيات في سنة ما الناجمة عن سبب ما إلى جملة من سكان منتصف السنة مضروباً في ١٠٠٠ أو ١٠٠٠٠٠ وغالباً ما تحسب هذه المعدلات لكل فئة عمرية باستخدام نفس الصيغة لكل فئة من الفئات وتكون حينئذ معدلات وفيات عمرية سببية.

وعلى ذلك تكون صيغة هذا المعدل على النحو التالي:

$$\text{معدل الوفيات حسب السبب} = \frac{\text{عدد الوفيات الناتجة عن سبب ما في سنة معينة} \times 1000}{\text{جملة عدد السكان في منتصف السنة}}$$

١ - ابو عيانه، فتحي محمد (١٩٩٣): مصدر سابق، ص ١١٥ - ١٥٢.

٢ - سعيد، ابراهيم احمد (١٩٩٧)، مصدر سابق، ص ٤٠.

٣ - إسماعيل، احمد علي (١٩٩٦): الجغرافية العامة موضوعات مختارة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٨٧.

ويلاحظ أن مجموع معدلات الوفيات الخاصة بالسبب في مجتمع يساوي معدل الوفيات به وهو في تلك الحالة يكون ١٠٠٠ نسمة. وبالرغم من أهمية المعدلات الخاصة بالسبب إلا أن البيانات اللازمة لحسابها لا تخلو من أخطاء أبرزها عدم الدقة في تشخيص سبب الوفاة ذلك لأن هذا الأمر يرجع إلى حكم شخصي مباشر ولذا تتأثر بيانات أسباب الوفاة بتفاوت المهارات الطبية والتوزيع الجغرافي للخدمات الطبية في داخل القطر الواحد أو بين الأقطار بعضها البعض، ولذلك فإن معدلات الوفيات الخاصة بالسبب غالباً ما تحسب لفئات عريضة من الأسباب حيث يمكن تمييز مجموعات رئيسية من الأمراض المسببة للوفاة مثل الأمراض المعدية والطفيلية وأمراض الجهاز الهضمي وأمراض الجهاز التنفسي وأمراض الجهاز الدوري وأمراض الشيخوخة والحوادث (أبو عيانة، ١٩٩٣ م، ص ١٥٢ - ١٥٣).^١

هـ - معدلات الوفيات حسب المهنة والحالة الاجتماعية والاقتصادية:

بالإضافة إلى المعدلات السابقة يمكن حساب معدل وفيات خاص بمجموعات سكانية محددة حسب نشاطها الاقتصادي أو حسب المهن التي يمارسها الأفراد ولا يختلف في طريقة حسابها عن المعدل الخام أو العمري النوعي حيث يكون عدد الأفراد في كل مهنة في سنة معينة مقاماً للصيغة الحسابية وعدد الأفراد في نفس المهنة بسطاً لها وعلى ذلك فإن صيغته تكون على الوجه التالي:

$$\text{معدل الوفيات المهني} = \frac{\text{عدد الوفيات في مهنة معينة في سنة ما}}{\text{عدد السكان الكلي في نفس المهنة ونفس السنة}} \times 1000$$

ويكون من الضروري في أغلب الأحيان حساب معدلات الوفيات الخاصة بالمهن لكل فئة عمرية للذكور والإناث كل على حده.

وترجع أهمية معدل الوفيات المهني إلى تحديد مخاطر الوفاة المرتبطة بالمهن المتعددة التي يشملها النشاط الاقتصادي في المجتمع فالتعدين والعمل في المحاجر والصناعات الكيماوية أكثر خطورة من العمل الكتابي أو التجاري، ولكن ينبغي الإشارة إلى أن الوفيات المهنية ليست ناجمة بأكملها عن ظروف العمل المختلفة بل يرتبط باختلاف المهنة ومستوى الدخل والحالة التعليمية والمستوى الحضاري بصفة عامة كذلك فإن من الأمور الهامة في معدلات الوفيات المهنية أن تكون خاصة بالعمر والنوع وذلك لاختلاف المهن اختلافاً كبيراً في التركيب العمري النوعي للعاملين بها.

(١) أبو عيانة، فتحي محمد (١٩٩٣)، مصدر سابق، ص ١٥٢ - ١٥٣.

معدل الوفيات حسب المهنة والدخل الفردي والمستوى الثقافي والحالة الاجتماعية وطبيعة الأعمال الخطرة، حيث تصنف الوفيات عادة في جداول خاصة تسمى جداول الوفيات أو جداول الحياة، وتستفيد منها بمعرفة أعداد السكان في كل مرحلة عمرية ونستخرج منها معدلات الوفيات في مرحلة وتستدل لذلك على حركة السكان العمرية وعلى متوسط عمر الإنسان ومعرفة الأهرام السكانية حسب التركيب العمري للسكان^(١).

ومن الواضح أن معدلات الوفيات في داخل المجتمع الواحد مرتبطة في ذلك بتباين التركيب العمري النوعي ولعل من مظاهر ذلك ارتفاع معدل الوفيات للذكور عن الإناث في كل الأعمار وفي معظم الأقطار بالعالم كما أن الفجوة بين منحنى الوفيات العمري الخاص بالذكور والخاص بالإناث تتسع بالتقدم في العمر ويرتبط ذلك بعوامل بيولوجية أساساً.

سيقوم الباحث باستخدام المقياسين الثاني والثالث (معدل وفيات حسب العمر والنوع ومعدل وفيات الأطفال الرضع) لحساب معدلات وفيات الأطفال بمنطقة الدراسة.

أسباب هبوط معدل الوفيات:

يمكن إرجاع أسباب هبوط معدل الوفيات إلى عدة نقاط رئيسية فيما يلي:

- ١ - تقدم الطب الوقائي والعلاجي.
- ٢ - ازدياد المعرفة بأمراض الحمل والولادة.
- ٣ - اكتشاف الكثير من الأمصال والمضادات الحيوية.
- ٤ - زيادة إنتاجية الأرض وتحسينها مما رفع من نصيب الفرد من المواد الغذائية فارتفع مستوى التغذية مما انعكس أثره على هبوط وفيات الأطفال وبالتالي الوفيات كلها.
- ٥ - التعاون الدولي في تنسيق الخبرات وتبادلها والتي تتعلق بمكافحة الأوبئة.
- ٦ - إحساس الدول بمسئولياتها تجاه مواطنيها مما انعكس أثره على رفع الميزات الخاصة بالعلاج والوقاية.
- ٧ - التقدم الاقتصادي بصفة عامة وارتفاع مستوى المعيشة.

هذه الأسباب وغيرها استطاعت بها كثير من الدول خاصة الآسيوية والأفريقية ودول أمريكا اللاتينية أن تزيد من حياة الفرد المتوقعة عند الميلاد بمقدار يتراوح ما بين ١٥ - ٢٠ عاماً، وذلك في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية مباشرة.

(١) سعيد، إبراهيم محمد (١٩٩٧)، مصدر سابق، ص ٤٢.

وفيات الأطفال الرضع:

معدل وفيات الرضع بين عدد الوفيات من الأطفال الذين يقل عمرهم عن سنة وذلك من بين كل ١٠٠٠ مولود حي في السنة نفسها وتلقى دراسة وفيات الرضع أهمية خاصة في الحديث عن الوفيات في أي مجتمع حيث ترتفع معدلات الوفيات في هذه المرحلة العمرية ارتفاعاً ملموساً، وبالتالي فإنها تشكل جزءاً كبيراً من مجموع الوفيات حيث يكون الأطفال القاعدة العريضة للهرم السكاني بصفة عامة.

معدل وفيات الأطفال الرضع على مستوى الدول فإن أدنى مستويات وفيات الأطفال الرضع توجد في كل من النمسا وفرنسا وسويسرا وهولندا وألمانيا ٥ في الألف لكل دولة.

أما أعلى معدلات الوفيات الرضع على مستوى الدول فيوجد في سيراليون ١٥٧ في الألف وتعتبر كل من العراق وغينيا بيساو ومالي والنيجر وبوروندي وإريتريا وإثيوبيا وبنغلاديش وملاوي والصومال دول ذات معدلات عالية تزيد عن ١٢٠ في الألف^(١). وهناك عوامل كثيرة تساهم في وفيات الرضع مثل: مستوى تعليم الأم، والظروف البيئية والبنية التحتية السياسية والطبية.

الوفيات في السودان:

تعتبر معدلات الوفيات مرتفعة في السودان رغم اتجاهها في الانخفاض (حيث انخفضت إلي ٢٦ في الألف عام ١٩٥٦م إلي ٢١ في الألف عام ١٩٧٣ إلي ١٧ في الألف عام ١٩٨٣م إلي ١٦ في الألف عام ١٩٩٣م. وتشير البيانات المتاحة عن وفيات الرضع إلي انخفاضها من ١٧٥ في الألف عام ١٩٨٣م إلي ١٠٨ عام ١٩٩٠م وإلي ٩٥ عام ٢٠٠١م. وتبعاً لذلك ارتفع متوسط العمر المتوقع من ٣٨ سنة عام ١٩٥٦م إلي ٥٥ سنة عام ٢٠٠٥م.

ويعزي الانخفاض الواضح في معدلات الوفيات إلي التطور الذي حدث في التعليم والخدمات الصحية خاصة تلك المتعلقة بتحصين الأطفال ضد أمراض الطفولة الخطرة، والخدمات الصحية المتعلقة بصحة الأم أثناء الحمل والولادة - وينخفض معدل الوفيات بين الأمهات حتى في المناطق الريفية. ويؤدي التباين في ظروف البيئة وفي الحالة الاقتصادية والاجتماعية بين ولاية وأخرى إلي الاختلاف في معدل وفيات الرضع والأطفال^(٢).

(١) العيسوي، محمد فايز (٢٠٠٨): مصدر سابق، ص ٧٧.

(٢) النوم، مهدي أمين (٢٠٠٤)، جغرافية السودان، جامعة السودان المفتوحة، الخرطوم.

وتشير البيانات المتاحة إلى أن ولاية الخرطوم تسجل أدنى معدل لوفيات الأطفال دون سن الخامسة ١٠٨ في الألف وتليها الولايات الشمالية ١٢٢ في الألف. أما أعلى المعدلات تسجل في الولايات الشرقية (١٧٨) ودارفور (١٦١). ويظهر نفس النمط من خلال دراسة معدلات وفيات الرضع حيث تعكس ولايات دارفور والشرقية أعلى المعدلات، بينما ولاية الشمالية والخرطوم أدنى المعدلات (٧٧ في الألف).

يرتفع معدل وفيات الأطفال في المناطق الريفية (١٤٣ في الألف) وينخفض في المناطق الحضرية (المدن) ١١٧ في الألف ويعزي ذلك إلى:

- ١ - ضعف الخدمات الصحية في الريف.
- ٢ - انخفاض مستوى التعليم.
- ٣ - شح المياه وتلوثها.
- ٤ - سوء التغذية.
- ٥ - التغذية غير المتوازنة وورداة صحة البيئة في الريف.
- ٦ - إضافة التفاوت الاقتصادي (دخل الأسرة).

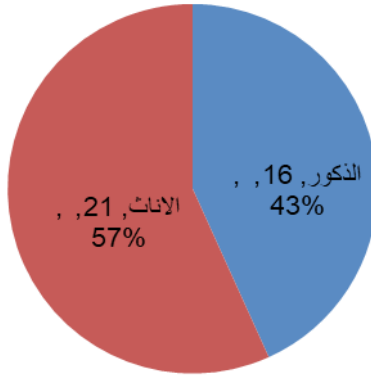
هنالك علاقة بين معدل الوفيات ونوعية النشاط الاقتصادي، حيث تشير البيانات إلى ارتفاع معدلات الوفيات بين العاملين في الزراعة مقارنة بين العاملين في النشاطات الاقتصادية في المدن. وانخفاض معدلات الوفيات بين ذوي الدخل المرتفع مقارنة بالفقراء. كما تشير البيانات الإحصائية إلى ارتباط قوي بين معدلات الأطفال دون سن الخامسة والمستوي التعليمي للام فهو يبلغ ١٥١ في الألف بين أطفال الأمهات غير المتعلّمات وإلى ٩٤ بين أطفال الأمهات المتعلّمات.

وفيات الأطفال بمنطقة الدراسة:

تم الحصول علي بيانات هذه الدراسة من مكتب الإحصاء بمستشفى بور تسودان ومن ثم قام الباحث بتحليلها وتحويلها إلى أشكال إحصائية للحصول علي نتائج هذه الدراسة^(١).

(١) سجلات الوفيات، مكتب الإحصاء، مستشفى بور تسودان للأعوام من ٢٠٠٨ / ٢٠١٢م.

شكل (١) النسبة المئوية لوفيات الاطفال حسب النوع عام ٢٠٠٨م بمنطقة الدراسة



المصدر: الباحث ٢٠١٤م

يتضح من الشكل (١) أن ٥٧٪ من وفيات الأطفال إناث بينما ٤٣٪ من الأطفال الذكور في العام ٢٠٠٨م.

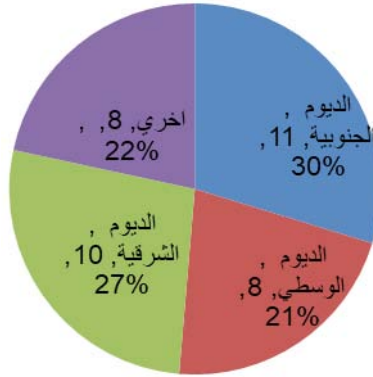
أما الجدول التالي رقم (١) يوضح النسبة المئوية لوفيات الأطفال حسب العمر لعام ٢٠٠٨م، حيث ٥٦٪ من الأطفال توفوا دون إكمال السنة الأولى، و ٤٠٪ توفوا ما بين السنة الأولى والثانية.

جدول (١) النسبة المئوية لوفيات الأطفال حسب العمر لعام ٢٠٠٨م بمنطقة الدراسة

العمر	النسبة المئوية (%)
اقل من سنة	٥٦
١ - ٢ سنة	٤٠
١ , ٢ - ٣ سنة	٤
١ , ٣ - ٤ سنة	٠
١ , ٤ - ٥ سنة	٠

المصدر: الباحث ٢٠١٤م

شكل (٢) النسبة المئوية لوفيات الاطفال حسب مكان السكن بالمنطقة لعام ٢٠٠٨م



المصدر: الباحث ٢٠١٤م

الشكل (٢) يوضح النسبة المئوية لوفيات الأطفال حسب مكان السكن لعام ٢٠٠٨م، حيث أن ٣٠٪ من الأطفال الذين توفوا يسكنون الديووم الجنوبية و ٢٧٪ بالديووم الشرقية و ٢١٪ بالديووم الوسطي و ٢٢٪ بريفي بور تسودان.

جدول (٢) النسبة لوفيات الأطفال حسب السبب لعام ٢٠٠٨م بمنطقة الدراسة

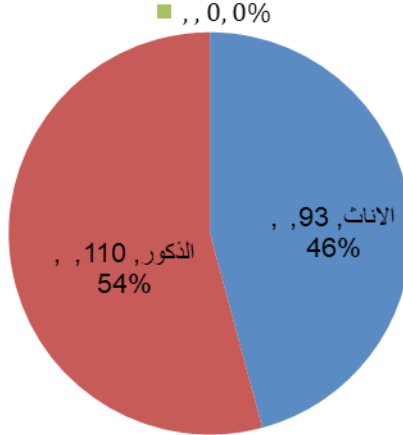
السبب	النسبة المئوية (%)
سوء التغذية	٥٤
أمراض الجهاز التنفسي	٢٢
الإسهال	٥
ناقص	٠
أخرى	١٩

المصدر: الباحث ٢٠١٤م

والجدول (٢) الذي يوضح النسب المئوية لوفيات الأطفال حسب السبب لعام ٢٠٠٨م، حيث تسبب سوء التغذية في وفاة حوالي ٥٤٪، و ٢٢٪ توفوا بسبب أمراض الجهاز التنفسي

مثل الالتهاب الرئوي، ٥٪ توفوا بسبب الإسهال، و١٩٪ بسبب أمراض أخرى مثل الحميات والتشنجات والتسمم. وفيات الأطفال بسبب سوء التغذية مرتبطة بالتدهور البيئي وارتفاع معدلات الفقر بمنطقة الدراسة.

الشكل (٣) النسبة المئوية له فوات الاطفال حسب النوع بمنطقة الدراسة لعام ٢٠٠٩م



المصدر: الباحث ٢٠١٤م.

أما الشكل (٣) يوضح وفيات الأطفال حسب النوع بالنسبة المئوية لعام ٢٠٠٩م، حيث ٥٤٪ من الأطفال الذين توفوا هم ذكورا بينما ٤٦٪ من الأطفال الذين توفوا من الإناث. وهنا تتحقق فرضية تفوق نسبة وفيات الأطفال الذكور علي الإناث.

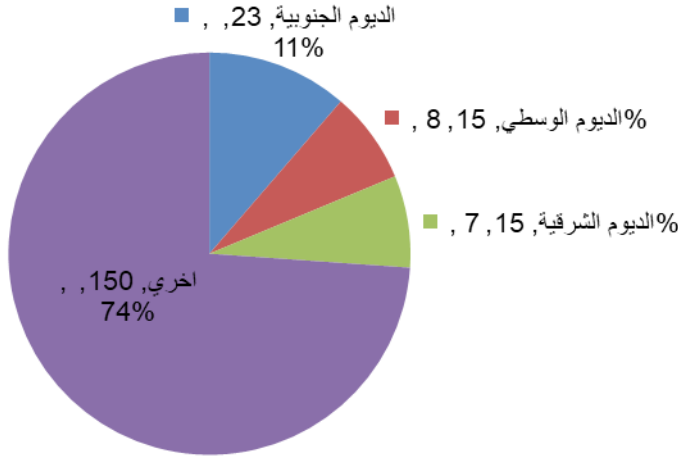
جدول (٣) النسبة المئوية لوفيات الأطفال حسب العمر لعام ٢٠٠٩م بمنطقة الدراسة

العمر	النسبة المئوية
اقل من سنة	٦٤
١ - ٢ سنة	٢٧
١, ٢ - ٣ سنة	٢
١, ٣ - ٤ سنة	١
١, ٤ - ٥ سنة	٦

المصدر: الباحث ٢٠١٤م

يتضح من الجدول (٣) ارتفاع نسبة وفيات الأطفال قبل إكمال السنة الأولى بحوالي ٦٤٪ لعام ٢٠٠٩م وهنا تتأكد فرضية ازدياد وفيات الأطفال قبل إكمالهم السنة الأولى. وقد تلاحظ هنا انخفاض معدلات وفيات الأطفال الذين تبلغ أعمارهم بين ٣ - ٥ سنوات بالمنطقة.

شكل (٤) النسبة المئوية لوفيات الاطفال حسب مكان السكن بالمنطقة لعام ٢٠٠٩م



المصدر: الباحث ٢٠١٤م

والشكل (٤) يوضح وفيات الأطفال حسب مكان السكن لعام ٢٠٠٩م، حيث أن ٧٤٪ من الأطفال الذين توفوا يسكنون بريفي بور تسودان مثل اربعات وهوشييري وسلوم وغيرها، و ١١٪ يسكنون الديوم الجنوبية. وهنا تتأكد فرضية ارتفاع معدلات وفيات الأطفال في الأحياء الريفية. ويعزي ارتفاع معدلات الوفيات في هذه المناطق لانعدام الرعاية الصحية ونقص الغذاء.

جدول (٤) النسبة لوفيات الأطفال حسب السبب لعام ٢٠٠٩م بمنطقة الدراسة

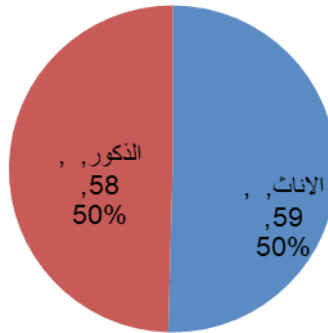
السبب	النسبة المئوية (%)
سوء التغذية	٤٢
أمراض الجهاز التنفسي	١٤

الإسهال	١٠
نقص	١٧
أخري	١٧

المصدر: الباحث ٢٠١٤م

وقد تلاحظ من الجدول (٤) ارتفاع نسب وفيات الأطفال لعام ٢٠٠٩م ٤٢٪ توفوا بسبب سوء التغذية، ١٤٪ توفوا بسبب أمراض الجهاز التنفسي و ١٠٪ بسبب الإسهال، ١٧٪ ناقصين و ١٧٪ بسبب أمراض أخرى مثل الحميات وحالات التسمم، وهذه جميعها أمراض خارجية أي مرتبطة بالبيئة.

شكل (٥) النسبة المئوية لوفيات الاطفال حسب النوع بالمنطقة لعام ٢٠١٠م



المصدر: الباحث ٢٠١٤م

أما الشكل (٥) يوضح وفيات الأطفال حسب النوعي لعام ٢٠١٠م، حيث تتساوي النسبة ٥٠٪ للذكور والإناث.

جدول (٥) النسبة المئوية لوفيات الأطفال حسب العمر لعام ٢٠١٠م بمنطقة الدراسة

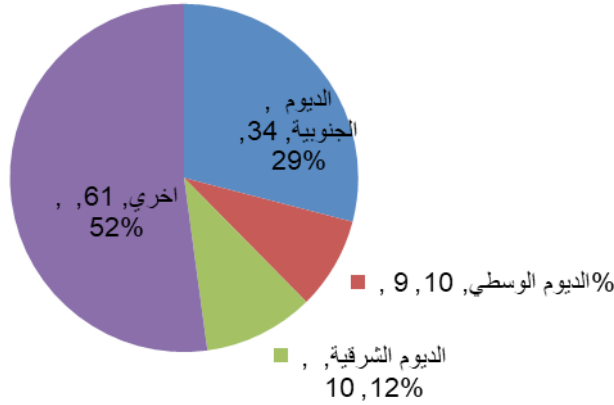
العمر	النسبة المئوية
اقل من سنة	٦٦
١ - ٢ سنة	٢٢

٤	١, ٢ - ٣ سنة
٧	١, ٣ - ٤ سنة
١	١, ٤ - ٥ سنة

المصدر: الباحث ٢٠١٤م

ويتضح من الجدول (٥) ارتفاع نسب وفيات الأطفال لعام ٢٠١٠م قبل بلوغهم السنة الأولى (٦٦٪)، و٢٢٪ ما بين السنة الأولى والثانية.

شكل (٦) النسبة المئوية وفيات الاطفال حسب مكان السكن بالمنطقة لعام ٢٠١٠م



المصدر: الباحث ٢٠١٤م

ويتضح من الشكل (٦) ارتفاع نسب وفيات الأطفال بريفي بور تسودان بحوالي ٥٢٪ والديوم الجنوبية ٢٩٪ لعام ٢٠١٠م.

جدول (٦) النسبة المئوية لوفيات الأطفال حسب السبب لعام ٢٠١٠م بمنطقة الدراسة

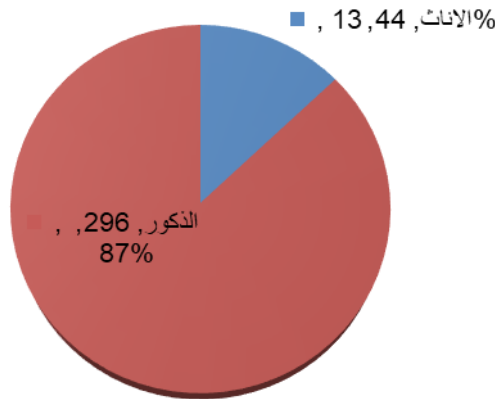
السبب	النسبة المئوية (%)
سوء التغذية	٢٥
أمراض الجهاز التنفسي	١٧

الإسهال	١١
ناقص	١٩
أخري	٢٨

المصدر: الباحث ٢٠١٤م

يتضح من الجدول (٦) ارتفاع نسب وفيات الأطفال حسب السبب لعام ٢٠١٠م، ٢٥٪. توفوا بسبب سوء التغذية، و١٧٪ بسبب أمراض الجهاز التنفسي، و١١٪ بسبب الإسهال، و١٩٪. توفوا ناقصين و٢٨٪. توفوا لأسباب أخرى مثل التسمم والحميات.

شكل (٧) النسبة المئوية لوفيات الاطفال حسب النوع بالمنطقة لعام ٢٠١١م



المصدر: إعداد الباحث ٢٠١٤م

أما الشكل (٧) يوضح النسبة العالية لوفيات الأطفال الذكور بحوالي ٨٧٪، بينما ١٣٪ من الأطفال الإناث لعام ٢٠١١م.

جدول (٧) النسبة المئوية لوفيات الأطفال حسب العمر لعام ٢٠١١م بمنطقة الدراسة

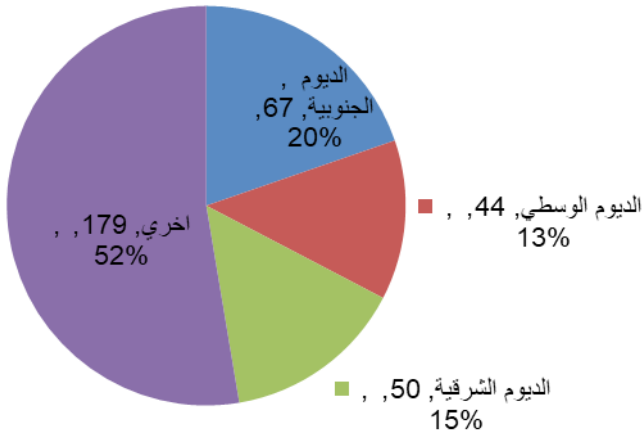
العمر	النسبة المئوية
اقل من سنة	٧٣

١٣	١ - ٢ سنة
٥	١, ٢ - ٣ سنة
٦	١, ٣ - ٤ سنة
٣	١, ٤ - ٥ سنة

المصدر: الباحث ٢٠١٤م

يتضح من خلال الجدول (٧) ارتفاع نسب وفيات الأطفال لعام ٢٠١١م في الفئة العمرية (أقل من سنة) بنسبة ٧٣٪، مع استمرار الانخفاض في معدلات الوفيات من ٢ - ٥ سنوات.

شكل (٨) النسبة المئوية لوفيات الاطفال حسب مكان السكن بالمنطقة لعام ٢٠١١م



المصدر: الباحث ٢٠١٤م

أما الشكل (٨) أوضح النسب المئوية لوفيات الأطفال حسب مكان السكن لعام ٢٠١١م، حيث احتلت المناطق الريفية المرتبة الأولى بنسبة ٥٢٪، تلتها الديوم الجنوبية ٢٠٪، والديوم الشرقية ١٥٪ والديوم الوسطي ١٣٪.

جدول (٨) النسبة المئوية لوفيات الأطفال حسب السبب لعام ٢٠١١ م بمنطقة الدراسة

السبب	النسبة المئوية (%)
سوء التغذية	١٧
أمراض الجهاز التنفسي	١٩
الإسهال	٨
ناقص	٢٦
أخري	٣٠

المصدر: الباحث ٢٠١٤ م

أما الشكل (٨) يوضح عدد وفيات الأطفال لعام ٢٠١١ م حسب السبب، حيث وجد أن ٣٠٪ توفوا بسبب الحميات والتشنجات، و ٢٦٪ توفوا ناقصين، ١٩٪ توفوا بسبب أمراض الجهاز التنفسي و ١٧٪ توفوا بسبب سوء التغذية و ٨٪ توفوا بسبب الإسهال.

جدول (٩) النسبة المئوية لوفيات الأطفال حسب النوع لعام ٢٠١٢ م بمنطقة الدراسة

النوع	النسبة المئوية (%)
الذكور	٥٩
الإناث	٤١

المصدر: الباحث ٢٠١٤ م

أما الجدول (٩) يوضح النسبة المئوية لوفيات الأطفال حسب النوع حيث تلاحظ ارتفاع وفيات الأطفال الذكور بحوالي ٥٩٪ بينما ٤١٪ من الإناث لعام ٢٠١٢ م.

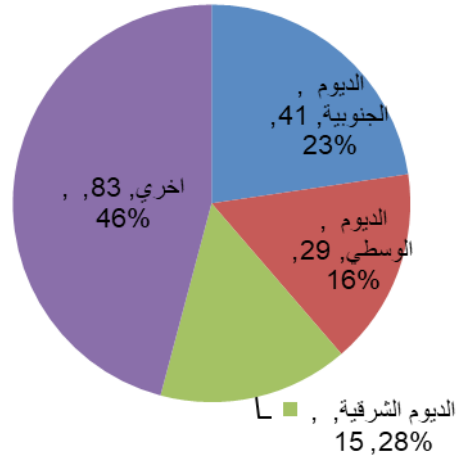
جدول (١٠) النسبة المئوية لوفيات الأطفال حسب العمر لعام ٢٠١٢م بمنطقة الدراسة

العمر	النسبة المئوية
اقل من سنة	٧٧
١ - ٢ سنة	١٥
١, ٢ - ٣ سنة	٣
١, ٣ - ٤ سنة	٣
١, ٤ - ٥ سنة	٢

المصدر: الباحث ٢٠١٤م

والجدول (١٠) يوضح النسب المئوية لوفيات الأطفال حسب العمر لعام ٢٠١٢م، حيث نجد أن ٧٧٪ توفيوا قبل بلوغهم السنة الأولى، و ١٥٪ توفيوا ما بين السنة الأولى والثانية.

شكل (٩) النسبة المئوية لوفيات الاطفال حسب مكان السكن بالمنطقة لعام ٢٠١٢م



المصدر: الباحث ٢٠١٤م

أما الشكل (٩) أوضح النسب المئوية لوفيات الأطفال حسب مكان السكن لعام ٢٠١٢م،

حيث احتلت المناطق الريفية المرتبة الأولى بنسبة ٤٦٪، وتلتها الديروم الجنوبية ٢٣٪، والديروم الشرقية ١٥٪ والديروم الوسطي ١٦٪.

جدول (١١) النسبة المئوية لوفيات الأطفال حسب السبب لعام ٢٠١٢ م بمنطقة الدراسة

السبب	النسبة المئوية (%)
سوء التغذية	٢٧
أمراض الجهاز التنفسي	٢٣
الإسهال	٤
ناقص	١٧
أخري	٢٩

المصدر: إعداد الباحث ٢٠١٤ م

أما الجدول (١١) يوضح عدد وفيات الأطفال لعام ٢٠١٢ م حسب السبب، حيث وجد أن ٢٩٪ توفوا بسبب أمراض أخرى مثل الحميات والتشنجات، و١٧٪ توفوا ناقصين، ٢٣٪ توفوا بسبب أمراض الجهاز التنفسي و٢٧٪ توفوا بسبب سوء التغذية و٤٪ توفوا بسبب الإسهال.

نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

١-تفوق معدلات وفيات الأطفال الذكور علي الأطفال الإناث، خاصة عام ٢٠١١ م بمنطقة الدراسة.

٢-ارتفاع معدلات وفيات الأطفال الذين لم يبلغوا السنة الأولى بالمنطقة.

٣-ارتفاع معدلات وفيات الأطفال بريفي بورسودان والديروم الجنوبية بمنطقة الدراسة.

٤-سوء التغذية والحميات وأمراض الجهاز التنفسي أهم أسباب وفيات الأطفال بالمنطقة.

٥-معظم الأمراض المتسببة في وفيات الأطفال بالمنطقة مرتبطة بالظروف البيئية مثل سوء التغذية وأمراض الجهاز التنفسي أي عوامل خارجية.

- ٦-ارتفاع معدلات وفيات الأطفال عام ٢٠١١م بمنطقة الدراسة.
- ٧-ارتفاع معدلات وفيات الأطفال الناقصين، وربما يعزي ذلك إلى تدني الرعاية الصحية ومستوي تعليم المرأة وضعف الصحة الإنجابية بالمنطقة.
- ٨-انعدام مراكز الرعاية الصحية الخاصة بالنساء الحوامل في الأحياء الطرفية وريفي بور تسودان.
- ٩-نقص الغذاء بسبب التدهور البيئي وارتفاع معدلات الفقر من العوامل المؤثرة في وفيات الأطفال بمنطقة الدراسة.

توصيات الدراسة:

- بناء علي نتائج الدراسة، فقد تم التوصل لمجموعة من التوصيات وهي كالتالي:
- ١/ تقديم الرعاية الصحية اللازمة من خلال إنشاء المراكز الصحية في الأحياء والريف بمنطقة الدراسة.
 - ٢/ توفير الغذاء المناسب أثناء الحمل وبعد الولادة.
 - ٣/ توفير العلاج المناسب لتفادي مضاعفات الولادة.
 - ٤/ الاهتمام بتغذية وصحة الأطفال الرضع لأنهم الأكثر عرضة للأمراض ومن ثم الوفيات.
 - ٥/ التدبير العلاجي المتكامل لمكافحة أمراض الطفولة.
 - ٥/ القضاء علي الفقر والجوع وتحسين مستوى التغذية.
 - ٦/ توعية الأمهات بضرورة المتابعة مع الطبيب لتفادي الأمراض أثناء الحمل.
 - ٧/ الاستفادة من خبرات المنظمات الإقليمية والعالمية العاملة في مجال صحة الأطفال مثل منظمة الصحة العالمية ومنظمة الطفولة.
 - ٨/ تأهيل كوادر متخصصة لتساعد في خفض معدلات وفيات الأطفال.
 - ٩/ توفير اللقاحات والأمصال لعلاج الأطفال عند إصابتهم بحالات الإسهال والالتهاب الرئوي.
 - ١٠/ توعية نساء الريف من خلال وسائل الإعلام المختلفة باستخدام اللهجات المحلية.
 - ١١/ تنظيم قوافل صحية بشكل دوري لرفع مستوى الرعاية الصحية بمنطقة الدراسة.

المراجع:

كتب:

- ١- أبو عيانة، فتحي محمد (١٩٩٣)، الجغرافية البشرية (أسس وتطبيقات)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- ٢- إسماعيل، احمد علي (١٩٩٦): الجغرافية العامة موضوعات مختارة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
- ٣- جودة، حسنين جودة (٢٠٠٤): أسس الجغرافية العامة، دار المعارف، الإسكندرية.
- ٤- سعيد، إبراهيم احمد (١٩٩٧): أسس الجغرافية البشرية والاقتصادية، جامعة حلب.
- ٥- التوم، مهدي أمين (٢٠٠٤): جغرافية السودان، جامعة السودان المفتوحة.
- ٦- العيسوي، محمد فايز (٢٠٠٨): أسس الجغرافية البشرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- ٧- قنديلجي، عامر إبراهيم (١٩٩٩): البحث العلمي واستخدام مصادر البحث، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان.

التقارير:

- ١ - سجلات الوفيات، مكتب الإحصاء، مستشفى بور تسودان للأعوام من ٢٠٠٨ / ٢٠١٢



التعاقب النباتي الجفافي في البيئات شبه الجافة - دراسة حالة نطاق حزام الصمغ العربي - السودان

إعداد

د. حسن احمد حسن الشيخ محمد

قسم الجغرافيا. كلية الآداب. جامعة بخت الرضا. أستاذ مشارك

د. إبراهيم عبد اللطيف عبد المطلب خوجلي

قسم الجغرافيا. كلية التربية. جامعة كسلا. أستاذ مشارك

د. محمد عامر احمد محمد

قسم الجغرافيا. كلية التربية. جامعة الأمام المهدي. أستاذ مساعد.

مستخلص الدراسة:

تناولت هذه الدراسة التعاقب النباتي الجفافي - دراسة حالة نطاق حزام الصمغ العربي - السودان، وقد هدفت إلى محاولة معرفة مكونات الغطاء النباتي وديناميكية نموه وتوزيعه، وتوضيح المكونات الشجرية لمنطقة نطاق حزام الصمغ العربي في السودان. وقد استخدمت الدراسة مناهج بحث المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي، وتوصلت الدراسة سيادة نمط التعاقب الجفافي في منطقة حزام الصمغ العربي واختفاء بعض الأنواع الشجرية الأصلية وظهور أشجار غازية وسيادتها في منطقة الدراسة، ومن ثم أوصت الدراسة إلى ضرورة الاهتمام بالقياسات والدراسات فيما يتعلق الغطاء النباتي، والعمل على أشاء وتطوير نظم إنذار مبكر للتنبؤ بتدهور الغطاء النباتي. وتطوير عينات من النباتات المحلية ذات الإنتاجية العالية وتتميز بمقاومتها للجفاف ومراعاة الخصوصية المناخية للمناطق المدارية الواقعة تحت تأثير الجفاف بتحسين أنماط استخدام الأرض لتخفيف الضغط الواقع على الغطاء النباتي الشجري بتقليل التزاماته البيئية تجاه الإنسان والحيوان وذلك بتوفير مصادر أخرى لتغذية الحيوان وتوفير الطاقة ومدخلات السكن. وإعادة تقييم المشروعات العاملة في تعمير حزام الصمغ العربي ووضع الضوابط المناسبة مع مكونات البيئة النباتية بالحزام.

كلمات مفتاحية: التعاقب النباتي الجفافي، البيئات شبه الجافة، حزام الصمغ العربي

Study abstract :

This study dealt with drought vegetation succession - a case study of the gum webbing - Sudan. It aimed to try to find out the components of the vegetation and the dynamics of its growth and distribution, and to clarify the tree components of the gum webbing region in Sudan. The study used the research methods of the descriptive analytical approach and the historical approach. The study reached the prevalence of the drought succession pattern in the gum girdle region and the disappearance of some indigenous tree species and the emergence of invasive trees and their dominance in the study area. Ali will design and develop early warning systems to predict degradation of vegetation. And the development of samples of local plants with high productivity and characterized by their resistance to drought and taking into account the climatic specificity of the tropics under the influence of drought by improving the patterns of land use to reduce the pressure on the tree vegetation by reducing its environmental obligations towards humans and animals by providing other sources for animal feed, energy and housing inputs. And reassessing the projects involved in the reconstruction of the gum Arabic belt and setting the appropriate controls with the plant's environmental components

Key words: Dried vegetable rotation, Semi - dry environments, Gum arabic belt

مقدمة:

تعني هذه الدراسة بجغرافية البيئة النباتية لتوضيح التعاقب النباتي الجفافي في البيئات شبه الجافة منذ العام ١٨٢٠ في شكل مراحل متسلسلة بدأت بمجتمع الذروة وانتهت بمرحلة الأرض المعراة، وحصر الأنواع الشجرية المتواجدة حاليا بمنطقة الحزام حسب أنواع التربة وتحديد الأنواع الأصلية التي كانت سائدة والأنواع التي اختفت وتوضيح الأنواع الغازية ومدى سيادتها بمنطقة الدراسة.

مشكلة الدراسة: ماهي ديناميكية التعاقب النباتي الجفافي في البيئات شبه الجافة - حزام الصوغ العربي؟

أهداف الدراسة: محاولة معرفة مكونات الغطاء النباتي وديناميكية نموه وتوزيعه، وتوضيح المكونات الشجرية لمنطقة نطاق حزام الصمغ العربي.

منهج الدراسة: المنهج الوصفي التحليلي. المنهج التاريخي.

طرق جمع المعلومات:

المقابلة: تم إجراء مقابلات شخصية مع واحد من كبار السن من سكان بعض قري منطقة الدراسة باعتبارهم خبراء حقيقيون في مجال بيئتهم المحلية، وبعض المختصين في الهيئة القومية للغابات بولاية شمال كردفان وهيئة البحوث الزراعية ولاية شمال كردفان

المسوحات الميدانية: بعد إجراء مسح استطلاعي ميداني للغطاء النباتي الشجري تم بموجبه تصنيف الغطاء النباتي الشجري اعتمادا على نوع التربة وطبيعة النمو النباتي، وقد تم معرفة الأنواع الأصلية والأنواع الغازية الموجودة فعلا وقت إجراء الدراسة.

تم جمع المعلومات الجغرافية من مصادر ثانوية متمثلة في الكتب والدوريات والمراجع والدراسات والأوراق العلمية والمؤتمرات والتي إفادة في معرفة الأنواع الأصلية التي كانت سائدة في منطقة الدراسة والأنواع الغازية وفترة قدموها، وبموجب هذه الدراسات تمكن الباحثون من أعداد نموذج للتعاقب النباتي الجفافي منذ العام (١٨٢٠ حتى ٢٠١٩ م).

التعاقب النباتي الجفافي في البيئات شبه الجافة

التعاقب هو عبارة عن التغير الذي يحدث في تركيب المجتمع النباتي، وذلك بتتابع تغير أطواره في مراحل حسب الظروف المناخية حتي يصل الي درجة الاستقرار أو الثبات، التي يعرف عندها المجتمع النباتي باسم مجتمع الذروة أو يتدهور ويتراجع الي درجة الأرض المعرأة. وقد عرفه عبد الله ١٩٨٨ بأنه تعاقب مجتمع نباتي بمجتمع نباتي آخر (Plant succession)، التعاقب الذي يحدث في أي بيئة تعاني من تذبذب أو نقص الماء أو الجفاف يسمى بالتعاقب المطرد في الجفاف (Rchsucessionyero) وتسمي مراحلها المتتالية بسلسلة التعاقب الجفافي (Succession yerosere) التي تحدث في البيئات التي تعاني من تذبذب أو نقص الماء أو الجفاف وتختلف أطوارها الجفافية علي حسب نوع التعاقب النباتي الجفافي، اما تعاقب التدني (Retrogressive Succession) يحدث عند تدهور الغطاء النباتي بسبب التغير في العوامل البيئية مثل تدهور التربة أو تغير خصائص المناخ، ويكون في شكل سلسلة عكسية متعاقبة حيث يسود نوع نباتي سيئ ثم أسوأ حتي نصل الي مرحلة التدهور التام.

في الظروف المناخية المثلي والتربة تتطور النباتات في شكل سلسلة تعاقب يسمى بتعاقب الترقى (Progressive Succession) حتي يصل الي مرحلة الذروة النباتية (Climex)، (الذروة النباتية Climax يحددها المناخ السائد ويكون هناك توازن واستقرار في المناخ والغطاء النباتي، ثم يحدث تغير ما في المناخ بشكل عام ويتغير العامل المناخي المؤثر (العامل المحدد Limiting Factor) في نمو النبات بشكل دقيق، فيتأثر الغطاء النباتي وتبدأ سلسلة التعاقب الجفافي (تعاقب التدني Retrogressive Succession) في حالة النقصان في كميات الأمطار وفي توزيعها، (زهران ١٩٩٨م)^(١) أما إذا حدث تحسن في العامل المناخي المؤثر تبدأ سلسلة تعاقب الترقى (Progressive Succession) وهي مرحلة متطورة من الطور الزروي السائد في المنطقة يطلق عليها مرحلة ما بعد الطور الزروي (Post Climax).

١ - الانتشار الموقعي للغطاء النباتي الشجري في حزام الصمغ العربي:

أ - التوزيع الطبيعي للغطاء النباتي الشجري بمنطقة الدراسة: اعتمادا علي تصنيف هارسون وجاكسون ١٩٥٨ للنبات الطبيعي في السودان، والذي يعتبر من اشمل تصنيفات الغطاء النباتي في السودان (ركز هاريسون علي نباتات المراعي بينما اهتم جاكسون بأنواع الأشجار)

(١) زهران. محمود عبد القوي ١٩٩٨. علم البيئة النباتية وتطبيقاتها. مطبعة جامعة المنصورة. مصر

(الحفيان ١٩٩٥)^(١)، قام (الصقار ١٩٦٨)^(٢)، و(Badi 1990)^(٣) و(عبد المقصود ١٩٧٤)^(٤) و(عبد الماجد ٢٠٠١)^(٥) بتحديد مواقع وامتداد ومساحات لأقاليم النباتية معتمدين علي خصائص التربة والمناخ، اما فوجت ١٩٩٥ فقد اصدر مرشدا حقليا احتوي علي الأنواع الشائعة من لأشجار والشجيرات في المناطق شبه الجافة من الساحل الإفريقي بصفة عامة وفي حزام الصمغ العربي بصورة خاصة وركز علي الأشجار الموجودة في نطاق غابة العين المحجوزة بصورة اخص وهي جزء من حزام الصمغ العربي وجزء من منطقة الدراسة، أوضح فيه وصفا تفصيليا لكل نوع شجري ومناطق انتشاره وأفضل استخداماته ومتطلباته من الإمطار والحرارة والارتفاع والتربة وانسب طرق إكثاره، اما (سيف الدين ١٩٧٢)^(٦) فقد قارن بين مواقع انتشار الأشجار في السابق مع انتشارها الحالي في حزام الصمغ العربي موضحا أهم الأسباب التي أدت الي حدوث تعاقب التدني (Retrogressive Succession) الذي أدى الي اندثار الأنواع الشجرية الأصلية القديمة واهم الأسباب التي أدت الي سيادة الأنواع الشجرية الغازية الجديدة، والإلية التي تمت بها عملية التعاقب، كما تطرق لظاهرة ترحح الأحمزة النباتية الأصلية.

بالإضافة لهذه الدراسات والعمل الميداني استعان الباحثون بتقارير وخرائط الهيئة القومية للغابات والصور الجوية وتقارير المشروعات العاملة في مجال الغطاء النباتي مثل مشروع غطاء الأرض الإفريقية والمشاريع العاملة في مجال إعادة أعمار منطقة الصمغ العربي مثل تقارير مشروعات (DECARP) في منطقة الدراسة والتي أوردتها (Mohomed 2001)^(٧) وهي: - مشاريع تثبيت الكثبان الرملية وإعادة زرع أشجار الهشاب ونثر بزور المراعي وإدارة المراعي وحفظ المياه

(١) الحفيان. عوض إبراهيم عبد الرحمن ١٩٩٥. أسس التنمية الريفية ودور الزراعة في السودان. دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر. الخرطوم.

(٢) الصقار. فؤاد محمد ١٩٦٨. جغرافيا الموارد والإنتاج. دار المعارف للنشر. القاهرة.

(3) Bade. Kamal Hassan. 1990. protection Against Fire in Low Rain Full, Savanna Region of the Sudan. Khartoum

(٤) عبد المقصود. زين الدين. ١٩٧٤. البيئة والإنسان علاقات ومشكلات. دار المعارف المصرية. القاهرة.

(٥) عبد الماجد. طلعت دفع الله عبد الماجد. ٢٠٠١. التنوع الإحيائي في الغابات واثره علي علي منتجات الغابات. الهيئة القومية للغابات. السودان.

(٦) سيف الدين. أبو القاسم. ١٩٧٢. ظواهر زحف الصحاري والحماية منها مع الإشارة الي موضوع حماية نطاق الصمغ العربي في السودان. ورقة علمية مقدمة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

(7) Mohomed D، E (2001) the management indicators of forest open range lands in semi - Arid Areas west of Eldueim white Nilestate athesis M.S.C uof k.

وهي (مشروع الأضيه للتنمية الريفية المتكاملة ١٨٨٥، مشروع جريخ لإعادة تأهيل المراعي ١٩٩٥، مشروع حزام حمرة الوز ١٩٨٦، مشروع إعادة تأهيل مراعي منطقة الخيران بشيكان ١٩٨٦، المشروع الروع الهولندي لإعادة تعمير حزام الصمغ العربي ١٩٩٦، مشروع (FAO) ٢٠٠١ لإعادة تعمير حزام الصمغ العربي، بالإضافة لتقارير مشروعات تنمية أرياف شمال كردفان (ADS) ١٩٩٦ والتنمية الريفية لشمال كردفان ٢٠٠٦، ومشروع الأكسيا لزراعة أشجار الهشاب ٢٠٠٧ ومشروع دار سافنا ٢٠٠٩. من خلال هذه المصادر بالإضافة للعمل تم التعرف علي الأنواع الشجرية التي كانت سائدة والأنواع التي اندثرت والأنواع الجديدة التي ظهرت وتم التعرف علي الانتشار الموقعي الحالي للأشجار بمنطقة الدراسة، وقد لاحظ الباحثون ضيق امتداد النطاقات التي تنتشر فيها الأنواع النباتية الشجرية طبيعيا، وقد اعزي (بيومي. ٢٠٠١)^(١)؛ ذلك الي ارتباط نمط التوزيع الطبيعي لأنواع الغطاء النباتي الشجري في منطقة حزام الصمغ العربي بعوامل المطر والتربة، مؤكداً إن عاملي المطر والتربة هما السبب الرئيسي في تباين واختلاف وامتداد الغطاء النباتي الشجري في كل السودان، وهذا ما اكده هارسون وجاكسون ١٩٥٨ بان هناك ارتباط بين توزيع وامتداد أنواع النبات في المناطق المدارية في السودان بعوامل المطر والتربة.

نجد أن منطقة الدراسة بها ثلاث أنواع من التربات. هذه التربات ترتبط بها أنواع محددة من الغطاء النباتي الشجري تنتشر عليها في شكل مشاجر نقيه أو مختلطة ببعض الأنواع الأخرى، فعلي التربة الرملية في منطقة القوز ينتشر حزام الهشاب الذي تسيطر عليه أشجار الهشاب (A - Senegal) في شكل مشاجر نقيه أو مختلطة ببعض الأنواع الأخرى، وفي تربة طمي الوديان الطينية في منطقة السهل الفيضي لخور أبو حبل ينتشر حزام الكتر الذي تسيطر عليه شجرة الكتر (A - mellifera) في شكل مشاجر نقيه او مختلطة ببعض الأنواع الأخرى، وفي تربة القردود ذات السطح الصلب والتصريف السطحي العالي تسيطر أشجار اللعوت (A - nubica) والمخيط (Boscia senegalensis)، ومن الملاحظ ان التنوع النباتي بمنطقة حزام الصمغ العربي يرتبط ارتباط وثيق بأنواع التربة، وقد يعزي ذلك الي وجود تنوع في التربات تحت مظلة مناخية واحدة تتساوي فيها متوسطات الحرارة والإمطار، حيث انه (في حالة وجود تربات مختلفة في منطقة مناخية واحدة فانه يمكن ان ينتج عن ذلك مجتمعات غايه مختلفة، وبالعكس في حالة كون الأرض منبسطة وتكوين التربة وخصوبتها متشابه وظروفها المناخية متجانسة فتكون مغطاة بمجتمع نباتي غابي واحد وفي الغالب يكون في شكل مشاجر نقيه)

(١) بيومي.. عبد العزيز. ٢٠٠١. غابات السودان في مائة عام. الهيئة القومية للغابات. الخرطوم.

سند ١٩٨٤^(١)، و(التباين في أنواع التربات مع تجانس في مكونات عناصر المناخ يخلق مجتمعات غابيه متباينة الأنواع باعتبار أن التربة تؤدي دور لوسيط في تحديد علاقة النبات بالعوامل المناخية المتحكمة في نمو النبات) (امين التوم. ٢٠٠٥)^(٢) جدول (١) و (٢) يوضحان ذلك.

جدول (١) أشجار فصيلة الأكسيا الموجودة في حزام الصمغ العربي
(غابة العين المحجوزة ١٥/٧/٢٠١٩)

الاسم المحلي	الاسم العلمي	الفصيلة	هيئة النمو	نوع التربة	الحالة
الحراز	A - albida	Mimosaceae	شجرة	رملية	أصلية
السنط	A - nilotica	Mimosaceae	شجرة	طمي الوديان	أصلية
الكثر	A - mellifera	Mimosaceae	شجرة	قرودود + طمي الوديان	أصلية
الطلح	A - seyel	Mimosaceae	شجرة	طمي الوديان	أصلية
الهشاب	A - Senegal	Mimosaceae	شجرة	رملية	أصلية
اللעות	A - nubica	Mimosaceae	شجرة	قرودود	غازيه
السمر	A - tortilis	Mimosaceae	شجرة	رملية	أصلية
طلح ابيض	A - seyel vor fistula	Mimosaceae	شجرة	طمي الوديان	أصلية
السلم	A - Ehrenbergiana	Mimosaceae	شجرة	طمي الوديان	أصلية
شباهي	A - leta	Mimosaceae	شجرة	طمي الوديان	غازيه
كوك	A - torillisvor spirocarpa	Mimosaceae	شجرة	طمي الوديان	أصلية
الكاكموت	A - Sengal	Mimosaceae	شجرة	طمي الوديان	أصلية
السيال	A - vaudiana	Mimosaceae	شجرة	طمي الوديان	أصلية

المصدر: العمل الميداني ٢٠١٩م

(١) سند. حسن عبد الرحمن. ١٩٨٤. الدور الاحيائي للغابات في محاربة التصحر. ورقة بحثية مقدمة لسياسة وقوانين الغابات. مركز أبحاث الغابات. سوبا.

(٢) أمين التوم. مهدي. ٢٠٠٥. أسس الجغرافيا الطبيعية. مطبعة جامعة السودان المفتوحة. الخرطوم.

جدول (٢) الأشجار المختلطة مع فصيلة الأكسيا في حزام الصمغ العربي (غابة العين المحجوزة ٢٠١٩/٧/١٥).

الاسم المحلي	الاسم العلمي	هيئة النمو	نوع التربة	الحالة
تبليدي	Adansniadigtata	شجرة	رملية + طمي الوديان	أصلية
الهجليج	Balanites aegdtiaca	شجرة	رملية + طمي الوديان	أصلية
العشر	Calatropis procera	شجيرة	قرودود + رملية + طمي الوديان	غازيه
الطنذب	Cobiarfis decided	شجيرة	طمي الوديان	أصلية
كداد	Dichradenia arboree	شجرة	طمي الوديان	أصلية
القضيم	Geuria tanar	شجيرة	طمي الوديان	أصلية
المرخ	Teptadenia crassifolin	شجيرة	رملية	غازيه
السرحد	Maerua crassifolin	شجيرة	رملية	أصلية
مسكيت	P.Chilensis	شجرة	قرودود + رملية + طمي الوديان	غازيه
اراك	Savaderaia	شجرة	طمي الوديان	أصلية
صباغ	T.hrownii	شجرة	طمي الوديان	أصلية
طرفاً	Tbmarrix nilatica	شجرة	طمي الوديان	أصلية
سدر	Z.spina christi	شجرة	قرودود	أصلية
مخيط	Boscia senegalnsis	شجيرة	قرودود + رملية	غازيه
الغفل	Boswellia papyrifera	شجرة	رملية + طمي الوديان	أصلية

غبيش	Guiera senegolensis	شجرة	رملية + طمي الوديان	أصلية
الهليل	Combretum crndifanum	شجرة	رملية + طمي الوديان	أصلية
الصهب	Anogeissus segiomer	شجرة	طمي الوديان	أصلية

المصدر: العمل الميداني ٢٠١٩م

ب - التوزيع الغير طبيعي للغطاء النباتي الشجري بمنطقة الدراسة: منطقة الدراسة - حزام الصمغ العربي - قد شهدت اهتمام كبير جدا بأحوال البيئة النباتية هدفت الى إعادة تعمير حزام الصمغ العربي، خاصة الأجزاء الغربية من في ولاية شمال كردفان، وهذه الجهود قد أسهمت كعامل غير طبيعي في تشكيل خارطة توزيع الغطاء النباتي الشجري في منطقة الدراسة، حيث حظيت بعض الأنواع الشجرية باهتمام كبير لأهميتها الاقتصادية أو البيئية واستزرعت علي نطاق واسع من التربات الملائمة لنموها، وحملت في شكل مشاجر غابات محجوزة تمتلكها الهيئة القومية للغابات، مثل غابة السميح المحجوزة و غابة العين المحجوزة، أو في شكل حيازات خاصة بالمواطنين مثل جناب الهشاب التي يمتلكها المواطنون أو جمعيات إنتاج الصمغ العربي، أو في شكل حيازات خاصة للشركات الاستثمارية العاملة في مجال الثروة الغابية مثل حيازات شركة اكسيا وشركة جانديل وشركة دار سافنا أو في شكل حيازات وحقول بحثية تابعة للمؤسسات الأكاديمية والبحثية مثل غابة الدموكية التابعة لهيئة البحوث الزراعية. نلاحظ أن معظم المجهودات التي أسهمت في التوزيع الغير طبيعي للغطاء النباتي الشجري بمنطقة الدراسة قد ركزت في أعادت استزراع الهشاب (A - Senegal) في منطقة التربة الرملية في القوز، ولكن نجد ان شركة أكسيا قد قامت باستزراع شجر الهشاب A - Senegal في منطقة تربة القردود بعد إزالة أشجار الكتر (A - mellifera) في ثلاث غابات بمساحة ٤٥٠ ألف فدان لكل غابة وتعتبر تجربة شركة اكسيا تجربة حديثة لم تكتمل ملاحظتها بعد، ولكن المؤشرات الأولية تشير الي وجود بعض المشاكل مثل تعزم أشجار الهشاب (A - Senegal) وقلة إنتاجيته وظهور بعض الأشجار الغازية، وهذا قد يشير الي عدم ملائمة تربة القردود لنمو أشجار الهشاب (A - Senegal) ويشير الي أن الأشجار

الغازية سوف تحل محل الهشاب مستقبلا والى عجز الكتر (A - mellifera) في إعادة احتلال المساحات التي أزيل منها.

٢ - المناخ والتربة بحزام الصمغ العربي؛

أن الخصائص الطبيعية تلعب دورا أساسيا في ديناميكية التعاقب النباتي بمنطقة الدراسة، حيث أن عوامل المناخ (الحرارة والأمطار) هي المؤثر الرئيس في توزيع الغطاء النباتي الى أقاليم نباتية علي مستوى العالم بصفة عامة وفي البيئات شبه الجافة علي وجه الخصوص، وبها الحرارة في المنطقة المدارية تشكل مظلة حرارية شبه متساوية جعلت العنصر المناخي الأساسي المتحكم في توزيع الغطاء النباتي هو عامل الإمطار ثم يأتي تأثير بقية العوامل الطبيعية الأخرى من خلال تأثيرها علي علاقة النبات بالماء خاصة التربة والتضاريس حيث يوتر اختلاف أنواع التربة الي تقسيم الإقليم النباتي الي أقاليم نباتية صغري بينما تؤثر طبوغرافية الأرض والتصرف في الغطاء النباتي من حيث الكثافة والتردد والتغطية.

أ - المناخ بمنطقة الدراسة: تعتبر عوامل المناخ من أهم العوامل الطبيعية التي تؤثر تأثير مباشر وغير مباشر في الغطاء النباتي ونموه وانتشاره حيث (أن التكوينات النباتية هي انعكاس للتكوينات المناخية) (فايد ١٩٨٩)^(١)، أن تحديد عوامل المناخ في أي منطقة يعتمد علي الموقع الجغرافي بالنسبة لدوائر العرض، ثم التضاريس المحلية بالإضافة الي العوامل الديناميكية التي تقع خارج نطاق المنطقة كالضغط الجوي وحركة الكتل الهوائية، موقع منطقة الدراسة الذي يمتد بين دائرتي عرض ١٢ , ٤٠ - ١٤ شمالا كجزء من البيئات شبه الجافة ومن حزام الصمغ العربي جعل الغطاء النباتي الشجري بمنطقة الدراسة عرضة للتأثر بطبيعة المناخ المداري من جهة والأسباب الطبيعية المؤدية لسيادة التعاقب الجفافي من جهة أخرى.

التغيرات في الأمطار: (المقصود بالتغير في الأمطار الزيادة أو النقصان في كمية المطر من سنة الي أخرى ومن شهر الي آخر وفي توزيع الأمطار خلال الموسم وخلال الشهر) (Bade. K H ١٩٩٠)^(٢). عن طريق دراسة خط الاتجاه العام لهطول الأمطار وتحديد التغيرات الدورية السنوية والشهرية وللتعرف علي التغيرات في الأمطار، تم استخدام طريقتين لدراسة التغيرات الدورية

(١) فايد. يوسف عبد المجيد. ١٩٨٩. جغرافيا المناخ والنبات. دار النهضة المصرية. القاهرة

2- Bade. Kamal Hassan. 1990. protection Against Fire in Low Rain Full, Savanna Region of the Sudan. Khartoum

والسنوية ودراسة الاتجاه العام لطول الأمطار وهي ضرورة اقتضتها طبيعة هذه الدراسة التي تبحث عن التعاقب النباتي الجفاف بمنطقة الدراسة وتأثيرها علي للغطاء النباتي الشجري، وباعتبار أن الأمطار هي المصدر الوحيد للمياه الذي تعتمد عليه الأشجار بمنطقة الدراسة.

الطريقة الأولى اتبعها كل من Kimmel.H.D.(١٩٧٠)^(١) و(التوم: ١٩٧٤م)^(٢) و(القصاص: ١٩٩٩م)^(٣) و(الشيخ: ٢٠٠٦م)^(٤) وتقوم علي حساب التباين السنوي الذي يقاس بحساب معامل الانحراف الذي يعبر عن مدي الاختلاف في كميات المطر السنوي بالزيادة أو النقصان قياسا علي متوسط المطر السنوي حيث إن:

المتوسط السنوي (ن) = مجموع كميات الأمطار التي رصدت في سنوات الرصد (م) ÷ عدد السنوات (س).

معامل الانحراف = س ÷ ن × ١٠٠.

من الجدول رقم (٣) نلاحظ أن هذه الأرقام تدل علي أن معامل الانحراف يقل في المناطق ذات متوسطات الأمطار القليلة، وهذا يدل علي أن ظهرت ارتفاع معامل الانحراف تعبر عن ارتفاع التباين في هطول الأمطار من عام الي آخر، كما أن عدم وجود تباين كبير في معامل الانحراف بين محطات ولاية شمال كردفان يشير الي وجودها في نطاق مناخي واحد تتدرج فيه كميات الأمطار من الشمال الي الجنوب نحو النقصان، وهي نفس الصفة التي تتميز بها الأمطار في السودان حيث تقل الأمطار كلما اتجهنا شمالا. أوضح القصاص: ١٩٩٩م بأن ارتفاع معدل الانحراف يدل علي أن الانتقال من موسم المطر القليل الي موسم المطر العالي يتم بصورة مفاجئة من عام الي آخر ودون نظام محدد مما يوحي بسيادة نمط التذبذب العالي في كميات الأمطار من عام الي آخر حتي يصبح هذا التذبذب صفة من صفات التساقط وبالتالي يصنف التذبذب العالي في كميات الأمطار من عام الي آخر وبصورة مفاجئة ويعتبر من ضمن الظواهر المناخية ذات الأثر البالغ في النظام البيئي وفي مصادر المياه خاصة في المناطق التي تعتمد علي الأمطار في تغذية مصادر المياه.

1 - Kimmel.H.D.(1970). Experimental Principles and design in psychology. New York
(٢) أمين التوم. مهدي ١٩٧٤. مناخ السودان. الطبعة الأولى. معهد البحوث والدراسات العربية. القاهرة. جمهورية مصر العربية.

(٣) القصاص. محمد عبد الفتاح. ١٩٩٩. التصحر. تدهور الأراضي في المناطق الجافة. عالم المعرفة. جمهورية مصر العربية
(٤) الشيخ. حسن احمد حسن. ٢٠٠٦. الجفاف الطبيعي وتأثيره في الغطاء النباتي الشجري في البيئات شبه الجافة من الساحل الإفريقي. دراسة حالة حزام الصمغ العربي. رسالة دكتوراه. جامعة بخت الرضا.

وجداول (٣) يوضح ذلك.

جدول (٣) متوسط المطر السنوي بالمليمترات ومعامل الانحراف في محطات أرصاد منطقة الدراسة (الفترة من ١٩٨٥ - ٢٠١٧)

محطة الأرصاد	المتوسط السنوي	معدل الانحراف %
الأبيض	٣٣١	٩,١٠ %
أم روابة	٣٣٤	٨,١٠ %
الرهد	٣٤٢	٥,١٠ %
العين	٣٤٦	٤,١٠ %
السميح	٣٤٩	٣,١٠ %

المصدر: العمل الميداني ٢٠١٨ م

الطريقة الثانية اتبعتها كل من (عبد المولي: ٢٠٠٠)^(١) و (الأمين الشيخ: ٢٠٠٢)^(٢) وتقوم علي حساب خط الاتجاه العام باستخدام المتوسطات النصفية لتعرف اتجاه سقوط الأمطار نحو الزيادة أو النقصان، وقد تم تطبيق أسلوب المتوسطات النصفية بتقسيم البيانات المطرية في كل محطة الي فترتين شملت الفترة الأولى من ١٩٨٥ - ٢٠٠٢ والفترة الثانية من ٢٠٠٣ - ٢٠١٧ حيث يتم حساب المتوسط لكل فترة، وبناء علي ذلك نجد أن متوسط الفترة من ٢٠٠٣ - ٢٠١٧ أكبر من متوسط الفترة من ١٩٨٥ - ٢٠٠٢ في جميع المحطات مما يوضح بأن هناك اتجاهها عام نحو الزيادة في الأمطار مع تقدم الزمن، جدول رقم (٢).

أوضح (عبد الرحيم: ٢٠٠٦)^(٣) و (بلال صديق: ٢٠٠٥)^(٤) بأنه وعلي الرغم من أن الأمطار في تزايد في كردفان مقارنة بفترة الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي ألا أن هذه الزيادة لم

(١) عبد المولي . خديجة يوسف . ٢٠٠٠ . التباين المناخي وأثره في النشاط الزراعي في منطقة الدلنج ولاية جنوب كردفان . رسالة ماجستير . جامعة الخرطوم

(٢) الأمين الشيخ . عبد العزيز . ٢٠٠٢ . المشاشة والفقر في المجتمعات الريفية . دراسة حالة محافظة بارا . رسالة دكتوراه غير منشورة . جامعة الخرطوم

(٣) عبد الرحيم . بهية فتح الله . ٢٠٠٦ . نظم إدارة وتطوير إنتاج جناب المشاب . دراسة حالة محلية أما روابة . ورقة بحثية منشورة . مجلة النيلين . العدد ٤

(٤) بلال . صديق محمد مختار . ٢٠٠٥ . نظم إنتاج وإدارة الجنائن المنتجة للاصماغ . ورقة مقدمه لورشة العمل القومية لنظم إنتاج للاصماغ وتعزيز قدرات جمعيات المنتجين الأبيض . ولاية شمال كردفان .

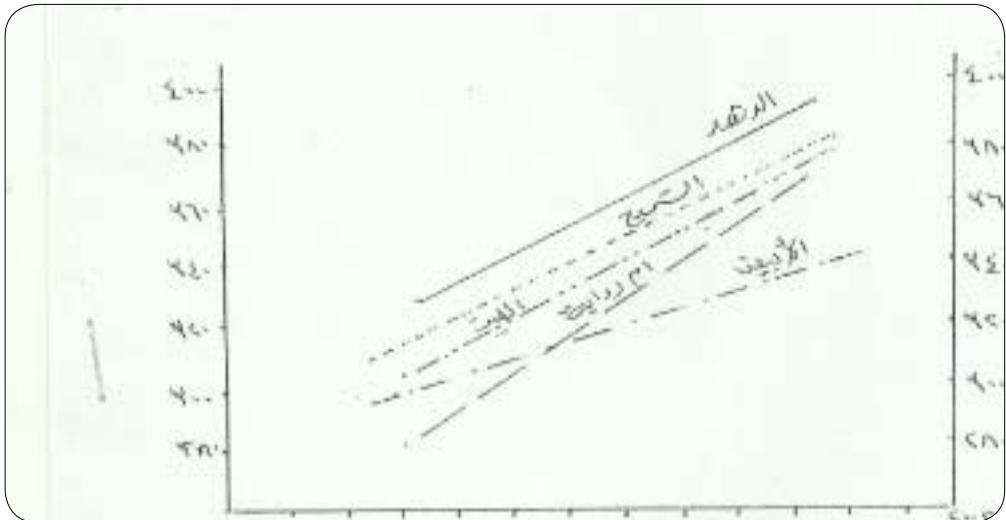
تنعكس أثارها علي الغطاء النباتي ولا علي التوالد الطبيعي للنبات، لان معظم معدلات الأمطار بقيت دون المتوسط وان هطول الأمطار يكون في شكل زخات سريعة تحدث جريان سطحي سريع فتتصرف مياه الأمطار بواسطة الأودية والخيران بصورة سريعة تقلل من فرص تشبع مصادر المياه الجوفية والسطحية. جدول رقم (٤) والشكل يوضح ذلك.

جدول رقم (٤) المتوسطات النصفية لمحطات الأرصاد الجوي في الفترة من ١٩٨٥ - ٢٠١٧ م

المحطات	١٩٧٠ - ٢٠٠٢	٢٠٠٣ - ٢٠١٧
الأبيض	٢،٣٠٣	٣٤٠
أم روابة	٨،٢٨٥	٦،٣٧٠
الرهد	٣،٣٢٩	٣،٣٨٨
العين	٣،٣٠٦	٣،٣٧٧
السميح	١،٣١٩	٨،٣٨٢

المصدر: عمل الباحثين ٢٠١٨ م

شكل رقم (١) المتوسطات النصفية لمحطات الأرصاد الجوي في الفترة من ١٩٧٠ - ٢٠١٧ م



المصدر: عمل الباحثين ٢٠١٨ م

أن طبيعة التساقط بمنطقة الدراسة تجعلها عرضة للفشل في بعض المواسم، وأكثر العين فشلا في منطقة الدراسة في فصل الخريف هي النثرة والجبهة، وان فشلها يؤثر بشكل مباشر على مصادر المياه السطحية والجوفية بمنطقة الدراسة باعتبار أن مياه الأمطار هي المصدر الوحيد لتغذية هذه المصادر بالمياه و (النقص في كم الأمطار الناتج من سيادة ظروف الجفاف يؤدي الى نقص حاد في المياه السطحية وتغذية المياه الجوفية بولاية شمال كردفان مما يؤثر على الغطاء النباتي) (الشيخ: ٢٠٠٦م)^(١). كما أن هناك ١٨ عينة جافة توجد في فصل الصيف الحار الرطب وفصل الشتاء البارد الجاف وفصل الصيف الحار الجاف وتبدأ من ٩ أكتوبر حتى ٢٠ يونيو، وهو جفاف طبيعي مرتبط بطبيعة المناخ في منطقة الدراسة ويؤثر بشكل مباشر على مصادر المياه السطحية والجوفية على حد سواء لعدم وجود تغذية مائية. ويؤثر على الغطاء النباتي الشجري ويؤدي الى تناقص في أعداد الأشجار الأصلية وسيادة أنواع شجرية غازية تستطيع تحمل طبيعة التذبذب والتناقص في كميات الأمطار.

ب - التربة بمنطقة الدراسة: التكوينات الجيولوجية بمنطقة الدراسة تنتج المواد المنشئة للتربة بواسطة عمليات التعرية، (مادة أصل التربة Soil Parent Materials في كردفان نشأت نتيجة تفتت صخور التكوينات الجيولوجية الأساسية بواسطة المياه الجارية مكونة تربة طمي الوديان وهي تربة فيضية Alluvial Soil أو منقولة بواسطة الرياح مكونة تربة الكثبان الرملية - القوز - وهي تربة هوائية Aeration Soil كما أن هناك نطاقات تختلط فيها التربة الفيضية والهوائية الناعمة مكونة تربة القردود ذات السطح الصلب والتصريف العالي) (الأمين الشيخ ٢٠٠٢)^(٢). والجدير بالذكر أن منطقة الدراسة تعد من أكثر المناطق التي تلتقي فيها جميع أنواع التربات وتلتقي فيها الأحزمة النباتية الشجرية.

التربة الرملية (تربة القوز Goz Deposits): نشأت خلال عصر الباليوزوي الأعلى نتيجة عوامل التعرية توجد في المناطق الشمالية والشرقية من منطقة الدراسة وهي جزء من تكوينات الحجر الرملي النوبي Nubian Sandstones التي حملتها الرياح وهي ذات قوام Soil Texture غير متماسك يتكون من نسيج رملي يحتوي على ٨٠٪ رمل و ١٦٪ طين و ٤٪ سلت،

(١) الشيخ . حسن احمد حسن . ٢٠٠٦ . الجفاف الطبيعي وتأثيره في الغطاء النباتي الشجري في البيئات شبه الجافة من الساحل الإفريقي . دراسة حالة حزام الصمغ العربي . رسالة دكتوراه . جامعة بخت الرضا .

(٢) الأمين الشيخ ٢٠٠٢ الأمين الشيخ . عبد العزيز . ٢٠٠٢ . الهشاشة والفقر في المجتمعات الريفية . دراسة حالة محافظة بارا . رسالة دكتوراه . جامعة الخرطوم .

ونجد ن الرمال تسيطر علي القوام وهي حبيبات مستديرة تتراوح أقطارها بين ٠,٢ - ٢ ملم، وهي تربة عديمة البناء تقريبا، وبنائها Structure Soil غير منتظم تصل فيه نسبة أحجام المسامات الي ٤٢٪ - ٤٨٪ من حجم التربة تساعد علي سرعة تسرب المياه خلال القطاع وسرعة تبخرها، محتواها المائي Soil Moisture جيد حيث أن لها مقدرة عالية للتشبع بالماء وحركة الماء فيها تعتمد علي حجم المسامات، فقد بلغت نسبة التشبع بعد المطر مباشرة في الطبقة العليا من القطاع ٥٢٪ وبعد مضي ٤٨ ساعة بلغت نسبة التشبع في الطبقة العليا من القطاع ٢٧٪ وقد يعزي ذلك الي فقدان المحتوي المائي عن طريق التبخر؛ اما خواص تربة القوز الكيميائية (The Goz Soil chemical priorities) نجد أن الحموضة PH ٥,٧ تدل علي أنها تربة متعادلة مائلة الي القلوية وان الأملاح الذائبة متساوية بين قطاعات التربة عدا الصوديوم الذي يتركز في الطبقة السطحية وقد يعزي ذلك الي الخاصية الشعرية التي تعمل علي رفع الماء خلال القطاع الي السطح حاملة معها أملاح الصوديوم حيث تتبخر المياه تاركة الصوديوم يتركز داخل الطبقة السطحية، اما طبوغرافية تربة القوز فتلعب دورا مهما في خصوبة التربة ومدي تشبعها بالمياه فمناطق الرهود والميعات والمناطق المنخفضة التي تتراكم فيها مياه الإمطار حاملة المرسبات تكون ذات مورد مائي غزير نسبيا بالنسبة لمحيطها و تحتفظ بالمياه لفترات قصيرة بعد نهاية الخريف مما يجعلها أكثر رطوبة وأكثر ثراء بالغطاء النباتي الشجري وفي الغالب تسود فيها الأشجار الأصلية التي تعد جذورها راسيا حثا عن الماء مثل شجرة الهشاب (A - Senegal).

تربة القردود : اسم محلي يطلق علي تربة السهول الفيضية التي تختلط فيها التربة الفيضية والهوائية الناعمة وتتميز بصلابتها نتيجة اختلاط زرات الرمل الناعمة مع الطمي الناعم، وهي تربة صعبة الصرف عارية من الغطاء النباتي في معظم أجزائها، تقع في الاجزاء الجنوبية الغربية وتشكل ١٤٪ من منطقة الدراسة في المنطقة الواقعة بين مجموعة خور بقرة وخور كازكيل، وهي ذات قوام Soil Texture صلب يتكون من ٧٦٪ رمل و ٢٠٪ طين و ٤٪ سلت، ويبلغ حجم حبيبات الرمل ١١,٠ ملم وحبيبات الطين اقل من ٠,٠٠٢ ملم، اما وبناء تربة القردود Structure Soil عميق ومتماسك قليل الفراغات التي تحتل ٢٨٪ من حجم التربة و محتواها المائي (Soil Moisture) قليل جدًا ويرجع ذلك الي التماسك والمسامية القليلة التي تؤدي الي جريان سطحي سريع لا تتيح فرصة جيدة لتشبعها بالمياه فقد بلغت نسبة التشبع بعد المطر مباشرة في الطبقة العليا من القطاع ٣٠٪ وبعد مضي ٢٤ ساعة بلغت ٢٧٪، خواص تربة القردود الكيميائية (Soil chemical priorities) نجد أن الحموضة PH ٨,٣ تدل علي أنها تربة قلوية تتركز فيها أملاح الصوديوم

في الطبقة السطحية وقد يعزي ذلك الى الخاصية الشعرية التي تعمل علي رفع الماء خلال القطاع الي السطح حاملة معها أملاح الصوديوم حيث تتبخر المياه تاركة الصوديوم يتركز داخل الطبقة السطحية اما طبوغرافية تربة القردود فتلعب دورا مهما في خصوبة التربة ومدي تشبعها بالمياه فمناطق القريبة من المرتفعات وبطون الأودية والمناطق المنخفضة التي تتراكم فيها مياه الأمطار حاملة المرسبات تكون ذات مورد مائي غزير نسبيا بالنسبة لمحيطها وتحتفظ بالمياه لفترات قصيرة بعد نهاية الخريف مما يجعلها أكثر رطوبة وأكثر ثراء بالغطاء النباتي الشجري وفي الغالب تسود فيها الأشجار الأصلية التي تعتد جذورها راسيا حثا عن الماء مثل شجرة اللعوت (A - nubica).

تربة طمي الوديان: تقع في المناطق التي ترسبت فيها التربات المنقولة بواسطة ماء الأودية والخيران المتدفقة من ولاية جنوب كردفان وتمثل مجموعة خور ابو حبل وهي عبارة عن أودية موسمية تفيض في مسم الأمطار مكونة فرشاة سهلية واسعة النطاق ممتدة في شكل حزام طولي علي طول امتداد الأجزاء الجنوبية من منطقة الدراسة وتغطي حوالي ٢١٪ من مساحة منطقة الدراسة وهي ذات قوام Soil Texture متماسك تحتوي علي ٥٠٪ رمل و ٣٤٪ طمي و ١٦٪ سلت، ويبلغ حجم حبيبات الرمل ١٧ ، ٠ ملم وحبيبات الطين اقل من ٠٥ ، ٠ ملم، وتربة طمي الوديان تتشقق عند تعرضها للجفاف وتتمدد عند تشبعها بالرطوبة وقد أوضح الشلش ١٩٨٥ بان صفة التمدد والانكماش في تربة طمي الوديان يرجع الي ارتفاع معدل الصوديوم المتبادل عن ١٥٪ وهي تربة غنية بمعدن المتوبوليت الذي يصبح متغدقا Puddling عند التشبع بالماء ومتصلبا Hardening عند الجفاف، و محتواها المائي Soil Moisture ممتاز فهي أحسن تربات منطقة الدراسة من حيث المحتوى المائي ويرجع ذلك لطبيعة تكوينها الذي يتيح لها إمكانية التشبع بالماء وإمكانية الاحتفاظ بها، بعد الأمطار مباشرة بلغت نسبة التشبع ٤٢٪ وبعد مضي ٤٨ ساعة ارتفعت الي ٤٧٪ ويعزي ذلك لورود كميات إضافية من مياه الأودية، خواص تربة طمي الوديان الكيميائية Soil chemical priorities نجد أن الحموضة PH ٥ ، ٧ تدل علي أنها تربة متعادلة مائلة الي القلوية وان الأملاح الذائبة متساوية بين قطاعات التربة، اما طبوغرافية تربة طمي الوديان فتلعب دورا مهما في خصوبة التربة ومدي تشبعها بالمياه فمناطق القريبة من بطون الأودية والمناطق المنخفضة والميعات التي تتراكم فيها مياه الأمطار حاملة المرسبات تكون ذات مورد مائي غزير نسبيا بالنسبة لمحيطها وتحتفظ بالمياه لفترات طويلة بعد نهاية الخريف مما يجعلها أكثر رطوبة وأكثر ثراء بالغطاء النباتي الشجري وفي الغالب تسود فيها الأشجار الأصلية التي تعتد جذورها راسيا حثا عن الماء مثل شجرة الكتر (A - mellifera).

٣ - التعاقب النباتي الجفافي بحزام الصمغ العربي:

هناك اختلاف واضح في أنواع أشجار الغطاء النباتي في منطقة الدراسة مرتبط باختلاف نوع التربة، ففي منطقة تربة طمي الوديان نجد ٢٣ نوعا نباتيا شجريا علي السهل الفيضي لمجموعة خور أبو حبل، وهي اغني التربات بالغطاء النباتي الشجري في منطقة الدراسة من حيث الأنواع الشجرية وقد يعزي ذلك الي طبيعة تكوين تربة طمي الوديان والي وقوع امتدادها في الأجزاء الجنوبية من منطقة الدراسة التي تزيد فيها كميات الإمطار نسبيا مقارنة بالمناطق الأخرى كما أن مجموعة أودية خور أبو حبل تعمل علي إمدادها بكميات كبيرة من المياه من خارج منطقة الدراسة، ونجد أن تربة طمي الوديان تمثل مدي مثالي للانتشار لعشرة مجموعات شجرية أصلية هي الكتر ((A - mellifera)) و طلع ابيض ((A - seyl vor fistula)) و السنط ((A - nilotica)) و الطلح ((A - seyl)) و السلم ((A - Ehrenbergiana)) و شباهي ((A - leta)) و كوك ((A - torillivor spirocarpa)) و الكاكومت ((A - Sengal)) و السيال ((A - vaudiana))، ويوجد بها نوعان شجريان من الأشجار الغازية وهي العشر ((Calatropis procera)) و المسكيت ((P. Chilensis))، وتشكل منطقة ضغط فسيولوجي - حدود دنيا للتحمل - لعدد خمسة مجموعات شجرية أصلية تؤدي الي غياب النوع هي الغفل ((Boswellia papyrifera)) و الهبيل ((C. mbretum crndifanum)) و الصهب ((Anogeissus segimber)) و صباغ ((T. hrownii)) و اراك ((Savaderaia)). اما تربة القردود ذات التربة الصلبة والتصريف السطحي العالي وهي أفقر التربات في منطقة الدراسة بالغطاء النباتي الشجري وقد يعزي ذلك الي طبيعة تربة القردود الصلبة ذات النسيج المتناسك والتصريف السطحي العالي والي طبيعة ميلان وانحدار السطح التي تساعد علي سرعة عمليات التصريف بصورة لا تتيح الوقت الكافي للتربة للتشبع بالمياه وتدني الرطوبة الكافية لنمو النبات، وتربة القردود تشكل مدي مثالي لنمو ثلاث أنواع من الأشجار تحقق اعلي معدل انتشار وهي المخيط ((Boscia senegalnsis)) و اللعوت ((A - nubica)) و العشر ((Calatropis procera))، وهذه الثلاث أنواع هي جميعا من الأشجار الغازية، وتشكل منطقة ضغط فسيولوجي - حدود دنيا للتحمل - لعدد نوعين من الأشجار هي الكتر ((A - mellifera)) و السدر ((Z. spina Christi)) تراجعت أعدادها واختفت في معظم تربة القردود، وتشكل منطقة ضغط فسيولوجي - حدود دنيا للتحمل - لعدد ثلاث مجموعات شجرية أصلية تؤدي الي غياب النوع هي التبليدي ((Adansniadigtata)) و الهجليج ((Balanites aegdtiaca)) والقضيم ((Geuria tanar))، وهي من الأشجار

الأصلية التي اختفت تماما من تربة القردود وقد يؤدي ذلك الى اختفاء جميع الأنواع الشجرية الأصلية من تربة القردود وسيادة الانواع الغازية مما يعطي صورة واضحة لطبيعة التعاقب النباتي الجفافي حيث تختفي الأشجار الأصلية وتسود محلها أشجار غازية. اما التربة الرملية ذات المسامية العالية في منطقة القوزهي في مستوي وسط من حيث الغطاء النباتي الشجري مقارنة بتربة القردود وتربة طمي الوديان، وقد يعزي ذلك الى طبيعة التربة الرملية ذات المسامية العالية التي تعمل علي امتصاص كميات كبيرة من المياه المتساقطة من الأمطار، وهي تمثل مدي مثالي للانتشار لسته مجموعات شجرية ثلاث مجموعات منها أشجار غازية هي المخيط (*Boscia senegalensis*) و العشر (*Calatropis procera*) والمرخ (*Teptadenia crassifolia*) والثلاث مجموعات الاخرى من الأشجار الأصلية هي الهشاب (*A - Senegal*) و السرح (*Maerua crassifolia*) والهيل (*Combretum crndifanum*)، وتشكل منطقة ضغط فسيولوجي - حدود دنيا للتحمل - لعدد أربع أنواع من الأشجار هي التبلدي (*Adansoniadigitata*) و الهجليج (*Balanites aegyptiaca*) و السمرة (*A - tortilis*) و الحراز (*A - albidia*) والتي تراجعت أعدادها وانحصر انتشارها في مناطق الأودية والخيران والميعات، وتشكل منطقة ضغط فسيولوجي - حدود دنيا للتحمل - لعدد ثلاث مجموعات شجرية أصلية تؤدي الى غياب النوع وهي العرد (*Alhizziasericophala*) و الكداد (*Dichradenia arborea*) و الصهب (*Anogeissus segitimber*).

من نتائج العمل الميداني ٢٠١٨ - ٢٠١٩ والاستعانة بالدراسات التي أجراها الباحثون (Warmald 1984)^(١) و (Hassan. 1999)^(٢) و (Bayoumi 1989)^(٣) و (Beotm 1965)^(٤) و (Beoth 1965)^(٥)،

- (1) Warmald.A.T. 1984.Sheikan land use planned Peugeot A.D.S. . Khartoum
- (2) Hassan.T.A. 1999. Some Aspects of Environmental Desecration in north Kordofan Stats . M.S.C. U of K
- (3) Bayoumi.A.M. 1989. Gam Arabic Belt .Rehabilitation in the Republic of the Sudan . fur the project Unit of the Minister of Finamce and Economic Planning . the Republic of the Sudan.
- (4) Beotm.G.A 1965 Studty of the Gam (Acacia Senegal) and the Supply of Other Forest Produce in Relation to Land Use Planning. Khartoum
- (5) Beotm.G.A 1965 Studty of the Gam (Acacia Senegal) and the Supply of Other Forest Produce in Relation to Land Use Planning. Khartoum

وفوجت ١٩٩٩^(١)، و (عبد الماجد ٢٠٠١)^(٢)، و (سيف الدين ١٩٧٢)^(٣)، و (الشيخ ٢٠٠٦)^(٤)، و (الأمين الشيخ ٢٠٠٢)^(٥)، و (حمدوك ١٩٨٥)^(٦)، و (ديكارب ١٩٧٦)^(٧)، و (الشيخ ١٩٩٨)^(٨). يمكن استنتاج تعاقب نباتي شجري في منطقة الدراسة علي حسب نوع التربة لمعرفة اتجاه ديناميكية الغطاء النباتي الشجري لفترات زمنية معينة مربوطه بالتغيرات في خصائص المناخ.

أن استنتاج التعاقب النباتي في منطقة الدراسة تم في شكل مراحل متسلسلة بدأت بمجتمع الذروة الذي اجمع الباحثون انه ساد في الفترة من ١٨٢٠ - ١٨٨١، ثم مرحلة الطور الرابع الذي ساد في الفترة من ١٨٨١ - ١٩٢٧، ثم مرحلة الطور الثالث الذي ساد في الفترة ١٩٢٧ - ١٩٦٩، ثم مرحلة الطور الثاني الذي ساد من ١٩٧٠ - ١٩٩٥ وأخيرا مرحلة الطور الأول الحالي الذي بدا في ١٩٩٦ ومستمر حتي الآن مع بروز نهايات له بظهور مساحات واسعة من الأرض المعراة والتغير الكبير في أنواع الغطاء النباتي الشجري وسيادة الأنواع الشجرية الغازية شكل رقم (٢) نموذج التعاقب النباتي بمنطقة الدراسة (حزام الصمغ العربي) بمراحله المختلفة.

- (١) فوجت . كيس . ١٩٩٥ . المرشد الحقل للتعرف علي اشجار وشجيرات المناطق الجافة في السودان . ترجمة . كمال حسن بادي . الهيئة القومية للغابات . الخرطوم
- ٢ عبد الماجد . طلعت دفع الله عبد الماجد ٢٠٠١ . التنوع الإحيائي في الغابات واثره علي علي منتجات الغابات . الهيئة القومية للغابات . السودان
- (٣) سيف الدين . أبو القاسم . ١٩٧٢ . ظواهر زحف الصحاري والحماية منها مع الإشارة الي موضوع حماية نطاق الصمغ العربي في السودان . ورقة علمية مقدمة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
- (٤) الشيخ . حسن احمد حسن . ٢٠٠٦ . الجفاف الطبيعي وتأثيره في الغطاء النباتي الشجري في البيئات شبه الجافة من الساحل الإفريقي . دراسة حالة حزام الصمغ العربي . رسالة دكتوراه . جامعة بخت الرضا .
- (٥) الأمين الشيخ ٢٠٠٢ الأمين الشيخ . عبد العزيز . ٢٠٠٢ . المشاشة والفقر في المجتمعات الريفية . دراسة حالة محافظة بارا . رسالة دكتوراه . جامعة الخرطوم
- (٦) حمدوك . عبد الله ادم ١٩٨٥ . دراسة ميدانية عن الجفاف والتصحر في شمال شرق اقليم كردفان . ورقة بحثية مقدمة لورشة العمل القومية لدرء اثار الجفاف . الهيئة القومية للغابات . ١٢ - ١٤ فبراير ١٩٨٥ . المطبعة الحديثة . الأبيض .
- (٧) ديكارب . ١٩٧٦ . برامج مكافحة زحف الصحراء وإصلاح أثاره . الإدارة العامة للموارد الطبيعية . الخرطوم . السودان
- (٨) الشيخ . الشيخ عبد الله . ١٩٩٨ لا . النباتات المنتجة للاصباغ في السودان . ورقة بحثية مقدمة للمنتدي العالمي لبحوث الغابات . قاعة وزارة الزراعة الاتحادية . ٤ - ٥ أكتوبر ١٩٩٨

شكل رقم (٢) نموذج التعاقب النباتي بمنطقة الدراسة (حزام الصمغ العربي)

(مجتمع الذروة ١٨٢٠ - ١٨٨)

سيادة اشجار الهشاب (A - Senegal) علي التربة الرملية، وسيادة اشجار الكتر (A - mellifera) علي تربة القردود وسيادة الطلح (A - seyel) و طلح ابيض (A - seyel vor fistula) و الحراز (A - albida) و القفل (Boswellia papyrifera) و الطنضب (Cobiarfis decided) و والورد (Alhizziasericoephala) و الهبيل (C. mbretum) و العريديب (Tamarindus indyca) علي تربة طمي الوديان الطينية و التبليدي (Adansniadigtata) و الحراز (A - albida) و السدر (Z. spina Christi) و السنط (A - nilotica) علي بطون الاودية والميعات مع اعداد متناثرة من اشجار قرف الدور (Albiza anthelmin thica) و الكوك (A - torillisor spirocarpa) و الحميض (Selerecarya) و الصباغ (T. hrownii) الصهب (Anogeissus segimber) و الكاكوت (A - Sengal) الهبيل (C. mbretum crndifanum)

(الطور الرابع ١٨٨٢ - ١٩٢٧)

سيادة أشجار الهشاب (A - Senegal) علي التربة الرملية، وسيادة الطلح (A - seyel) و طلح ابيض (A - seyel vor fistula) و والطنضب (Cobiarfis decided) علي تربة طمي الوديان الطينية و التبليدي (Adansniadigtata) و السدر (Z. spina Christi) علي بطون الأودية والميعات مع إعداد متناثرة من أشجار الحميض (Selerecarya) و الصباغ (T. hrownii) الصهب (Anogeissus segimber)، و تناقص في أشجار الكتر (A - mellifera) علي تربة القردود و تناقص في الحراز (A - albida) و القفل (Boswellia papyrifera) و العرد (Alhizziasericoephala) و السنط (A - nilotica) الهبيل (C. mbretum crndifanum) و العريديب (Tamarindus indyca) و ظهور أشجار الهجليج (Balanites aegdtiaca) أشجار الكتر (A - mellifera) علي بطون الأودية واختفاء أشجار قرف الدور (Albiza anthelmin thica) و الكوك (A - torillisor spirocarpa) و الكاكوت (A - Sengal).

(الطور الثالث ١٩٢٧ - ١٩٦٩)

سيادة أشجار الهشاب (A - Senegal) علي التربة الرملية، وسيادة الكثر (A - mellifera) علي تربة طمي الوديان الطينية، وتناقص شديد في الطلح (A - seyel) والعرد (Alhizziasericoephala) و الهبيل (C·mbretum crndifanum) والعرديب (Tamarindus indyca) وظهور شجيرات العشر (Calatropis procera) والمخيظ (Boscia senegalnsis) علي التربة الرملية واللעות (A - nubica) علي تربة القردد

(الطور الثاني ١٩٧٠ - ١٩٩٥)

تناقص شديد في أشجار الهشاب (A - Senegal) علي التربة الرملية، وتناقص الكثر (A - mellifera) علي تربة طمي الوديان الطينية، وتناقص شديد في الطلح (A - seyel) والعرد (Alhizziasericoephala) و الهبيل (C·mbretum crndifanum) والعرديب (Tamarindus indyca)، وزيادة سيطرة شجيرات العشر (Calatropis procera) والمخيظ (Boscia senegalnsis) علي التربة الرملية واللעות (A - nubica) علي تربة القردد

(الطور الأول ١٩٩٦ - حتي الآن)

قليل من أشجار الهشاب (A - Senegal) علي التربة الرملية وتناقص أعداد اللעות (A - nubica) علي تربة القردد وسيادة الكثر (A - mellifera) علي حساب الأنواع الأخرى في تربة طمي الوديان الطينية، وظهور مساحات واسعة خالية من الغطاء النباتي الشجري في التربة الرملية وتربة القردود واختفاء معظم النباتات المعمرة والنباتات المنتجة للأخشاب المستديرة والكتل الصالحة للنشر

المصدر: الباحثون. العمل الميداني ٢٠١٩ م

- (تصميم النموذج مستوحى من حاج علي ١٩٩٩ وسيف الدين ١٩٧٢ والشيخ ٢٠٠٦)

التوصيات: أوصت الدراسة بالآتي:

- ١ - الي ضرورة الاهتمام بالقياسات والدراسات فيما يتعلق الغطاء النباتي
- ٢ - العمل علي أشاء وتطوير نظم إنذار مبكر للتنبؤ بتدهور الغطاء النباتي
- ٣ - تطوير عينات من النباتات المحلية ذات الإنتاجية العالية وتتميز بمقاومتها للجفاف
- ٤ - مراعاة الخصوصية المناخية للمناطق المدارية الواقعة تحت تأثير الجفاف بتحسين أنماط استخدام الأرض لتخفيف الضغط الواقع علي الغطاء النباتي الشجري بتقليل التزاماته البيئية تجاه الإنسان والحيوان وذلك بتوفير مصادر أخرى لتغذية الحيوان وتوفير الطاقة ومدخلات السكن.
- ٥ - إعادة تقييم المشروعات العاملة في تعمير حزام الصمغ العربي ووضع الضوابط المناسبة مع مكونات البيئة النباتية بالحزام.

قائمة المراجع:

- ١-أمين التوم. مهدي. ٢٠٠٥. أسس الجغرافيا الطبيعية. مطبعة جامعة السودان المفتوحة. الخرطوم.
- ٢- الأمين الشيخ ٢٠٠٢ الأمين الشيخ. عبد العزيز. ٢٠٠٢. الهشاشة والفقر في المجتمعات الريفية. دراسة حالة محافظة بارا. رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة الخرطوم. السودان
- ٣-بيومي.. عبد العزيز. ٢٠٠١. غابات السودان في مائة عام. الهيئة القومية للغابات. الخرطوم.
- ٤-حاج علي ١٩٩٩. حاج علي. محمد احمد. ١٩٩٩. الإبعاد الايكولوجية لاستغلال أشجار الاكشيا في الأراضي الجافة. رسالة دكتوراه غير منشورة. كلية الآداب. جامعة الخرطوم
- ٥-الحفيان. عوض إبراهيم عبد الرحمن ١٩٩٥. أسس التنمية الريفية ودور الزراعة في السودان. دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر. الخرطوم.
- ٦- حمدوك. عبد الله ادم ١٩٨٥. دراسة ميدانية عن الجفاف والتصحر في شمال شرق اقليم كردفان. ورقة بحثية مقدمه لورشة العمل القومية لدرء اثار الجفاف. الهيئة القومية للغابات. ١٢ - ١٤ فبراير ١٩٨٥. المطبة الحديثة. الأبيض.

- ٧-ديكارب. ١٩٧٦. برامج مكافحة زحف الصحراء وإصلاح أثاره. الإدارة العامة للموارد الطبيعية. الخرطوم. السودان.
- ٨-زهران. محمود عبد القوي ١٩٩٨. علم البيئة النباتية وتطبيقاتها. مطبعة جامعة المنصورة. مصر
- ٩-ند. حسن عبد الرحمن. ١٩٨٤. الدور الاحيائي للغابات في محاربة التصحر. ورقة بحثية مقدمة لسياسة وقوانين الغابات. مركز أبحاث الغابات. سوبا.
- ١٠- سيف الدين. أبو القاسم. ١٩٧٢. ظواهر زحف الصحاري والحماية منها مع الإشارة الى موضوع حماية نطاق الصمغ العربي في السودان. ورقة علمية مقدمة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- ١١- الشلش. علي حسين. ١٨٨٥. جغرافيا التربة. منشورات جامعة البلقاء. بغداد. العراق.
- ١٢- الشيخ. الشيخ عبد الله. ١٩٩٨ لا. النباتات المنتجة للاصماغ في السودان. ورقة بحثية مقدمة للمنتدى العالمي لبحوث الغابات. قاعة وزارة الزراعة الاتحادية. ٤ - ٥ أكتوبر ١٩٩٨
- ١٣- الشيخ. حسن احمد حسن. ٢٠٠٦. الجفاف الطبيعي وتأثيره في الغطاء النباتي الشجري في البيئات شبه الجافة من الساحل الإفريقي. دراسة حالة حزام الصمغ العربي. رسالة دكتوراه. جامعة بخت الرضا.
- ١٤- الصقار. فؤاد محمد ١٩٦٨. جغرافيا الموارد والإنتاج. دار المعارف للنشر. القاهرة.
- ١٥- عبد الماجد. طلعت دفع الله عبد الماجد. ٢٠٠١. التنوع الإحيائي في الغابات واثره علي علي منتجات الغابات. الهيئة القومية للغابات. السودان.
- ١٦- عبد المقصود. زين الدين. ١٩٧٤. البيئة والإنسان علاقات ومشكلات. دار المعارف المصرية. القاهرة.
- ١٧- فايد. يوسف عبد المجيد. ١٩٨٩. جغرافيا المناخ والنبات. دار النهضة المصرية. القاهرة.
- ١٨- فوجت. كيس. ١٩٩٥. المرشد الحقل للتعرف علي أشجار وشجيرات المناطق الجافة في السودان. ترجمة. كمال حسن بادي. الهيئة القومية للغابات. الخرطوم

References:

- 1- Bade. Kamal Hassan. 1990. protection Against Fire in Low Rain Full، Savanna Region of the Sudan. Khartoum
- 2- Seif El din.A.G. 1971.the Natural Regeneration of Acacia Senegal. willed M.S.C. U of K.
- 3 - Bayoumi.A.M. 1989. Gam Arabic Belt.Rehabilitation in the Republic of the Sudan. fur the project Unit of the Minister of Finamce and Economic Planning. the Republic of the Sudan.
- 4 - Beotm.G.A 1965 Studty of the Gam (Acacia Senegal) and the Supply of Other Forest Produce in Relation to Land Use Planning. Khartoum
- 5- Blunt.H.S. 1926 Gam Arabic With special refrence to its production in the Sudan. Oxfrd Universty Press.London.
- 6- Hassan.T.A. 1999. Some Aspeets of Environmental Desecration in north Kordofan Stats. M.S.C. U of K - Kimmel.H.D.(1970|). Experimental Principles and design in psychology. New York, Mann, London
- 7- Mohomed D، E (2001) the management indlcaters of forest open range lands in semi - Arid Areas west of Eldueim white Nilestate atthesis M.S.C uof k.
- 8- Rodis H.C and others (1963): Availability of Ground water in Kordofan province. London.Oxford press.
- 9- Sid Ahmed.A.O (2004) the main Ecology، Butterworth Heine.
- 10- Yusuf. E. A.(1996) Understanding and Measuring Vegetation Changes in Sudan. Khartoum Warmald.A.T. 1984.Sheikan land use planned Peugeot A.D.S.. Khartoum



المستجدات العلمية والاجتماعية للعالم الاسلامي خلال العصر العباسي

إعداد/ د. زينب محمد حامد

تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط - جامعة نواكشوط العصرية

مقدمة

لم يكن ظهور الخلافة العباسية هو مجرد انتقال للحكم من الأمويين إلى العباسيين، بل هو تغير شامل في كل مقومات الدولة الإسلامية؛ بحيث شهدت هذه الأخيرة ازدهارا ملحوظا في كل الميادين، مما جعلها تكون متميزة ومختلفة عن سابقتها الأموية، وخاصة أنها قامت لفترة طويلة من الزمن، وهو ما أدى بالمؤرخين والأدباء إلى إطلاق تسمية «العصر الذهبي عليها»، وذلك أنها سجلت نهضة علمية كان لها أثر بالغ على كل الميادين الأخرى على رأسها الجانب الاجتماعي، نظرا لاتساع رقعتها الجغرافية، وتنوع نسيجها البشري والديني.

ففي الجانب العلمي نجد أنها عرفت عددا من العلوم الجديدة التي لم يعرفها أو يهتم بها العرب والمسلمين قبلها، وظهر عدة علماء ذاع صيتهم إلى يومنا هذا، وانفتحهم على الأمم المجاورة لهم، بالأخص الفرس الذين كان لهم كل الفضل على قيام الخلافة العباسية، بالإضافة إلى كم الهنود واليونان، مما أدى إلى ظهور عادات وتقاليد جديدة على العرب، وأدى إلى تغير المجتمع العباسي.

ونحن في ورقتنا هذه نحاول إلقاء نظرة على الجانبين الثقافي والاجتماعي، وذلك لارتباطهما المباشر، وتأثرهما وتأثيرهما فيما بينهما، وذلك انطلاقا من إشكالية عامة تمثلت في: بماذا تميز الواقع الثقافي والاجتماعي للدولة العباسية؟ وللإجابة عليها كان لزاما علينا التطرق لعدد من الأسئلة الفرعية المساعدة على ذلك منها:

- ما هي أهم المؤسسات العلمية التي تحكمت في العلم والعلماء؟ وما هي أهم العلوم التي اهتم بها العباسيون؟ وأهم علماء هذه الفترة؟

- بماذا تميز المجتمع العباسي؟ أهم التقاليد والعادات المستجدة فيه؟

وللولوج إلى هذا الموضوع اتبعنا المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، فنجد الأول في طبيعة الموضوع وذلك أنه تاريخي محض يتعلق بالتاريخ الإسلامي العباسي، أما الوصفي هو الاعتماد على ما وصفته المصادر والمراجع الخاصة لهذا الغرض، أما التحليل فيظهر في جمع المعلومات ومقارنتها، والتوسع فيها.

الحياة الثقافية والفكرية:

لقد اهتمت الدولة العباسية اهتماما كبيرا بالعلم فبعد استقرار دولتهم بدأت الحركة العلمية اتخذت مكانها وتنمو وتزدهر، وأصبحت بغداد قبلة للعلماء، وطلاب العلم فجاءت الفكرة المؤسسات التعليمية التي تدرجت فيها المراحل التعليمية على حسب الاستيعاب الفكري للشخص.

المؤسسات التعليمية والفكرية في العصر العباسي:

المساجد:

بعد الهجرة إلى المدينة وبناء المسجد النبوي، اتخذ المسجد مكانا، فكان يجلس عقب كل صلاة مع أصحابه ليعلمهم مبادئ لتعليم الدين، والتناقش في أمور دنياهم، فكان المسجد هو النواة الأولى للتعليم وساهم في ازدهار الثقافة فلم يكن المسجد مجرد مكان لصلاة بل تميز بأنه مكان لتعلم العلوم الدينية، وباقي العلوم فظهرت حلقات في المساجد حيث يجلس المعلم وحوله الطلاب يسمعون ويكتبون المعلومات، وكان بعضهم ينتقل من حلقة إلى أخرى فلكل فرع من فروع المعرفة حلقة. حلقة لفقيه، وحلقة لمحدث، وحلقة لقصاص أو مفسر، وحلقة للغوب، وأخرى لنحوي، وثالثة للمتكلم، وكانت حلقات الفقهاء أكثر الحلقات ازدهارا^(١).

فكان كل من ينهي مرحلة التعليم الأولى/الكتاب/ وطلب مزيدا من العلم يتجه فورا إلى المساجد التي كانت بمثابة المدارس الثانوية اليوم من حيث المستوى العلمي، وتنوع الموارد واختلافها، ولم يكن يدرس بكل مسجد أستاذ واحد بل كان المسجد الواحد يجمع أكثر من أستاذ كل يحاضر فيما تخصص فيه، واشتهر به، وتلقى المحاضرات وتدار المناقشات في غير أوقات الصلاة^(٢).

(١) الفليسي بشير رمضان وجمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المدار الإسلامي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٢م، ص: ٢٥٥.

(٢) محمد علي راضي، عصر الاسلام الذهبي - المأمون العباسي - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة، ١٩٧٠م، ص: ٧٣ - ٧٤.

وكان المسلمون يحرصون على بناء مسجد جامع عند إنشاءهم المدن، لأنه مظهر من مظاهر سيدة الدين الإسلامي في الأمصار المفتوحة، وكانت المساجد التي شيدت في بوابة الفتح العربي من أهم المساجد، وكانت المساجد في عهد الدولة الأموية هي كل شيء بالنسبة للخلفاء والولاة وعامة الناس^(١).

المدارس:

جاءت فكرة المدارس من الحلقات التي تدار داخل المساجد لتعلم العلوم، وخاصة العلوم ذات الطابع الديني، ويجمع المؤرخون على أن أول مدرسة نظامية في بغداد تأسست في عام ٤٥٧هـ، والتي يعتبرها المؤرخون أسبق المدارس النظامية ظهوراً. وأول مجمع علي في الإسلام هو ذلك الذي أنشأه المأمون في بغداد وأسماه بيت الحكمة، وأما الثاني فهو المدرسة النظامية والمستنصرية، وهما في بغداد، أسس نظام الملك ١٠٥٦م.

وقد التحقت هذه المدرسة بمكتبة ضخمة كباقي المدارس الأخرى، وزودت بكل غريب ونادر، وكانت هذه المكتبة محط أنظار طالبي العلم والدارسين، فكانوا شديدي العناية بها، ومن المدارس التي اشتهرت، المدرسة المستنصرية ببغداد، وقد بدأ في بنائها سنة ٦٢٥هـ، وتم افتتاحها سنة ٦٣١هـ، واحتوت هذه المدرسة على مكتبة ضخمة نقل إليها من الكتب النفيسة بالإضافة إلى ما نقل إليها بعد ذلك من كتب أخرى، ومن بين العلوم التي كانت تدرس بها «علم الأصول والفروع، علم القوافي وأحاديث الرسول، والفرائض والتركات، وعلم الحساب»^(٢).

أما المدرسة النظامية فنجد أرحالة الأندلسي يقول أنها أعظم مدرسة بين ثلاثين مدرسة تقع في شرق بغداد^(٣).

بيوت الحكمة:

اختلفت الآراء حول من أسس بيت الحكمة العباسي، فالبعض يقول أن مؤسسها الخليفة أبو جعفر المنصور/ ١٣٦ - ١٥٨هـ - ٧٥٣ - ٧٧٤م/، وذلك بسبب اهتمام المنصور بالعلم والعلماء، ويعده هو أول من رغب المسلمين بالاشتغال في العلوم المختلفة إلى جانب الترجمة من الفارسية

(١) علي حسني الخربوطي، الحصار العربية الإسلامية، المطبعة العربية الحديثة - القاهرة، ١٩٧٥م، ص: ٢٤٣.

(٢) شميمستي حسن، مدارس دمشق في العصر الأيوبي، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ١٩٨٣، ص: ١٣.

(٣) علي حسني الخربوطي، الحضارة العربية الإسلامية، ص: ١٧٥.

واليونانية إلى العربية^(١)، وهناك من يقول أنها أسست على يد الخليفة هارون الرشيد/ ١٧٠ - ١٩٣هـ/ نتيجة لما تميز عهده من ازدهار حضاري وعلمي، وخصوصا حركة الترجمة والتأليف، والهدف منها اغناء الفكر العربي بالمزيد من العلوم والمعارف المختلفة، وقام بهذا العديد من العلماء العرب والفرس والسريان، وقد ألفت في عهده العديد من الكتب في التاريخ والفقه والحديث وغيرها، ونتيجة لذلك أصبحت لديه مجموعة كبيرة من الكتب بالإضافة إلى ما جمع منها في عهد كل من عهد المنصور وابنه الخليفة المهدي/ ١٥٨ - ١٦٩هـ/^(٢)، ولذلك شيد الرشيد خزنة عامة لحفظها من الضياع، ومما يؤكد على أن بيت الحكمة قد وجد في عهده. وكانت تضم مكتبات كبيرة ساعدت الطلبة على الارتقاء بأفكارهم كل حسب مجاله، مما جعل هذه البيوت تشهد حلقات نقاش، وأعمال للبحث والترجمة، وكانت مدعومة من طرف الأمراء والخلفاء الذين تنافسوا فيما بينهم لدعم الحركة العلمية، وقد عمل الخلفاء العباسيون على إمداد بيت الحكمة بمختلف الكتب^(٣).

المجالس العلمية: إلى جانب كل تلك المؤسسات كانت هنالك مجالس علمية، التي تعقد في بيوت العلماء لمناقشة المسائل العلمية، كما ظهرت مجالس الخلفاء الذين خصصوا في قصورهم أماكن خاصة لعقد هذه المجالس ليتناقشوا فيها في مختلف الموضوعات، وكان كثير من الخلفاء يشاركون في هذه النقاشات ويبدون آرائهم، في العديد من القضايا، فالخليفة العباسي هارون الرشيد وابنه المأمون مثلاً كانا من مشجعي العلم الكبار، وكان يجتمع في مجلسه الكثير من الفقهاء، ورجال العلم والفلاسفة والشعراء، وهذا حال كثير من خلفاء الدولة العباسية حتى من لم يكن له اهتمامات علمية كان يقدر المنح والعطايا لتشجيع العلم والعلماء.

وقد كان عصر هارون من أزهى عصور العلم في الدولة العباسية لميله لتحصيل العلم والمعرفة والمساعدة على نشرها فهو من أمدّ بيت الحكمة ببغداد بمختلف أنواع الكتب، فأصبح يجمع بالعلماء للترجمة والتأليف والدرس، وجهاز أماكن خاصة للناسخين لنسخ الكتب لأنفسهم ولغيرهم بأجور معينة، واشرف عليه موظف عرف باسم صاحب بيت الحكمة كان الخلفاء يختارونه ممن اتصف بسعة^(٤).

(١) موراني حميد - منتصر عبد الحليم، قراءات في تاريخ العلوم عند العرب، مطبعة وزارة التعليم العالي - الموصل - العراق، ص: ٥٥

(٢) طه سليم التكريتي، التعريب وكبار المعربين في الاسلام، مجلة سومر، ع: ٢٠٢، ١٩٧٦م، ص: ٣٤٦.

(٣) بشير رمضان التليسي، جمال هاشم الذوب، تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، دار المدار الاسلامي، ٢٠٠٢، ص: ٢٢٥.

(٤) نفس المرجع والصفحة.

مجالس المناظرات الكلامية: إن مصطلح المناظرة مشتق من النظر والفكر، والمناظرة لا تقع إلا بين اثنين، من حيث أنها مفاعلة تقتضي وجود طرفين في النظر، وهي في نظر كثير من أصحاب المذاهب مرادف المجادلة^(١).

كان النزاع على المسائل السياسية الطارئة على الجماعة بسبب خلافة علي قد أدى إلى ظهور فرق إسلامية مختلفة، فالخوارج الذين ثاروا على علي في تعصبهم إلى حد تكفير كل مسلم يقترب إحدى الكبائر، ثم ظهر المرجئة الذين قالوا بعدم جواز تكفير المسلم، ثم ظهر المعتزلة، وقد كانت هذه الفرق تعقد مجالس للمناظرة فيما بينهم بحضور كبار العلماء والخلفاء، والطلبة، وذلك حول القضايا التي يختلف حولها خاصة القضايا الدينية، والقوانين الوضعية، كالتوحيد، والإلهية، والجبر والتخيير...

ومما يجب الإشارة إليه أن للخلفاء العباسيين بكم طبيعة دعوتهم السياسية، واستفحال أمر المدينة في أيامهم مجالس حافلة بالأدباء والشعراء والمغنين والندماء، وامتاز العصر العباسي بتقدم مجالس المناظرة، ورونقها وتنظيمها وقيد المناقشات فيها، واهتموا بتزيين عباراتها، وأساليبها، وبلاغتها، وملاحظة قوة الحجة فيها^٢، وقد اشتهر الخليفة المهدي بحبه الشديد للعلم وخاصة الأدب، فكان فصيح اللسان، بليغ القول يحفظ أشعار العرب ويتذوقها ويرددها في مجالسه، وأطلق المهدي مجالسه للشعر والمناقشات والمناظرات^(٣).

كما كان المأمون مثقفا ثقافة فارسية، لأن أمه كانت فارسية، وكان يميل إلى حرية البحث والفكر، مما دفعه إلى إيجاد مجالس للمناظرة حتى يتمكن عن طريقها إزالة الخلاف بين العلماء، وروى القاضي يحيى بن اكنم أنه قال: « أمرني المأمون عند دخوله بغداد أن أجمع له وجوه الفقهاء، وأهل العلم من بغداد فاخترت له من أعلامها أربعين رجلا وأحضرتهم، فجلس لهم المأمون فسأل في مسائل، وأفاض في فنون الحديث والعلم، فلما انفض المجلس، قال المأمون: « يا أبا محمد...إني لأرجو أن يكون مجلسنا هذا بتوفيق الله وتأييده سببا لاجتماع هذه الطوائف على ما أرضى وأصلح للدين^(٤) ».

(١) بركات محمد مراد، ابن حزم ومنهج الجدل والمناظرة، مجلة جذور، السنة: ٥٧، العدد: ١٦، محرم ١٤٢٥ هـ - مارس ٢٠٠٤ م، ص: ٣٣٣.

(٢) أحمد فريد رفاعي، عصر المأمون، ج: ٥٣، دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٤٦ ع - ١٩٢٧ م، ص: ١٧٤ - ١٨١.

(٣) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة، ١٩٦٤ م، ص: ٢٥٤.

(٤) على إبراهيم حسن، التاريخ الاسلامي العام الجاهلي للدولة العربية والدولة العباسية، مكتبة النهضة العربية - القاهرة، ١٩٦٠ م، ص: ٤٠٢ - ٤٠٤.

وكانت مجالس المناظرات في عهد المأمون سببا كبيرا من أسباب الرقي العلمي، فقد حفزت العلماء للبحث والنظر، وحملتهم على الجد في تصفية المسائل حتى ظهوروا في هذه المجالس مظهر الخبر الثقة الدقيق النظر، وحتى لا يفشلوا فيكون في هذا الفشل القضاء عليهم/ وكان العلماء يطيلون النظر ويعدون العدة الطويلة لمثل هذا الموقف^(١).

العلوم الفكرية والعلمية المدروسة

شهدت الخلافة العباسية نهضة علمية على مستوى كل المجالات المعرفية، فظهرت الكثير من العلوم خاصة الدينية التي لاقت اهتماما كبيرا بالمقارنة بالعلوم الدنيوية، وعلى إثرها انقسمت العلوم إلى نقلية وعقلية، ولكل منها منهجا خاصا بها، ونظرا لاتساع الرقعة الجغرافية للدولة، مما ساهم في تنوع مظهرها الثقافي من حيث اللغة والعادات والتقاليد.

ف نجد أن الباحث في العلوم النقلية ليس له إلا أن ينقل ويروي، فالمفسر والمحدث يرويان ما تلقياه عن طائفة أخرى مرفوعة إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وليس للغوي أن ينقل اللغة والأدب من العرب، أو عن من سمع منهم مباشرة أو بواسطة^(٢)، لكن هذا العصر شهد نوعا من التحديث في هذه العلوم، وذلك أن العلماء سمحوا لأنفسهم أن يعتمدوا على العقل والمنطق في التدليل على ما يذهبون إليه، فأصبح المحدد يحكم على هذا الحديث أو ذاك، بأنه موضوع لأنه يخالف العقل والمنطق، وأصبح يفتي في مسألة فقهية لم يرد فيها نص صريح باجتهاده وتفكيره^(٣).

فظهر في بغداد عدد كبير من المؤلفات العلمية التي ساهمت في نشر العلم العربي والإسلامي في مختلف الآفاق، وعاش فيها أعظم علماء العرب والمسلمين الذين قدموا مؤلفاتهم القيمة في جميع المجالات، وتشمل العلوم النقلية:

علم القراءات: الذي وضع مقاييس لقراءة القرآن حتى تكون، ويرجع السبب في ظهور بعض هذه القراءات إلى خاصية الخط العربي، إذ أن الرسم الواحد للكلمة الواحد يقرأ بأشكال مختلفة تبعا للنطق فوق الحروف أو تحتها^(٤)، ومن أشهر القراءات في العصر العباسي: يحيى بن الحارث الدماري المتوفى سنة ١٤٥هـ - ٧٦٢م، وحمة بن حبيب الزيات المتوفى ١٥٦هـ - ٧٧٢م، وخلف ابن

(١) أحمد أمين، ظهر الاسلام، ج: ٤، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، ١٩٦٢، ص: ٥٩

(٢) أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، ج: ٣، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، ١٩٧٨م، ص: ٢٣٧.

(٣) بالتصرف: أحمد شلبي، المرجع نفسه، ج: ٣، ص: ٢٣٧.

(٤) حسن ابراهيم حسن، ج: ٢، ص: ٣٢٤.

هشام البزار المتوفى ٢٢٩هـ - ٨٤٣م، وابن الخشاب البغدادي، الذي اشتهر بالقراءات والحديث والنسب والفرائض والتفسير والحساب، وقد حفظ القرآن وقرأه بالقراءات^(١).

علم التفسير: لاشك أن العرب الذين عاصروا نزول الوحي قد أدركوا معاينة ووقفوا على الأسباب التي أدت إلى نزول آيات قرآنية غير آن باقي الأمم الإسلامية، كان يصعب عليهم إدراك معنى آليات وأسباب نزولها، لهذا نشأ علم التفسير، واتجه المفسرون في تفسير القرآن اتجاهاين، يعرف أولهما باسم «التفسير بالمأثور»، وهو ما أثر عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكبار الصحابة، وثانيهما باسم «التفسير بالرأي»، وهو ما كان يعتمد على العقل أكثر من اعتماده على النقل^(٢)، ومن أشهر مفسري العصر العباسي «الشريف العلوي المعروف بعلم الهدى المرتضي المتوفى سنة ٤٣٦هـ، وكانت له آمالي في الشعر والأدب دقيقا شرحها شرحا من تفاسير أئمة المعتزلة مفسري المعتزلة في هذا العصر العباسي أبو يونس عبد السالم القزويني توفي ٤٨٣هـ وقد فسر القرآن.

علم الحديث: ومن أهم مصادر التشريع الإسلامي الحديث، وهو ما أثر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من قول أو فعل أو تقرير، ويأتي في الأهمية بعد القرآن الكريم، وقد جمع البخاري نحو ٧٢٥٧ حديثا بما فيها الأحاديث المكررة، وفي القرن الثاني للهجرة أخذ العرب يدونون الأحاديث النبوية، مما أدى إلى ظهور أئمة الحديث واشتهر منهم الإمام مالك، والبخاري، ومسلم، والقشيري^(٣).

علم الفقه: هو أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكرهية والإباحة، وهي معتمدة على الكتاب والسنة، ظهر في العصر العباسي بعض أعلام الفقهاء الذين كونوا لهم مذهبين في الفقه، إلا أن هذه المذاهب لم يقدر لها الذيوع أمام المذاهب الأربعة، ومن فقهاء هذا العصر داود الظاهري، ويعرف أتباعه بالداودية أو «الظاهرية» جعلوا المدارك منحصرة في التصوف والإجماع وردوا القياس إلى النص، وبذلك خرج داود على علم الأصول والقواعد الفقهية التي وضعها أئمة المذاهب الأربعة ولا سيما الإمام الشافعي^(٤)، الذي قام ببحث أوسع من سابقه في أصول الفقه.

(١) ابن خلكان شمس الدين، وفيات الاعيان وانباء الزمان، ج: ٢، تح: احسان عباس، دار الثقافة، ص: ٢٨٨.

(٢) المرجع السابق، ص: ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٣) حسن ابراهيم حسن، المرجع نفسه، ج: ٢، ص: ٣٣٠.

(٤) المرجع نفسه، ص: ٤٢٥.

علم الكلام: ويقصد به الأقوال التي تصاغ على نمط منطقي أو جدلي، وعلى الأخص المعتقدات، كما يسمى العاملون على هذا العلم بالمتكلمين، وبعدها أصبح يطبق على كل من يخالف المعتزلة ويتبعون أهل السنة والجماعة^(١).

علم الأدب: شهد حركة قوية في هذا العصر وذلك بسبب انتهاج مناهج جديدة في مواضيع الشعر وموضوعاته وأساليبه، وكان أشهرهم أبو فراس الحمداني، الذي نظم في الخمر والغزل والصيد.

بالإضافة إلى اختلاف صورة الحياة في العصر العباسي، واختلاف قيم الأشياء، واحتكاك العرب بالفرس وثقافتهم عامة والشعر خاصة، إلى جانب التأثير بالثقافات الأجنبية بصفة عامة، وانتشار الشعوبية، وتشجيع الخلفاء لهذا الاختلاف وتنميته^(٢).

علم النحو: برزت الحاجة إلى علم النحو بعد الفتوحات الكبرى التي حققها العرب، واختلاطهم بغيرهم من الأمم أدى إلى فساد اللسان العربي، فاندفع عدد من الحريصين على اللغة وسلامتها إلى وضع قواعد وأسس اللغة العربي، وكان أوله هؤلاء أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي، ثم تلميذه نصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز فوضعوا للنحو أبواباً وأصول، وظهر في العصر العباسي الخليل ابن أحمد الفراهيدي زمن الخليفة هارون الرشيد، وأخذ عنه سبويه فأكمل تقاريعها، ووضع فيها كتابه المشهور الذي صار قدوة لمن كتب في النحو من بعده، ثم برز عدد من العلماء منهم أبو علي الفارسي، وأبو قاسم الزجاج، وكل تلك الجهود كانت تهدف للمحافظة على سلامة اللغة دون لحن، لأن ذلك يؤثر في القراءات لاسيما في كتاب الله^(٣).

هذا بالإضافة إلى هذا نجد ابن خلدون مصنفاً للعلوم بقوله: العلوم صنفان: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بالفكر... وهو يشمل العلوم الحكيمة الفلسفية وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها^(٤) وهو يقصد هنا العلوم العقلية التي تشمل الطب والكيمياء والفلسفة، والصيدلة الرياضيات والفلك، وهذه العلوم ارتبطت بعقل الإنسان وتفكيره، لما فيها من معلومات دقيقة وتجارب علمية ومسائل حسابية، وقد

(١) محمد ابن اسحاق النديم، الفهرست، د.ت، ص: ٢٦٣.

(٢) بشير رمضان التليسي، المرجع نفسه، ص: ٢٧٥.

(٣) بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص: ٢٧٦.

(٤) بالتصرف: حسن ابراهيم حسن، المرجع نفسه، ص: ٢٦٤.

استفاد العالم من تجارب العلماء المسلمين في هذه العلوم، الذين رعاهم وشجعهم الخليفة المأمون، وانقطعوا للعمل في المكتبة الشهيرة بيت الحكمة في بغداد^(١).

علم الفلسفة: ولما كان عهد الخليفة المأمون عرفت الفلسفة خاصة نوعاً من الاهتمام، فقد لمعت نجوم عدد من الفلاسفة العرب وفي مقدمتهم أبو يوسف يعقوب الكندي «فيلسوف العرب»، والذي لم يقتصر على تعريف العرب بالفلسفة الأرسطوطاليسية والأفلاطونية الجديدة من طريق الترجمة والاقتراس فحسب، بل عدا ذلك إلى توسيع آفاقهم العقلية بما أخرج من دراسات في التاريخ الطبيعي، وعلم الظواهر الجوية مكتوبة بروح تلك الفلسفة، والواقع أن الكندي قد أثبت «أنه ابن بيئته عندما اعتنى بالتنجيم وبكشف الغيب»^(٢).

علم الطب: وفي بغداد أيضاً التقى الطب اليوناني بالطب الهندي على صعيد واحد، فقد سبق لهارون الرشيد نفسه أن استدعى مرة الطبيب الهندي «منكه» إلى بغداد، كما سبق للبرامكة أن أمروا بنقل بعض كتب الطب الهندية إلى اللغة العربية، فلما كانت خلافة المأمون لقيت هذه الجهود كلها عطفاً منه ورعاية، فلقد حاول أن يجمع في مكتبة بلاطه الموسومة بيت الحكمة، كنوز العلوم الإسلامية إلى كنوز العلم الأجنبية، وأمر بأن تشتري المصنفات اليونانية من آسيا الصغرى^(٣).

الرياضيات وعلم الفلك: فقد كان لهما اهتمام واسع في بغداد، فنجد أن الحجاج بن يوسف بن مطر للخليفة المأمون مصنفات إقليدس، وكتاب بطليموس الشهير عند العرب بالمجسطي، وكان قد رفع إلى الرشيد ترجمة لكتاب «الاسطقات»، وسبقه إبراهيم الفزاري أن ترجم للمنصور كتاب الفلك الهندي «السند هند»، وجاء بعده محمد الخوارزمي فملخصه للمأمون، واقتبس كتاب «بطليموس في صورة الأرض» أول كتاب في الجبر، وكان للمأمون معرفة بالمشكلات العلمية في علم الفلك^(٤).

علمي التاريخ والجغرافيا: ومن أهم المصادر التاريخية الأحاديث النبوية والقرآن الكريم، والشعر الذي أثر عن العصر النبوي، مثل شعر حسان بن ثابت الذي نظم القصائد الكثيرة في مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم -^(٥)، أما الجغرافيا فقد عرفت عند العرب قبل الإسلام خاصة بما

(١) المرجع نفسه. ص: ٤٢٥.

(٢) المرجع نفسه، ص: ٢٠٣.

(٣) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فاؤس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط: ١٩٦٨، ٥٥، ص: ٢٠٣.

(٤) بتصرف: المرجع نفسه، ص: ٢٠٤.

(٥) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج: ٢، ص: ٢٨٩.

يتعلق بالأنواء وعلم النجوم لمعرفة الجهات والمسالك والطرق، ومدى أهميتها في التبادل التجاري، وبعد الإسلام زادت أهمية هذا العلم نظرا للحاجة إليه في العبادة والحج وطلب العلم.

الترجمة والتعريب: توسعت حركة الترجمة في الدولة العباسية بمساعدة الفرس، كنتيجة لاختلاط العنصر العربي والفارسي، ورغبة العرب في الاطلاع على علوم الفرس واليونان، فوجد عناية هارون الرشيد بعد أن وقعت في حوزته بعض المدن الرومية الكبرى، فأمر بترجمة ما عثر عليه المسلمون من كتب اليونان، شجع البرامكة لفعل ذلك^١. عكف العربون في عصر المأمون على تعريب أمهات الكتب من اللغات السنسكريتية والفهلوية واليونانية والسريانية، وبرز منهم في بيت الحكمة، حنين بن إسحاق، وقد عرب كثيرا من آثار جالينوس وأرسطو وأفلاطون وغيرهم...^٢

الحياة الاجتماعية:

كان المجتمع العباسي عبارة عن خليط من الأجناس المتباينة، منهم العرب والأترار والفرس، مما أدى إلى تغير جذري في مميزات المجتمع العربي بصفة عامة، فلاحتماك هذه الأمم إلى ظهور عادات وتقاليذ جديدة، شملت الملبس والمأكّل والمشرب وحتى المناسبات والأعياد، وبالتالي قوي نفوذ الفرس بالأخص في المجتمع العباسي.

طبقات المجتمع العباسي:

يمكن تقسيم هذا المجتمع إلى ثلاث طبقات هي: الطبقة الخاصة والوسطى والعامة.

الخاصة: وتضم الطبقة الحاكمة التي تسيطر على مقاليد الحكم في البلاد، إلى جانب كبار الموظفين والقواد والقضاة والكتاب والحجاب، وما ميز هذه الطبقة هي ميولها للترف، وحب المظاهر الملوكية، بحكم تأثرها بتقاليد الفرس القديمة، وكذلك التألق في الحياة وتشيد المساكن والمباني وإقامة القصور^(٣).

الطبقة الوسطى: تشمل فئات من الناس أقل نسبيا في المستوى الاجتماعي من الطبقة الخاصة، ومن هؤلاء المؤدبون والوعاظ والشعراء والمغنون والأطباء^(٤).

(١) ابن النديم، المصدر نفسه، ص: ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٢) بالتصرف: محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس للطباعة والنشر - لبنان، ط: ٢٠٠٩، ص: ٧٠.

(٣) عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب - العصر العباسي الأول -، ج: ٣، مؤسسة شباب الجامعة - الاسكندرية، ١٩٩٣م. ص: ٢٩٥.

(٤) المرجع نفسه، ص: ٣١٠.

العامة: تشمل الفلاحين؛ حيث اهتم الخلفاء العباسيون بطبقة الزراعة وعملوا على عدم إرهابهم بالضرائب، ففي عهد أبي جعفر المنصور تم إلغاء الضريبة النقدية التي كانت تفرض على الحنطة والشوفان، واستبدالها بنظام المقاسمة؛ أي دفع نسبة خاصة من المحصول^١، بالإضافة إلى الشطار والعيارين والمهنيون وأهل الذمة الذين عاشوا في هذه الدولة واسند تاليهم وظائف كثيرة جعلتهم يمثلون فئة لها وزنها في المجتمع الإسلامي^(٢).

خصائص المجتمع وميزاته:

قامت الدولة العباسية على أكتاف الفرس خاصة، والشعوب عامة، والعرب المناهضين للدولة الأموية، وأصبح الأعاجم عنصراً من العناصر الكثيرة التي احتوتها الدولة العباسية، ونقلت عاصمة الدولة من دمشق إلى بغداد على حدود فارس، وبجوار مدائن كسرى، فتحول بذلك وجه الدولة عن البحر المتوسط، واتجه شط فارس، وبذلك تحولت العادات والتقاليد الفارسية صوب البلاد العربية، وتأثر العرب بأساليب الفرس في الحرب، وتنسيق الدواوين، ونظم الحكم والحياة الاجتماعية المتمثلة في: الأكل والمشرب، الملبس. وتأسيس القصور والأعياد، ومجالس اللهو الطرب، وانغمس الناس في حياة اللهو والترفيه نتيجة للتوسع الاقتصادي، والذي بدا واضحاً في حياة القصور، فقد تفنن الناس في مآدب ومجالس الشراب والنزعات إلى البساتين ورحلات الصيد، فقد أصبحت قصور الخلفاء مقراً للجواري والغلمان من الفرس والروم والآثراك، الذين أصبحوا عنصراً أساسياً في حياة الخلفاء الذين انغمسوا في حياة اللهو والطرب التي تعد مظهراً من مظاهر الخلافة في ذلك الوقت وقد تناول كثير من الشعراء تلك الحياة اللاهية كالبحثري وابن معتر وكذلك ابن الرومي الذي تطرق إلى تلك الحياة وغيرها في العصر العباسي مخرجاً بذلك صورة المجتمع العباسي^٣ وعكست احتفالات حفلات الزواج مظهراً هاماً للحياة الاجتماعية، إذ كان العباسيون يعنون عناية فائقة بها، ويتجلى إصراف خلفاء العصر العباسي وبذخهم بما فعله الخليفة المهدي عند زواج ابنه هارون بالسيدة زبيدة، فقد أقام يوم زفافها وليمة لم يسبق إليها أحد في الإسلام، ووهب للناس في هذا اليوم أواني الذهب مملوءة بالذهب والمسك والعنبر، وزينها من الحلي والجواهر^(٤).

(١) رفاق تقسي الدين عارف، العامة في بغداد في العصر العباسي الأول والثاني - ١٣٢ - ٣٣٤هـ/ ٧٤٩ - ٩٤٦م - مج: ٧، كلية التربية ابن رشد - جامعة بغداد، ج: ٢٥، ٢٠١١م، ص: ١٥٣.

(٢) عبد العزيز سالم، المرجع نفسه، ص: ٣١٠.

(٣) العش يوسف، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م، ص: ٢١٨.

(٤) نفس المرجع. ص: ٢١٨.

ومن المناسبات العائلية ذات الشأن الكبير عند العباسيين الاحتفال بالمولود الجديد، فإذا وضعت الأم مولودها أقبلت عليه النساء بالتهنئة وتدوي المزامير والأبواق على أبواب المنزل، بالإضافة إلى الاحتفال بختان الأطفال حيث تقام ولائم كبيرة لهذا الحفل^(١)، إلى جانب الاحتفال بالأعياد الدينية عيدي الفطر والأضحى، وغيد مولد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويوم عاشوراء، وهو يوم يحتفل به المسلمون والنصارى واليهود على حد سواء وكل منهم له فيه مناسبة خاصة^(٢).

وإلى جانب الأعياد الإسلامية احتفل العباسيون بالأعياد الفارسية بحكم اختلاطهم وتأثرهم بهم، ومنها: عيد النيروز الذي كان يحتفل به في بداية كل ربيع، ولم يكن يحتفل بهذا العيد إلا الفرس بل كان جميع الناس في الدولة العباسية يحتفلون به^(٣)، وكان هناك عيد آخر هو عيد المهرجان الذي يأتي في المرتبة الثانية في تسلسل الأعياد الفارسية الرئيسية؛ حيث يحتفل به بعد عيد النيروز بمائة وأربع وتسعين يوماً، ويكون في أول أيام الشتاء في السادس والعشرين من أكتوبر من كل عام، ويستمر الاحتفال به ستة أيام، ويسمى اليوم السادس منه بالمهرجان الأكبر^(٤)، وبهذا يكون المجتمع العباسي قد شارك الفرس في أعيادهم، وأقاموا لذلك احتفالات كبيرة ومتعددة، وجعلوا منها أعياداً رسمية للدولة.

ومن أدوات التسلية والترفيه التي كانت محبة لدى كل الطبقات: الصيد حيث كانوا يصطادون الطيور والأسماك، ومنهم من أصبح الصيد لديه حرفة، كما كانوا يمارسون الفروسية، وركوب الخيل نظراً لفوائدها الكثيرة التي تعود على شخصية المسلم؛ حيث تعلمه الصبر وتقويه على العزيمة وتنمي قواه العقلية والجسدية^(٥)، كما أن أبا جعفر المنصور كان محباً للصيد ومشجعاً له، وكان يقترب من كل مغرم بهذه الرياضة^(٦).

إلى جانب السباحة حيث كان الأولاد يقضون أوقات فراغهم قرب النهر للسباحة، فشغف بها الناس شغفا شديداً وأقبلوا على إتقان مهارتها وفنونها المختلفة بشوق كبير، وأحدثوا فيها طرائف

(١) بشير رمضان التليسي، المرجع نفسه، ص: ٢١٩.

(٢) عبد الرحمن حسين الغزاوي، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار الخليج، عمان، ط: ١، ٢٠١١م، ص: ١٦٨.

(٣) بالتصرف: عبد العزيز سالم، المرجع نفسه، ج: ٠٣، ص: ٣٢٩.

(٤) بالتصرف: المرجع نفسه، ص: ١٩٣ - ١٩٤.

(٥) كامل طه الويس، رياضة الصيد والقنص في العصر العباسي، مجلة التربية الرياضية، مج: ١١، جامعة بغداد، ع: ٢٠٠٢م، ص: ١٥ - ١٦.

(٦) بالتصرف: إبراهيم سلمان الكروي، طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول، مركز الاسكندرية، ٢٠٠٨م، ص: ٤٢ - ٤٨.

كما كانت تجري سباقات للسباحة في نهر دجلة، وتقدم جوائز للفائزين كتشجيع وتحفيز لهم^(١).

خلاصة:

يمكن أن نسجل عددا من النتائج المتعلقة بالحياة الثقافية والاجتماعية المتعلقة بالدولة العباسية التي مثلت عهدا طويلا من التاريخ الإسلامي، والتي اعتمدت في تطورها وتوسعها على عدد من المقومات أهمها الجانب العلمي على مثله عدد من العلماء من خلال:

- بتشجيع عدد من الخلفاء؛ بحيث لا يكاد يخلوا مشوار خليفة من خلفائها من بصمته في الجانب العلمي وتقربه من العلماء والطلبة باختلاف تخصصاتهم، ولا شك أن انتشار المكتبات العامة في إرجاء العالم الإسلامي آنذاك، وتسخيرها لخدمة طلبة العلم، وعلى رأسها مكتبة « بيت الحكمة» في بغداد التي أدت رسالة علمية ذات صبغة محلية وعالمية، واعتبرت مقصدا لمختلف العلماء بمختلف مشاربهم، والتي أثبتت فضل الخلافة العباسية على التعليم والعلماء، إلى جانب المؤسسات التعليمية التي أتيحت في هذا العصر كالمساجد والمدارس النظامية، والمجالس العلمية ومجالس المناظرات التي انتشرت في كامل الولايات العباسية، وساهمت في ظهور عدد من العلماء والمتكلمين.

- كما تميز المجال العلمي في الدولة العباسية بانقسام العلوم إلى نقلية وعقلية، ولكل منها أدواته ومناهجه الخاصة به للبحث والتأليف، كما عرف المجتمع العباسي اهتمامها بالعلوم الدينية التي أوجدوا لها مناهج جديدة عن طريق إخضاعها للعقل والمنطق.

- انتشار حركة الترجمة وتشجيع الخلفاء لها خاصة أبي جعفر المنصور وهارون الرشيد، والمأمون الذين وفروا العديد من الكتب أعجمية. وخصصوا لها امهر المترجمين لترجمتها، وفي كل المجالات خاصة الفلسفية منها، والحساب، والطب...

أما المجتمع العباسي كان مقسما من ناحيتين:

١ - الناحية الدينية: حيث يوجد عامة المسلمون، ومن ثم الموالي وهم العبيد المعتنقين المسلمين، ومن ثم أهل الكتاب وهم عموم رعايا الأديان التي اعترف بهم الإسلام، وأخيرا الرقيق وهم العبيد والجواري الذين كانوا يباعوا ويشترى أو يأسروا في عهد الدولة العباسية.

٢ - الناحية الثانية التي صنف المجتمع خلالها هي الطبقات الاجتماعية على رأسها طبقة الحكام والتي تشمل الخلفاء والأمراء و السلاطين والولاة والوزراء وقادة الجيش علماء الدين

(١) كامل طه الويس، المرجع نفسه، ع: ٠٤، ص: ٠٧.

والفقهاء، والطبقة العامة التي تمثلت في فلاحين، والشطار والعيارين، والمهنيون، وأهل الذمة الذين كانت تجارتهم تقوم على الرقيق أو المجوهرات وغيرهما. وقد تميزت هذه الحقبة بالثراء والبذخ وتذوق الفنون، كما عرفت تنوعا على مستوى المأكّل والمشرب، والألبسة، ومختلف الاحتفالات الأسرية، والأعياد المسيحية والفارسية التي كانت تقام في الدولة العباسية ولاياتها.

قائمة المراجع

- ١ - الفليسي بشير رمضان وجمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المدار الإسلامي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٢م
- ٢ - محمد علي راضي، عصر الاسلام الذهبي - المأمون العباسي - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة، ١٩٧٠م
- ٣ - علي حسني الخربوطي، الحضارة العربية الإسلامية، المطبعة العربية الحديثة - القاهرة، ١٩٧٥م
- ٤ - شمسيتي حسن، مدارس دمشق في العصر الأيوبي، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ١٩٨٣.
- ٥ - موراني حميد - منتصر عبد الحليم، قراءات في تاريخ العلوم عند العرب، مطبعة وزارة التعليم العالي - الموصل - العراق.
- ٦ - طه سليم التكريتي، التعريب وكبار المعربين في الاسلام، مجلة سومر، ع: ٠٢، ١٩٧٦م.
- ٧ - بشير رمضان التليسي، جمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٢.
- ٨ - بركات محمد مراد، ابن حزم ومنهج الجدل والمناظرة، مجلة جذور، السنة: ٠٧، العدد: ١٦، محرم ١٤٢٥هـ - مارس ٢٠٠٤م.
- ٩ - احمد فريد رفاعي، عصر المأمون، ج: ٠٣، دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٤٦ع - ١٩٢٧م.
- ١٠ - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة، ١٩٦٤م.
- ١١ - على ابراهيم حسن، التاريخ الاسلامي العام الجاهلي للدولة العربية والدولة العباسية، مكتبة النهضة العربية - القاهرة، ١٩٦٠م.

- ١٢ - أحمد أمين، ظهر الاسلام، ج: ٠٤، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، ١٩٦٢.
- ١٣ - أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، ج: ٠٣، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، ١٩٧٨ م.
- ١٤ - ابن خلكان شمس الدين، وفيات الاعيان وانباء الزمان، ج: ٠٢، تح: احسان عباس، دار الثقافة، د.ن.
- ١٥ - محمد ابن اسحاق النديم، الفهرست، د.ت.
- ١٦ - كارل بروكلمان، تاريخ الشعوبية الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فاؤس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط: ٠٥، ١٩٦٨ م.
- ١٧ - بالتصرف: محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس للطباعة والنشر - لبنان، ط: ٠٧، ٢٠٠٩ م.
- ١٨ - عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب - العصر العباسي الأول -، ج: ٠٣، مؤسسة شباب الجامعة - الاسكندرية، ١٩٩٣ م.
- ١٩ - رفاق تقسي الدين عارف، العامة في بغداد في العصر العباسي الأول والثاني - ١٣٢ - ٣٣٤هـ/ ٧٤٩ - ٩٤٦ م - مج: ٠٧، كلية التربية ابن رشد - جامعة بغداد، ع: ٢٥، ٢٠١١ م.
- ٢٠ - العش يوسف، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءا من فتنة عثمان، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥ م.
- ٢١ - عبد الرحمن حسين العزاوي، تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، دار الخليج، عمان، ط: ٠١، ٢٠١١ م.
- ٢٢ - كامل طه الويس، رياضة الصيد والقنص في العصر العباسي، مجلة التربية الرياضية، مج: ١١، جامعة بغداد، ع: ٠٣، ٢٠٠٢ م.



السودان ما بين مطرقة سد النهضة وسندان التصحر - دراسة تحليلية Sudan between hammer of the Renaissance Dam and The anvil of desertification- an analytical study

إعداد

إبراهيم عبد اللطيف عبد المطلب خوجلي

أستاذ مشارك - جامعة كسلا - كلية التربية - قسم الجغرافيا - السودان.

(E:mail: ahasi@hotmail.com)

دنيا السيد عشري حسن

أستاذ العلوم السياسية - جامعة منيسوتا الأمريكية فرع السنغال

(E:mail: dinaelashery@gmail.com)

المستخلص:

تناولت دراسة السودان ما بين مطرقة سد النهضة وسندان التصحر - دراسة تحليلية واقعها ومآلاتها المستقبلية من حيث (كمياتها - مواقعها الجغرافية - والاستغلال الحالي - المآلات المستقبلية) ولتحقيق ذلك وضعت عدة فرضيات متمثلة في إن لسد النهضة آثار مستقبلية علي السودان وكذلك للتصحر آثار آنية ومستقبلية علي السودان له مآلات مستقبلية خطيرة علي الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والبيئي واستخدمت الدراسة على أساسها عدة مناهج مثل منهج المنظومة الجغرافية ومنهج الإقليمي والمنهج التطوري والمنهج الوصفي التحليلي وقد تمت معالجة المعلومات كما هو متفق عليها في الدراسات العالمية بشقين هما الرصد والتنبؤ وخلصت الدراسة إلى أن سد النهضة و التصحر سوف يوثران في السودان حالياً ومستقبلاً سوف يخلف عدة آثار اقتصادية واجتماعية وبيئية وتنموية حتماً سوف تنعكس سلباً على سكان السودان الذي تبدو مؤثراته في المستقبل القريب إلى تغيير التركيبة السكانية في المراكز الحضرية (تحت نظرية البقاء مع العسر) بالإضافة إلى تدهور الوضع البيئي في السودان واختتمت الدراسة بتقديم عدد من التوصيات والاستراتيجيات المحلية التي من شأنها معالجة الوضع القائم في الوقت الراهن والمستقبل، أوصت الدراسة لابد

من عمل دراسات متخصصة حول آثار ومردودات سد النهضة والتصحر اقتصاديا واجتماعيا وبيئيا مع وضع الخيارات والسيناريوهات الصعبة والمتحملة لذلك لتخطي تلك العقبات فيما يتعلق بالموارد المائية والتصحر التي تؤدي إلى استقرار إنسان المنطقة.

Abstract

The Sudan study explored between the hammer of the Renaissance Dam and the anvil of desertification - an analytical study of its reality and future properties in terms of (quantities - geographical locations - and current exploitation - future money). To achieve this, several hypotheses were developed that the Renaissance Dam has future effects on Sudan as well as desertification has immediate and future effects on Sudan has serious future implications on the economic, social and environmental levels. The study used several approaches on its basis, such as the geographic system approach, the regional approach, the evolutionary approach and the descriptive analytical approach. The information was processed as agreed upon in global studies in two parts, namely monitoring and prediction. The study concluded that the Renaissance Dam and Desertification They will affect Sudan now and in the future, it will have several economic, social, environmental and developmental impacts that will inevitably reflect negatively on the population of Sudan, whose indicators in the near future seem to change the population composition in urban centers (under the theory of survival with hardship) in addition to the deterioration of the environmental situation in Sudan. The study concluded. By presenting a number of interim recommendations and strategies that would address the current situation in The present time and the future, the study recommended that specialized studies

should be done on the impact and returns of the Renaissance Dam and desertification economically, socially and environmentally, with the development of difficult and tolerant options and scenarios to overcome those obstacles in relation to water resources and desertification that lead to the stability of the people of the region.

المحور الأول: سياسيات الدراسة

المقدمة:

السودان بلد مترامي الأطراف يعد ثاني اكبر دولة افريقية بعد الجزائر ووقوع السودان في النطاق حزام الساحل الإفريقي جعله عرضة للتصحر والتدهور البيئي و اختلالات لنظم الايكولوجية فيه، والتصحر واحد منها ظاهرة جغرافية ذات علاقة ارتباطية طردية بالاستغلال البشري للموارد الطبيعية بصورة غير عقلانية بالإضافة الى الاتحاد مع الظروف المناخية مما ساهمت وأفرزت محصلات اقتصادية واجتماعية وبيئية.

وجاءت أخيرا المنشآت العمرانية الحضرية الضخمة مثل السدود والخزانات مثل سد النهضة الذي يتوقع إن تكون له أثاره أيضا علي المستويات الاقتصادية واجتماعية وبيئية مما ينعكس سلبا علي الاستقرار البشري مستقبلا في السودان .

مشكلة الدراسة:

هنالك مستجدات سوف تلقي بظلالها علي مستقبل السودان مما يؤثر علي المياه كما ونوعا ومن هذه المستجدات ماهو طبيعي متمثل في مؤشرات الاحتباس الحراري الذي ساهم في نقصان كميات الامطار كلما اتجهنا شمالا وهو معروف بحدة التذبذب في المكان والزمان وتماشيا مع ذلك ماهو بشري (عمراني) متمثل في سد النهضة وان قيام السدود في إي دولة له مردودات اقتصادية واجتماعية وبيئية يمكن تكون ايجابية وسلبية علي دولها المنشأة فيه وربما تتعدي تلك المردودات لتشمل دول الجوار إذا كانت هنالك انهار دولية تربط بينهم كما أضافت (اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي أسيا(د، ت)^(١).

(١) اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي أسيا(د، ت): تقرير اجتماع التنفيذي الإقليمي التابع للجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي أسيا (ص ١٠)

من المتوقع ان يحث تغير المناخ أثار ضارة ستطال في العقود المقبلة ومن هذه الآثار ارتفاع درجة الحرارة في الجو بمعدل يتراوح (٥ , ١٥ , ٤) درجة مئوية مما يؤدي ذوبان الجليد في القطبين والى الارتفاع التدريجي لمستوي سطح البحر ونتيجة لذلك تتفاقم الضغوط علي استخدامات الأراضي وموارد المياه ويزداد الحمل الحراري علي الغطاء النباتي، ولهذه التغيرات أثار بالغة في انتشار الأمراض والحشرات وانتشار العوامل المناخية الشديدة مثل موجات الجفاف وضعف التنوع البيولوجي من شأن هذه التغيرات أيضا تؤثر علي الموارد الطبيعية وكذلك وضع الإنتاجية الزراعية والظروف الاجتماعية والاقتصادية وان تسهم في اتساع ظاهرة التصحر وعليه تحاول الدراسة إن تجاوب علي تلك التساؤلات وهي ماهي المالات المستقبلية لإنشاء سد النهضة علي السودان. كما الواقع المائي بالسودان مهدد بعدة مهددات تبدو مؤشراتها في (التصحر - فقدان خصوبة التربة - تذبذب كمية المياه).

فرضيات الدراسة:

- ١- لسد النهضة آثار مستقبلية علي السودان التي تبدو مؤشراتها (اقتصادية واجتماعية وبيئية).
- ٢- للتصحر آثار آنية ومستقبلية علي السودان التي تبدو مؤشراتها (اقتصادية واجتماعية وبيئية).

أهمية الدراسة:

- ١- تفهم دور العوامل الطبيعية والمناخية في تصحر الأراضي في السودان.
- ٢- تسليط الضوء على مهددات التنمية بوصفها أهم عوامل استقرار الحياة في السودان.
- ٣- تعتبر الدراسة محاولة لإبراز الاهتمام بقضايا البيئة في المناطق الجافة وشبه الجافة في السودان
- ٤- تنبع أهمية الدراسة في مهددات التنمية أصبح هاجساً يورق السودان في كل المناحي مثل إعاقة التخطيط التنموي بكل إشكالاتها المختلفة

أهداف الدراسة:

- ١- تعتبر دراسة الإشكاليات التصحر من أهم القضايا التي تواجه المجتمع وذلك بسبب عدة مشكلات الاقتصادية والطبيعية والاجتماعية والمؤسسية وغيرها
- ٢- توضيح الأسباب والعوامل الكامنة وراء ظهور المشكلات البيئية في السودان
- ٣- معرفة الإشكاليات والمحددات التي تواجه القضايا البيئية في السودان
- ٤- مساعدة المخططين و متخذي القرار في وضع الحلول الناجعة ضمن المشكلة و كذلك تقديم معلومات وبيانات للباحثين والطلاب.

حدود الدراسة:

الحدود الزمانية : ٢٠١٠ - ٢٠٢٠ م

الحدود المكانية : جمهورية السودان بحدوده الإدارية المعروفة

الحدود الموضوعية: السودان مابين مطرقة سد النهضة وسندان التصحر - دراسة تحليلية تقع ضمن دراسات القضايا البيئية بالبيئات الجافة في إفريقيا.

المناهج العلمية المستخدمة في الدراسة :

لبلوغ أهداف الدراسة وللإجابة علي الأسئلة التي يطرحها، للتحقق من الفروض المشار إليها، فقد تطلبت طبيعة الدراسة الاستعانة ببعض أساليب الدراسة العلمية وهي في ما يعرف بالمنهج هو يعني محاولة الوصول إلي المعرفة الحقيقة التفصيلية لعناصر مشكلة أو ظاهرة قائمة للوصول إلي فهم أفضل وأدق أو لوضع السياسيات والإجراءات المستقبلية الخاصة بها ويهدف المنهج الي توفير البيانات والحقائق عن المشكلة موضوع البحث لتفسيرها والوقوف علي دلالاتها(الرفاعي، ٢٠٠٧م)^(١).

منهج المنظومة الجغرافية:

لقد تناول الطيب(٢٠٠٥م)^(٢) هذه المنظومة الجغرافية والتي تعني بدراسة المبادي التي تحكم مختلف التغيرات التي تحدث في مكونات البيئة الطبيعية، والتوزيع المكاني لهذه المكونات الطبيعية وموازنة بالتوزيع المكاني للسكان، وطبيعية وكثافة هذه الأنشطة علي مختلف مكونات البيئة الطبيعية، ومجمل الظروف التي تحكم حياة المجتمعات البشرية، وما يطرا علي هذه الظروف من تغيرات وما تحدثه التغيرات من تأثيرات.

المنهج الإقليمي:

يتخذ هذا المنهج من الإقليم وحدة للدراسة، وتبعاً لذلك يمكن تقسيم الدولة او القارة الى أقاليم زراعية متميزة كأقاليم الهضبة والسهل الرسوبي وتركز الدراسة بعد ذلك على توضيح العوامل الجغرافية في الانتاج ونوعيته، وطبيعة العلاقات القائمة بين ذلك الإقليم وبقية الأقاليم

(١) الرفاعي، احمد حسين (٢٠٠٧م): منهج البحث العلمي، الطبعة الخامسة، دار وائل للنشر، القاهرة ، مصر(ص، ٢٣).

(٢) الطيب، جلال الدين، (٢٠٠٥م): مبادي علم الجغرافيا، منشورات جامعة السودان المفتوحة، الخرطوم، السودان(ص، ١٩).

الآخري أي إن هذا المنهج يهدف إلى إعطاء صورة واضحة عن المكونات الإقليمية في السودان، ومن عيوب هذا المنهج صعوبة تقسيم الأقاليم وعدم وضوحها وصعوبة الحصول على المعلومات والإحصاءات على مستوى إقليم. (هارون، ٢٠٠٠م)^(١).

المنهج الوصفي التحليلي :

لقد ذكر إبراهيم (٢٠٠٠م)^(٢) بخصوص المنهج الوصفي التحليلي بأنه يستخدم للتحقيق من فرضيات الدراسة لأنه يتناول الظواهر كما هي في الواقع ويساعد في الوصول للنتائج المرجوة من خلال الوصف والتحليل للظروف والشروط المحيطة لعمليات سد النهضة والتصرحر علي السودان (الحالية والمتوقعة).

المنهج التطوري:

يقوم المنهج التطوري علي تتبع ظاهرة او مشكلة ما منذ نشأتها وأسلوب نموها وكيفية تطورها من فترة الي أخرى بهدف التعرف علي طبيعة وحجم الظاهرة او المشكلة عند نشأتها وربط اتجاهها ومعدل تغيرها بفترات السلسلة الزمنية التي مرت بها وبخصائص البيئة المحيطة التي نشأت فيها وتطورت معها الظاهرة او المشكلة (ابوبكر والللح ٢٠٠٩م)^(٣) وتم استخدم هذا المنهج في تتبع المشكلة من جذورها الأولي وآثارها المتوقعة من خلال شقين الرصد والتنبؤ بشقين هما الرصد والتنبؤ، الشق الأول الرصد والمتابعة من خلال الرصد الذي يعني به (المراقبة المستمرة والدائمة لظروف البيئة الطبيعية، والتغيرات التي تطرأ عليها سواء كانت نتيجة لتفاعلات طبيعية او تفاعلات بشرية كالنشاطات التي يمارسها الإنسان وتوثر علي البيئة) الطيب (٢٠٠٥م)^(٤).

الشق الثاني التنبؤ والذي يعني به (في اقل صوره التخمين المسبق بما سيكون عليه الوضع، بناء علي معلومات وبيانات مدروسة لظاهرة ما او نشاط او حالة) الطيب (٢٠٠٥م).

تعريف آخر التنبؤ التكهن بقدر من الاحتمال عن وقوع حادثة او سلسلة من الحوادث عن

- ١ هارون، علي احمد، ٢٠٠٠م: جغرافية الزراعة، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر (ص، ٢٣).
- ٢ إبراهيم . مروان عبد المجيد (٢٠٠٠م) : أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية، ط ١ مؤسسة الوراق . عمان . الأردن (ص، ١٤).
- ٣ مصطفى و للللح، محمود ابوبكر، احمد عبد الله، (٢٠٠٩م): مناهج البحث العلمي (أسس علمية - حالات تطبيقية) الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر. (ص، ٢٥)
- ٤ الطيب، جلال الدين، (٢٠٠٥م) :مبادي علم الجغرافيا، منشورات جامعة السودان المفتوحة، الخرطوم، السودان (ص، ١٩).

طريق التحليل العلمي والإحصائي لوقائع معروفة ويكون التنبؤ في العلوم الاجتماعية اقل مما هو في العلوم الطبيعية وذلك بسبب تقعد الظاهرة الاجتماعية والإنسانية وتعدد العوامل المحيطة بها (محمد احمد، ٢٠٠٥م)^(١).

مصادر بيانات الدراسة:

اعتمد الدارس البيانات والإحصاءات المطلوبة للدراسة من عدة مصادر فرضتها الكتب المنهجية الجغرافية والتقارير والنشرات العلمية التي صدرت من جهات ذات الصلة والعلاقة وثيقة بموضوع الدراسة متمثلة في (الصحراوي والمائي).

المحور الثاني: المفاهيم ذات الصلة بموضوع الدراسة:

الخزانات:

يعرف (وكيل ١٩٩٠م)^٢ الخزان بأنه منشأة مدنية هامة تقام في وادي المجرى المائي ويشكل معترض للجريان المائي في المجرى وذلك بغرض حجز المياه وتخزينها ضمن بحيرة اصطناعية تشكل خلف الخزان.

أهمية السدود:

والتي ذكرها (عبد القادر، دت)^٣ هي إن السدود تعد من اكبر المنشآت الهندسية التي ينفذها الإنسان في الطبيعية ومن ايجابياتها توفر المياه اللازمة للنمو الاقتصادي والاجتماعي خصوصا في المناطق الجافة وشبه الجافة، وللسدود فوائد كثيرة أبرزها هي:

- ١- الحصول علي الطاقة النظيفة والرخيصة.
- ٢- المياه الوفيرة للاستخدامات المختلفة
- ٣- تعد خط دفاع أول ضد الفيضانات.
- ٤- تعد مستودع مائي للأمن المائي لمواجهة سنوات الجفاف.
- ٥- وسيلة لضبط وانسياب المياه خلال العام مما ينتج عنه تحكم في الأتي:

(١) محمد احمد، عمر عبد الجبار، (٢٠٠٥م): معجم علم الاجتماع الحديث، ط ١، مطابع الخالد للاؤفست، الرياض، السعودية (ص، ٦٧).

(٢) وكيل، ميخائيل، جورج (١٩٩٠م): المنشآت المائية، دمشق سوريا (ص، ٤٠).

(٣) عبد القادر، إبراهيم الأمين (ب، ت): السودان الأخضر بين دفتي السد العالي وسد النهضة، سينان العالمية للطباعة، الطباعة، الخرطوم، السودان (ص، ٢٠٣).

أ- الدورات الزراعية ب- تنظيم التوليد الكهربائي ج- تغذية المياه الجوفية.

مشكلات السدود والخزانات:

أورد (عبد العزيز، ٢٠٠٥م)^(١) أن الخزانات والسدود تتعرض لمشكلات متعددة منها التبخر والتسريب الاطماء يحدث التبخر في المياه بسبب الارتفاع في درجة الحرارة هنالك مشاريع تجرى لتقليل الفاقد من تبخر المياه من أسطح الخزانات والمجاري المائية وذلك بحفر أنفاق مستقيمة مغلقة لاختصار الطريق المتعرج للمجرى المائي ويمكن التقليل من تبخر المياه بالجوء إلى تغطية قنوات الري المكشوفة، إما التسريب عبر أبواب الخزانات فيحدث عندما يكون هنالك خلل في أبواب الخزانات ويكون إعادة تأهيل هذه البوابات مكلفا لذلك في اغلب الأحيان يتم تأهيلها بصورة تقليدية. ومن اكبر المشاكل التي تواجه الخزانات الاطماء.

مفهوم التصحر:

كما أوردهما كل من (عبد اللطيف، محمد، ٢٠١٢م)^٢ ظهر مفهوم التصحر في كتابات المؤلفين منذ القرن التاسع عشر الميلادي، والمعني الأصلي لكلمة التصحر (Desert) بالانجليزية هو (Deserted) إي مهجور، ولربما يعتبر اوبريفيل (Aubreville) هو اول من استخدم كلمة تصحر (Desertification) في عام (١٩٤٩م) وعلي الرغم من ان هذه اللفظة فرنسية الأصل، وان اللفظ الاصطلاحي التصحر (Desertization) لا يقتصر علي الأراضي الجافة فقط بل هو اعم واشمل ولذا يصف مناطق أخرى خلاف المناطق الجافة وذكر كوفدا (Kovda) إن كلمة تجفف الارض (Land Aridization) بنفس المعني العام الشامل لمصطلح التصحر (Desertization) وهذا المصطلح يرد بتعاريفه بمعني (التدهور البيئي للأرض) حيث مظاهره يمكن حدوثها خارج نطاق المناطق الجافة وقد سبب اللفظ الاصطلاحي (Desertization) ومراودة العربي (التصحر) والذي يعني حرفيا تحول بعض الأراضي الي صحراء فكرة خاطئة بين الناس، حتي في بعض الدوائر العلمية حيث يربطون التصحر بالجفاف، ومن ثم فهم يوجهون اللوم جميعه الي هذا العامل، باعتباره العامل الوحيد المسئول عن إحداث تدهور البيئة، وهنا لا بد

(١) عبد العزيز، عبد الحافظ (٢٠٠٥م): حماية المياه في القانون الدولي في حالة السودان، مطبعة السودان المحدودة الطبعة الثانية، الخرطوم، السودان (ص، ٥٥)

(٢) عبد اللطيف، محمد، مها علي، محمد عمر (٢٠١٢م): ملامح من ظاهرة التصحر، المكتبة الوطنية، ردمك: (١-٥٤-٦٥-٩٩٩٤٢-٩٧٨)، كتاب دراسي، الخرطوم، السودان (ص، ١١)

من الإشارة إلى الفرق بين التصحر والصحراء فالأخيرة نظام بيئي طبيعي منشأ تحت ظروف مرتبطة بالنظام الكوني، وهي ذات منشأ جيولوجي (الصحراء الكبرى)، إما التصحر فيقصد به تدهور الأراضي ونقص إنتاجيتها بسبب عوامل متعددة أهمها الاستئثار غير المرشد للموارد الطبيعية والتغيرات المناخية .

بعض تعاريف التصحر: كما أوردهما كل من (عبد اللطيف، محمد، ٢٠١٢م)^١

١- عرفت الأمم المتحدة التصحر في مؤتمر نيروبي سنة (١٩٧٧م) مؤكدة على التدهور الحيوي كما يلي (التصحر: هو انخفاض الإمكانات الإحيائية للأرض أو تدميرها، مما قد يقود إلى أحوال شبيهة بأحوال الصحراء)

٢- يري انايا جاردينو (Anya-Gardino) ان التصحر هو: [ضعف الأنظمة البيئية الجافة، وشبه الجافة، ودون الرطبة، عن طريق اثر نشاطات الإنسان الناجمة عن سوء استعمال الأرض]

٣- إما التصحر في نظر كاتس وآخرون (Kates. et.al. ١٩٧٧) فهو يعني: [تفاقم وتكثيف ظواهر أو صفات الصحراء بصور متعددة بفعل الإنسان]، ويؤكدون إن التصحر يختلف عن الجفاف الذي يحدث من جراء حدوث التصحر فتتمدد إلى مدة زمنية قصيرة تتراوح من (١ إلى ٥) سنوات إما ظواهر التصحر فتتمدد إلى مدة أطول وتدهور الغطاء النباتي وزحف الرمال وظهور الملوحة .

ما هي الأراضي الجافة؟

جاء في تقرير (المعهد الدولي لإعادة بناء الريف، ٢٠٠٥م)^٢ اختلافات تعريف الأراضي الجافة باختلاف من يعرفونها، فيمكن تعريف :

وفقاً للكميات المطلقة للأمطار : فعلي سبيل المثال يعرف ميثاق محاربة التصحر الأراضي الجافة التي تتراوح كميات الأمطار فيها ما بين (صفر و ٦٠٠) ملمتر سنوياً .

وفقاً لطول الموسم الرطب ودرجة الحرارة : علي سبيل المثال، الأراضي التي تقل فيها الفترة

(١) عبد اللطيف، محمد، مها علي، محمد عمر (٢٠١٢م): ملامح من ظاهرة التصحر، المكتبة الوطنية، ردمك: (١- ٥٤-٦٥-٩٩٩٤٢-٩٧٨)، كتاب دراسي، الخرطوم، السودان (ص، ١٢)

(٢) المعهد الدولي لإعادة بناء الريف (٢٠٠٥م): إدارة الموارد في الأراضي الجافة . دليل إرشاد لشرق وجنوب أفريقيا، ترجمة حسن أحمد عبد العاطي ، مطابع سولو، الخرطوم، السودان (ص ٣).

ذات الرطوبة الكافية لنمو النبات عن ثلاثة أشهر ويبلغ متوسط درجة الحرارة فيها (٨٠) درجة فهرنهايت (٢٧) درجة مئوية علي الأقل .بمقارنة المعدل السنوي للأمطار مع معدلات البخر النباتي المحتمل وهو بالتقرير كمية المياه التي تبخر من بركة أو حقل مروي جيداً في عام واحد. أحد التعريفات هو أنها تلك المناطق التي كمية الأمطار فيها عن ٤٠٪ من البخر النباتي المحتمل.

وفقاً للغطاء النباتي: الأراضي الجافة هي مناطق تسودها ظروف ترجح نمو الأعشاب الدائمة بدلاً من الحبوب الحولية لذلك تواجه الزراعة المطرية مخاطر متأصلة بالفشل.

وفقاً لاستخدامات الأرض: فبعض أنظمة الزراعة تتميز بحساسية أكبر للجفاف مقارنة بأخرى علي سبيل المثال المواشي في الأراضي الرطبة قد لا تقتات العشب الجاف في فترة الجفاف . كذلك قد ينظر الرعاة لمناطق الرعي بوصفها أراضي جافة كتنقيص للمناطق الأكثر رطوبة وهي عادة أراضي مرتفعة تزرع بالمحاصيل.

كذلك يختلف تعريف الأراضي الجافة من بلد إلي آخر: فعلى سبيل المثال تسقط كميات كبيرة نسبياً من الأمطار في يوغندا، فإذا لم ينجح محصول الذرة الشامية مرة كل خمس سنوات يصف السكان المنطقة بأنها أراضي جافة . غير أن هذا التعريف غير مفيد في بلدان أخرى مثل الأراضي المنخفضة في كينيا أو إثيوبيا حيث تقل مستويات الأمطار بصورة عامة كثيراً . وتصنف ٨٠٪ من مساحة كينيا بأنها أرض جافة.

من جانب آخر يمكن لبعض المناطق التي ينظر إليها علي أنها أراضي رطبة أن تكون في الواقع أراضي جافة . علي سبيل المثال ليست كل مرتفعات شرق أفريقيا أراضي رطبة، إذ أن هناك مناطق معينة علي شواطئ بحيرة فيكتوريا تقع في منطقة ظل المطر ولا تتلقي سوى (٦٠٠٠) ملم من الأمطار سنوياً . لا توجد حدود ثابتة بين الأراضي الجافة والمناطق الرطبة . وكثيراً ما يحدد الخط الفاصل علي أنه (٦٠٠) ملم من الأمطار سنوياً .

الأراضي الجافة القاحلة وشبه القاحلة :

كمية الأمطار في هذه المناطق هي العامل المحدد لظروف النمو النباتي . وليس لعدد المواشي التي ترعى في هذه المناطق أثراً مستديماً علي الغطاء النباتي، كما أن الرعي الجائر لا يسبب مشكلة .

وتتسبب فترات الجفاف عند حدوثها في موت المواشي وبالتالي في خفض أعدادها .

كما إن الغطاء النباتي يتميز بمرونة كبيرة فهو قادر، حتى بعد فترة جفاف شديدة، علي تجديد نفسه، لا ينطبق مفهوم القدرة الاحتمالية (carrying capacity) علي هذه الأراضي وفيها يغلب تواجد الرعاة ومواشيهم ولا ينصح باستبدال نظام الإنتاج الرعوي، لأنه يقوم أصلاً علي استخدام كل الموارد المتاحة في طاقتها القصوى (المعهد الدولي لإعادة بناء الريف، ٢٠٠٥ م)^(١).

الأراضي الجافة الأكثر رطوبة :

يعتمد نمو الغطاء النباتي في هذه المناطق علي عدد المواشي . ويمكن أن تظهر آثار الرعي الجائر عندما يتخطى عدد المواشي ما يعرف بالطاقة الاحتمالية. إذ أنه يؤدي حيثئذ إلى تدمير الغطاء النباتي، الذي لا يستطيع تجديد نفسه بعد فترة جفاف شديد . إلا أنه وعلي الرغم من جسامته المخاطر فإن استخدام الأراضي الجافة الأكثر رطوبة لزراعة المحاصيل، في تزايد مستمر . وقد يكون من الممكن تطوير أنظمة جديدة لاستخدام الأرض تجمع بين استعمالها المختلفة. في هذه الحالة يجب أن يكون الهدف هو تطوير نظام بإنتاجية أعلى بدلاً عن استبدال نظام الإنتاج الرعوي السائد بنظام جديد (المعهد الدولي لإعادة بناء الريف، ٢٠٠٥ م).

المنطقة القاحلة :

كما تناؤلها (عبود، ٢٠٠٨ م)^(٢) وهي المنطقة التي يقل فيه التساقط عن البحر، أي هي المنطقة الي يوجد فيها عجز بين كمية المطر واحتياجات النبات المائية وهذا العجز يعتمد علي كمية التساقط وتوزيعه الموسمي والأجزاء من الماء التي تتبخر والأجزاء التي تنصرف سطحيًا، التساقط هو كمية المطر والثلج والبرد والندي في منطقة ما.

القحل:

حالة المناطق القاحلة اسمها القحل ويقاس القحل بالنسبة بين التساقط وهو (المطر-الجليد-

(١) المعهد الدولي لإعادة بناء الريف (٢٠٠٥ م): إدارة الموارد في الأراضي الجافة . دليل إرشاد لشرق وجنوب أفريقيا، ترجمة حسن أحمد عبد العاطي ، مطابع سولو، الخرطوم، السودان (ص، ٤).

(٢) عبود، صلاح الدين محمد علي، (٢٠٠٨ م): تشجير المناطق القاحلة، الكتاب السادس، سلسلة كتب صلاح الدين عبود الجامعية، شركة مطابع السودان العملة، الخرطوم، السودان (ص ١).

البرد- الندي) والبحر نتح المحتمل.

البخر نتح : هو كمية البخر من سطح الأرض زائداً النتح بواسطة أوراق النبات، وكلما قلت النسبة بين هذين المقدارين زاد القحل ويقاس البخر نتح بعدة طرق منها معادلة حساب القحل

$$P = \text{نسبة القحل} = \text{التساقط}$$

البخر نتح المحتمل PET

PET=Potential evapotranspiration

وبناء علي هذه المعادلة فان المناطق القاحلة تنقسم الي ثلاث مناطق كالآتي:

١- المنطقة فوق القاحلة:

فيها نسبة القحل اقل من (٠,٥) وتشكل (٢,٤٪) من مساحة اليابس

٢- المنطقة القاحلة:

فيها نسبة القحل بين (٠,٥-٢,٠) وتشكل (٦,١٤٪) من مساحة اليابسة

٣- المنطقة شبه القاحلة :

فيها نسبة القحل بين (٢,٥-٠,٥) وتشكل (٢,١٢٪) من مساحة اليابسة أي ثلث اليابسة مناطق قاحلة.

توزيع المناطق القاحلة في السودان:

كما تناؤلها (عبود، ٢٠٠٨م)^(١) نسبة لان السودان تعتبر منطقة حارة فيصبح عامل الحرارة ثابتا والمتغير الذي يحدد درجة القحل هو كمية المطر وعليه نتقدم بالتوزيع الآتي للمناطق القاحلة في السودان:

١- المنطقة فوق القاحلة:

وهي المنطقة شمال خط تساوي المطر السنوي (١٠٠) ملم

٢- المنطقة القاحلة:

وهي المنطقة المحصورة بين خطي تساوي المطر السنوي (١٠٠ ٣٠٠) ملم

٣- المنطقة شبه القاحلة :

وهي المنطقة المحصورة بين خطي تساوي المطر السنوي (٣٠٠ ٦٠٠) ملم (عبود، ٢٠٠٨م).

(١) عبود، صلاح الدين محمد علي، (٢٠٠٨م): تشجير المناطق القاحلة، الكتاب السادس، سلسلة كتب صلاح الدين عبود الجامعية، شركة مطابع السودان العملة، الخرطوم، السودان (ص: ٤-٥).

المحور الثالث : جغرافية منطقة الدراسة :

الموقع الجغرافي :

يقع السودان في الجزء الشمالي الشرقي من القارة الإفريقية ويطل على البحر الاحمر والنيل وهو الأكثر بروزا في جغرافية.

الإحداثيات: خط الطول : ٤٩, ٢١ ق ٣٤, ٣٨ دائرة العرض: ٠٨, ٢٣ ش ٤٥, ٨ ش

المساحة: تبلغ مساحة السودان (١٨٨٢, ٠٠٠ كلم^٢) ويعد ١٦ عالميا، والثاني إفريقيا، والثالث عربيا. ومساحة البر (١٨٧, ٧٥٢, ١ كلم^٢) ومساحة البحر (١٢٩, ٨١٣ كلم^٢) ويبلغ طول الساحل (٨٧٢ كلم).

السطح: السودان في غالبية سهول منبسطة مع وجود مرتفعات تتمثل في سلسلة جبال البحر الاحمر ومرتفعات جبل مرة.

النتائج المترتبة على الموقع الفلكي للسودان: كما تناولها (عبد الجليل، ٢٠١٦م)^١

- تقع أكثر من ٥٠ ٪ من أراضي السودان في حزام الأراضي الجافة وشبه الجافة.

- يقع السودان ضمن إقليم الساحل الأفريقي الذي يمتد من غرب أفريقيا حتى شرقها بطول يقدر بحوالي ٧٠٠٠ كلم وعرض يصل إلى حوالي ٥٠٠ كلم جنوب الصحراء الكبرى، أي ينحصر بين خطي تساوي المطر ١٠٠ ملم شمالاً و ٥٠٠ - ٧٠٠ ملم جنوباً.

- يقع جزء من أراضي السودان في (حزام العطش) الذي يمتد من الشرق على الغرب بين دائرتي عرض (١١ - ١٦ درجة). حيث تشكل الأمطار المصدر الرئيس للمياه.

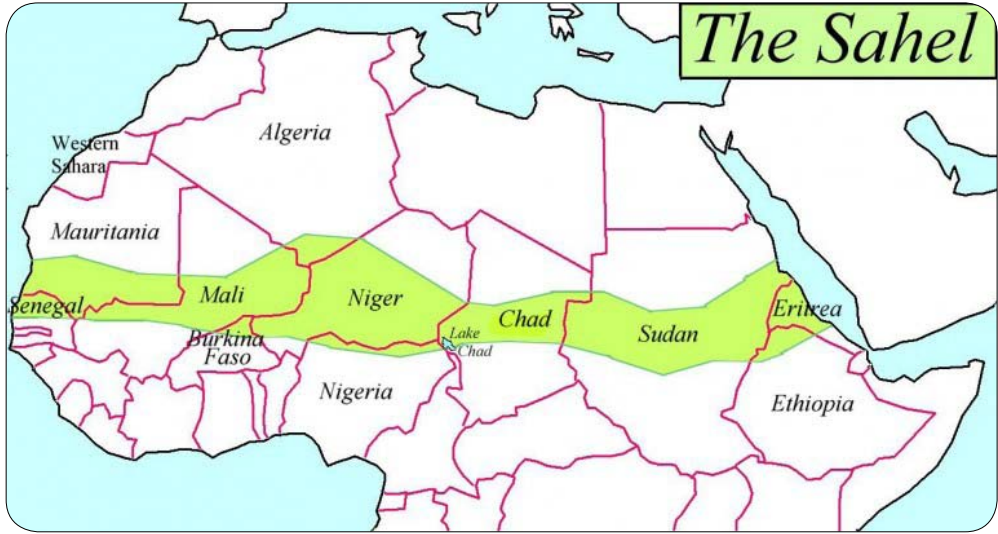
- شهد إقليم الساحل الأفريقي جملة من التغيرات المناخية في العقدين الآخرين من القرن الماضي، أثر ذلك في التوازن البيئي من ناحية، وفي التركيب الاقتصادي والاجتماعي للسكان من الجانب الآخر، فقد أشارت معظم الدراسات التي أجريت في الإقليم إن الجفاف هو الظاهرة السائدة في الإقليم عامة، مع اختلاف في درجة الجفاف وفقاً للموقع الفلكي والارتفاع. ويرجع ذلك لانخفاض كمية الأمطار وتذبذبها الحاد وعدم توازن توزيعها.

(١) عبد الجليل، عمر محمد، (٢٠١٦م): مجموعة محاضرات في مقرر جغرافية السودان، وحدة الموارد المائية، جامعة كسلا، كلية التربية، قسم الجغرافيا والتاريخ، كسلا، السودان (ص، ٢)

- عانى إقليم الساحل الإفريقي من مشكلة التصحر والتدهور البيئي إذا إن معدلات الأمطار تعادل (١٠٠ - ٢٠٠) ملم في السنة، كما أضاف (سعد، ٢٠١٦م)^١ أن الساحل الإفريقي يمتد بطول (٥٤٠٠) كلم من الشرق تلال البحر الاحمر الي الغرب ساحل المحيط الأطلسي وفي مساحة قدرها (٣٠٥٣٢٠٠) كلم^٢ هو منطقة انتقال ايكولوجية من المراعي الشبه القاحلة والسافنا وغيرها من النطاقات الايكولوجية والخريطة (١) توضح موقع إقليم الساحل الإفريقي

- يعاني السودان من عجز مائي (الفرق بين معدل التساقط ومعدل التبخر) حيث يبلغ أدنى مستوياته على حدود السودان الجنوبية ويزداد تدريجياً في اتجاه الشمال والشمال الشرقي حيث يصل إلى أكثر من ١٧٥٠ ملم في السنة ؛ مما يؤثر على الإنتاج الزراعي المطري والذي يعتمد عليه معظم سكان السودان وكذلك يؤثر على المراعي الطبيعية .

الخريطة (١) موقع إقليم الساحل الإفريقي



المصدر: (سعد، ٢٠١٦م)^٢

(١) سعد، أساء، (٢٠١٦م): ماهي دول الساحل الإفريقي، موقع الرسائل، زمن التحديث ١٤ / ٤ / ٢٠١٦م، زمن الزيارة (١ / ٦ / ٢٠٢٠م) اليوم / الاثنين، زمن الدخول، الساعة (٨، ٤٠) الساعة والدقيقة الصباحية . (ص٣).

(٢) سعد، أساء، (٢٠١٦م): ماهي دول الساحل الإفريقي، موقع الرسائل، زمن التحديث ١٤ / ٤ / ٢٠١٦م، زمن الزيارة (١ / ٦ / ٢٠٢٠م) اليوم / الاثنين، زمن الدخول، الساعة (٨، ٤٠) الساعة والدقيقة الصباحية. (ص٣)

الظروف المناخية في السودان:

تتمثل الظروف المناخية في السودان في الأتي صحراوي وشبة صحراوي جاف في أقصى الشمال (الولاية الشمالية / شمال كردفان/ وشمال دارفور) شبه الصحراوي الي ماطر في الأواسط والجنوب ومناخ البحر الأبيض المتوسط في المناطق الشرقية .أورد (Omer، ٢٠١٠م)^١ إن السودان يقع في المنطقة المدارية وتنوع فيه الاقاليم المناخية علي النحو التالي والجدول (١) يوضح ذلك. وكذلك الخريطة (٢) خطوط المطر المتساوي للسودان ٢٠١٢م.

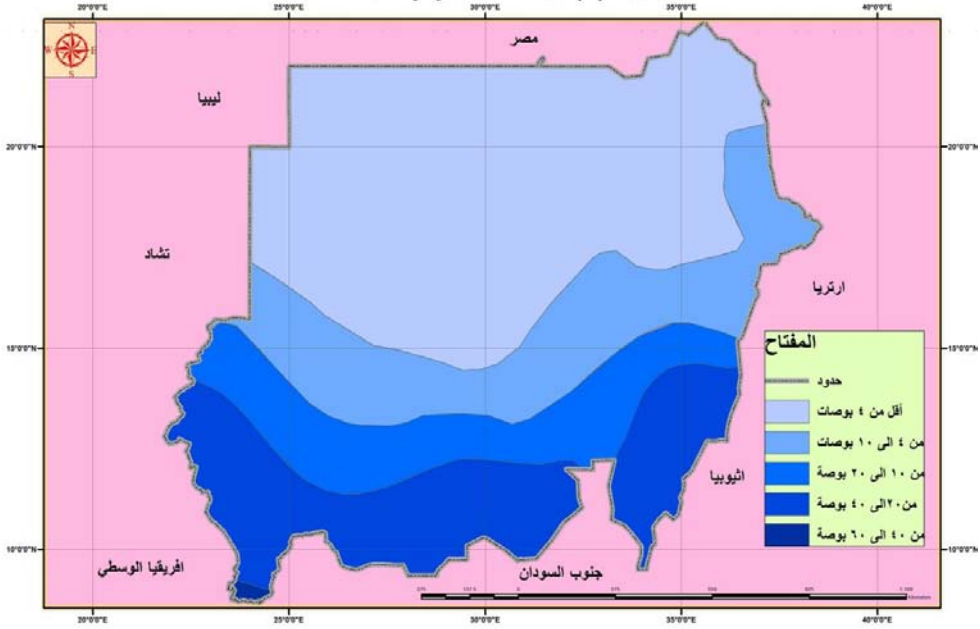
الجدول (١) النطاقات المناخية بالسودان

النطاق	الموقع الجغرافي	المساحة	الأمطار مم/ السنة	الخصائص
الصحراوي	شمال دائرة العرض ١٦	٣٨٪	نادرة	انحسار النشاط الزراعي علي جانبي النيل
شبه الصحراوي	١٤ — ١٦	٢٧٪	٣٠٠-٧٥	انحسار النشاط الزراعي علي جانبي النيل
السافنا خفيفة الأمطار	١٢ — ١٤	١٧٪	٤٠٠-٣٠٠	يمارس الزراعة الالية والتقليدية
السافنا متوسطة الأمطار	١٠ — ١٢	١٧,٥٪	٨٨٠-٤٠٠	يمارس الزراعة الالية والتقليدية
مناخ البحر الأبيض المتوسط	شريط البحر الاحمر + جبل مرة	٠,٥٪	الامطار شتوية	مناخ انتقالي بين المعتدل والمناخ شبه المداري

المصدر: (Omer 2010)

- 1- Omer, A. (2010) Water Resources Management and Sustainable Development in Sudan. International Journal of Water Resources and Environmental Engineering. Vol. 2 pp- (190- 207)

الخريطة (٢) خطوط المطر المتساوي للسودان ٢٠١٢م



المصدر: الخريطة الرقمية للسودان، الهيئة العامة للأرصاد الجوي، ٢٠١٢ م، مركز نظم المعلومات الجغرافية بجامعة غرب كردفان، نقلا من عبد الرحمن د. ت^١

المحور الرابع: السودان ما بين مطرقة سد النهضة وسندان التصحر - دراسة تحليلية

أولا: مطرقة سد النهضة:

الموقع الجغرافي:

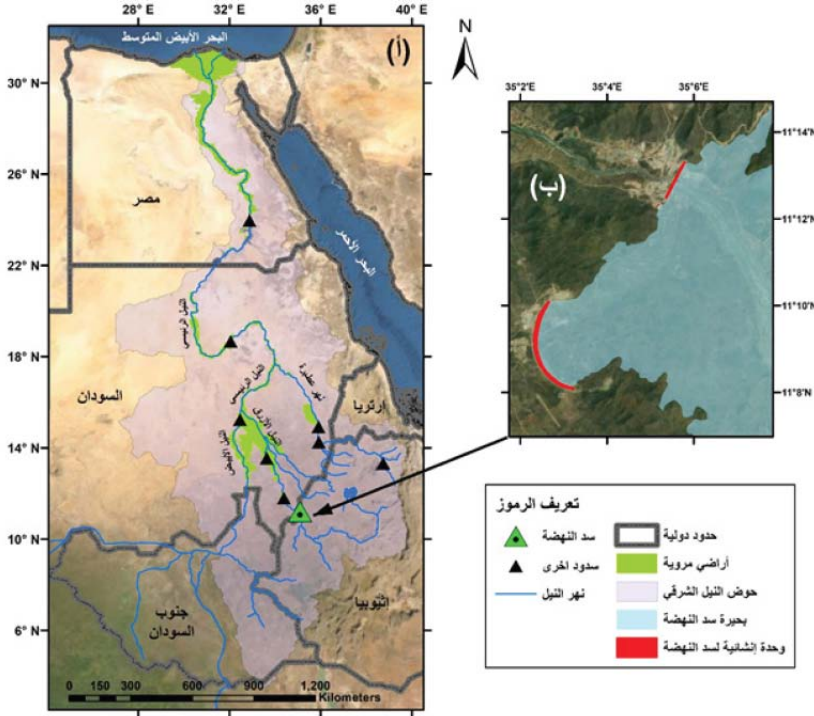
يقع سد النهضة في نهاية لنيل الأزرق داخل الحدود الإثيوبية في منطقة بني شنقول جوموز بين جبلي (Libiyat and negor) وعلي بعد حوالي (٥, ١٤) كلم من الحدود السودانية علي مسار النيل الأزرق (٥, ١٠) كلم من اقرب نقطة علي الحدود السودانية و(٥) كلم من الحدود السودانية من السد المكمل، (٣٥) كم من شمال التقاء بنهر ايليس بالنيل الأزرق (٧٥٠) كلم شمال غرب أديس أبابا وعلي ارتفاع (٥٠٥) كلم متر فوق سطح البحر(عبد السلام، د، ت). الخريطة (٢) حوض نهر النيل الشرقي توضح ذلك.

(١) عبد الرحمن، صديق نورين وآخرون (د، ت): تصنيف التربة الزراعية بحض وادي كتم وآثره في التنمية الزراعية المستدامة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، السودان شمال دارفور(ص، ١١)

ويبلغ اتساع مجري النهر عند السد حوالي (٦٠٠) متر لتدفق فيه مياه النهر في موسم الامطار ويصل اتساع النهر في موسم الجفاف الي حوالي (٩٠) متر بعمق (١٠- ١٥) متر كما ان ارتفاع السد (١٤٥) متر بينما يبلغ طول السد (١٨٠٠) متر ومن المتوقع إن يكون الإنتاج الكهربائي بالسد حوالي (٥١٥٠) ميغاواط كما بلغت تكلفة إنشاء السد أكثر من (٥) مليار دولار وان حجم السد التخزيني حوالي (٧٤) مليار متر^٣ من المياه

إما جيولوجيا: ويقع السد في منطقة يغلب عليها صخور القاعدة لحقبة مقبل الكمبري والتي تحتوي علي صخور الجرانيت، النيس الجرانيتي، والجرانوديوريت والتي تنتشر علي جانبي السد كما يوجد صخور البجماتيت، المجماتيت الشديدة التشقق والامقبولت (عبد السلام، د، ت)'.^١

الخريطة (٣) حوض نهر النيل الشرقي



(أ) السدود والزراعة المروية (ب) سد النهضة الإثيوبي

المصدر: (بشير ٢٠٢٠)^٢

- (١) عبد السلام، محمد (د ت): هيدروبوليتكية سد النهضة، دراسة في الجغرافيا السياسية، القاهرة، مصر. (ص، ٢٤)
- (٢) بشير، محمد ادم أبكر، (٢٠٢٠ م) : آثار سد النهضة الإثيوبي علي السودان تاريخ المفاوضات ومناقشة بعض مخاطر وفرض السد، مركز تأسيس للدراسات والنشر الورقة (٩) (ص، ٣)

إضرار السد: لسد النهضة اثار سلبية على السودان تمثل في الآتي :

١- فقد مصر والسودان لكمية المياه التي تعادل سعة التخزين الميت لسد النهضة والتي تتراوح من (٢٥ ١٥) مليار متر^٣ حسب التخزين الميت ولمرة واحدة فقط، والسنة الأولى لافتتاح السد نظرا لان متوسط إيراد النيل الأزرق حوالي ٥٠ مليار متر^٣ سنويا وبالتالي ولا يحتاج هذا السد سنوات ملء البحيرة، بل عام واحد فقط، لكن الحكومة الإثيوبية أعلنت انها سوف تدير الوحدات الكهربائية علي مراحل وبالتالي فان مياه سعة التخزين الميت المعلنة من إثيوبيا تعادل (١٤) مليار متر^٣ يمكن حجزها علي مدار ثلاث سنوات والفقد يتوجب معرفة مر والسودان من حيث الكمية موعد التشغيل لأخذ الاحتياطات اللازمة لتفادي أزمة بعض نقص المياه في سنوات الملء (عبد السلام، د ت).

٢- زيادة فرص تعرض السد للانهدام نتيجة العوامل الجيولوجية وسرعة اندفاع مياه النيل والتي تصل في بعض الأيام (أغسطس) الي ما يزيد علي نصف مليار متر^٣ يوميا من ارتفاع يزيد علي (٢٠٠) متر نحو مستوي (٦٠٠) متر عند السد وإذا حدث انهيار فان الضرر الأكبر سوف يلحق بالقرى والمدن السودانية خاصة الخرطوم قد تجرفها المياه بطريقة تشبه التسونامي (عبد السلام، د ت)^١.

٣- فقدان السودان للطمي الذي يخيب الأراضي الزراعية حول النيل والذي يعد المصدر الرئيسي لتغذية النباتات وعدم تعود السودانيين علي استخدام الأسمدة (عبد السلام، د ت).

٤- الطلب المائي في السودان: تنامي الطلب المستقبلي علي المياه بمعدلات كبيرة لمقابلة النمو المضطرد في البني الحضرية والاقتصادية ويقابله ضعف في كفاءات الاستخدام وقصور البني المؤسسية عن إدارة المياه وقدراتها المتواضعة علي توفير مصادر جديدة للمياه تعرض علي الدولة واتخاذ القرارات الكفيلة بإنفاذ إستراتيجية بعيدة أمدتي للاستفادة القصوى من المياه في مجالات التنمية وفي المقدمة القطاع الزراعي أهم القطاعات التي تستأثر بالجزء الأكبر من المياه (عبد القادر، د ت)^٢ والجدول (٢) يوضح الموارد والاحتياجات المائية مليار متر^٣/ السنة في السودان حتي العام ٢٠٢٥ م.

١ عبد السلام، محمد (د ت): هيدروليتيكية سد النهضة، دراسة في الجغرافيا السياسية، القاهرة، مصر. ص (٢٤)
٢ عبد القادر، إبراهيم الأمين (ب، ت): السودان الأخضر بين دفتي السد العالي وسد النهضة، سينان العالمية للطباعة، الطباعة، الخرطوم، السودان.

جدول (٢) الموارد والاحتياجات المائية مليار متر^٣/ السنة في السودان حتي العام ٢٠٢٥م

الاحتياجات المائية مليار متر ^٣ / السنة	الإجمالي	الحيوان والأخري	الاحتياجات الإنسان	المروية	الزراعة	القطاع
	١٩,٣	١,٣	٠,٤	١٧,٥		١٩٩٩
	٢٣,١	٣,٩	١,١	٣٧,١		٢٠١٠
	٣٩,٦	٥,١	١,٩	٣٢,٦		٢٠٢٠
	٤٨,١	٥,٣	٣,٥	٤٠,٣		٢٠٢٥
الموارد المائية مليار متر ^٣ / السنة	الإجمالي	التغذية الجوفية	الأنهار والأودية غير النيل	النيل	التصيب من مياه النيل	القطاع
	٣٠	٤	٥,٥	٢٠,٥		١٩٩٩
	٣٠	٤	٥,٥	٢٠,٥		٢٠١٠
	٣٦	٤	٥,٥	٢٦,٥		٢٠٢٠
	٣٦	٤	٥,٥	٢٦,٥		٢٠٢٥

المصدر: (وزارة الري والموارد المائية، ٢٠٠٠م)^١

(١) وزارة الري والموارد المائية، (٢٠٠٠م): السياسة المائية في السودان، الخرطوم، السودان (ص، ١٧، ١٨)

٥- قلة الإيرادات المائية القادمة من النيل الأزرق نتيجة لقيام السد في تغذية الخزانات الجوفية في موسم الفيضان علي طول نهر النيل الأزرق.

٦- ذكر (العاقب، ٢٠١٣م)^١ وكتب عن سد النهضة فقال سوف يفقد النيل الأزرق الطاقة الدافعة للمياه إن المياه بعد سد النهضة ستجري بدون طاقة دافعة. وأشار العاقب إلى أن مياه النيل الأزرق هي التي تدفع بمياه النيل الأبيض شمالاً، والنيل الأبيض ستصبح بطيئة جداً ويزداد التبخر ويمكن ان يصبح النهر موسمياً. بمرور الزمن سوف يجف النهر لل جف وادي الملك والمقدم.

٧- نتيجة لعدم الإمداد الطمي السنوي الذي بدوره يعمل علي تخصيب المشاريع الزراعية في السودان وذلك بسبب حجزه خلف سد النهضة يحجز السد جزءاً كبيراً من الطمي الذي يحمله النيل الأزرق كل عام إلى السودان والذي تفوق كميته الخمسين مليون طن . وقد تسبب تراكم هذه الكميات عبر السنين في خفض الطاقة التخزينية في الخزانات السودانية (الرصرص، سنار) . تكون النتيجة كما يلي مستقبلاً :

أ- تزايد في الصراعات والتوتر في العلاقات بين مجموعات السكان بسبب نقص المياه

ب وذلك يؤدي الي استخدام الأسمدة والمخصاب بصورة كبيرة التي لم تكن منتشرة بمستوي يفوق المعدلات العالمية آنذاك والتي لها مردودات علي الإنسان والتي تتمثل في الآتي:

١- تغير في أحوال الصحة العامة للإنسان وظهور بعض الأمراض مثل (الكبد الوبائي والفشل الكلوي والسرطانات بكافة إشكالاتها)

٢- تدهور في إنتاجية المحاصيل كما ونوعاً

٣- انتشار البطالة الحضرية (البوس الحضري عطالة المتعلمين)

٤- فقدان عملية الري الفيضي

(١) العاقب، احمد عبد الرحمن، (٢٠١٣م): سد النهضة وفقدان الطاقة الدافعة لمياه النيل الأزرق، صحيفة الخرطوم بتاريخ ٢٣/٧/٢٠١٣م، السودان، الخرطوم. (ص، ٤).

٥- تغيير كمية المراعي ونوعيتها

٦- الهجرة المتدرجة نحو المراكز الحضرية .

٨- الهجرة البيئية وهي شكل من أشكال النزوح القسري وهي مدفوعة بسبب التعرية والتغير البيئي مع صعوبة الفصل العوامل البيئية من غيرها من العوامل الدافعة للهجرة .(دون، جيمين، د، ت)^(١) سوف تكون تلك الهجرة القسرية متمثلة في اختلافات وتدهور القطاع الايكولوجي الطبيعي وهجرة الطيور العابرة للقارات

٩- العوامل الاقتصادية والاجتماعية لسد النهضة مستقبلا والتي يمكن تلخيصها: كما ذكرها (عبد المطلب، ٢٠١٧م)^(٢).

١- سوف يكون ضيق في سبل كسب العيش (الزراعية +الرعية) التي تؤدي بدورها الى الفقر مما يؤدي الى انعكاسات علي حياة الإنسان .

٢- سوف يكون هنالك نزوح وتشريد وظاهرة تأنيث الأسر مما ينتج عنها ظواهر أخرى مثل ممارسة القطاع الاقتصادي غير الرسمي .

٣- تسرب دراسي لان التلاميذ يمثلون في تلك اللحظات صمام أمان اقتصادي لأسرهم .

٤- النكوص عن أهداف التنمية المنشودة في الخطط الإستراتيجية للسودان

١٠- أراضي واسعة تحرم من الري الفيضي

١١- احتمالية انهيار السد نتيجة لعوامل الجيولوجية في إثيوبيا نسبة لوقوع إثيوبيا في نطاق الأخطار الإفريقي العظيم من نطاقات الزلزالية في إفريقيا.

١٢- انعدام توفر الدراسات والبحوث العلمية الكافية والواضحة حول درجة أمان السد وتأثيراته في المدى القريب والبعيد (التأثيرات المحتملة).

(١) دون، جيمين اوليفيا دون، فرانسوا جيمين، (د، ت)، :الهجرة البيئية، مشروع سيناريوهات التغير البيئي

والهجرة القسرية التابع للاتحاد الأوروبي(ص، ١٠)

(٢) عبد المطلب، إبراهيم عبد اللطيف، (٢٠١٧م): المآلات المستقبلية لسد النهضة علي السودان، مجلة جامعة بخت الرضا، العدد الواحد العشرون، ٢١/ يوليو / ٢٠١٧م ص ص (١٨٠-١٩٣)الدويم السودان

١٣- تأثير مباشر علي التغذية السنوية للمياه الجوفية خاصة في فترة فصل الخريف خاصة ان مانسبته (٨٤٪) هي كمية الإيرادات المائية للنيل الأزرق تأتي في فصل الخريف.

١٤- سوف تتداخل عوامل جيمورفولوجية للنيل الأزرق فيه بسبب قوة والمياه تارة وبط المياه تارة أخرى مما يعجل ببعض الملامح المصاحبة لتلك العمليات الجيومورفولوجية مثل:

أ.النحر النهر ب.تغير في مراحل النضج والشباب للنهر ج.تكوين الجزر الرملية

١٥- نتيجة لانخفاض في كمية الوارد السنوي للمياه سوف ينخفض المنسوب النهر مما ينعكس سلبا علي عمليات الري الفيضي التي سوف تتحول الي ري بالطمبات مما يزيد تكاليف مدخلات الانتاج الزراعي.

٧- حجز الطمي خلف سد النهضة سلاح ذو حدين متمثلة في الآتي احدهما ايجابي والاخر سلبي:

أ- إطالة عمر السدود السودانية من خلال اتساع السعة التخزينية للسدود والخزانات السودانية (الاجاي).

ب- بفقدان الطمي تفقد صناعة الطوب حول الجروف النهرية المادة الخام لاستمرار تلك الصناعة(سلبي).

١٦- الخطاب الإعلامي تجاه السودان: كما تناولها(الرشيدي، ٢٠١٧م)^(١) رغم حاجة مصر الملحة لاكتساب السودان الي صفها في المفاوضات مع إثيوبيا، إلا إن خطاب الإعلام المصري تجاه السودان ساهم بشكل كبير في توتير العلاقات الثنائية بشكل يودي الي فقدان مصر لمساندة جاراها التاريخي.

فقد استمرت نفس النبرة الاستعلائية التي ميزت خطاب الإعلام المصري في حديثه عن السودان حتي إن عدد من الكتاب والصحفيين والإعلاميين اتهم السودان صراحة بالتخلي

(١) الرشيدي، أسامة، (٢٠١٧م): الإعلام المصري وصناعات الأزمات سد النهضة نموذجا، المعهد المصري للدراسات السياسية والإستراتيجية، دراسات إعلامية، القاهرة، مصر. (ص، ٤-٥)؟

عن مصر ودعم موقف إثيوبيا في مفاوضات سد النهضة وكان السودان المفترض إن يتبع مصر بحذافيرها حتي لو كانت لا تري في السد خطرا كبيرا عليها وإلا تعتبر ذلك خيانة.

وفي هذا الإطار برزت قضيتن أساسين وهما :

الأولي: قضية مثلث حلايب وشلا تين الحدودي المتنازع عليه بين مصر والسودان وهي قضية يتم إثارتها بشكل دوري بين الجانبين ودائما ما يهاجم الإعلام المصري بشدة أي تصريحات سودانية تفيد بان المنطقة تنتمي الي السودان.

الثانية: تعامل الإعلام المصري مع المواطنين السودانيين في مصر بتهمة الاتجار بالبشر والعملة في نوفمبر ٢٠١٥م

ثانيا: سندان التصحر:

التصحر مشكلة بيئية اقتصادية اجتماعية تواجه قاطني المناطق الجافة ويسبب التصحر في انخفاض الانتاج المحصولي والغابي والمراعي والثروة الحيوانية مما يؤدي الي تدهور البيئي والاقتصادي والاجتماعي والي الفقر في نهاية الأمر والسودان اكبر الأقطار الإفريقية معاناة مع التصحر نسبة لوقوعه في منطقة الحزام الساحل السوداني مما ادي الي تباين في عمليات هطول الامطار والتربة نتج عن ذلك تباين في الغطاء النباتي الذي ينقسم الي سبعة مجموعات نباتية مختلفة في السودان وهي علي النحو التالي: (وهذا التقسيم قبل انفصال دولة جنوب السودان ٢٠١١م) (أبو سوار، ٢٠٠٨م)^١ والخريطة (٤) البيئات النباتية في السودان توضح ذلك.

- ١- الصحراء : نسبة الهطول من (الصفير الي ٢٥) ملم في العام وتعادل ٢٨٪ من مساحة القطر.
- ٢- شبه الصحراء: نسبة الهطول من (٧٥ الي ٣٠٠) ملم في العام وتعادل ١٩٪ من مساحة القطر.
- ٣- سافنا منخفضة الامطار في الأراضي الرملية: نسبة الهطول من (٣٠٠ الي ٤٠٠) ملم في العام وتعادل ٢٦, ٦٪ من مساحة القطر.

(١) أبو سوار، عوض عثمان، (٢٠٠٨م): التصحر في السودان: المخاطر والحلول، الندوة الإقليمية حول المياه وتفاقم ظاهرة التصحر بالدول العربية، (١٣ ١٨ يوليو ٢٠٠٨م)، طرابلس الجماهيرية الليبية (ص، ٣-٤)

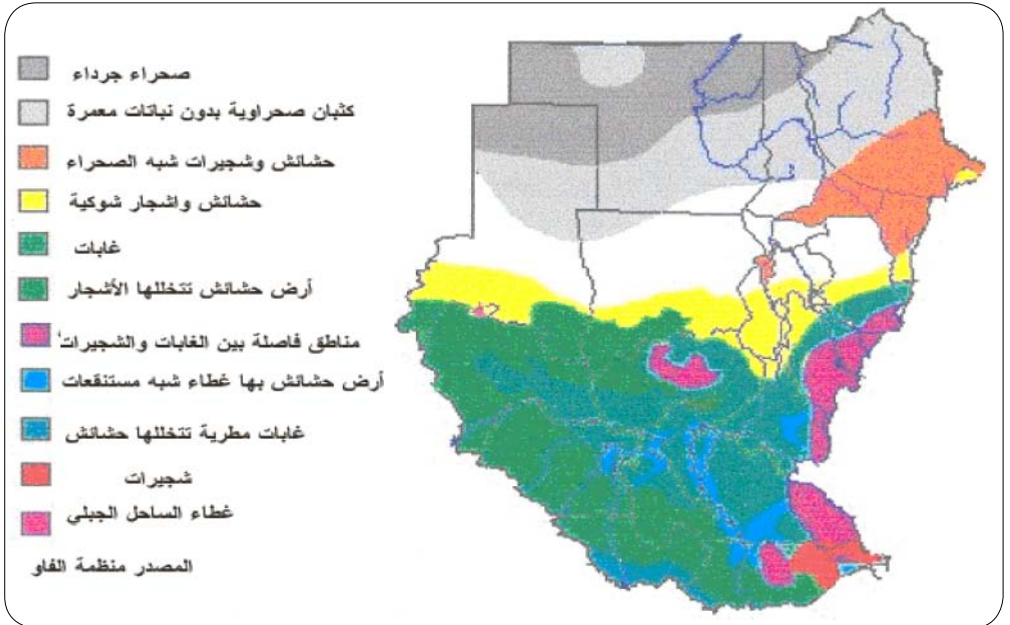
٤- سافنا منخفضة الامطار في الأراضي الطينية : نسبة الهطول من (٤٠٠ الى ٨٠٠) ملم في العام وتعادل ٣, ١٣٪ من مساحة القطر.

٥- سافنا غزيرة الامطار: متوسط الهطول من (٨٠٠ الى ١٣٠٠) ملم في العام وتعادل ٥, ٩٪ من مساحة القطر.

٦- المناطق الجبلية: متوسط الهطول من (٨٠٠ الى ١٠٠٠) ملم في العام وتعادل ٣, ٠٪ من مساحة القطر.

٧- منطقة الفيضانات: متوسط الهطول من (٨٠٠ الى ١٠٠٠) ملم في العام وتعادل ٢, ٣٪ من مساحة القطر. (أبو سوار، ٢٠٠٨م)

الخريطة (٤) البيئات النباتية في السودان



المصدر: (أبو سوار، ٢٠٠٨م)^١

(١) أبو سوار، عوض عثمان، (٢٠٠٨م): التصحر في السودان: المخاطر والحلول، الندوة الإقليمية حول المياه وتفاقم ظاهرة التصحر بالدول العربية، (١٣ يوليو ٢٠٠٨م)، طرابلس الجماهيرية الليبية (ص، ٣-٤)

التدهور البيئي:

كما تناولها (محمد، ٢٠١٠م)^١ بأن هنالك دراسة نشرت نتائجها وزارة الطاقة السودانية في العام (١٩٨٣م) توصلت الي إن معدل الاستهلاك الحالي في مقابل عمليات التجديد والإحلال وزراعة المناطق الغابية سيؤدي الي إخلاء مناطق الغابات في شمال السودان بنهاية العام (٢٠٠٣م) أي تعرية منطقة تعادل مساحتها (٦) إضعاف مساحة فرنسا.

التعرية البيئية الواسعة النطاق بالإضافة الي حرمان السكان من الاستفادة من الموارد الطبيعية والاجتماعية الي جانب التنافس والصراع الناتجين عن ذلك علي ثروة البلاد الأخذة في التضاؤل أدت بمجلها الي تحويل ثاني اكبر قطر في القارة الإفريقية الي مساحات للصراعات الدموية المتواصلة بمعنى آخر فان هذه النزاعات نشأت في الأساس من التشوهات البيئية والاقتصادية.

وتتميز المناطق الجافة وشبه الجافة والتي تشكل معظم شمال السودان بارتفاع كثافتها السكانية رغم إن متوسط الكثافة العامة لا يزيد عن (١٠) أشخاص لكل كليومتر^٢، ويعود هذا الوضع الي إن معظم السكان يتركزون في المناطق التي تتوفر فيها مياه الشرب والأرض الخصبة الصالحة للزراعة، وعبر القرون طور سكان مناطق حزام السافانا الإفريقي الذي يمتد من تلال البحر الاحمر شرقا الي المحيط الأطلسي غربا آليات عديدة للتعامل مع الزحف الصحراوي ومواجهة فترات الجفاف التي تشهد ها المنطقة بين الحين والآخر والخريطة (٢) توضح امتدادات الزحف الصحراوي في السودان عبر النطاقات الجغرافية وكن منذ العام (١٩٧٦م) ظل معدل سقوط الامطار يتراجع من المتوسط السابق الذي كان مستقرا لفترة طويلة الأمد، وتعرضت الاستراتيجيات المكتسبة لمواجهة فترات الجفاف الي ضغوط فوق طاقة احتمائها بسبب استمرار حالات الجفاف لفترة أطول وسجل معدل هطول الامطار عجزا يتراوح بين (٤٠٪ / ٥٠٪) بالمقارنة ما كان عليه خلال (١٥) عاما السابقة.

وكان هنالك اعتقاد واسع خلال عقدي السبعينات والثمانينات من القرن العشرين بأن الجفاف في منطقة حزام السافانا الإفريقي قد تنج عن طريق استنزافي بفعل الإنسان إذ تدهور المرعي بسبب تزايد معدل الرعي وأزيلت الغابات للحصول علي الأخشاب وحطب الوقود ولكن ومنذ منتصف الثمانينات أجمعت آراء الاختصاصيين نحو تغليب وجهة النظر القائلة بأن التغيرات في

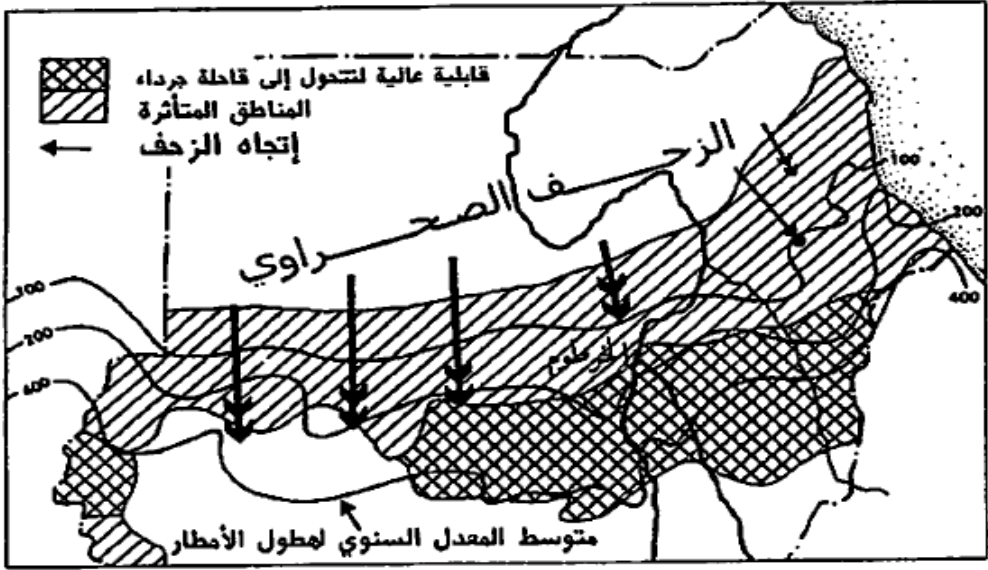
(١) محمد، سليمان محمد، (٢٠١٠م): السودان حروب الموارد والهوية، الطبعة الثانية، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، السودان (ص، ١٢٧-١٢٩)

درجة حرارة الأرض هي العامل الرئيسي ولكن كلا التغيرين الحاصلين الإقليمي والعالمي تغير في النهاية من نتائج تدخل الإنسان وتأثيره السلبي علي النظام الايكولوجي بالإضافة للجفاف فان الطرق غير الرشيدة والجائرة لاستخدام الأرض كالرعي المكثف والتوسع المطرد في استخدام أساليب الزراعة الإلية في مناطق الري المطري يعملان علي تدمير النظام الايكولوجي لمنطقة الحزام السافانا السوداني التي يسكنها (٧٠٪) من سكان البلاد

ان الدراسة السابقة ذكرها تؤكد إن اقتصاد الإعاشة في منطقة الساحل الواسعة هذه قد تأثر الي درجة لايمكن معالجتها سريعا نتيجة للنشاط الإنساني الجائر والتغير المناخي بالإضافة الي إن العملية (الطبيعية) البطيئة للتحلل والانذار قد سارعت كثيرا بسبب استغلال مؤسسة الجلابة الذي لم يسبق له مثيل للموارد الطبيعية الذي أحجه اندماجهم في نشاطات السوق العالمي وفي إخلاصهم للدور المحدود المناط بهم كمستغلين للثروات الطبيعية الأولية بالإضافة الي ذلك فان شروط الاقتراض من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي تشجع بصورة ملحوظة هذا التحول في استخدام الموارد الطبيعية بعيدا عن حاجات الناس وحاجات السوق المحلية وذلك بتوجيهها بصورة أساسية نحو تلبية احتياجات السوق العالمية، وخلال هذه العملية وفي نطاق سياقها كان التراجع في الشروط العادلة للتجارة العالمية الذي حدث بسبب انهيار أسعار المواد الأولية وأثره السلبي علي السوق المحلي حيث تدهورت أيضا شروط التجارة فيه وصار الرعاة والمزارعين لكي يحافظوا علي مستوي معيشتهم إن يزيدوا الانتاج من أراضي متناقصة الإمكانات وان يستهلكوا بشكل متصاعد مواردهم الطبيعية فإذا لم يفلحوا في ذلك اجبروا علي الهجرة من مناطقهم والانضمام الي الملايين من الفقراء المعدمين.

إن حياة الإنسان والحيوان تعتمد علي وجود توازن دقيق بين التربة والماء والنبات إذ يؤدي اختلال أي من هذه العناصر الحيوية الي تردي أكيد إن عوامل مثل التغير المناخي وأنهاك التربة من خلال الاستخدام او المغالاة فيه والنمو السكاني او النزوح والتغيرات السلبية في طريق تمليك الأرض والحرب او تصدير الموارد الطبيعية تسبب إضرارا علي البشر والحيوانات والبيئة وقد حلت كل هذه العوامل الضارة علي البلاد مجتمعة خلال حقبة زمنية لا تزيد عن حياة جيل واحد(محمد، ٢٠١٠م)^١. والخريطة (٥) إخطار التصحر والزحف الصحراوي توضح ذلك.

(١) محمد، سليمان محمد، (٢٠١٠م): السودان حروب الموارد والهوية، الطبعة الثانية، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، السودان(ص، ١٢٩)



خريطة (٥) إخطار التصحر والزحف الصحراوي

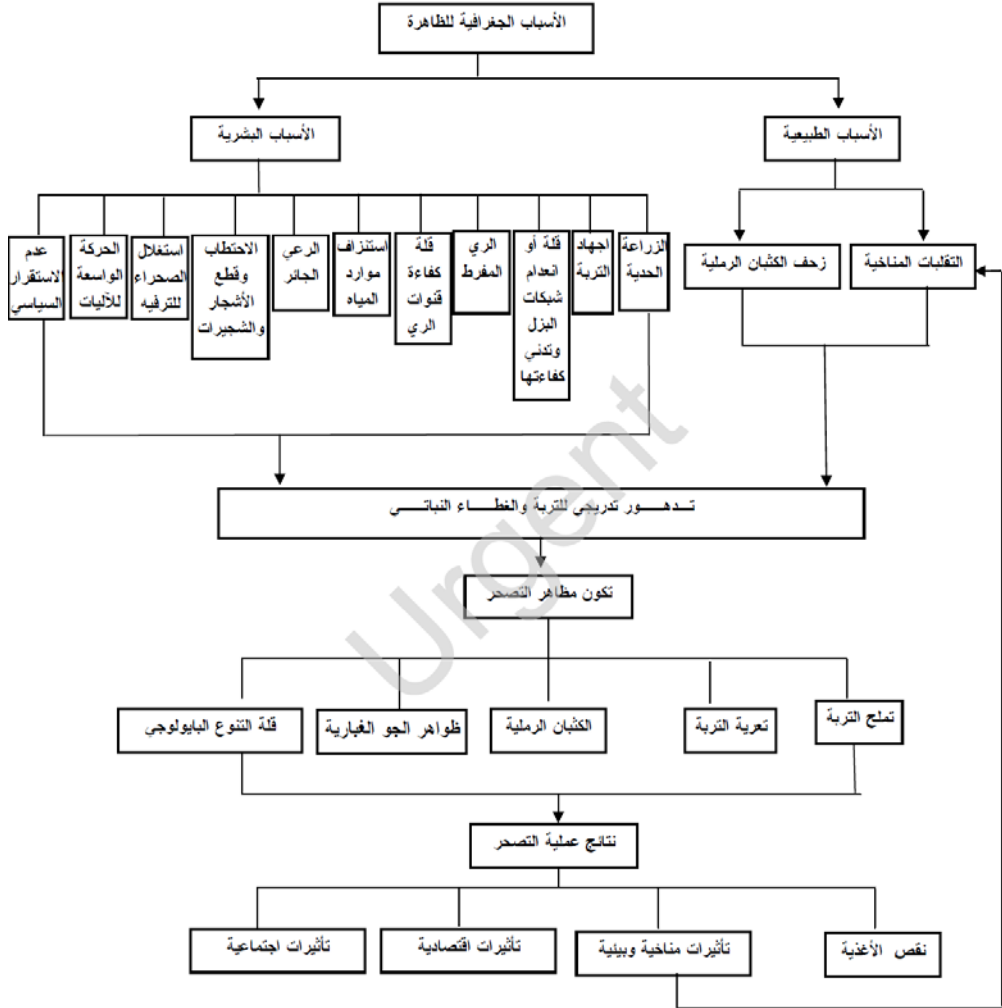
(المصدر: (محمد، ٢٠١٠م)

المنظومة الجغرافية لظاهرة التصحر:

تمثل فكرة المنظومة الجغرافية أو الشق الجغرافي أحد الاتجاهات الحديثة في الفكر الجغرافي، فكل ظاهرة جغرافية لا بد أن يكون توزيعها وانتشارها بشكل (Morphology) معين تفرزه مجموعة من العوامل المختلفة والتي ينفرد الجغرافي عن غيره برؤيته إياها ضمن سلة واحدة (المركب البيئي) إن أشكال التصحر المتمثلة ب) تملح التربة وتعريتها، الكثبان الرملية وزحفها وتكرار مظاهر الجو الغبارية وقلة التنوع البيولوجي) ويمكن يكون منظومة بيئية مركبة تدعي بظاهرة التصحر، كما أنها تعد منظومات فرعية تمثل إشكالا متعددة لحقيقة واحدة هي التدهور البيئي

إن أسباب التصحر المختلفة تعتبر مدخلات المنظومة (In put) بينما آلية تدهور التربة التدريجي التي ينتج عنها أشكال التصحر (المظاهر) تعتبر العملية (Process) وأن نتائج تلك العملية المخرجات (Out put) تتمثل ب) نقص الأغذية - التأثيرات المناخية - والتأثيرات الاقتصادية والاجتماعية) كما يتبين من المخطط السهمي (١) .

(١) محمد، سليمان محمد، (٢٠١٠م): السودان حروب الموارد والهوية، الطبعة الثانية، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، السودان (ص، ١٢٩)



المصدر: (السعيد، ٢٠٠٩م)^١

التوزيع الجغرافي للتصحر في السودان:

كما أوردتهما كل من (عبد اللطيف، محمد، ٢٠١٢م)^٢ وتنحصر ظاهرة التصحر في المناطق التي تقع بين خطي عرض (١٠-١٨) درجة شمال في مساحة تبلغ (١٢٦,٠٠٠) كلم^٢ بالتقريب أي

(١) السعيد، علي غليس ناهي، (٢٠٠٩م): المفهوم والمنظومة الجغرافية لظاهرة التصحر، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، جامعة ميسان، كلية التربية، المجلد الثامن، العدد الخامس عشر، ص (١٦٦-١٨٣)

(٢) عبد اللطيف، محمد، مها علي، محمد عمر (٢٠١٢م): ملامح من ظاهرة التصحر، المكتبة الوطنية، ردمك: (١-٥٤-٦٥-٩٩٩٤٢-٩٧٨)، كتاب دراسي، الخرطوم، السودان (ص، ٦٠، ٦١)

ما يعادل (٥١٪) من مساحة البلاد قبل انفصال جنوب السودان عام (٢٠١١م) وقد تم تقدير إبعادها عن طريق استخدام نظام المعلومات الجغرافية بدلالة المؤشرات مثل استخدامات الأرض، الجيومورفولوجيا، المستوطنات البشرية، نمط التربة، التصريف المائي، وتوزيع الامطار وعلي ضوء ذلك تم التعرف علي خمس درجات للتصحر (حاد جدا- حاد- متوسط- بسيط- بسيط جدا)، أوضحت الخرائط التي أعدت إن هنالك تذبذب في هطول الامطار، وتحرك خطوط التماطر خلال الفترة ما بين (١٩٣٠ - ١٩٩٠م) من الشمال الي الجنوب مما يعني زيادة المساحات الأكثر جفافا إثناء دراسة استبنق (Stebbing ١٩٣٢) للغطاء النباتي في السودان، لاحظ زيادة مساحة الأراضي المتصحرة ذات التربة المتدهورة، وفسر ذلك حينئذ لسوء استخدام الموارد الطبيعية أكثر من مونه ناتجا عن تغير المناخ وكان هذا التفسير مقبولا الي وقت قريب، وهو أيضا ما أورده تقرير لجنة صيانة التربة في العام (١٩٤٤م)، وأضاف التقرير إن لتغير المناخ دور ثانيا في إحداث التصحر في السودان، خاصة بعد حدوث دورات الجفاف خلال الفترات (١٩٦٧ - ١٩٧٣ - ١٩٨٤ - ١٩٨٥م)، وتلي موجة جفاف في أواخر الثمانينات أدت الي التعرف علي خمس درجات للتصحر في السودان: (حاد جدا- حاد- متوسط- بسيط- بسيط جدا)، وتستند تقديرات واتجاهات تدهور الأراضي علي التفاعل بين بعض العوامل مثل: المناخ والتربة والغطاء النباتي والأنشطة الإنسانية، جدول (٣) قراءات عن التصحر في السودان ذلك

جدول (٣) قراءات عن التصحر في السودان

المساحة الكلية الف كم ^٢	المساحة المتصحرة الف (كم ^٢)	النسبة %	الساحة المهددة بالتصحر	
			الف (كم ^٢)	النسبة %
٢٥٠٦	٧٢٥	٢٨,٩ %	٦٥٠	٢٥,٩

المصدر (أكساد، ٢٠٠٨م)^١

وبهذا يمكن جمع الولايات المتأثرة بالتصحر في ثلاث مجموعات وهي علي النحو التالي:
المجموعة الأولى: وهي الأكثر تصحرا وتقع في المناطق الشمالية والشمالية الشرقية من السودان.
وتشمل الولاية الشمالية وولاية نهر النيل وولاية كسلا

(١) أكساد، (٢٠٠٨م) حالة التصحر في الوطن العربي، دراسة محدثة تم إعدادها بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للبيئة غربي آسيا. (ص، ٢٥٥)

المجموعة الثانية: هي الولايات الواقعة على السهول الطينية الوسطي والمشاريع المروية الرئيسية وتشمل علي ولايات القضايف - سنار - الجزيرة - النيل الأبيض وتنعم هذه المجموعة بمعدل سنوي للأمطار يتراوح ما بين (١٠٠ الى ٥٠٠) ملم. ولذا تكون درجة التصحر فيها وسطا وتعاني من تدهور موارد الأرض بسبب الزراعة الآلية غير المرشدة وانتشار قطع الأخشاب والرعي الجار وزحف الكثبان الرملية.

المجموعة الثالثة: تضم الولايات الغربية وتشمل ولايات شمال وغرب كردفان وولايات شمال وغرب دارفور والتربة فيها رملية جيدة النفاذية للمياه ولذلك استخدمت بشكل واسع في الزراعة المطرية التقليدية وتمثل هذه الولايات الموطن الرئيسي للرعاة (عبد اللطيف، محمد، ٢٠١٢م)^(١).

ونجد إن للتصحر آثار مترتبة عليه والتي تناو لها (الجندي، ب، ت)^٢ وتبدو مؤشراتنا في الآتي:
أولاً: الآثار البيئية:

يتمثل في بفقدان التنوع الحيوي وتدهور التربة وبالتالي تدني الإنتاجية وفقد النظم البيئية والإنسان والقدرة علي التكيف مع تغير المناخ وإثارة العواصف الترابية وزحف الرمال التي تهدد المنشآت الاقتصادية والاجتماعية والمزارع وغيرها.

ثانياً: الآثار الاقتصادية:

تتمثل بضعف الانتاج، وقلة فرص العمل، وانعدام فرص التطور الصناعي المرتبط بالمنتجات الزراعية، وتدني مستوي الدخل الفردي والوطني.

ثالثاً: الآثار الاجتماعية:

وتتمثل في الفقر والهجرة من القري والبوادي الي المدن مما أثرت علي المشكلات الحضرية من خلال زيادة في عدد السكان وارتفاع نسبة الجريمة وغيرها.

رابعاً: الآثار التنموية:

يجلب التصحر بمفهومه الواسع مزيداً من الجفاف ويقضي علي النباتات الطبيعية، ويؤدي الي تدهور خصوبة التربة مما يؤدي لتقليل الانتاج الغذائي والزراعي ويسهم في التلوث الأرضي والمائي

(١) عبد اللطيف، محمد، مها علي، محمد عمر (٢٠١٢م): ملامح من ظاهرة التصحر، المكتبة الوطنية، ردمك: (١) -

٥٤-٦٥-٩٩٩٤٢-٩٧٨)، كتاب دراسي، الخرطوم، السودان (ص، ٦٠، ٦١)

(٢) الجندي، محمود جميل (ب، ت): اثر التوجيه الجغرافي في خطط التنمية في الوطن العربي (التصحر نموذجاً)، باحث في الدراسات السلام والنزاعات، الجامعة الهاشمية، عمان، الأردن (ص، ٤٥)

والهوائي في تفاقم مشكلة التصحر ويرتبط هذا بالكوارث الطبيعية وتدهور صحة الإنسان ويرتبط تلوث الهواء بالاحتفاظ السكاني وبارتفاع كثافة المرور داخل المدن بوجود المصانع حول المدن ولاشك في إن التلوث بجميع أنواعه الأرضية والمائية والهوائية ينعكس سلبا علي مشاريع وخطط التنمية .

الآثار والاقتصادية الاجتماعية للتصحر في السودان:

وهي ظاهرة للعيان في جميع أنحاء السودان بدرجات متفاوتة وهي متداخلة مترابطة تبدو كحلقة دائرية يصعب فصلها من بعضها البعض ونأولها هنا مجملا:

أولا: الآثار الاقتصادية: والتي تبدو مؤشراتها في الآتي:

- ١- فقدان معظم أدوات ومعينات الانتاج الحيواني إذ ان هذا القطاع هو أول يضحي وآخر من يستفيد وان نسبة الصمود لدي هذا القطاع تسم بالهشاشة والضعف في مجابهة الأزمات والكوارث.
- ٢- زحف الرمال اثر علي معظم الأراضي الزراعية وقلل من فعالية التربة الزراعية.
- ٣- البحث عن بدائل اقتصادية ومعيشية جديدة بدلا من التي كانت تمارس في السابق المتمثلة في النشاط الاقتصادي التقليدي (الزراعة والرعي) بما يسمى هجران القطاع
- ٤- ظهور القطاع الاقتصادي غير الرسمي داخل المراكز الحضرية
- ٥- خروج المرأة للعمل علما بأنه من المعيب جدا خروج المرأة للعمل عند المجتمعات الريفية السودانية .

٦- البطالة الحضرية بحثا عن وطاف او عمل في القطاع الاقتصادي الرسمي وغير الرسمي

ثانيا: الآثار الاجتماعية: والتي تبدو مؤشراتها في الآتي:

- ١- هجرة الرجال وخاصة الشباب منهم والتوجه نحو المراكز الحضرية.
- ٢- ظاهرة تأنيث الأسر بحيث تقوم المرأة بالأعباء (اليومية والمعيشية) للرجل في حالة غياب اتجاه أسرته
- ٣- تعرض الأسر خاصة النساء للتنمر الشبابي وذلك نسبة لغياب الأب والأخ والزوج.....الخ.
- ٤- ظهور العنوسة وسط البنات وعزوف الشباب عن الزواج بسبب هجرة الشباب والانغماس في أضواء المدينة.
- ٥- التسرب الدراسي بسبب الفقر وغياب الراعي الرسمي للأسرة بالإضافة الي ضعف إدارة المرأة للأسرة
- ٦- ظهور قرى متصحرة
- ٧- كنتيجة لعملية التصحر يضطر السكان إلى ترك هذه المناطق المتصحرة مما يؤدي إلى اكتظاظ المدن وانتشار البطالة وفقدان الهوية داخل المراكز الحضرية

المحور الخامس:

مناقشة الفرضيات:

علي ضوء الفرضية الأولى التي تنص (لسد النهضة آثار مستقبلية علي السودان) عند استعراض الدراسة اتضح لنا للسد النهضة أثار اقتصادية وامن مائي وجيولوجية وبيئية (مستقبلية) مما يضع السودان تحت خيارات صعبة من حيث التعامل مع تلك الخيارات علي ضوء الفرضية الأولى التي تنص (للتصحر آثار آنية ومستقبلية علي السودان) إن للتصحر أثار آنية تبدو مؤثراتها في الآثار الاقتصادية والاجتماعية وكذلك أثار بيئية وهذا المسببات الآنية سوف تكون لها أثار مستقبلية إذا لم تتم وضع تدابير حالية ومستقبلية لمعالجة تلك الآثار.

النتائج:

- ١- السودان يقع بين مطرقة سد النهضة وسندان التصحر
- ٢- التصحر له أثار اقتصادية واجتماعية وبيئية في السودان في المرحلة الحالية والمستقبلية
- ٣- سد النهضة من خلال الاستعراض الفكري سوف تكون له أثار كارثية علي السودان زراعيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وامن مائي.
- ٤- تغيير التركيبة السكانية في المراكز الحضرية (تحت نظرية البقاء مع العسر)
- ٥- هناك أثار اقتصادية واجتماعية وبيئية بسبب التصحر في الماضي والحاضر وسوف تمتد الي المستقبل.

التوصيات: توصي الدراسة بالاتي:

- ١- لا بد من الوضع في الحسبان لدي متخذي القرار العمليات البيئية الناتجة عن التصحر.
- ٢- عمليات الزحف الصحراوي مستمرة اتجاه الجنوب لا بد من تدابير وقائية حالية ومستقبلية.
- ٣- لا بد من عمل دراسات متخصصة حول أثار ومردودات سد النهضة اقتصاديًا واجتماعيًا وبيئيًا مع وضع الخيارات والسيناريوهات الصعبة والمتحملة لذلك.
- ٤- لا بد من المعالجات والرؤي المستقبلية لآثار التصحر في السودان اقتصاديًا واجتماعيًا وبيئيًا
- ٥- لا بد من توسيع قاعدة الغطاء النباتي الأخضر في كل مناحي السودان لتصدي لعمليات الزحف الصحراوي.

- ٦- لابد من عمل مشاركات مجتمعية وحومة ومنظمات المدنية والدولية لتحقيق أهداف وأنشطة ونتائج متوقعة حول مكافحة التصحر .
- ٧- وضع خريطة للاستخدام المتوازن والمستدام للأرض ومراجعة سياسات الاستثمار الزراعي والرعوي للتماشي مع أهداف الخريطة بالإضافة الي إنشاء صندوق وطني لمكافحة التصحر واستقطاب تمويل المشروعات العاملة في مكافحة التصحر (عبد اللطيف، محمد، ٢٠١٢م)^(١).

قائمة المراجع:

- ١- إبراهيم . مروان عبد المجيد (٢٠٠٠م) : أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية، ط ١ مؤسسة الوراق . عمان . الأردن
- ٢- أبو سوار، عوض عثمان، (٢٠٠٨م): التصحر في السودان : المخاطر والحلول، الندوة الإقليمية حول المياه وتفاقم ظاهرة التصحر بالدول العربية، (١٣ يوليو ٢٠٠٨م)، طرابلس الجماهيرية الليبية
- ٣- أبو سليم، محمد (د، ت) : الساقية، معهد الدراسات الإفريقية والبشرية، بيروت، لبنان
- ٤- بشير، محمد ادم أبكر، (٢٠٢٠م) : أثار سد النهضة الإثيوبي علي السودان تاريخ المفاوضات ومناقشة بعض مخاطر وفرص السد، مركز تأسيس للدراسات والنشر الورقة (٩)
- ٥- اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا(د، ت): تقرير اجتماع التنفيذي الإقليمي التابع للجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا
- ٦- الجندي، محمود جميل(ب، ت): اثر التوجيه الجغرافي في خطط التنمية في الوطن العربي (التصحر نموذجا)، باحث في الدراسات السلام والنزاعات، الجامعة الهاشمية، عمان، الأردن
- ٧- دون، جيممين اوليفيا دون، فرانسوا جيممين، (د، ت)، الهجرة البيئية، مشروع سيناريوهات التغير البيئي والهجرة القسرية التابع للاتحاد الأوربي
- ٨- الرشدي، أسامة، (٢٠١٧م): الإعلام المصري وصناعات الأزمات سد النهضة نموذجا، المعهد المصري للدراسات السياسية والإستراتيجية، دراسات إعلامية، القاهرة، مصر .
- الرفاعي، احمد حسين (٢٠٠٧م): منهج البحث العلمي، الطبعة الخامسة، دار وائل للنشر، القاهرة ، مصر
- ٩- سعد، أسماء، (٢٠١٦م): ماهي دول الساحل الإفريقي، موقع الرسائل، زمن التحديث ١٤/٤/٢٠١٦م، زمن الزيارة (١/٦/٢٠٢٠م) اليوم / الاثنين، زمن الدخول، الساعة (٨، ٤٠) الساعة والدقيقة الفترة الصباحية .

(١) عبد اللطيف، محمد، مها علي، محمد عمر (٢٠١٢م): ملامح من ظاهرة التصحر، المكتبة الوطنية، ردمك: (١- ٥٤-٦٥-٩٩٩٤٢-٩٧٨)، كتاب دراسي، الخرطوم، السودان (ص، ٩٦)

- ١٠- ألسعيدى، علي غليس ناهي، (٢٠٠٩م) : المفهوم والمنظومة الجغرافية لظاهرة التصحر، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، جامعة ميسان، كلية التربية، المجلد الثامن، العدد الخامس عشر، ص (١٦٦-١٨٣)
- ١١- الطيب، جلال الدين، (٢٠٠٥م) : مبادي علم الجغرافيا، منشورات جامعة السودان المفتوحة، الخرطوم، السودان
- ١٢- عبد اللطيف، محمد، مها علي، محمد عمر (٢٠١٢م) : ملامح من ظاهرة التصحر، المكتبة الوطنية، ردمك: (١-٥٤-٦٥-٩٩٩٤٢-٩٧٨)، كتاب دراسي، الخرطوم، السودان
- ١٣- العاقب، احمد عبد الرحمن، (٢٠١٣م) : سد النهضة وفقدان الطاقة الدافعة لمياه النيل الأزرق، صحيفة الخرطوم بتاريخ ٢٣/٧/٢٠١٣م، السودان، الخرطوم
- ١٤- عبد الرحمن، صديق نورين وآخرون (د، ت) : تصنيف التربة الزراعية بحض وادي كنم وآثره في التنمية الزراعية المستدامة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، السودان شال دارفور
- ١٥- عبد الجليل، عمر محمد، (٢٠١٦م) : مجموعة محاضرات في مقرر جغرافية السودان، وحدة الموارد المائية، جامعة كسلا، كلية التربية، قسم الجغرافيا والتاريخ، كسلا، السودان
- ١٦- عبد القادر، إبراهيم الأمين (ب، ت) : السودان الأخضر بين دفتي السد العالي وسد النهضة، سينان العالمية للطباعة، الطباعة، الخرطوم، السودان .
- ١٧- عبد المطلب، إبراهيم عبد اللطيف، (٢٠١٧م) : المآلات المستقبلية لسد النهضة علي السودان، مجلة جامعة بخت الرضا، العدد الواحد العشرون، ٢١/ يوليو / ٢٠١٧م ص ص (١٨٠-١٩٣)الدويم السودان.
- ١٨- عبود، صلاح الدين محمد علي، (٢٠٠٨م) : تشجير المناطق القاحلة، الكتاب السادس، سلسلة كتب صلاح الدين عبود الجامعية، شركة مطابع السودان العملة، الخرطوم، السودان.
- ١٩- عبد العزيز، عبد الحافظ (٢٠٠٥م)، : حماية المياه في القانون الدولي في حالة السودان، مطبعة السودان المحدودة الطبعة الثانية، الخرطوم، السودان
- ٢٠- عبد السلام، محمد (د ت) : هيدروبوليتكية سد النهضة، دراسة في الجغرافيا السياسية، القاهرة، مصر.
- ٢١- أكساد، (٢٠٠٨م) حالة التصحر في الوطن العربي، دراسة محدثة تم إعدادها بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للبيئة غربي آسيا.
- ٢٢- محمد، سليمان محمد، (٢٠١٠م) : السودان حروب الموارد والهوية، الطبعة الثانية، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، السودان

- ٢٣- محمد احمد، عمر عبد الجبار، (٢٠٠٥م): معجم علم الاجتماع الحديث، ط١، مطابع الخالد للاوفست، الرياض، السعودية.
- ٢٤- مصطفى و اللبح، محمود ابوبكر، احمد عبد الله، (٢٠٠٩م): مناهج البحث العلمي (أسس علمية - حالات تطبيقية) الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر.
- ٢٥- المعهد الدولي لإعادة بناء الريف (٢٠٠٥م): إدارة الموارد في الأراضي الجافة . دليل إرشاد لشرق وجنوب أفريقيا، ترجمة حسن أحمد عبد العاطي ، مطابع سولو، الخرطوم، السودان .
- ٢٦- هارون، علي احمد، ٢٠٠٠م: جغرافية الزراعة، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر
- ٢٧- وكيل، ميخائيل، جورج (١٩٩٠م): المنشآت المائية، دمشق سوريا
- ٢٨- وزارة الري والموارد المائية، (٢٠٠٠م): السياسة المائية في السودان، الخرطوم، السودان

Reference :

- 1- Omer, A. (2010) Water Resources Management and Sustainable Development in Sudan. International Journal of Water Resources and Environmental Engineering. Vol. 2 pp- 190- 207.



الفداء وتبادل الأسرى البيزنطي في العصر العباسي

إعداد/ د. سلوى التجاني فضل جبر الله

استاذ مساعد - جامعة الملك خالد

المستخلص:

إحتلت المفاوضات بشأن الأسرى بين المسلمين واعدائهم البيزنطيين جانباً أساسياً وفعالاً من جوانبها الدبلوماسية في الإسلام حيث جرى العمل على فداء الأسرى عن طريق التبادل، حيث تم أول تبادل عن طريق المفاوضات بين الروم والعباسيين في عهد الخليفة هارون الرشيد عام ١٨١هـ، إذ كانت العمليات الحربية المتتابة بين الطرفين تنتهي بأعداد كبيرة من الأسرى فشأت الحاجة إلى التفاوض على معاهدات لتبادل أسرى الحرب أو دفع الفدية، تأتي أهمية هذه الدراسة في التعرف على طبيعة العلاقات السلمية بين الدولة العباسية والإمبراطورية البيزنطية والتي كان من نتائجها عمليات الفداء، والرسائل المتبادلة بين الطرفين تبين كيفية إجرائه، كانت عملية فداء الأسرى تتم عن طريقتين، إما فك الأسرى بالمال أو تبادل أسرى البيزنطيين بأسرى مسلمين، أيضاً الوقوف على بداية عمليات الفداء المنظم مع البيزنطيين في العصر العباسي ودور الخلفاء العباسيين في فك الأسرى.

تهدف هذه الدراسة إلى بيان التطورات التاريخية في العلاقات العباسية البيزنطية والجانب السلمي المتعلق بتبادل الأسرى وذلك بهدف الوصول لمستقبل مشرق في علاقات المسلمين مع غيرهم، والرغبة في المسألة والمهادنة لوقف الحرب، كذلك توضح الدراسة عمليات الفداء المنظم التي تمت في عصر الخلفاء العباسيين ومدى إسهامهم في هذا الجانب، إعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي والوصفي التحليلي، وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها حرص الدولة الاسلامية على سلامة المسلمين وأمنهم وإستقرارهم وكذلك حوجة الخلافة العباسية والامبراطورية البيزنطية إلى تهدئة الصراع ووقف الحرب والنزاع وعقد الاتفاقيات والهدن للوصول إلى اتفاق تبادل الأسرى، توصلت الدراسة عدة توصيات منها الاهتمام بالعلاقات الدبلوماسية الإسلامية عبر العصور التاريخية المختلفة مع العالم الخارجي، بالإضافة إلى ذلك التوسع في دراسة تطور التاريخ الحضاري والثقافي الاسلامي والاستفادة منه في مواجهة القضايا المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: العلاقات، الفداء، التبادل، الأسرى، المفاوضات

Abstract:

Negotiations on the prisoners between the Muslims and their byzantine enemies occupied an essential and effective aspect of its diplomatic aspects in Islam, where the work was taken to redeem the prisoners through exchange, where the first exchange took place through negotiations between the romans and the Abbasids during the era of caliph Harun al Rashid in 181 AH, as successive military operations between the two sides it ends with large numbers of prisoners, and the need arose to negotiate treaties for the exchange of prisoners of war or the payment of ransom. the importance of this study comes in identifying the nature of peaceful relations between the Abbasid state and the Byzantine Empire, which was the result of redemption operations, and the letters exchanged between the two parties show how it was conducted. the prisoners, redemption is done in two ways, either by removing the prisoners with money or by exchanging the Byzantine prisoners with Muslim prisoners. Also on the start of the processes of organized redemption with the Byzantines in the Abbasid era and the role of the Abbasid caliphs in the release of prisoners.

This study aims to explain the historical developments in the Byzantine Abbasid relations and the peaceful aspect related to the exchange of prisoners with the aim of reaching a bright future in the relations of Muslims with others, and the desire for peace and truce to stop the war. the study also shows the processes of organized

redemption that took place in the era of the Abbasid caliphs and the extent of their contribution to this aspect. the study relied on the historical and descriptive analytical method the study reached several results, including the Islamic state's keenness on the safety, security and stability of Muslims as well as the need of the Abbasid Caliphate and the Byzantine Empire to calm the conflict and stop the war and conflict and conclude agreements and armies to reach a prisoner exchange agreement, the study reached several recommendations, including Attention to Islamic diplomatic relations through different historical eras with the outside World, in addition to that, expansion in studying the development of Islamic civilization and cultural history and benefiting from it in facing contemporary issues.

Key Words: relationships, redemption, exchange, prisoners, negotiations.

المقدمة:

عند ظهور الاسلام كانت أعظم إمبراطوريتان في ذلك الزمان الإمبراطورية الرومانية والتي إنقسمت فيما بعد إلى الامبراطورية الرومانية الغربية والإمبراطورية الرومانية الشرقية، والإمبراطورية الفارسية، وقد كانت دعوة الإسلام ودولته في تحدي لإثبات مكانتها وعزتها.

ولقد مرت الدولة الاسلامية بمراحل متعددة أثرت في صياغة نهضتها، فبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كان عهد الخلفاء الراشدين، وهو عهد تمكن فيه المسلمون من هزيمة الروم والفرس، أما عهد الدولة الأموية والتي وصل بالدولة الاسلامية إلى أقصى اتساع لها، ولعبت الدولة العربية الاسلامية دوراً هاماً في تحرير تسرى المسلمين من الروم البيزنطيين وشهدت أزهى العصور الاسلامية عندما تولى خلفاء اقوياء تمكنوا من قيادة الدولة.

وقد إهتم العباسيون بحملات حماية الثغور فيما يعرف بالصوائف والشواقي إذ كان تركيزهم على إدارة الدولة الشاسعة التي أورثها لهم الأمويون، وقد إهتمت أيضاً الدولة العباسية إهتماماً كبيراً من أجل إخلاء سبيل الأسرى المسلمين ومفاداتهم بالمال والرجال فخاضوا حروباً من أجلهم وبأدروا إلى عقد معاهدات وإتفاقيات مع الروم البيزنطيين لإطلاق سراح جميع الأسرى، وغالباً ما كانت كل من الدولتين المتصارعتين الدولة العباسية والدولة البيزنطية ترحبان بإجراء عمليات الفداء وتبادل الأسرى بينهما.

و الجدير بالذكر أن معظم عمليات الفداء وتبادل الأسرى وقعت في العصر العباسي وكانت المفاداة تتم وفق أصول وقواعد معينة يسبقها إجراء مفاوضات بين الطرفين عن طريق الرسل والسفارات بينهما وكان يشترك في عقد وإعداد مفاوضات عمليات الفداء حكام وولاة الثغور والعواصم والمراسلات المتبادلة بين الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي والدولة البيزنطية.

أهمية البحث:

- بيان تطور المفاوضات والاتصالات الدبلوماسية بين المسلمين والدولة البيزنطية.
- توضيح حرص المسلمين على الدفاع عن مبادئ الدين الاسلامي وضمان حرية المسلمين.

أهداف البحث:

- التعرف على إسهام الخلفاء العباسيين ودورهم في المراسلات الدبلوماسية في هذا الشأن.
- الوقوف على الاحداث التاريخية وتطورها وأثرها على الطرف البيزنطي والاسلامي.
- تسليط الضوء على أهمية عملية تبادل الأسري والطرق المختلفة التي لازمت عمليات الفداء.

المنهج المتبع في الدراسة:

- أعتمد البحث على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، المتمثل في استقاء المادة العلمية حيث إعتمد البحث على مجموعة من المصادر الأولية، والمراجع ذات علاقة بموضوع البحث للوصول للحقائق العلمية.

المراسلات والمكاتبات بين الدولتين:

تاتي المراسلات أو المكاتبات في مرتبة متقدمة للاتصالات كونها محمولة من السفراء والرسل، وأن هذه المراسلات ربما تحقق نتائج مرجوة في السلام والهدنة أو تبادل الأسرى ومفاداتهم لان

الكثير منها لها عكس ما يراد منها، وكان يصاحب تلك المراسلات في الغالب اشكال من متعددة من الهدايا التي يحملها السفراء والرسول أو تلك التي تبعث بين الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي والدولة البيزنطية.

تنقسم المراسلات بين الدولتين إلى قسمين:

أولاً: المراسلات بين الخلفاء والأباطرة، وهذا النوع من المراسلات يستخدم في حالات السلم الإعتيادية ويذكر فيها عبارات الإحترام والتقدير والمودة بينهما كإرسال الملك ثيوفيل رسالة إلى الخليفة المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ / ٨١٣ - ٨٣٣م) التي ابتدأها بعبارة: «لعبدا لله غاية الناس في الشرف ملك العرب من ثيوفيل بن ميخائيل ملك الروم...»^(١)، ومن هذا النوع أيضاً كتاب الامبراطور أرماتوس الذي أرسله إلى الخليفة الراضي بالله (٣٢٢ - ٣٢٩هـ) (٩٣٣ - ٩٤٠م) وكان قد ابتدأه بعبارة ((إلى الشريف البهي صاحب سلطان المسلمين)^(٢).

ولم تكن هذه المراسلات تقتصر بين أباطرة بيزنطة والخلفاء، بل شارك فيها بطارقة القسطنطينية في ذلك كرسالة نيقولا مستيكس وهو الوصي والمسؤول عن العلاقات الخارجية إلى الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠هـ / ٩٠٧ - ٩٣٢م)، والتي طالب فيها بالصلح.

ثانياً: المراسلات بين الوزراء والقادة العسكريين وتستخدم فيها عبارات الاحترام والتقدير وتكتب هذه الرسائل من قبل الوزراء إلى قادة الجيوش العربية الإسلامية والبيزنطية وليس بين الخلفاء والأباطرة.

وكان لهذه الرسائل عدة أغراض يأتي في مقدمتها التبادل والفداء لأسرى المسلمين في الحروب التي تقع بينهم وبين الروم البيزنطيين^(٣)، وكانت أغلب هذه المراسلات والكتب تصدر من جهة البيزنطيين إلى الدولة العباسية وهذا دليل واضح على ضعف البيزنطيين وخوفهم من قوة العرب المسلمين، والتبادل يكون فرد مقابل فرد ومن زاد منهم من أسرى المسلمين يفتدى بالمال من بيت المال الذي خصص جزء من أمواله لافتداء الأسرى بأمر الخليفة^(٤)، وجاءت هذه الرسالة من

(١) ابن الجوزي (جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت، ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٧م، ج ١١ ص ١٤.

(٢) ابن الفراء (أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح الدين السيد، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٥م ص ٢٤.

(٣) العربي، الباز، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٥م ص ١٨٥.

*زبطرة: وهي حصن قديم من حصون الروم والتي فتحها المسلمون، والذي كان قائماً إلى أن خربته الروم في أيام الخليفة الوليد بن يزيد.

(٤) اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب ١٨٦٠م) تاريخ اليعقوبي، مطبعة بريل، ليدن ١٨٦٠، ج ٣، ص ١٢٤.

الملك ثيوفيل نتيجة لوجود أعداد كبيرة من أسرى المسلمين في السجون البيزنطية التي تشكل عبئاً اقتصادياً وأمنياً كبيراً على الروم البيزنطيين، وبما لدى المسلمين من أعداد هائلة من أسرى الروم وإخفاق بيزنطة في توطين أسرى المسلمين مما أجبر البيزنطيين مراراً وتكراراً أن تبدى رغبتها في المفاداة، وفي بعض الأحيان كان البيزنطيون يرسلون رسلهم لفداء شخص واحد مقابل مجموعة كبيرة من أسرى المسلمين، وهذا ما حدث عندما أرسل ثيوفيل ملك الروم إلى الخليفة المعتصم بالله سنة (٢٢٣هـ / ٨٤٧م) رسالة مفادها هو أسف الملك لما حدث بمدينة زبطرة من دمار وطلب من الخليفة إطلاق سراح قائد جيش الروم في عمورية وفي المقابل يطلق سراح من عنده من أسرى المسلمين غير أن الخليفة المعتصم بالله رفض هذا العرض والطلب.

واستمرت مراسلات الفداء وتبادل الأسرى إلى وقت طويل من زمن الخلافة العباسية، ويعد تبادل الأسرى من أهم اغراض المراسلات والسفارات بشكل عام، وربما تكون المراسلات جزء من سياسة الدولة والاعلان عن فشل المفاوضات وبداية الحرب، وتحمل هذه المراسلات في ثناياها إعلاناً بالتهديد والوعيد ضد الدولة الأخرى، حيث كان يمارس هذا الإسلوب الروم البيزنطيين لغرض إخافة العرب المسلمين وإرهابهم وهذا واضح من رسالة الملك ثيوفيل إلى الخليفة العباسي المامون (٢١٧هـ / ٨٣٢م) والتي جاءت كالآتي (فإني لخائض اليك غمارها، آخذ عليك سدادها، شأن خيلها ورجالها....)^(١).

أحياناً تكون معاهدات الصلح وهدن السلام ضمن الاغراض السياسية والحربية للمراسلات فقد كان الروم يلجأون إليها إذا اشتد عليهم القتال، وكثرت مشاكلهم الداخلية والخارجية، كذلك تعد هذه الهدن فرصة ملائمة لتقوية الحصون والثغور والقلاع وتبادل الأسرى وفترة للراحة بين الطرفين.

كان للمراسلات أغراض دينية فهي تبرهن على احترام الدين الإسلامي للاديان الأخرى، ودعوة غير المسلمين للدخول في الدين الإسلامي. وبالتالي كان للمراسلات الدور المهم في صعيد العلاقات الدبلوماسية بين الجانبين

أما بالنسبة للهدايا والتي استمر تقديمها خلال عصر الخلافة العباسية والتي تحمل مع السفراء والرسل إلى المرسل اليه، وكانت متنوعة الاشكال والاحجام وكانو يتفننوا في اختيارها واثمنائها لارضاء الطرف الآخر، والتي كانت أحياناً تؤدي إلى نجاح مهمة الرسل الدبلوماسية ودليل على إظهار قوة وإمكانيات الدولة الإسلامية.

(١) الطبري (أبو محمد جعفر بن جرير) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة ١٣٥٥هـ، ج ٧، ص ٥٧٠٠.

الأفدية في العصر العباسي الأول:

يمثل العصر العباسي بداية الفداء بشكله الكبير والمنظم، حيث كانت الحروب بين المسلمين والروم البيزنطيين في شكل غارات وحملات حيث يحاول كل طرف عبور حدود خصمه ويهاجم ويكسب الحرب ويأسر ثم العودة إلى قواعده، ونتيجة لذلك كان هنالك الكثير من الأسرى عند الجانبين، وقد إهتم الخلفاء باخلاء سبيل الأسرى المسلمين ومفاداتهم، وقد شهد هذا العصر العديد من عمليات الفداء في عهد كل من الخلفاء المنصور والمهدي وهارون الرشيد والمأمون والواثق.

أولاً: عهد الخليفة ابو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ / ٧٥٤ - ٧٧٤ م):

١ - مفادة (١٣٩ - ٧٥٦ م):

ويعني هذا أنها جاءت بعد ثلاث سنوات فقط من بداية عهد الخليفة المنصور، ولما كان الخليفة المنصور مهتماً باستعادة الهيبة الاسلامية، إهتم بالرد القوي والصارم على كل المحاولات البيزنطية للإعتداء على دولته، عليه كان طبعياً أن نرى إهتمامه بإصلاح وترميم الحصون، خاصة في منطقة ملطية التي كانت هدفاً مستمراً للبيزنطيين بسبب موقعها الاستراتيجي وهي خط الدفاع الأمامي للجيش الإسلامي، وهي مركز هام لإمداد الحملات الإسلامية المتجهة إلى الحدود البيزنطية لذا أرسل الخليفة المنصور أخاه العباس على رأس صائفة في ١٣٩ هـ وهي مكونة من أربعين ألف مقاتل ومعه صالح بن علي وعيسى بن علي، وقد خرج من درب الحدث وإتجه إلى ملطية حيث أصلح فيها ما خربه الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس الذي تعدى عليها في السابق، ووضع فيها حامية قوية، بعد أن نقل سكانها إلى فلسطين بناءً على أمر الخليفة^(١).

في نفس عام هذه الصائفة وافق الخليفة المنصور على عقد هدنة مع بيزنطة لمدة سبع سنوات، وعلى تبادل الأسرى بين المسلمين والبيزنطيين، وقد كان معظم من فودي بهم من المسلمين من أسرى قلقيليا^(٢).

لقد استمرت عملية تبادل الأسرى هذه لمدة ثلاث سنوات^(٣)، والسبب في ذلك ربما يعود لأنها المرة الأولى التي يتم فيها تبادل الأسرى بأعداد كبيرة، إضافة إلى أن كلا الطرفين كانا في حاجة للوقت للاستفادة منه في ترتيب أوضاعهما، فالإمبراطور البيزنطي كانت تشغله مشكلة

(١) المصدر نفسه، ص ٥٠٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٠٠.

عبادة الايقونات والصراع مع البلغار، أما الخليفة المنصور فإنه كان يأمل في بناء وترميم حصونه استعداداً للجولات القادمة.

٢ - مفادة (١٥٢ هـ - ٧٦٨ م):

هذه المفادة التي وقعت في ١٥٢ هـ أشارت لها المصادر البيزنطية ولم تشر لها المصادر الإسلامية خلافاً للاتفاق السابق الذي كان في ١٣٩ هـ، وقد تم هذا التبادل على الحدود، وقد كان هذا التبادل يتم على أساس رجلاً برجل، وامرأة بامرأة، وطفلاً بطفلاً^(١).

أسباب هذا الفداء تكمن في إستمرار الاوضاع التي كانت سائدة عند الفداء الأول وهي أن الامبراطور البيزنطي منشغل بقضية الأيقونات وبحرب البلغار، والمسلمين منشغلون بتأمين دولتهم، وكذلك سعى الطرفين لإنقاذ الأسرى.

ثانياً: عهد الخليفة المهدي: (١٥٨ - ١٦٩ هـ / ٧٧٤ - ٧٨٥ م)

أرسل الخليفة المهدي وفي إطار الصراع العسكري الذي لا يهدأ بين الطرفين أبنة هارون الرشيد على رأس جيش كبير إلى بيزنطا وقد تمكن من تحقيق العديد من الانتصارات، بل وتمكن من القبض على القادة البيزنطيين ستاوركيوس، انطونيوس، بيتر، تاتراتيس، مما أدى إلى هزة عنيفة داخل الجيش والامبراطورية البيزنطية^(٢).

هذه الهزة التي أصابت الجيش البيزنطي جعلت الامور موأته لهارون الرشيد لمواصلة زحفه داخل الأراضي البيزنطية، أضافت لذلك أن الإمبراطورية البيزنطية انذاك في فترة حكم الامبراطورة إيرين، والتي كانت قد طلبت الصلح، بل والخضوع للشروط التي يراها هارون الرشيد، وقد جرت بين هارون وإيرين إتصالات وتبادل الرسل لوضع تفاصيل المعاهدة التي جاءت كالآتي:

١- عقد معاهدة صلح بين الجانبين المتحاربين مدتها ثلاث سنوات تبدأ من (١٦٦ هـ - ٧٨٢ م).

٢- تدفع الأمبراطورة إيرين للخلافة العباسية جزية سنوية تسدد على دفعتين في شهري أبريل ويونيو من كل عام، وتتراوح قيمتها ما بين سبعين إلى تسعين ألف دينار.

٣- يتم تبادل الأسرى بين الجانبين.

1 - Ibid، col. p 920

(٢) يعقوبي، المصدر السابق ص ١٢٩.

٤- تلتزم بيزنطا بفتح الأسواق للتجار المسلمين في رحلة العودة.

٥- تقوم بيزنطا بإمداد جيش هارون الرشيد بالإدلاء في طريق عودتهم.

٦- السماح لجيش المسلمين بالعودة بكامل غنائمه دون اعتراض أو مقاومة.

وعلى عكس المصادر العربية يذكر ثيوفان والسيراني وابن العبري أن الموقف الصعب الذي كان فيه هارون الرشيد هو الذي دفعه لطلب الصلح، بيد أن بنود الصلح تتناقض تماماً وهذا الحدث^(١)، وبعد إتمام اتفاقية الصلح بين الطرفين بدأ المسلمون في الانسحاب من الأراضي البيزنطية، وقد إصطحب هارون الرشيد معه القائد البيزنطي الثائر تاتزاتيس، والذي أحضر معه من جانبه زوجته ومريديه^(٢).

دخل هارون الرشيد بغداد وسط إحتفالات صاخبة ومعه رسل إيرين يحملون الجزية من الذهب، أما تاتزاتيس فقد أكرم وفادته وسمح له بمقابلة الخليفة المهدي الذي منحه الهدايا وعهد إليه بالقيادة في منطقة أرمينيا، للاستفادة منه في الصراع مع بيزنطا^(٣).

عليه فأن هذا الفداء الذي تم في عهد الخليفة المهدي كان نتيجة لمعاهدة الصلح المذكورة أعلاه ولم تاتي المصادر بتفاصيل دقيقة حوله.

ثالثاً: عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٨ م)

١ - مفادة ١٨٣ هـ / ٧٩٨ م:

في عام ١٨٣ هـ / ٧٩٨ م أرسل الخليفة هارون الرشيد حملة بقيادة عبد الله ابن صالح وبالفعل تمكن من إجتياح منطقة قيادوقيا، كما تحرك جيش ثاني إلى تيم الوبيسكيون وتمكن من هزيمته في أفسوس^(٤).

هذا النشاط المتزايد من قبل المسلمين لم تقم الامبراطورة إيرين بأي مقاومة ضده، بل كانت تبحث عن السلم بأي ثمن، لذا أرسلت إيرين سفارة من قبلها إلى الخليفة هارون الرشيد، وقد قابلت هذه السفارة القائد عبد الملك الذي رفض معاهدة الصلح التي عرضها عليه الوفد البيزنطي في بداية

(١) الطبري، المصدر السابق، ص ١٥٤.

2- Gherond, Histoire des gures et des conguets des Arabes en Ammenie. Tr.g.v, chahnagarian, paris, 1856, P 145

(٣) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ١٩٨٣ م) العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، ج ٥، ص ٤٥٨.

(٤) المسعودي (ابو الحسن علي بن الحسين) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين، عبد الحميد، دار الفكر بيروت ١٩٧٣ م ص ٤٧٧.

الامر، لكن مع إصرار الإمبراطورة إيرين وإلحاحها على الصلح تم الموافقة على عرضها، وتم عقد هدنة بين الطرفين مدتها أربع سنوات، كما تم تبادل للأسرى وكان عدد المسلمين فيه ثلاث ألف وسبعمئة أسير^(١).

عملية الفداء هذه تولاها القاسم بن الرشيد وقد تمت على نهر اللامس بحضور العلماء والأعيان والكثيرين من أهل الثغور وثلاثون ألفاً من الجنود، وقد إستعاد المسلمون أسراهم وسط مظاهر الفرح والابتهاج، ولأول مرة يتم إطلاق سراح الأسرى الزائرين مقابل مبلغ من المال^(٢).

غير أن المصادر لم توضح مقدار الجزية التي إلتمت الإمبراطورة إيرين بدفعها للمسلمين، وعلى الرغم من أن الإمبراطورة إيرين هي التي كانت تلح وتدعو الى الصلح إلا أن الفائدة كانت لكلا الطرفين وليست للإمبراطورية البيزنطية وحدها، إذ إسترجع الطرفان أسراهم وتفرقا لصراعهم الداخلي ولجبهات الصراع الخارجية الأخرى.

٢ - مفادة (١٧٨ هـ - ٨٠٣ م):

انشغل الإمبراطور البيزنطي نففور بالقضاء على ثورة باردانيس التي إستمرت لمدة شهرين إلى أن تم القضاء عليها، وقد إستغل الخليفة هارون الرشيد هذا الانشغال فشن هجوماً كاسحاً على آسيا الصغرى بقيادة ابنه القاسم وذلك في عام (١٧٨ هـ - ٨٠٣ م) (١٥).

على الرغم من أن نففور أشرف بنفسه على الجيش إلا أن ذلك لم يحول دون تفوق الجيش العباسي فما كان لنقفور من سبيل غير طلب الصلح وقد انسحب المسلمون مقابل الإفراج عن عدد من أسراهم، وقد بلغ عدد الأسرى الذين أفرج عنهم ثلاثمائة وعشرون أسيراً مسلماً (١٦) ولم يصبح في أرض البيزنطيين مسلماً إلا فودي به.

٣ - مفادة (١٨٩ هـ - ٨٠٥ م):

في عام ١٨٩ هـ - ٨٠٥ م توغل هارون الرشيد داخل الحدود البيزنطية وزحف نحو مدينة هرقله وقام بفتحها ملحقاً الكثير من الخراب بها، لذلك أرسل الإمبراطور البيزنطي نففور إليه طالباً المصالحة مقابل غرامة مالية سنوية، وقد وافق هارون الرشيد على ذلك وعاد إلى البلاد مكتفياً بما حققه^(٣)، وتذكر المصادر السريانية أن الطرفان استعدا للحرب لكنها لم تقع وان الصلح تم بدون

(١) ابن الخياط (خليفة بن الخياط) تاريخ بن الخياط، تحقيق سهيل زكار، وزارة الثقافة السورية، سوريا ١٩٦٥ م ص ٦٣٤.

(٢) الطبري، المصدر السابق، ص ٣٠٨.

(٣) ابن الأثير (ابو الحسن علي) الكامل في التاريخ، المطبعة الأزهرية، القاهرة ١٣٥٧ هـ، ج ٥، ص ٣٤١.

أن تكون هناك حرب، أدت المصالحة السابقة إلى حدوث فداء كبير للأسرى بين الجانبين وذلك في نفس العام في مدينة اللامس^(١).

كان ممثل الخلافة العباسية في هذا الفداء خادم الخليفة هارون الرشيد أبو سليم فرج وسالم البرلس مولي بن العباس، وفي حضور ثلاثين ألف من المرتزقة وخمسمائة ألف من أهل الأمصار والثغور تقدموا بأفضل ما لديهم من السلاح والخيول، وقد ضاق المكان بهذه الحشود ثم جاءت المراكب الحربية البيزنطية حاملة أسرى المسلمين، وقد بلغ عدد من تم فداءهم من المسلمين في اثني عشر يوماً ثلاثة ألف وسبعمائة أسير حتى لم يبق بيزنطياً أسير مسلم وفي هذا يقول الشاعر مروان بن حفص:

وَفُكَّتْ بِكَ الْأَسْرَى الَّتِي شُبِّدَتْ لَهَا حَاسِبٌ مَا فِيهَا حَمِيمٌ يَزُورُهَا
عَلَى حِينَ أَعْيَا الْمُسْلِمِينَ فِكَائُهَا وَقَالُوا سُجُونُ الْمُشْرِكِينَ قُبُورُهَا^(٢)

قام الإمبراطور البيزنطي نقفور بنقض العهد الذي وقعه مع الخليفة هارون الرشيد محاولاً إستغلال بعد المسافة، بالإضافة إلى أن هارون الرشيد قد عاد إلى بلاده، بالإضافة إلى حلول فصل الشتاء الذي سيحول حسب اعتقاده دون عودته، ومن ناحية أخرى ربما أراد بذلك كسب ثقة شعبه ببيان مقدرته وقوته في مواجهة المسلمين الذين كانوا يمثلون الخطر الرئيسي على دولته.

غضب هارون الرشيد عندما علم بنقض نقفور للعهد لذلك تحرك بعد ساعة للخبر مباشرة إلى بيزنطا حيث عسكر ابنه القاسم بمرج دابق (٢٠)، وبعد حصار إستمر لثلاثين يوماً تم فتح هرقلة، بعد ذلك إمتدت الهجمات إلى مختلف الجهات بيد أن أهمها كانت حملة حميد بن معيوف إلى سواحل الشام والتي وصلت إلى قبرص حيث سبي من أهلها سبعة عشر ألفاً واخذهم إلى الرافعة حيث تم بيعهم هناك وقد بلغ فداء أسقف قبرص ألف دينار^(٣).

عندما وصلت تفاصيل أعمال الخليفة هارون الرشيد إلى نقفور سيطر عليه الخوف والرعب وأخذ يبحث عن وسيلة للخروج من هذا المأزق فأرسل إليه سفارة تكونت من ثلاثة من كبار رجال الدين وهم المطران سيناد SYNNADA، ورئيس دير جولياس وأسقف ماستريس^(٤).

(١) الطبري، المصدر السابق، ص ١٦٧.

(٢) ابن الأثير، المصدر السابق ص ٣٤١.

3 - Theophanes، col p969.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ص ٣٢٢.

ونظراً لأن فصل الشتاء كان على الأبواب نجح هذا الوفد في ترتيب معاهدة صلح بين نقفور وهارون الرشيد إلّتم فيها نقفور بدفع الخراج والجزية عن نفسه أربعة دنانير وعن ابنه وبطارقته دينارين، كما اتفق الجانبان على أن تكون بينهما هدنة مدتها ثلاث سنوات وقد بلغ ما إلّتم نقفور بدفعه إلى الخليفة هارون الرشيد حوالي ثلاثمائة ألف دينار^(١).

لا شك أن انتصار الخليفة هارون الرشيد وسيطرته على مدينة هرقلّة وتوقيع المعاهدة من قبل نقفور بهذه الطريقة المهينة التي جعلته يدفع الخراج مع الجزية وكما نعلم فإن الخراج هو ضريبة الأرض، لذا يكون نقفور ليس حراً حتى وهو في أرضه ويعد هذا نصراً كبيراً للمسلمين، وقد أضفى ذلك حاله من الفخامة والعظمة على الخليفة هارون الرشيد لذلك أنشد الشاعر أبو العتاهية يقول:

أَلَا نَادَتْ هِرْقَلَةُ بِالْخَرَابِ مِنَ الْمَلِكِ الْمُوَفَّقِ لِلصَّوَابِ
عَدَا هَارُونَ يَرْعُدُ بِالْمَنَايَا وَيَبْرُقُ بِالْمَذَكَّرَةِ الْقَضَابِ
وَرَايَاتٍ يَحُلُّ النَّصْرُ فِيهَا تَمَرُّ كَأَنَّهَا قِطْعُ السَّحَابِ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَفِرَتْ فَاسْلَمَ وَأَبْشَرَ بِالْغَنِيمَةِ وَالْإِيَابِ^(٢)

٥ - مفاداة (١٩٢ هـ - ٨٠٨ م):

ظهرت الفتنة خلال العامين الأخيرين من خلافة هارون الرشيد في الأجزاء الشرقية من الخلافة في منطقة خراسان بقيادة رافع بن الليث بن نصر بن السيار، هذه الظروف مهدت لعقد إتفاقية صلح بين بيزنطا والدولة الإسلامية في عام ١٩٢ هـ - ٨٠٨ م، حيث تم فيها الاتفاق على تبادل الأسرى (٢٥) وقد مثل المسلمين في هذا الفداء ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي أمير الثغور الشامية، وقد حضره آلاف من الناس وإستمر لمدة سبعة أيام وقد فودي به من قبل المسلمين نحو الفين وخمسمائة رجل وامرأه^(٣).

رابعاً: عهد الخليفة المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ / ٨١٣ - ٨٣٣ م)

مفاداة ٢٠١ هـ / ٨١٦ م:

إهتم الخليفة المأمون بتحرير الأسرى وإطلاق سراحهم فقد خلف والده هارون الرشيد بالغزو والجهاد وتحصين الثغور الشامية والجزرية من البيزنطيين، آلت الخلافة إلى المأمون بعد صراعه مع

(١) بسام العسلي، فن الحرب الإسلامية في العصر العباسي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٨ م، ص ٢٦٣.

(٢) الطبري، المصدر السابق، ص ٣٤٠.

(٣) ابن الأثير، المصدر السابق، ص ٢٠٩.

أخاه الأمين وقد أدى هذا الصراع إلى إضعاف الدولة الإسلامية في ذلك الوقت، كما أن الخلافة الإسلامية تعرضت لغلاغل شديدة في منطقة أرمينيا، الأمر الذي جعل بيزنطا تستغل هذا الوضع وتقوم بالهجوم على مدينة كمخ وانتزاعها من يد المسلمين، لكن الخليفة المأمون الذي كان يسعى إلى تثبيت أركان دولته لجأ إلى الهدنة، وفي نفس العام تم تبادل الأسرى بين الطرفين على يد ثابت بن نصر وناقذ جميع الأسرى المسلمين من الأعداء الروم، وهو الذي أشرف على عملية الفداء السابق الذي كان في عهد الخليفة هارون الرشيد، ومن الواضح أن هذا الفداء كان نتيجة للهجوم البيزنطي على مدينة كمخ^(١).

وكان للخليفة المأمون دور كبير في إطلاق سراح أسرى المسلمين إما عن طريق السلم بالمعاهدات والإتفاقيات أو عن طريق القوة العسكرية.

خامساً: الفداء وتبادل الأسرى في خلافة المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ / ٨٣٣-٨٤١م):

سار الخليفة المعتصم على سياسة أخيه المأمون في مواجهة الروم البيزنطيين الذين زادت غاراتهم على الدولة العباسية، فقد رد على هجومهم إلى مدينة زبطرة وتدميرها وحرقها والقتل والسبي والاسر للنساء والأطفال، سار إلى بلاد الروم وتم فتح عمورية وهرب الروم وهي أعظم الفتوحات الإسلامية، فتم فيه إنقاذ الأسرى المسلمين بالقوة العسكرية لذلك لم يحدث في عهدع فداء للأسرى بالنفس أو المال. وتمثل هذه الحملات قمة الدهاء والذكاء السياسي والمهارة الحربية للخلفاء العباسيين وظهر تفوقهم السياسي والحربي.

سادساً: عهد الخليفة الواثق بالله (٢٢٧-٢٣٢هـ / ٨٤١-٨٤٦م)

مفاد ٢٣١هـ / ٨٤٦م:

منيت الإمبراطورية البيزنطية بالهزيمة في جزيرة كريت في عام ٢٣١هـ / ٨٤٦م وهي هزيمة لم تكن حاسمة بحيث تجعل كفة البيزنطيين تلين أو تضعف، لكن تطورات الأحداث بعد ذلك جعلتهم يتجهون نحو السلم، لأن الكوارث والهزائم قد حلت بهم في جزيرة صقلية عام ٢٢٩هـ / ٨٤٤م، وقد قام المسلمون بمحاصرة مدينة مسينا والتي سقطت في أيديهم بمساعدة حلفائهم من أهل نابولي، ثم سقطت مدينة مسكان كما سقط حصن موديك^(٢).

(١) المسعودي، المصدر السابق، ص ١٩٥.

(٢) فازيليف، تاريخ العرب والروم، ترجمة وتحقيق محمد عبد الهادي شعيرة، راجعة فؤاد حسنين علي، دار الفكر التربوي، ١٩٩٨م ص ١٦٥.

هذه الأحداث أجبرت الدولة البيزنطية على طلب الهدنة والمفاداة، عليه وصل إلى الخلافة العباسية وفد رسمي في عام ٢٣٠هـ / ٨٤٥م من بيزنطا يمثل الإمبراطور ميخائيل الثالث بن ثيوفيل وذلك لعرض رغبة الحكومة البيزنطية في عقد عملية تبادل الأسرى بين الجانبين^(١).

هذا العرض رغم أنه جاء من الجانب البيزنطي إلا أنه كان يتفق ومصالح العباسيين لأن ظروف الخلافة الداخلية آنذاك لم تكن تساعد على الإستمرار في الحرب وتصعيد العمليات العسكرية ضد بيزنطة، عليه كان من الطبيعي أن تجد مطالب البيزنطيون القبول من الجانب الإسلامي، وقد تمثلت المشاكل التي تعرضت لها الدولة الإسلامية في قيام قبيلة بني سليم بزعماء عزيرة ابن الخطاب بمهاجمة الأسواق في الحجاز والشراء منها بالأسعار التي يريدونها^(٢)، وقد أوكل أمر القضاء على حركات الجزيرة العربية إلى بغا الكبير، الذي لم يتمكن من القضاء عليها وفرض الأمن إلا بعد عامين حيث رجع بعدها إلى سامراء^(٣).

إتفق الجانبان على تبادل للأسرى غير أن الوزير محمد بن عبد الملك الزياد الذي كلف بإجراء المفاوضات مع الوفد البيزنطي مر بعقبة تتمثل في رفض البيزنطيين أخذ الأطفال والمسنين^(٤)، ولكن بعد مفاوضات إستمرت لعدة أيام بسامراء حسم هذا الأمر ليكون الفداء للجميع صغاراً وكباراً. عهد الخليفة الواثق بأمر الفداء إلى حاقان الخادم^(٥)، وقد وجه الواثق بالتأكد من عدد الأسرى المسلمين لدى البيزنطيين وقد بعث لهذه المهمة أحمد بن قحطبة إلى القسطنطينية.

وبسبب وجود عدد كبير من الأسرى المسلمين لدى بيزنطا ولرغبة الخليفة الواثق لفدائهم جميعاً أرسل لشراء من يباع من الرقيق الرومي بل ودفع بعدد كبير من الجوازي الروميات اللواتي كن في قصره إلى هذا الفداء، تم إختيار وتحديد موقع هذا الفداء على أن يكون على نهر اللامس ويبدو أنه أكثر المناطق المفضلة لعمليات الفداء لأن الكثير من الأفدية جرت فيه، أما يوم الفداء فقد حدد بيوم عاشوراء أي يوم عشرة محرم من العام ٢٣١هـ^(٦).

من أبرز الحوادث التي ارتبطت بهذا الفداء هو أمر الخليفة الواثق بامتحان أسرى المسلمين بفتنة خلق القرآن الكريم فمن يقول أن القرآن مخلوق فودي به ومن أبى ذلك ترك في أيدي الروم،

(١) الطبري، المصدر السابق، ص ٨٦٠.

(٢) ابن الأثير، المصدر السابق، ص ٢٧٠.

(٣) فازيليف، المرجع السابق ص ١٦٦.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ص ٦٨١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٦٨١.

(٦) المصدر نفسه، ص ٦٨٢.

وهو ما قالت به جماعة المعتزلة وقد سار على ذلك الخليفة المأمون ثم الخليفة المعتصم ثم الخليفة الواثق، لقد بلغ عدد من شملهم هذا الفداء من المسلمين نحو أربعة آلاف رجل وستائة ونحوها من النساء والصبيان^(١).

أهمية هذا الفداء تكمن في عدد الذين فودي بهم، وقد كانت غالبيتهم من العرب ثم أنه شمل جميع من في الأراضي البيزنطية من الأسرى المسلمين وقد بلغت فترة الهدنة بين الجانبين لإجراء هذا الفداء نحو أربعين يوماً^(٢).

وبعد هذه المدة أخذت العلاقات بين الدولتين تميل إلى السلم وفداء الأسرى وعقد معاهدات الصلح بينهما وتوقف الحملات الحربية لانشغال الدولتين بظروفهما ومشاكلهما الداخلية والخارجية مع الدول الأخرى، ويمكن القول أن الحملات بين العرب المسلمين والدولة البيزنطية كانت على شكل حملات سنوية ودائمة، وبالتالي كانت من أبرز المشاكل الحربية للدولتين واستنزفت موارهما وانعكس على اقتصادها وذلك للأموال التي انفقت على تلك الحملات والاعراض المخصصة لتقوية القلاع والحصون والمدن.

خُلِّفَ العصر العباسي الثاني: بدأ عصر الخلافة العباسية الثانية سنة ٨٤٧م، وذلك بعد سيطرة القادة العسكريين على الحكم، حيث ظهرت في هذه الفترة عدة دول مستغلة منها: البويهيون، والسلاجقة.

الفداء وتبادل الأسرى في خلافة المتوكل على الله (٢٣٢هـ - ٢٤٧هـ / ٨٤٦ - ٨٦١م):

وفي عهد الخليفة المتوكل على الله وقع فداء في سنة (٢٤١هـ / ٨٥٥م) بين المسلمين والبيزنطيين على نهر اللامس وكان ملك الروم الإمبراطور ميخائيل بن ثيوفيل حاضراً فيه، فيما حضر من الجانب العباسي شنيف الخادم وكان قد حضر هذا الفداء جعفر بن عبد الواحد الهاشمي القرشي القاضي، ممثلاً عن الخليفة المتوكل على الله الذي كان قد أمره بحضور الفداء، وعلي بن يحيى الأرمني صاحب الثغور الشامية^(٣)، وحدث هذا الفداء عندما بعثت تزورة ملكة الروم أم الإمبراطور ميخائيل الثالث والوصية عليه لأنه كان صغيراً في السن تطلب الفداء لمن في أيدي الروم من المسلمين، وكان المسلمون الأسرى قد قاربوا من عشرين ألفاً، فوجه الخليفة المتوكل على الله رسولاً إلى بلاد الروم ليعرف عدد الأسرى فقام عندهم حيناً ثم خرج، فأمرت الملكة تزورة بعرض النصرانية على

(١) المسعودي، المصدر السابق، ص ١٦٢.

(٢) ابن الجوزي، المصدر السابق، ص ٢٨٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٤٠.

الأسرى فمن تنصر منهم كانت له منجزات أسوة بالنصارى ومن أبى قتلته، فقتلت من الأسرى إثني عشر ألفاً ثم أمرت بالفداء ففودي من المسلمين سبعمائة وخمسة وسبعون رجلاً ومن النساء مائة وخمسة وعشرون^(١).

وكذلك في سنة (٢٤١هـ / ٨٥٥م) بعث ملك الروم رسول إلى الخليفة المتوكل على الله يسأل المفاداة بمن عنده من الأسرى المسلمين وعددهم سبعة وسبعون أسيراً من أسرى المسلمين الذين اهداهم الملك ميخائيل بن ثيوفيل إلى الخليفة المتوكل على الله وكان هذا في صفر من السنة نفسها بحضور شنيف الخادم، أما في شهر صفر من سنة (٢٤٦هـ / ٨٦٠م) كان فداء بين المسلمين والروم على يد القائد علي بن يحيى الأرمني وكان جملة من فودي به من المسلمين وأطلق سراحهم هو ألفين وثلاثمائة وسبعة وستين مسلماً^(٢).

الفداء وتبادل الأسرى في خلافة المعتز بالله (٢٥٢ - ٢٥٥هـ / ٨٦٦ - ٨٦٨م):

يذكر أن في عهد الخليفة المعتز بالله وقع فداء واحد في سنة (٢٥٣هـ / ٨٦٧م) بين المسلمين والروم البيزنطيين وكان القائم على هذا الفداء شنيف الخادم حيث فودي بأعداد كبيرة من أسرى المسلمين^(٣).

والجدير بالذكر أن عمليات الفداء وتبادل الأسرى قد توقفت في الفترة من سنة (٢٥٣هـ / ٨٦٧م) إلى (٢٨٣هـ / ٨٩٨م) بعد توقفها ثلاثين عاماً ويبدو أن هذه الفترة تمثل فترة ضعف الخلفاء العباسيين الذين تولوا الحكم بالإضافة إلى سيطرة القادة الأتراك على مقاليد الحكم والإدارة في الدولة العباسية.

عهد الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩ - ٢٨٩هـ / ٨٩٢ - ٩٠٢م):

مفاداة ٢٨٣هـ / ٨٩٨م:

حدث هذا الفداء في سنة ٢٨٣هـ على يد أحمد بن طغان خان أبو نصر التركي في خلافة المعتضد بالله وعلى نهر اللامس وهو معسكر المسلمين وقد كان الإمبراطور البيزنطي آنذاك ليون بن ياسيل. لقد كانت البداية عندما عقدت الهدنة بين البيزنطيين المسلمين في أيام إبي الجيش وقد كانت هذه الهدنة مدخلاً لتوقيع هذه المفاداة، والتي عقدت في الثامن من شهر شعبان (٢٨٣هـ) حيث أمر

(١) المسعودي، مصدر سابق، ص ١٦٣

(٢) الطبري، المصدر السابق، ص ٤٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٦.

أحمد بن طغان الناس بالخروج معه، إلى نهر اللامس التي بها معسكر المسلمين وقد أستمروا الفداء بين الطرفين لمدة اثني عشر يوماً وقد كانت جملة ما فودي به من المسلمين من الرجال والنساء والصبيان ألفان وخمسمائة وأربعة، كما أطلق المسلمون في هذا الفداء سراح اسميون رسول الإمبراطور البيزنطي، وأطلق البيزنطيون من جانبهم يحيى بن عبد الباقي رسول المسلمين إليهم^(١).

وقد قيل كذلك أن عدد من فودي بهم من المسلمين ألفان وأربعمائة وخمسة وتسعون من ذكر وأنثى، وقيل ثلاث ألف رجل (٤٢)، وهذا يعني أن الطبري كان مرتبكاً في تحديد عدد من فودي بهم، ولم يقطع لنا الشك في عددهم.

عهد الخليفة المكتفي بالله (٢٧٩ - ٢٥٩ هـ / ٨٩٢ - ٩٢٠ م):

١ - مفادة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م:

هو فداء رستم ويعرف بفداء الغدر لأن البيزنطيين غدروا وإنصرفوا ببقية الأسرى وقد كان هذا الفداء بنهر اللامس، وقد كان إمبراطور بيزنطا آنذاك ليون بن باسيل، أما القائم به من الجانبين فقد كان رستم برد والقرغاني أمير الثغور الشامية وقد كان عدد من فودي به من المسلمين في أربعة أيام ألف ومائة وخمسة وستون من ذكر وأنثى، ثم غدر الروم بعد ذلك^(٢) وفي هذا العام كذلك أرسل الإمبراطور البيزنطي كتاب إلى الخليفة المكتفي يسأله الفداء عن من معهم من البيزنطيين وعن ما في أيدي البيزنطيين من المسلمين، ودخل وفد الإمبراطور بغداد ومعه هدية كبيرة وعشرة من أسرى المسلمين بغرض الفداء الذي وافق عليه الخليفة^(٣).

٢ - مفادة ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م:

في شوال من عام ٢٩٥ هـ كان الفداء بين المسلمين والبيزنطيين وإستمر إلى الشهر التالي حيث بلغ عدد من تم فدائهم من الرجال ثلاثة ألف نفس، وعرف بفداء رستم أيضاً، كما عرف باسم فداء التمام، وقد عقد هذا الفداء بنهر اللامس، وقد كان الإمبراطور البيزنطي آنذاك ليون بن ثيوفيل أما القائم به فهو رستم بن بردو، وقد بلغ عدد من فودي به ألفان وثمانمائة وأثنان وأربعون من ذكر وأنثى^(٤).

(١) المسعودي، المصدر السابق، ص ١٦٣.

(٢) الطبري، المصدر السابق، ص ٢٤.

(٣) المسعودي، المصدر السابق، ص ١٦٣.

(٤) ابن مسكويه (ابو علي محمد) تجارب الأمم، ٧ أجزاء، شركة التمدن الصناعية مصر، ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م، ج ١، ص ٥٤ - ٥٥.

عهد الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ / ٩٠٨ - ٩٣٢ م):

مفاداة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م:

جاء وفد من الإمبراطور البيزنطي إلى البلاط العباسي، في عهد الخليفة المقتدر ودخل رسولاً الإمبراطور إلى الخليفة وقبلا الأرض ووقفاً حيث استوقفهما نصر الحاجب (٤٦)، وسلماه الرسالة التي أرسلها الإمبراطور البيزنطي طلباً للفداء، وأجابهم الوزير عن الخليفة بأن الخليفة يفعل ذلك رحمة للمسلمين، ورغبة في فك أسرهم وإيثاراً لطاعة الله عز وجل وأنه سينفذ مونساً لحضور المفاداة وعندما خرج رسولا الإمبراطور من حضرة الخليفة خلع عليهما مطارق خز مذهبة، وعمائم خز، وابتيع من التمس الرسل ابتياعه من البيزنطيين المطلوبين، وأطلق له وللقواد الشاخصين معه من بيت المال مائة وسبعون ألف دينار، على نهر البدندون، ولأجل إنجاز ذلك تم تمديد الهدنة لمدة ستة أشهر^(١).

الفداء وتبادل الأسرى في خلافة الرازي بالله (٣٢٢ - ٣٢٩ هـ / ٩٣٣ - ٩٤٠ م):

مفاداة ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م:

وقع في سنة ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م فداء بين المسلمين والروم في عهد الخليفة الرازي بالله وذلك عندما ورد كتاب من ملك الروم إلى الخليفة وكان الكتاب مكتوب باللغة الرومية بالذهب والترجمة باللغة العربية بالفضة، يطلب فيه من الخليفة الهدنة والفداء وكان رسول ملك الروم يحمل الكثير من الهدايا والجواهر والملابس الثمينة، فكتب اليهم الخليفة الرد بقبول الهدنة والأذن في أمر الفداء في شهر رجب في نفس السنة بين سيف الدولة والروم، وسلم سيف الدولة أبا فراس بن سعيد الحمداني الروم^(٢)، وكان جملة من فودى به من أسرى المسلمين في هذه السنة هو ستة آلاف سير ما بين ذكر وأنثى على نهر البدندون^(٣).

الفداء وتبادل الأسرى في خلافة المتقي بالله (٣٢٩ - ٣٣٣ هـ / ٩٤٠ - ٩٤٤ م)

مفاداة ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م:

وقع في سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م فداء بين المسلمين والروم وذلك عندما أرسل ملك الروم رسولاً إلى الخليفة المتقي بالله يطلب منديلاً زعم أن المسيح مسح به وجهه فصارت صورة المسيح فيه،

(١) المسعودي، المصدر السابق، ص ١٦٤.

(٢) ابن الجوزي، المصدر السابق، ص ٣٧٣.

(٣) ابن الأثير، المصدر السابق، ص ٢١٣.

وإن ارسله الخليفة يلتزم الروم بفك أسرى المسلمين، فأحضر الخليفة المتقي بالله القضاة والفقهاء وطرح لهم الأمر واستفتاهم في ذلك، فاختلفوا فيما بينهم ولكن في الأخير إتفق الخليفة مع القضاة والفقهاء على تسليم الروم وإطلاق سراح أسرى المسلمين، فأمر الخليفة المتقي بالله بإرسال رسول يتسلم أسرى المسلمين^(١).

الفداء وتبادل الأسرى في خلافة المطيع لله (٣٣٤ - ٣٦٣ هـ / ٩٤٥ - ٩٧٣ م):

مفاداة (٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م):

حدث فداء في سنة (٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م) بين المسلمين والروم في عهد الخليفة المطيع لله على يد نصر الثملي أمير الثغور الشامية، وبلغ عدد أسرى المسلمين الذين تم فك أسرهم من يد الروم ألفين وأربعمائة وإثنين وثمانين بين ذكر وأثنى^(٢)، وكان هذا الفداء على نهر اللامس، وكان ملك الروم الإمبراطور قسطنطين حاضراً وبقي للروم على المسلمين مبلغ من المال هو مائتان وثلاثون ديناراً لكثرة من كان في أيدي الروم من أعداد الأسرى المسلمين^(٣).

مفاداة (٣٥٥ هـ / ٩٦٥ م):

في عهد الخليفة المطيع لله وقع فداء بين المسلمين والروم عندما قام سيف الدولة الحمداني بمفاداة أسرى المسلمين من يد الروم بنفسه، فقد سار سيف الدولة ومعه بطارقة الروم والأسرى البيزنطيين لكي يفادي بهم الأسرى المسلمين ففدى جميع الأسرى^(٤).

وبذلك تمكن سيف الدولة الحمداني أن يخلص من بقى في الأسر من المسلمين وأبرمت الهدنة بينه وبين الروم البيزنطيين على عدم تعدي أحدهما على الآخر، ونلاحظ أن السبب الرئيسي الذي حمله على عقد هذه الهدنة مع الروم هو سوء حالته الصحية، حيث كان سيف الدولة الحمداني يمثل نموذج كبير في إطلاق سراح الأسرى المسلمين وضحي بالكثير لاجله، وأنفق على هذا الفداء المعلق ثلاثمائة ألف دينار، وأفدى من الأسر ما بين أمير وراجل ثلاث آلاف ومائتين وسبعين أسيراً حتى لم يبقى بأيدي الروم أسيراً واحداً يفتدى به عند الروم^(٥).

(١) أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمد ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية القاهرة د. ت، ج ٢ ص ٩٠ - ٩١.

(٢) المسعودي، المصدر السابق، ص ١٦٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦٤.

(٤) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٧، ص ٢٦٥.

(٥) ابن شداد، عز الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم الأنصاري الحلبي (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى زكريا، دمشق ١٩٩١ م، ج ١، ص ٣٠٧.

بلغت اعداد أسرى المسلمين الذين تم مفاداتهم من قبل الخلفاء العباسيين نحو خمسين ألف أسير مابين ذكر وانثى، وكانت عمليات الفداء تتم وفق نظام تقليدي غاية في الروعة على الضفة الشرقية لنهر اللامس ويقف الروم على ضفته الغربية، كان إختيار موقع نهر اللامس كموقع إستراتيجي ومهم لعمليات تبادل الفداء بين المسلمين والبيزنطيين لعدة أسباب نذكر منها:

« يعتبر موقع نهر اللامس حداً فاصلاً طبيعياً بين أراضي الدولة العربية الإسلامية والدولة البيزنطية.

« يمثل موقعه حاجزاً يمنع تعرض أحدهما للآخر ويحول دون حدوث حروب بينهما أو خلاف في حالة فشل عملية تبادل الأسرى.

« يعتبر موقعه إستراتيجياً في السيطرة على عملية تبادل الأسرى، فهو يحول دون هروب الأسرى أو التجائهم إلى الجانب الآخر وبالتالي ساعد ذلك في المحافظة على أهمية التكافؤ بين الأسرى من ناحية، والمكانة والسن وسلامة البدن عند إجراء عملية التبادل بين الدولتين^(١).

الخاتمة:

لقد تعددت دوافع عمليات الفداء التي جرت بين المسلمين والبيزنطيين، غير أن هذه الأفدية ما كان لها أن تتم لو لا رغبة الطرفين في ذلك، وقد كانت الدولة الإسلامية تقوم بشراء من يباع من الرقيق البيزنطي في بغداد عندما يفوق أسرى المسلمين عدد أسرى البيزنطيين، كذلك كان الخليفة العباسي يقوم بإخراج من في بلاطه من الجواري والخدم حتى يتساوى العددان، كما أن كبار الأسرى مقاماً من الطرفين يبادلون أولاً، ويعد هذا حرصاً من المسلمين في أن لا يكون لديهم أسرى في بيزنطا، ولقد مثلت المفاوضات والسفارات بين الجانبين جانب عظيم من الأهمية وذلك لتبادل الأسرى، والتي حدثت كنتاج طبيعي للعلاقات السلمية بينهم، ولها تأثيرها المباشر في التواصل الحضاري والثقافي بين الطرفين.

إهتمت كلتا الدولتين لهذه المناسبة إهتماماً كبيراً لإظهار مظاهر القوة والعظمة أمام السفراء القادمين، كما تبادلوا الهدايا والخلع.

وقد أوجب التشريع الاسلامي الاحسان إلى الأسرى أيأ كانت عقيدتهم، وذلك لأن قواعد الحرب في الاسلام مقيدة بالفضيلة لا تعدوها حتى لو جاوز حدودها الأعداء، مع العلم أن الهدف

(١) المصدر نفسه، ص ٣٠٨.

من الأسر أحياناً هو كسر شوكة العدو وتحقيق النصر والقوة، وقد أمر الله تعالى بإكرام الأسير ومن هنا جاءت أهمية و ضرورة تبادل الأسرى وعمليات الفداء، واهتمام الخلفاء باهميتها والسعي الجاد لعقد الاتفاقيات والتفاهم بشأن الأسرى المسلمين.

النتائج:

خلصت الدراسة إلى مجموعة نتائج تتمثل في:

- ❖ كان حرص الخلافة الإسلامية على سلامة المسلمين أحد أهم الأسباب التي دفعتهم إلى القيام بعمليات المفاداة.
- ❖ حاجة الخلافة الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية إلى الأمان والهدوء للتعرف للمشاكل الداخلية، والخارجية إلى تهدئة الصراع بين الجانبين وعقد الهدن التي قادت إلى عمليات المفاداة.
- ❖ وقوع كبار القادة في الأسر من قبل الطرفين كان له الأثر في قيام عمليات المفاداة لإنقاذ هؤلاء القادة.
- ❖ ركز المسلمون في أن تكون عمليات المفاداة على نهر اللامس لطبيعة الموقع ولوجود حامية إسلامية كبيرة هناك.
- ❖ كانت عمليات المفاداة تمثل مصدر فرح وسرور وإبتهاال لدى المسلمين بسبب عودة أسراهم من بيزنطا، وقد كان المسلمون حريصون بشتى السبل على عودة جميع الأسرى.

التوصيات:

توصلت الدراسة إلى عدة توصيات تتلخص في الآتي:

- ◀ ضرورة إهتمام المسلمين بالعلاقات الدبلوماسية مع العالم الخارجي، ونعني بذلك السياسة الخارجية للدول الإسلامية.
- ◀ التركيز في العلاقات الخارجية يجب أن يتجاوز الحرب وتبادل الأسرى إلى الحصول على علوم ومعارف الأمم الاخرى والاستفادة منها وتطويرها، وذلك أن الدولة الإسلامية عندما نحت هذا المنحى تفوقت على العالم أجمع.
- ◀ ضرورة الاستفادة في دراسة التاريخ الحضاري الإسلامي للاستفادة منه في مواجهة القضايا الكثيرة والمعقدة المعاصرة التي تواجه المسلمين الآن.

قائمة المراجع العربية:

- ١- اليعقوبي (أحمد أبي يعقوب ١٨٦٠م) تاريخ اليعقوبي، مطبعة بريل، ج ٣.
- ٢- الطبري (أبو محمد جعفر بن جرير ١٣٥٥هـ) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة، ج ٧.
- ٣- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ١٩٨٣م) العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، ج ٥.
- ٤- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين، ١٩٧٣م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين، عبد الحميد، دار الفكر بيروت.
- ٥- ابن الأثير (أبو الحسن علي، ١٣٥٧هـ) الكامل في التاريخ، المطبعة الأزهرية، القاهرة ج ٥.
- ٦- ابن الخياط (خليفة بن الخياط) تاريخ بن الخياط، تحقيق سهيل زكار، وزارة الثقافة السورية، القسم الثاني.
- ٧- ابن مسكويه (أبو علي محمد ١٣٣٢هـ) تجارب الأمم، أجزاء، شركة التمدن الصناعية مصر، ج ١.
- ٨- ابن الجوزي (جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧هـ) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ج ٩.
- ٩- أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمد ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية القاهرة د. ت (ج ٢).
- ١٠- ابن شداد (محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد عز الدين ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م) الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى زكريا، دمشق ١٩٩١م، ج ١.
- ١١- ابن الفراء (أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح الدين السيد، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٥م.

المراجع العربية:

- (١) بسام العسلي، فن الحرب الإسلامية في العصر العباسي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٨م ج ٣.
- (٢) الباز العريني: الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٥م.
- (٣) فازيليف، تاريخ العرب والروم، ترجمة وتحقيق محمد عبد الهادي شعيرة، راجعة فؤاد حسنين علي، دار الفكر التربوي، ١٩٩٨م.

المراجع الاجنبية:

1. Theophanes، 1836، chronographia، P.G.M.Tomcv111، paris.
2. Ghevond، 1856، historiedes gurresetdesconguetsdes Arabes en Ammenie. tr.g.v. chahnagarian، paris.



أثر اللهجات في تعدد القواعد النحوية في الظاهرة الواحدة

إعداد

د. محمد علي حريكة عبد الله

جامعة غرب كردفان - كلية التربية - قسم اللغة العربية

أستاذ مشارك في النحو والصرف

ود. عبد الله سليمان محمدين

أ. مشارك بجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

كلية التربية - قسم اللغات

مستخلص الدراسة:

تناول الدارسان في هذه الدراسة أثر اللهجات في تعدد القواعد النحوية للظاهرة الواحدة فجاءت الدراسة متناولة اختلاف لهجات العرب في النداء وما نتجت عنه من حركات إعرابية في ما ينادى من عَلم وغير عَلم، وابن وابنو ابنأم، وتناولت الدراسة ما جاء على وزن (فَعَال) اسماً وفعلاً ثم عرجتُ إلى لفظة (سنين) فتناولتُ اختلاف النحاة في إعرابها بالحروف أم بالحركات، ثم جاء القول في ألفاظ العقود كما جاء القول في كلمة (سنين)، وكذا تناولتُ اختلاف اللهجات في كلمة (هيهات) وما تبعها من حركات، ثم ختمت الدراسة بالاسم المنقوص وما جاء فيه من اختلافات نحوية. وهدفت الدراسة إلى إبراز الاختلافات النحوية في المسألة العربية الواحدة في صعيد واحد ليسهل تناولها، ثم الوقوف على الاختلافات شعراً أو نثراً، وفوق كل ذلك إشباع رغبة الدارسين المتعطشة لمثل هذه الدراسات النحوية ليزيدا ما في جعبتهما من معلومات. وكان سبب اختيار الموضوع تذليل الصعاب النحوية وتيسيرها لطالبيها كما قصدنا من ذلك رفد المكتبة العربية بما يزيدها من دراسات متخصصة كهذه. والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي الاستقرائي الذي يتناول المادة العلمية من مظانها ويتتبع هذه الظاهرة في المظان النظرية ليخرج بما

يفيد العلم. ومن ثمّ واجهت الدارسين صعوبات جمة حسبنا منها ما نذكره هو تعدد آراء العلماء في المسألة الواحدة تعدد يفوق الظنون. طبيعة البحث هذا تحتاج إلى نوع من الدقة والجهد الكثيرين حتى لا تختلط على الباحثان الآراء فيأتي بالغث الرديء بدلاً من الثمين المفيد.

Abstract

The two scholars in this study dealt with the effect of dialects on the multiplicity of grammatical rules which appeared one and the same, so the study dealt with the difference in the dialects of escape in the call and the consequent Arabic movements in what is called from their knowledge and other words, and Ibn and Ibn Ibn Umm, the study dealt with what came on the weight of (effective) noun and verb, then it referred to the word (years), and it dealt with the difference of salvation in its expression in letters or in vowel, then the saying came about contract words as it came in the word (years), as well as dealing with the difference of dialects in the word (Hehat) and the movements that followed, then concluded the study with the missing name and the grammatical differences that came in it. The study aimed to highlight the grammatical differences in the one Arab question in one aspect to facilitate its handling, the to study the differences in poetry and victory, and above all, to satisfy the desire of students who are hungry for such grammatical studies to increase the information in their collection. The reason for choosing the topic was to overcome grammatical difficulties and facilitate it for those seeking it. We also intended to provide the Arab library with more specialized studies such as this. The method used in this study is the inductive descriptive approach that deals with the scientific material from its connotations and tracks this phenomenon in the peer views

to come up with what is useful for science. And then the scholars faced many difficulties. We calculated from them what we mention is the multiplicity of scholars opinions on one issue that exceeds expectations. The nature of this research needs a kind of precision and effort by many people so as not to confuse the researcher that opinions bring bad instead of valuable and useful.

مقدمة:

تميزت لغتنا العربية بتعدد اللهجات والتي انعكست بظلالها في تعقيد قواعد اللغة العربية في الظاهرة الواحدة، فجاء هذا اللفظ مثلاً مرةً مرفوعاً ومرةً مجروراً ومرةً منصوباً ولربما كان مجزوماً إذا كان فعلاً، وعلى هذه الظاهرة جاءت هذه دراسة النحوية.

تناول الدارسان في هذا البحث بعض الظواهر النحوية التي تعددت فيها لهجات القبائل في الجزيرة العربية، فكان النتائج أن قُعدت أبرز الاختلافات النحوية في المسألة الواحدة في صعيد واحد يسهل تناولها.

أهداف البحث: الوقوف على لهجات العرب الأوائل من خلال ما أثر عنهم من شعرٍ ونثرٍ وأمثالٍ إذ بها كان تعقيد النحو والمعارف الأخرى، ثم إشباع رغبة الباحث في مثل هذه الدراسات لزيادة معرفته المعلوماتية وحصيلته المعرفية زيادةً لا يستغني عنها أحدٌ يصول ويجول في هذا الفن (النحو).

أسباب اختيار الموضوع: جمع جزء ليس بالهين من النحو العربي في صعيد واحدٍ ثم مناقشته، تقليل الزمن والجهد لطالبي العلم، تذليل الصعاب النحوية وتسييرها لطالبي علم النحو العربي.

خطة البحث: جاء هذا البحث متناولاً تعريف اللهجة لغةً واصطلاحاً، ثم المنادى وما يتعلق به من أحكام مثل: اختلاف النحاة في الناصب للمنادى، وأقسام المنادى، والمنادى الموصوف بـ(ابن) والمنادى المضاف إلى ياء المتكلم، ونداء (ابن أم) مضافاً إلى ياء المتكلم، ونداء يا (أبت) ويا (أمت) ثم العطف على المنادى معرفاً بال، وتناولتها جاء على وزن (فَعَال): اسماً وفعلاً، وناقشتُ كلمة (سنين) كما جاءت في حديث نبوي شريف ولغة العرب، ثم انتقلتُ إلى الحديث في ألفاظ

العقود وكذا عن كلمة هيهات من حيث اختلاف اللهجات فيها وما تبع ذلك من حركات إعرابية، ثم ختمت هذا البحث بالمنقوص ولغات العرب فيه.

منهج البحث: اتبع الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي الاستقرائي الذي يتبع المسألة في مظانها المختلفة لقتلها بحثاً حتى يخرج بما يفيد الباحثين والمكتبة العربية.

أهمية البحث: تنبع أهمية البحث من عنوانه حيث إنه يتناول مسائل نحوية قُري بها القرآن الكريم، والقرآن الكريم هو الفصل، فإذا ما تناول مسألة أخذت مقعدها من الصواب.

صعوبات البحث: كثرة الآراء في المسألة الواحدة فكأن لانهاية لآراء علماء النحو واختلافاتهم في هذه المسألة فيضطر الباحث إلى اختيار ما يوفق إليه من الله تعالى. طبيعة البحث تحتاج إلى نوع من الدقة والجهد وذلك للوصول إلى دراسة دقيقة وصحيحة.

اللهجة لغة: هي اللسان وقد تحرك الهاء فتصبح اللَّهْجَةُ^(١). واللهجة: طرف اللسان، ويقال جرس الكلام وهي لغته التي جُبل عليها فاعتادها ونشأ عليها^(٢). ويقال: لهجت بالشيء ألهج لهجاً ولهجاً إذا غريت به، ويقال: فلان صادق اللهجة. أما قولهم فهو فصيح اللهجة أي: فصيح اللسان الذي ينطق به من كلام. وسُميت اللهجة لهجة، لأنّ كلاً يلهج بلغته وكلامه واللهجة طريقة من طرق الأداء في اللغة^(٣).

اصطلاحاً: وهي تُطلق على ما تعارف عليه أهل بلدٍ معين أو إقليم معين من الكلام الذي يتفاهمون به بينهم^(٤).

دراسة اللهجات هي من المباحث الخلقية بالنظر والبحث لأنها بها نزل القرآن الكريم، وبها كان تععيد النحو العربي فما كلامنا هذا إلا نتيجة لتلك اللهجات العربية الفصيحة التي سارت قبل الإسلام. أما اللهجات التي جاءت بعد الإسلام وبعد تعقيد القواعد فهذا شأن آخر ومن مباحث علم اللغة.

(١) ابن منظور. جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب ولب لباب العرب، دار صادر، (د. ت)، مادة (ل هـ ج)، ج ١، ص: ٢١٣.

(٢) الفراهيدي. الخليل بن أحمد، كتاب العين، ٢٠٠٨ م، مادة (ل هـ ج)، ج ٣، ص: ٣٩١.

(٣) ابن فارس. أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، ١٩٧٩ م، ج ٥، ص: ٢١٤.

(٤) أبو مالك القوضي. أرسيف ملتقى أهل الحديث، المكتبة الشاملة، (د. ت)، ص: ٣٤٣.

المنادى: لغة: هو الدعاء وكسر النون أكثر من ضمها، وناديته مناداة ونداء^(١).

اصطلاحاً: هو طلب الإقبال بحرف ناب مناب (أدعو) ملفوظ به^(٢).

اختلاف النحاة في الناصب للمنادى:

اختلف العلماء في الناصب للمنادى على ثلاثة أوجه:

١/ الناصب له فعلٌ مضمَّرٌ وجوباً تقديره (أدعو) أو (أنادي)، فحُذِفَ ثم ناب عنه حرف النداء.

٢/ إن الناصب له حرف النداء نفسه لأنه عوض عن الفعل.

٣/ إن الناصب له معنوي لا لفظي وهو القصد والإقبال^(٣).

أقسام المنادى: ينقسم المنادى على حسب لهجات العرب إلى أربعة أقسام:

١/ ما يجب بناؤه على الضم. ٢/ ما يجب نصبه.

٣/ ما يجب رفعه ونصبه. ٤/ ما يجوز رفعه وفتحه.

١/ ما يجب بناؤه على الضم: وهو ما اجتمع فيه أمران:

١/ التعريف: سواء أكان سابقاً على النداء نحو: (يا زيد) أو كان عارضاً في النداء وهو النكرة المقصودة نحو: (يا رجل). تريد به رجلاً معيناً.

٢/ الأفراد: والمقصود به المركب المزجي والمثنى وجمع التصحيح نحو: يا معد يكرم، ويا زيدون ويا زيدان.

٢/ ما يجب نصبه: وهو على ثلاثة أنواع:

١/ النكرة غير المقصودة: كقول الواعظ: (يا غافلاً والموت يطلبه) سواء أكانت هذه النكرة غير المقصودة جامدة أم مشقة كقول الغريق: (يا واقفاً أنقذني) فإن اتصل بهذا المشتق شيء صار شبيهاً بالمضاف نحو قولك: (يا واقفاً بالشط أنقذني).

(١) الفيومي. أحمد بن علي، المصباح المنير، تحقيق: يوسف الشيخ محمد وآخرون، ٢٠١٦م، ج ١، ص: ٣٠٨.

(٢) الصبان. الشيخ محمد علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني، دار الكتب العلمية، ١٩٩١م، ج ١، ص: ١٩٩.

(٣) ابن الحاجب. جمال الدين أبو عمر، الإيضاح في شرح المنفصل، تحقيق: موسى بناني، (د. ت)، ج ٢، ص: ٢٤٩.

٢/ المضاف: سواء أكانت إضافته محضة نحو قولك: (ربنا أغفر لنا)، أو غير محضة نحو: (يا حسن الوجه).

٣/ الشبيه بالمضاف: وهو ما اتصل به شيء من تمام معناه نحو: (يا حسناً وجه) و(يا طالعاً جبلاً) و(يا رقيقاً بالعباد).

٣/ ما يجب رفعه ونصبه: وهو نوعان:

١/ أن يكون علماً مفرداً موصوفاً بـ(ابن) متصل به مضاف إلى علم نحو: (يا زيد ابن سعيد) والمختار عند البصريين غير المبرد - الفتح ومنه قوله:

يَا حَكْمُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارِدِ سَرَادِقُ الْمَجْدِ عَلَيْكَ مَمْدُودُ^(١)

ويتعين الضم في نحو: (يا رجل ابن عمر، يا زيد بن أخينا) لانتقاء علمية المنادى في الأولى وعلمية المضاف إليه في الثانية نحو: (يا زيد الفاضل ابن عمرو) لوجود الفصل في نحو يا زيد الفاضل، لأن الضمة غير (ابن) ولم يشترط ذلك الكوفيون وأنشدوا:

بأجود منك يا عمر الجوادا (بفتح عمر).

والوصف بابنة كالوصف بابن نحو: يا هند ابنة عمرو، ولا أثر للوصف ببنت في نحو: (يا هند بنت عمرو؟) فهذا واجب الضم^(٢).

٢/ أن يكرر مضافاً نحو: (يا سعد سعد الأوس)، فالثاني واجب النصب، والوجهان في الأول، فإن ضمته فالثاني إما عطف بيان أو بدل أو بإضمار (يا) أو أعني وإن فتحته فهو مضاف لما بعد.

٤/ ما يجوز رفعه ونصبه:

وهو المنادى المستحق الضم إذا اضطر شاعر إلى تنوينه كقول الشاعر:

سَلَامُ اللَّهِ يَا مَطَرٌ عَلَيْهَا وَلَيْسَ عَلَيْكَ يَا مَطَرُ السَّلَامُ^(٣)

(١) ابن جني. أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هندواي، دار الفتح، دمشق، ط ١، ١٩٨٥م، ج ٢، ص: ٥٢٦.

(٢) ابن هشام. جمال الدين محمد بن عبد الله، أوضح المسالك، تحقيق: يوسف البقاعي، دار الفكر العربي، ط ١، ٢٠١٦م، ج ٤، ص: ٢٤.

(٣) المرادي. أبو محمد عبد الله بن أم قاسم، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٢م، ج ١، ص: ٢٤.

واختار الخليل وسيبويه الضم وأبو عمرو وعيسى ويونس والجرمي والمبرد النصب، فالمنادى إذا لحقه التنوين اضطراراً فإن الأولين يرون رفعه ويقولون هو بمنزلة المرفوع الذي لا ينصرف فلحقه التنوين على لفظه والأحسن النصب وأن يرده التنوين إلى أصله كما كان ذلك في النكرة والمضاف^(١).

المنادى المضاف إلى الياء:

إذا نُودي المضاف للياء ففي الياء لغات أشهرها:

١ / الحذف وإبقاء الكسرة دالة عليها لكثرة الاستعمال نحو: (يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ)^(٢). وهو الأكثر.

٢ / إبقاء الياء ساكنة (يا عبادي...) وهو دون الأول في الكثرة.

٣ / إبقاؤها وفتحها نحو: (يَا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا)^(٣).

٤ / قلبها ألفاً نحو: (يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ)^(٤).

٥ / قلبها ألفاً ثم حذفها والاستغناء عنها بالفتحة نحو: (يا عباد)^(٥).

نداء (ابن أم) مضافاً إلى ياء المتكلم:

قال تعالى: (قَالَ ابْنُ أُمِّ)^(٦).

وأصل النداء (يا ابن أُمي) فحُذِفَتْ يا النداء وقد ورد ذلك عن العرب وجاء به القرآن الكريم كما في قوله تعالى: (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا)^(٧)، وأصله (يا يوسف).

أما إضافة (أم) إلى يا المتكلم فيجوز فيه:

١ / إثبات ياء المتكلم ساكنة نحو: (يا ابن أُمي).

١ ابن عقيل. بهاء الدين عبد الله، شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، 1980م، ج3، ص: 272.

٢ سورة الزمر، الآية: 16.

٣ سورة الزمر، الآية: 53.

٤ سورة الزمر، الآية: 56.

٥ سورة الزمر، الآية: 16.

٦ سورة الأعراف، الآية: 150.

٧ سورة يوسف، الآية: 29.

٢/ إثباتها مفتوحة نحو: (يا ابن أُمِّي).

٣/ حذف ياء المتكلم مع كسر ما قبلها نحو: (يا ابن أُمِّ).

٤/ حذف ياء المتكلم مع فتح ما قبلها نحو (يا ابن أُمِّ) وعلى هذه القاعدة جاء قوله تعالى أعلاه.

٥/ حذف يا المتكلم مع ضم ما قبلها نحو: (يا ابن أُمِّ)^(١).

نداء (يا أبت ويا أمت): وفيه وجوه:

١/ ضم التاء (يا أبت) اختلف في ضم التاء من (يا أبت ويا أمت).

حكى سيبويه عن الخليل أنه سمع من العرب من يقول: (يا أمت) بالضم، وأجازه الفراء، وأبو جعفر النحاس، ومنعه الزجاج.

٢/ الوقف على هذه التاء بالهاء، وهذا مذهب البصريين، ومذهب الفراء من الكوفيين بالتاء، وُقري بالوجهين في السبع ورُسمت في المصحف بالتاء.

٣/ وقالوا: (يا أبات) بمد الألف من (أبا).

وبه قال الشاعر: تقول ابنتي لما رأتني شاحباً كأنك فينا يا أبات غريب^(٢)

الشاهد (يا أبات) وزعم بعضهم أنه أراد: (يا أبتى) فقلب وهو بعيد، وقيل يُخْرَج على أن الألف للإشباع^(٣).

٤/ ويجوز يا أبتا ويا أمتا لأنه جمع بين عوضين بخلاف يا أبتى ويا أمتي فإنه يجوز لأنه جمع بين العوض والمعوض منه^(٤). وقد ورد إثبات الياء في قول الشاعر:

أَيَا أَبْتِي لَا زِلْتُ فِينَا فَيَاتِمًا لَنَا أَمَلٌ فِي الْعَيْشِ مَا دُمْتُ عَائِشًا^(٥)

الشاهد: (أيا أبتى) أحبت جمع بين العوض والمعوض. وهو ضرورة.

(١) ابن هشام. أوضح المسالك، ج ٤ ص: ١٦.

(٢) الأخفش. أبو الحسن بن علي، معاني القرآن، ١٤١١هـ، ج ١، ص: ٥٧.

(٣) المرادي. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ج ٢، ص: ١٠٩٤.

(٤) الرضي الأستراباذي. محمد بن الحسين الزهرة، شرح الكافية، تحقيق: حسن بن محمد إبراهيم، ١٤١٧هـ، ج ١، ص: ٣٩٢.

(٥) الصبان. حاشية الصبان، ج ١، ص: ٢٣٣.

العطف على المنادى: إذا عطف على منادى مبنياً على الضم اسماً معرفاً بـ(أل) كنت خيراً بين الرفع والنصب، فتقول: يا زيد والحارث أو يا زيد والحارث، على هذه القاعدة جاءت الآية الكريمة: (يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ)^(١).

١ / (والطير) بالنصب: وفيه أربعة أوجه:

١ / معطوف على موضع الجبال.

٢ / الواو بمعنى (مع) فهو منصوب بواو المعية.

٣ / العطف على فضلاً، والتقدير: وتسبح الطير، قاله الكسائي.

٤ / منصوب بفعل محذوف تقديره: وسخرنا له الطير.

٢ / (والطير) بالرفع وفيه وجهان:

١ / معطوف على لفظ الجبال.

٢ / معطوف على الضمير الذي هو في (أوبي) وأغنت عن توكيده قوله تعالى: (أَنْ أَعْمَلَ) (أَنْ) بمعنى أي أمرناه أَنْ أَعْمَلَ^(٢).

وعليها قال شاعر:

أَلَا يَا زَيْدُ وَالضَّحَّاكُ سِيرَا فَقَدْ جَوَزْنِمَا خَمَرَ الطَّرِيقِ^(٣)

يروى: الضحاك، الضحاك: بالرفع والنصب.

ما جاء على وزن (فَعَالٍ):

أ/ علماً لمؤنث: نحو حزامٍ وقطامٍ ورقاشٍ وغلابٍ وسجاجٍ. قال الصمة بن عبد الله الطفيل:

إِذَا قَالَتْ حَذَامٌ فَصَدَّقُوهَا فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامٌ

(١) سورة سبأ، الآية: ١٠.

(٢) العكبري. محب الدين عبد الله بن الحسين، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي طليبات، دار الفكر دمشق، ط ١، دمشق، ج ٢، ص: ١٠٦٤.

(٣) ابن جني. أبو الفتح عثمان، علل التنثية، تحقيق: صبحي التميمي، المكتبة الثقافية، القاهرة، ١٩٧٢م، ص: ١١.

ومنه: سكابٍ وعرارٍ علماً لبقرة، وظفارٍ علماً لبلدة، وسفارٍ أسماً لماء وحضارٍ اسم موكب.
ب/ فعل أمر: نحو: نزال، ودراك، ومنه نزال المعركة أي: انزل، ودراك القوم أي: أدركهم.

القاعدة النحوية:

- بنو تميم: يعربون الاسم على وزن (فعال) ممنوعاً من الصرف للعلمية والعدل.
- الحجازيون: يجعلونه مبنياً على الكسر إجراءً له مجرى (فعال) لشبهه به في الوزن والعدل والتعريف^(١).

وأكثر بني تميم يوافقون الحجازيين فيما آخره (راء) نحو: سفارٍ وحضارٍ فيبنونه على الكسر للشبه السابق، وإنما خصوا بها آخره راء لأن من مذهبهم الإمالة، وأنها يتوصلون إليها بكسر الراء، ولو رفعوا أو فتحوا لم يصلوا إلى ذلك. وبعضهم يعربه على أصله في (حزام) قال الأعشى جامعٌ بين اللغتين:

ومرَّ دهرٌ على وبارٍ فَهَلَكْتَ جَهْرَةً وَبارٌ

الشاهد: (وبارٍ) بني وبار الأولى على الكسر، ثم أعربه ثانياً لأن قوافي القصيدة مرفوعة.

لفظ (سنين): للعرب فيها أربع لغات وهي:

١/ أن تعرب بالحروف: بالواو رفعاً وبالياء نصباً وجراً وهذه هي اللغة المشهورة وهي لغة الحجاز وقيس.

٢/ أن تعرب إعراب (حينَ وغسلينَ) فتلزمها الياء في جميع أحوالها الإعرابية وتعرب بالحركات الأصلية الظاهرة على النون منونة أو غير منونة؛ لأن بعض العرب لا ينون كبنو تميم، وعلى هذه القاعدة جاء قوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم أجعلها عليهم سنيناً كسنيين يوسف"^(٢).

وردت سنيناً الأولى منونة، والثانية مجرورة بالكسرة ولم تحذف النون مع أنها مضاف، فدل ذلك على أنها معربة بالحركات الأصلية الظاهرة على النون. ووردت في قول الشاعر:

(١) الصبان، حاشية الصبان، ج ١، ص: ٧٩٢.

(٢) البخاري. محمد بن إسماعيل، الجامع الصغير المختصر، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ٢٠١٧م، ج ١، ص: ٤٣١.

دَعَانِي مِنْ نَجْدٍ فَإِنْ سَنِيَهُ لَعَبَنَ بَنَا شَيْبًا وَشَيْئَنَا مَرَدًا^(١)

الشاهد: (سنيته) وردت سنين معربة بالفتحة الظاهرة على النون مع لزومها الياء ولم تحذف النون مع أنها مضاف، فدل على إعرابها بالحركات الأصلية الظاهرة على النون.

٣/ إن تُعَرَّبَ إعراب (زيتون) فتلزم الواو في جميع حالاتها الإعرابية، وتعرب بالحركات الأصلية الظاهرة على النون منونة أو غير منونة نحو: هذه سنون أو سنون وعشت سنوناً أو سنون، ومررت بسنونٍ أو بسنونٍ، ولم تنسب إلى قبيلة.

٤/ أن تلزم الواو وتعرب بالحركات الأصلية المقدرة على الواو مع فتح النون من غير تنوين نحو: هذه سنون، عشتُ سنون، مررت سنون^(٢).

ألفاظ العقود: (عشرون - تسعون):

قال ابن سيدة في كتابه العدد في اللغة: (واعلم أنَّ عشرين ونحوها ربما جعل إعرابها في النون وأكثر ما يجيء ذلك في الشعر، فإذا جعل كذلك ألزمت الياء لأنها أخف من الواو...)^(٣). ومن ذلك قول سحيم بن وثيل:

وَمَاذَا يَكْدِرِي الشُّعْرَاءُ مِنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الْأَرْبَعِينَ^(٤)

الشاهد: (حدَّ الأربعين) حيث جعل الشاعر علامة الإعراب على النون وهي كسرة ظاهرة على النون مع لزوم الياء فيه.

قال المبرد: ويجوز أن تجربيه مجرى الواحد، فيصير إعرابه في آخره، فتقول: هذه عشرين، ولكن يقول: (وليس بالوجه).

أي: لم عجبه هذا الإعراب والأفضل عنده أن يعرب بالحروف لأنه ملحق بجمع المذكر السالم. ويقول ابن جني: فليست النون في الأربعين حرف إعراب ولا الكسرة علامة جر الاسم وإنما هي حركة التقاء الساكنين وهما: الياء والنون، وكسرت على أصل حركة الساكنين إذا التقيا فلم تفتح نون الجمع لأن الشاعر اضطر إلى ذلك لئلا تختلف حركة حرف الروي في سائر الأبيات^(٥).

(١) ابن عقيل. شرح ابن عقيل، ج ١، ص: ٦٥.

(٢) الصبان، حاشية الصبان، ج ١، ص: ٣٣.

(٣) ابن سيدة. علي بن إسماعيل، العدد في اللغة، تحقيق: عبد الله بن الحسين وآخرون، ط ١، ١٩٩٣ م، ص: ١٠.

(٤) المبرد. محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب للطباعة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٢ م، ج ٢، ص: ٨١.

(٥) ابن جني. سر صناعة الإعراب، ١٩٨٥ م، ج ٢، ص: ٦٢٨.

ويقول الأشموني: والصحيح أنه لا يطرد بل يقتصر فيه على السماع^(١).

ويرى ابن هشام أن كسر النون لغة من لغات العرب، وبعضهم يرى أن كسرها لضرورة الشعر فهو جائز في الشعر فحسب^(٢).

وملخص ما سبق:

١/ منهم من قال إن ألفظ العقود تعرب بالحركات على النون مع التزام الياء.

٢/ ومنهم من قال إن ذلك ضرورة شعرية.

٣/ ومنهم من قال: لغة من لغات العرب.

٤/ ومنهم من قال تعرب بالحروف وهي ملحق بجمع المذكر السالم.

هيات: أصلها:

يقول عنها ابن جني في كتابه الخصائص: (وهي عندنا من مضاعف الفاء في ذوات الأربعة، ووزنها فعلة وأصلها هية كما أن أصل الزوزاة والقوقة والدوراة والشوشاة: الزوزة، والقوقة، والدودوة والشوشوة فانقلبت اللام ألفاً فصارت هية، والتاء فيها للتأنيث مثلها في القوقة والشوشاة والوقوف عليها بالهاء، وهي مفتوحة المبنيات، ومن كسر التاء فقال: هيات فإن التاء تاء جماعة التأنيث والكسرة فيها كالفتحة في الواحدة)^(٣).

لغاتنا: وقال ابن جني: وفي هيات لغات: هيةة وهيةة وهيات وهيات وأيات وأيات وأيات وأياتاً وأياتاً بكسر النون حكاه لنا أبو علي عن أحمد بن يحيى (وأياها) والاسم بعدها مرفوع على حد ارتفاع الفاعل بعدهم كقول جرير:

فَهَيَّاتَ هَيَّاتِ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَهَيَّاتَ خِلَ بِالْعَقِيقِ نَوَاصِلُهُ^(٤)

وجاء في المفصل على النحو التالي:

(١) الأشموني. أحمد بن محمد بن عبد الكريم، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الحميد السيد والمكتبة الأزهرية للتراث، ج ١، ص: ٤٠.

(٢) ابن هشام. أوضح المسالك، ج ١، ص: ٨٨.

(٣) ابن جني. الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٧م، ج ٣، ص: ٤١.

(٤) المرجع نفسه، ج ٣، ص: ٤٢.

١/ هيهاتَ بفتح التاء لغة أهل الحجاز. ٢/ هيهاتَ بكسر التاء لغة أسد وتميم.
٣/ هيهاتُ بضم التاء لم يحدد لذلك قبيلة وإنما قال الزمخشري بعض العرب، ثم قال وقرئ بهنّ جميعاً وقد تنون على اللغات الثلاث. قال الشاعر:

تَذَكَّرْتُ أَيَّاماً مَضَيْنَ مِنَ الصَّبَا وَهِيَهَاتَ هِيَهَاتاً إِلَيْكَ رُجُوعُهَا^(١)

قُرئت (هيهات) على ثلاثة أوجه في قوله تعالى: (هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ)^(٢).

١/ أهل الحرمين وأهل الكوفة (هيهاتَ هيهاتَ) مفتوحة غير منونة.
٢/ قرأ أبو جعفر (هيهاتَ هيهاتَ) مكسورة غير منونة - وقال يجوز (هيهاتاً هيهاتاً) مفتوحة منونة.

٣/ قرأ عيسى بن عمر (هيهاتَ هيهاتَ) مكسورة ومنونة.

٤/ قال الكسائي وناس من العرب كثير يقولون (أيهات) يعني أنهم يدلون من الهاء همزة^(٣).
الاسم المنقوص: هو الاسم المعرب الذي آخره ياء لازمه مكسور ما قبلها، نحو: القاضي، الداعي المرتضي^(٤).

علامات إعرابه: يعرب بالحركات الأصلية المقدرة في حالتي: الرفع، والجر نحو: جاء القاضي ومررت بالقاضي، أما إذا كان منصوباً فعلامته ظاهرة نحو رأيت القاضي^(٥).

الاسم المنقوص المنادى: إن ناديت الاسم المنقوص فمذهب سيبويه إثبات الياء لأنه موضع لا ينون، ومذهب يونس حذفها للفرق، واتفقوا على إثباتها في قولك: يا مري وهو اسم فاعل من (أرى)؛ لأنهم لو حذفوها لبقى الاسم على حرفين^(٦).

لغات العرب في الاسم المنقوص:

١/ من العرب من يعامل المنقوص في حالة النصب كمعاملته في حالتي: الرفع والجر فتقدر فيه الفتحة على الياء كقول الشاعر:

(١) الأحوص. عبد الله بن محمد بن عبد الله، ديوانه، ٢٠١١م، ص: ١٤٢.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٣٦.

(٣) النحاس. أبو جعفر أحمد بن محمد، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م، ج ٣، ص: ١١٣.

(٤) حسين بن أحمد، شرح ألفية ابن مالك، ديسمبر ٢٠١١م، ج ١، ص: ٤٠.

(٥) المرجع نفسه، ج ١، ص: ٤٠.

(٦) العكبري، الباب في علل البناء والإعراب، ج ٢، ص: ٢٠٥.

فَلَوْ أَنَّ وَاشٍ بِالْيَمَامَةِ دَارُهُ وَدَارِي بِأَعْلَى حَضَرَمَوْتَ إِهْتَدَى لِيَا^(١)

الشاهد: (واشٍ) فهي اسم إن منصوب ومن حقها أن تكون (واشياً) ولكن حذف الشاعر الياء، فأعربت بالفتحة المقدرة على الياء المحذوفة.

اختلاف العلماء في ذلك:

أ/ ضرورة: قال أبو العباس المبرد: وهو من أحسن ضرورات الشعر، لأنه حمل حالة النصب على حالتي: الرفع والجذر^(٢).

ب/ جواز إثبات الياء في سعة الكلام وعليه قراءة زيد (تُطعمون أهاليكم)^(٣).

١/ ومن العرب من يعامل المنقوص في حالتي الرفع والجذر كما يعامله في حالة النصب، فتظهر الضمة والكسرة على الياء كما قال الشاعر:

لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ جَائِيٌّ وَلَكِنَّ أَقْصَى مُدَّةِ الْعُمْرِ عَاجِلٌ^(٤)

الشاهد: (جائي) حيث ظهرت الضمة فيه في حالة الرفع ومن حقها أن تكون مقدرة مع حذف الياء (جاءٍ) وهذا للضرورة الشعرية، ولا تجوز في حالة السعة^(٥).

نصب الاسم المنقوص: وفيه لهجتان:

١/ تحريك الياء: وهي لهجة فصحي مشهورة كثيرة الاستعمال.

٢/ إسكان الياء: وهي قليلة الاستعمال، ولكنها وصفت بأنها فصيحة وعليها جاء المثل العربي: (أعط القوس باريها)^(٦). بإسكان الياء^(٧).

(١) ابن حجة الحموي. تقي الدين أبو بكر علي، خزانة الأدب ونهاية الأدب، تحقيق: عصام شعيثو، دار مكتبة الهلال، ط ١، ١٩٨٧م، ج ١، ص: ٤٢٤.

(٢) الصبان، حاشية الصبان، ج ١، ص: ١٤٨.

(٣) السمين الحلبي. أحمد بن يوسف، الدر المصون في علم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد بن يوسف، ٢٠٠٨م، ج ١، ص: ٤٩٥٦.

(٤) الصبان، حاشية الصبان، ج ١، ص: ١٤٨.

(٥) حسين بن أحمد، شرح ألفية ابن مالك، ج ١، ص: ٤١.

(٦) أبو الهلال العسكري. جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد إبراهيم أبو الفضل وآخرون، دار الفكر، ١٩٨٨م، ج ١، ص: ٧٦.

(٧) علاء الدين بن إسماعيل الحمزاوي، دور اللهجة في التعقيد النحوي، دراسة إحصائية تحليلية في ضوء همع الهوامع، ص: ٢٢.

الخاتمة:

بعون الله وتوفيقه فقد أكمل الدارسان مسيرة بحثهما في هذه الورقة العلمية هذه، والتي جاءت بعنوان: (أثر اللهجات في تعدد القواعد النحوية في الظاهرة الواحدة)، وقبل الشروع في مناقشة القضايا التي وقع عليها الاختيار ناقشت وشرحت كلمة (لهجة) لغةً واصطلاحاً، ومن ثمّ انتقلتُ إلى المفردات التي وقع على الاختيار وتم تقسيمها إلى عناوين وكانت بداية هذه العناوين: (المنادى) واختلاف النحاة في الناصب له على حسب مجيئه من لسان العرب الأوائل ولهجاتهم، ثم انتقلتُ إلى ما جاء على وزن (فَعَال) وهذه ناحية صرفية ونحوية معاً، ثم جاء القول في لفظ (سنين) من حيث وقوع الإعراب على النون أم إنها تُعرب بالحروف، ومن ثمّ جاء الحديث عن ألفاظ العقود أيضاً من حين إعرابها بالحرف أم بالحركات، وتناولت لفظة (هيهات) من حيث اختلاف لهجات القبائل فيها، وأي لهجة كانت الطاغية على تلكم اللهجات، ثم ختمت الدراسة باسم المنقوص ومتى تحذف منه الياء. هذا ما وفقنا الله تعالى إليه.

النتائج:

- ١/ انتشرت لغة أهل الحجاز للوسطية لا للأفضلية إذ أن الحجاز تتوسط القبائل العربية جغرافياً وهذا ما ساعد لغتها في الانتشار ونزول القرآن بها.
- ٢/ طغت لغة الحجاز على بقية القبائل في رسم (هيهات) ونطقها فصار بها الركبان ومشى بها الزمان.

التوصيات:

يوصي الدارسان بالآتي:

- ١/ دراسة (هيهات) دراسة منفردة من خلال كتب التفسير التي لها نزعة نحوية وذلك في قوله تعالى: (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ) لاختلاف القراء في لفظها وإعرابها.
- ٢/ دراسة النداء دراسة من خلال قوله تعالى: (يوسف أعرض عن هذا) وما يتصل به من آيات لها علاقة بالنداء إذ أن الشوارد النحوية في القرآن الكريم كثيرة وجميلة.

قائمة المصادر والمراجع

- ١/ القرآن الكريم.
- ٢/ الأحوص. عبد الله بن محمد بن عبد الله، ديوانه، ديسمبر ٢٠١١ م.
- ٣/ الأشموني. أحمد بن محمد بن عبد الكريم، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الحميد السيد محمد، المكتبة الأزهرية للتراث، (د. ط.).
- ٤/ الأخفش. أبو الحسن بن علي، معاني القرآن، ١٤١١ هـ.
- ٥/ البخاري. محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، دار ابن كثير، بيروت، ط ٣، ١٩٨٧ م.
- ٦/ ابن جني. أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هندراوي، دار الفتح، دمشق، ط ١، ١٩٨٥ م.
- ٧/ ابن جني. علل الثنية، تحقيق: صبحي التميمي، المكتبة الثقافية، القاهرة، ط ١، ١٩٩٢ م.
- ٨/ ابن جني. الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت.
- ٩/ ابن الحاجب. جمال الدين أبو عمر وعثمان، الإيضاح في شرح المفضل، تحقيق: موسى بناني.
- ١٠/ ابن حجة الحموي. تقي الدين أبو بكر علي بن، خزانة الأدب ونهاية الأدب، تحقيق: عصام شعيتو، دار مكتبة الهلال، ط ١، ١٩٨٧ م.
- ١١/ حسين بن أحمد بن عبد الله، شرح ألفية ابن مالك، ديسمبر ٢٠١١ م.
- ١٢/ السمين الحلبي. أحمد بن يوسف، الدر المصون في علم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد بن يوسف، مكتبة مشكاة الإسلامية.
- ١٣/ الرضي الإستراباذي محمد بن الحسين الزهرة، شرح الكافية، تحقيق: حسين بن محمد إبراهيم الحفظي، (د. ط.)، (د. ت.).
- ١٤/ الزمخشري. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، المفصل في صناعة الإعراب، تحقيق: علي بوملحم، مكتبة الهلال، بيروت.
- ١٥/ ابن سيده. علي بن إسماعيل، العدد في اللغة، تحقيق: عبد الله بن الحسين وآخرون، ط ١، ١٩٩٣ م.

- ١٦/ الصبان. محمد علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٧ م.
- ١٧/ العكبري، محب الدين عبد الله بن الحسين، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي مختار طليعات، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٩٥ م.
- ١٨/ ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة ط ١، ١٩٩٨ م.
- ١٩/ علاء الدين إسماعيل الحمزاوي، دور اللهجة في التعقيد النحوي دراسة إحصائية تحليلية في ضوء همع الهوامع للسيوطي.
- ٢٠/ ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، (د. ط.).
- ٢١/ الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وآخرون، دار الهلال.
- ٢٢/ الفيومي، أحمد بن علي، المصباح المنير، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، أبو مالك العوضيب.
- ٢٣/ أبو مالك القوسي، أرشيف ملتقى أهل الحديث، المكتبة الشاملة.
- ٢٤/ المبرد. محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب للطباعة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٩ م.
- ٢٥/ المرادي. أبو محمد عبد الله بن أم قاسم، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر للطباعة والنشر.
- ٢٦/ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب ولب لباب العرب، دار صادر، بيروت.
- ٢٧/ النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨ م.
- ٢٨/ ابن هشام. جمال الدين محمد بن عبد الله، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف الشيخ البقاعي، دار الفكر العربي، ط ١، ٢٠٠٨ م.
- ٢٩/ أبو الهلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد إبراهيم أبو الفضل وآخرون، دار الفكر، ط ٢، ١٩٨٨ م.

الخلافة الإسلامية بعد وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم)

نشأتها وتطورها والخلاف حولها

إعداد / د. عوض عبد الجليل أبوبكر محمد

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد - قسم التاريخ -

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة البحر الأحمر /

حالياً بوحدة المخطوطات عمادة شؤون المكتبات - جامعة نجران - السعودية

المُستخلص

هذه الدراسة بعنوان: {الخلافة الإسلامية من وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم)، نشأتها وتطورها والخلاف حولها}، وقد جاءت هذه الدراسة في قالب سردي توثيقي لمعرفة الجانب الفلسفي التاريخي للخلافة الإسلامية، وذلك من خلال تناول نشأتها، وماهيتها، وتطورها، ومن ثم مرحلة الخلاف حول أحقيتها لمن بعد وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم).

ظهر الصراع السياسي حول الخلافة عند موت النبي (صلي الله عليه وسلم)، وكان ذلك الاختلاف السياسي هو الشرارة الأولى واجهت الدولة الإسلامية الوليدة، فأجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعدة وذلك من أجل الإجابة على التساؤل الذي طرأ على سطح الدولة وهو من يخلف النبي (صلي الله عليه وسلم)، وذلك لأن الثابت أن النبي (صلي الله عليه وسلم)، لم يسمي أحداً من آل بيته، ولا من صحابته ليخلفه، وعلى الرغم من اتفاق المسلمون في السقيفة على خلافة سيدنا أبوبكر الصديق (رضي الله عنه)، إلا أن الدولة الإسلامية قُدر لها بعد ذلك بأن تمرّ بفترات عصبية من التنافس والتناحر بين المسلمين حول مسألة الخلافة، وقد وصلت مسألة الصراع قمتها نهاية خلافة سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وذلك عندما دفع (رضي الله عنه)، حياته ثمناً لذلك الصراع، وأستمر الأمر يزداد سوء بعد مقتله وتحديداً في خلافة سيدنا علي بن أبي طالب (كرم

الله وجهه)، والذي في خلافته ظهرت حروب المسلمين مع بعضهم البعض، إلا أن أستاذ الأمر لبني أمية، وتحولت الخلافة الراشدة إلى ملك غرض.

وقد خلصت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج تمثلت في عدم وجود نص صريح بتحديد من يخلف النبي (صلي الله عليه وسلم)، وبالتالي تأججت الصراعات بين المسلمين في أمر من يخلفهم ويتولى أمرهم، وأستفحل الأمر بينهم حتى لم يستطع الفكر الإسلامي حتى يومنا هذا معالجة تفرقهم، فتوزع الإسلام بسبب الخلافة بين أهل السنة ومجموعة كبيرة من الفرق والمذاهب، وقد أستخدم الباحث المنهج التاريخي الوصفي السردى وذلك من أجل الوصول إلى نتائج مرضية.

Abstract

Islamic Caliphate from the Death of the Prophet (peace be upon him), Origins, Evolution and the Controversy around it.

This study entitled: (Islamic Caliphate from the Death of the Prophet (peace be upon him), to the Era the Umayyad - Origins, Evolution and the Controversy around it). It came in a narrative documentary template to recognize the historical philosophical side of the Islamic Caliphate, and that by investigating its inception, entity and its evolution, and then the dispute over who had the rights after the death of the Prophet (peace be upon him).

Political struggle over the Caliphate appeared at the death of the Prophet (peace be upon him), and that was the political dispute is the first spark faced the Islamic fledgling state. Muslims gathered in Saqifah Bani Saedah in order to answer the question that had arisen onto the surface—who will be the successor to the Prophet (peace God be upon him). It is known that the Prophet (peace be upon him) did not nominate anyone from his relatives nor did from his companions.

Despite the agreement of Muslims in the Saqifah over the Caliphate of Abu Bakr (may Allah be pleased with him) to the Prophet, the Islamic state was destined to tension of competition and rivalry among Muslims around the question of Caliphate. The conflict reached its climax at the end of Othman bin Affan (may Allah be pleased with him) Caliphate, when he lost his life for that conflict. It continued getting worse after his death, specifically during the Caliphate of Ali ibn Abi Talib (may Allah bless him), when wars waged among Muslims. However, the disputes were settled the Umayyads took the throne, and the Caliphate turned to be a prosperous one.

This study concluded a set of findings represented in the absence of a precise provision or a text determining a successor to the Prophet (peace be upon him). Thus fueled conflicts among Muslims in terms of who would be their successors.

Even Islamic thought has been unable up to this day to deal with the separation of Muslims. Islam dispersed to Sunnis and a large group of teams and doctrines because of Caliphate. The researcher has used the narrative descriptive historical method in order to reach satisfactory findings.

الإطار النظري للدراسة:

مقدمة:

ظلت الخلافة الإسلامية بعد وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم)، واحدة من أهم المعضلات التي أرقت جسد الدولة الإسلامية، وقد رغبت من هذه الدراسة إلى تتبع الفكر السياسي والديني في صدر الإسلام من خلال تناول دلالات مصطلح الخلافة وتطوره حتى أواخر خلافة الأمويين،

لقد جاء الإسلام بمشروع وحدوي سياسي لجمع شعوب العالم يقوم على ولاء العقيدة، ولتحقيق هذا المشروع طُرح مصطلح الأمة المجاهدة التي تستمد شرعيتها من السماء والموعودة في القرآن الكريم بوراة الأرض واستخلافها، تناول القرآن الكريم مصطلح الخلافة الذي حمل دالتين: النيابة عن الله في سكنى الأرض وأعمارها والنيابة عن الله في تطبيق شريعته على أرض الله وعباد الله جميعاً، وهكذا يلاحظ توافقاً بين أهداف الدعوة الإسلامية وبين الخطاب القرآني في موضوع الوراثة والاستخلاف، كما أن المسلمين أعتمدوا على الإشارات التي وردت في أحاديث النبي (صلي الله عليه وسلم)، بشأن الخلافة والحكم، غير أنها لم تكن إشارات واضحة تقيهم الاختلاف، فظهرت أول الأعضاء بعد وفاته (صلي الله عليه وسلم)، فتبادر إلى الأذهان من يخلفه على قيادة الأمة الإسلامية، حتى حُسم المسلمين أمرهم، فظهر منصب خليفة النبي (صلي الله عليه وسلم)، الذي تولاه سيدنا أبوبكر الصديق (رضي الله عنه)، ثم تطور اللقب إلى أمير المؤمنين الذي ظل ملازماً لمن يتولى أمر المسلمين من خلافة سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

مشكلة الدراسة:

تكمن في تتبع مسألة الخلافة الإسلامية بفكر فلسفي تاريخي توثيقي من بعد وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم)، وما دار حولها من لغط وصراع، وذلك لأهميتها في تنظيم حياة المسلمين، فالنبي (صلي الله عليه وسلم)، لم يسمى أحداً بعينه ليخلفه، وبالتالي عند وفاته صُدم كثيراً من المسلمين فأرتد بعضهم عن الإسلام، ورفض بعضهم دفع زكاة أموالهم، حتى كتب الله تعالى لهم أن يجتمعوا على خلافة سيدنا أبوبكر الصديق (رضي الله عنه)، غير أن النفوس الإسلامية دخلتها كثير من الفلسفات الفكرية والمذهبية الدخيلة عن الدولة الإسلامية، فاستقرت الخلافة الإسلامية في عهد الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، الذي واصل على نهج النبوة في نشر الدين الإسلامي، ففتحت الكثير من البلدان، غير أن الصراعات الفكرية ظهرت جلياً خلافة سيدنا عثمان (رضي الله عنه)، متأثرة بالفلسفات الغربية فأدت لمقتله (رضي الله عنه)، وهي ما عُرفت تاريخياً بالفتنة الكبرى، ثم لم يسلم الأمر لسيدنا علي (كرم الله وجهه)، إذ تواصلت الفتنة في عهده حتى أدت إلى مقتله، وتحول الخلافة الإسلامية إلى مُلك غرض.

الغرض من الدراسة:

الغرض من هذه الدراسة تناول مسألة الخلافة الإسلامية من ناحية تاريخية فلسفية توثيقية، لتتبع تطورها وما طرأ عليها من تغيرات من بعد وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم)، مروراً بعهد

الخلفاء الراشدين، وذلك من خلال تعريف الخلافة لغوياً وإصطلاحياً، وتعريف الخليفة، ونشأة الخلافة من منظور القرآن والسنة، ورسومها، وألقاب الخليفة، وشروط اختياره، وواجباته، ونشوء الخلافة، ثم تتبعت الخلافة بعد وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم)، في عهد الخلفاء الراشدين، مُتناولاً كل ما واجهها من مشكلات وصراعات، ومن ثم الخروج بخلاصة عن الخلاف حول أمر الخلافة الإسلامية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية البحث في إضافة دراسة جديدة للمكتبة التاريخية الإسلامية وذلك من خلال التطرق لمناقشة مسألة الخلافة، وهي التي حُظيت بكثير من اللغط والصراعات، فالثابت أنه لم يسجل سيف في تاريخ الإسلام على قاعدة دينية كما سل على مسألة الإمامة والخلافة، كما أن الصراع حول الخلافة أدي إلى تفرق المسلمين تفرقاً عقائدياً وفكرياً إلى مجموعة كبيرة من الفرق والمذاهب، فكانت مسألة الخلافة أو الإمامة هي الثغرة التي دخلت من خلالها الأفكار الفلسفية التي عملت على تشتيت المسلمين إلى شيع مُتعدد، فظهرت الأفكار الفلسفية الفارسية واليهودية وغيرها في مسألة الحق الشرعي للخلافة، فبعضهم ربطها بكونها حق إلهي مُقدس ينحصر في أسرة بعينها، وبعضهم اختلف عن ذلك.

توجيه الدراسة:

توجه هذه الدراسة نحو خدمة الدراسات التاريخية الفلسفية الإسلامية، وذلك من خلال إثارة موضوع الخلافة الإسلامية من وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم)، وذلك من خلال التطرق بشيء من السرد والتفصيل التاريخي الوثائقي، وذلك من أجل الخروج بنتائج مُرضية، كما يوجه الباحث هذه الدراسة للباحثين والدارسين وطلاب العلم في الدراسات الإنسانية، والاجتماعية، والفلسفية، والسياسية.

نطاق الدراسة:

يرمي الباحث من هذه الدراسة إلى التطرق إلى الجانب التاريخي لمسألة الخلافة الإسلامية أو الإمامة من بعد وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم).

أهداف الدراسة:

يهدف الباحث من خلال هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١/ السعي نحو معرفة أصل مسألة الخلافة أو الإمامة ومدي مشروعيتهما، وهل حصر أو حدد القرآن الكريم أو السنة النبوية الخلافة أو الإمامة في شخص معين أو أسرة بعينها دون الآخرين.

٢/ السعي نحو معرفة الأصول والشروط العامة التي وضعها الإسلام لمن يتولي أمر المسلمين دون الخوض في الجوانب التفصيلية.

٣/ السعي نحو معرفة مراحل الصراع التي مرت بها مسألة الخلافة أو الإمامة بعد وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم)، ودور الصحابة (رضي الله عنهم)، في معالجة هذه المسألة يوم وفاته (صلي الله عليه وسلم)، ودورهم بعد ذلك.

٤/ السعي نحو معرفة المراحل التي مرت بها مسألة البيعة لخليفة المسلمين بعد وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم)، مروراً بعد الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم جميعاً)، الذي شهد تنوع في بيعة الخلافة، وقد قاد هذا التنوع إلى زيادة الخلاف والصراع حول الخلافة أو الإمامة.

فرضيات الدراسة:

١/ يفترض الباحث أنه لا يوجد نص في القرآن الكريم أو السنة النبوية يعمل على تحديد أو حصر الخلافة بعد النبي (صلي الله عليه وسلم)، في شخص بعينه أو أسرة بعينها دون عامة المسلمين.

٢/ يفترض الباحث أن الإسلام وضع الأصول والأسس العامة لمسألة الخلافة دون التطرق للجوانب الخاصة لها، فترك للمسلمين تفصيلها، على أن يعمّلوا ويُفعلوا دور الشورى التي نص عليها الإسلام، فيختاروا من يروه مناسباً لهم بشيء ضروب البيعات الصحيحة في الإسلام.

٣/ يفترض الباحث أن الدولة الإسلامية مرت بكثير من الصراعات التي بدأت عقب وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم)، فكان كل فريق يري أنه أحق بالخلافة من الفريق الآخر نسبةً لقرهم من النبي (صلي الله عليه وسلم)، وما قدموه له في سبيل أنجاح الدولة الإسلامية الوليدة، حتى حُسم الأمر بينهم بمبدأ الخير للإسلام، وتولي الأمر سيدنا أبو بكر، وأستطاع بمعاونة الصحابة أن يقضي على كل أنواع التمرد والإرتداد.

٤/ يفترض الباحث أن نظام البيعة لخليفة المسلمين تنوع من خليفة لآخر، وأن أنصبغ عليها كلها مبدأ الشورى.

منهج الدراسة:

أتبع الباحث في إعداد هذه الدراسة المنهج التاريخي الوصفي السردى التحليلي.

حدود الدراسة:

الحدود الزمنية:

تبدأ من عهد الخلفاء الراشدين سنة ١١هـ / ٦٣٢م - ٤٠هـ / ٦٦٠م.

الحدود المكانية:

هي نطاق حكم الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين.

الحدود المعرفية:

يشتمل البحث على كل ما هو متعلق بموضوعه من مصادر المعرفة المختلفة.

التمهيد:

١/ تعريف الخلافة:

* لغةً: هي مصدر (خَلَفَ)، يُقال خلفه خلافةً: أي كان خليفة، والجمع خلائف وخلفاء، وهي موصوفة في الأصل لكون الشخص خلفاً لأحد^(١)، ومن ثم يُسمى من يخلف النبي (صلي الله عليه وسلم)، في إجراء الأحكام الشرعية خليفة أو إمام^(٢)، والمِلَّةُ في اللغة: هي التقدم، فنقول أم القوم أي تقدمهم^(٣)، وفي كتب اللغة ما يدل على أن الفعل (خَلَفَ) يدل على قيام إنسان مقام إنسان آخر فيما كان يقوم به الأول، سواء كان هو الذي أستخلفه، أم جاء الثاني بعده دون أن يستخلفه الأول^(٤)، والخلافة هي: الإمارة، وهي النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف^(٥).

(١) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي: الأحكام السلطانية، ب ط، دار الفكر، لبنان، د ت، ص ٥ - ٦.

(٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي والثقافي، ط ١، ج ١، دار الجليل، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص ٣٥٠.

(٣) علي أحمد السالوس: عقيدة الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية، د ط، دار الإعتصام، مصر، القاهرة، د ت، ص ٨.

(٤) محمد رأفت عثمان: رئاسة الدولة الإسلامية في الفقه الإسلامي، ط ١، دار الكتاب الجامعي، مصر، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، ص ٣٦.

(٥) صلاح الدين دبوس: الخليفة توليته وعزله، د ط، مصر، مؤسسة الثقافة الجامعية، د ت، ص ٣٠.

* إصطلاحاً: هي رياسة عامة في أمور الدين، وهي النيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا^(١)، وهي خلافة النبوة وإستمداد منها، وهي عمل في إطارها وبروحها في حراسة الدين والذود عنه والدعوة إليه، وهي قيادة الكافة وحملهم على مُقتضى النظر الشرعي في مصالحهم العامة^(٢)، وهي المنهج الذي إختارته الأمة الإسلامية بعد وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم)، لتنظم من خلاله أمورها ومصالحها^(٣)، والخلافة أو الإمارة: هي حلقة شوري مندرجة تحت شوري الإجماع والتشريع الواسع^(٤)، وهي حكومة راشدة تقوم على قواعد الكتاب والسنة، وهي ليست كما يزعم البعض حكومة دينية، أو حكومة مُطلقة، أو حكومة فلاسفة^(٥).

وما نخلص إليه مما سبق أن الخلافة الإسلامية هي مؤسسة رياسة تربط ما بين أحكام الدين الإسلامي، وأمور الدنيا وسياستها، ويتولى إدارتها شخص يخلف النبي (صلي الله عليه وسلم)، فيها، وكان يُسمى خليفة النبي (صلي الله عليه وسلم)، وهي التي تسمى بها سيدنا أبوبكر الصديق (رضي الله عنه)، ومن بعده سُمي من يتولي هذا المنصب خليفة بإطلاق، ولعل تلك التسمية جاءت إقتباساً من كلمة الخلافة التي وردت في الآية الكريمة، يقول تعالى: {إني جاعل في الأرض خليفة.....} ^(٥).

تعريف الخليفة:

هو الحاكم السياسي الذي يجمع ما بين السُلطتين الزمنية والدينية الروحية، ولا تتعدى وظيفته الدينية المحافظة على الدين ومعاقة الخارجين عليه، وإعلان الجهاد وإمامة الناس في الصلاة^(٦)، والخليفة: هو موظفاً سياسياً قبل أن يكون موظفاً دينياً، والواجبات المُلقاة على عاتقه لا تعطيه حقوقاً دينية أو روحية تجعله يمتاز بها عن غيره من المسلمين^(٧)، وهو رمز إستمرار لسنة الإسلام، ووصل لقوام سُلطانه يتولي حوله المسلمون معتصمون بحبل الله تعالى

- (١) عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة أبين خلدون، ط٢، ج١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٢٣٩.
- (٢) القطب محمد القطب طبلية: ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، النظم الإسلامية، ط١، ج١، دار الإتحاد العربي، القاهرة، مصر، ص٦٨.
- (٣) الشيخ الأمين محمد: دراسات في الحضارة الإسلامية، ط٣، جامعة النيلين، الخرطوم، ١٤١٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٣٥.
- (٤) حسن عبد الله الترابي: السياسة والحكم، ط١، لبنان، دار الساقى، ٢٠٠٣م، ص٢٧٥.
- (٥) فتحة النبراي: النظم والحضارة الإسلامية، ط٩، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص٢٤.
- (٦) سورة البقرة، الآية ٣٠، الشيخ الأمين محمد: مرجع سبق ذكره، ص٣٧.
- (٧) أنور الرفاعي: النظم الإسلامية، ط١، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص٢٦.

حتى لا تطغى عليهم أو تزلهم دعوة أو قوة منظومة عادية^(١)، وهو الحاكم الأعلى الذي لا يتولى إلا ما ولاه الله تعالى إياه، إذ أنه مجرد نائب عنه، ولا يخصه الله تعالى بعلم أو إختصاصات ليس لغيره من أفراد المسلمين^(٢)، ومعني ذلك أن الخليفة ليس كبابا روما مثلاً له إختصاصات روحية تخول له أن يغفر الذنوب Absoudre، أو أن يطرد مُذنباً Excommunier، أو أن يتلقي أعراف مُذنب، أو أن يمنح البركات Benediction، فكل هذه الأمور يختص بها الله تعالى في الإسلام.

منزلة الخليفة من الأمة كمنزلة النبي (صلي الله عليه وسلم)، من المؤمنين، له عليهم الولاية العامة والطاعة التامة، وله حق القيام على دينهم، فيقيم فيهم الحدود وينفذ الشرائع، وله حق القيام على شئون دنياهم، ويبدع وحده زمام الأمة، فكل ولاية مُستمدة منه، وكل خطة دينية أو دنيوية متفرعة عن منصبه، فهو الحاكم الزمني والروحي^(٣)، ولعل ذلك بخلاف ما كنا نجده بالغرب في العصور الوسطى.

أختلف علماء المسلمين حول من يستحق ممن يتولى رئاسة الدولة أن يُطلق عليه أسم خليفة، فذهب بعض أئمة السلف ومنهم الإمام أحمد بن حنبل^(٤)، إلى كراهة إطلاق لفظ الخليفة على من جاء من الخلفاء بعد سيدنا الحسن بن علي، وقد أحتج أصحاب هذا الرأي بقول النبي (صلي الله عليه وسلم)، : "الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم مُلك بعد ذلك"، ولكن بعض علماء السلف رأوا أنه لا بأس من إطلاق هذا اللفظ على من تولى الرئاسة بعد سيدنا الحسن بن علي (رضي الله عنهما)، ولكنهم اشترطوا بأن يكون من يتولى هذا المنصب جاريّاً على منهاج العدل وطريق الحق^(٥)، غير أن هنالك رأي آخر يقول بأن العُرف جرى منذ صدر الإسلام على أن لفظ الخليفة يُطلق على كل من قام بأمر المسلمين القيام العام^(٦)، كما أن فريقاً آخراً من العلماء قالوا بأنه لا بأس أن يُسمى القائم بأمر المسلمين أمير المؤمنين^(٧)، أو خليفة وإن كان مُحالفاً لقب أمير المؤمنين: فقد ذكر أن أبا بكر الصديق،

(١) الترابي: مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٨.

(٢) صلاح الدين دبوس: مرجع سبق ذكره، ص ٢٥.

(٣) حسن إبراهيم: مرجع سبق ذكره، ص ٣٥٠.

(٤) أحمد بن حنبل: هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الذهلي، أحد الأعلام، وكان إماماً في الحديث وضروبه، وإماماً في الفقه ودقائقه، وإماماً في السنة ودقائقها، وإماماً في الورع وغوامصه، وإماماً في الزهد وحقائقه. أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت، ص ٨٠.

(٥) محمد رافت: مرجع سبق ذكره، ص ٣٩ - ٤٠.

(٦) شهاب الدين أحمد بن عبد الله القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ط ١، الكويت، سلسلة التراث العربي، ١٩٦٤ م، ص ١٢.

(٧) الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي: سبر أعلام النبلاء، ط ٢، ٣٢ جزء، ج ١، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، لبنان، دار الرسالة، ١٩٨١ م، ص ١٦٢ - ١٦٣.

كان المسلمون يسمونه خليفة رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، فلما توفي وخلفه عمر رضي الله عنه قال عمر رضي الله عنه: كان أبو بكر يقال له خليفة رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، فكيف يقال لي خليفة خليفة رسول الله يطول هذا؟ فقال له سيدنا المغيرة بن شعبة: أنت أميرنا ونحن المؤمنون فأنت أمير المؤمنين، قال: فذاك إذاً.

* وفي رواية أخرى قيل إن أول من أطلق لقب أمير المؤمنين على سيدنا عمر بن الخطاب هما ليبيد بن ربيعة العامري وعدي بن حاتم الطائي وذلك عندما كتب سيدنا عمر إلى عامله في العراق أن يبعث له برجلين جليدين، نبيلين يسألهما عن حال أهل العراق وأهله، فبعث له عامله بهما، فدخل المسجد وطلبا من سيدنا عمرو بن العاص أن يستأذن لهما بالدخول، فقالا له: أستاذنا لنا على أمير المؤمنين، فقال عمرو بن الخطاب لسيرة أئمة العدل لقيامه بأمر المؤمنين، ويُسمى خليفة لأنه خلف الماضي الذي كان قبله، وقام مقامه^(٢١)، وكان يُساعد الخليفة في تصريف أمور الدولة مجلس من الشيوخ، والذي كان عادةً ما يتألف من الصحابة الأولين، وكانوا يعقدون اجتماعاتهم في المسجد ويساعدهم في ذلك جمع من الأشراف^(١).

أولاً: ماهية الخلافة الإسلامية:

١ / نشأة الخلافة:

(أ) من منظور القرآن الكريم:

نشأت الخلافة ضرورة اقتضتها الحالة الإسلامية عقب وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم)، فأخذ الفقهاء يتلمسوا سنداً لها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فأستدل الفقهاء على صحة دعواهم بما نزل في القرآن الكريم من الآيات التي وردت فيها كلمتي خليفة وإمام، وقد أستدل بعض الفقهاء بقوله تعالى: {يا داؤود إنا جعلناك خليفة في الأرض فأحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله...}{^(٢)، وقوله تعالى: {وإذ قال ربك للملائكة أني جاعل في الأرض خليفة..}{^(٣)، ولكننا نجد أن كلمة خليفة التي وردت في هذه الآيات لم يُقصد منها معني الحكم وهو المعني الذي فُسرت به فيما بعد^(٤).

(١) القطب: مرجع سبق ذكره، ص ٦٩.

(٢) سيد أمير علي: ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ط ١، دار الأفاق، القاهرة، مصر، ص ٥٠.

(٣) سورة ص، الآية ٢٦.

(٤) سورة البقرة، الآية ٣٠.

كما وردت بعض الآيات في القرآن الكريم التي جاء فيها لفظ خليفة كقوله تعالى: { وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما أستخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم... }^(١)، وقوله تعالى: { وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات... }^(٢)، وقوله تعالى: { وأذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض... }^(٣)، غير أن معني لفظ خليفة كان ذا معني عام وليس ذا معني خاص بشخص واحد له السُّلطة والزعامة^(٤)، كما أن بعض الكتاب استدلوا على وجوب الخلافة بالقرآن الكريم، فذكروا أن مترادفة الخلافة والإمامة لم ترد في القرآن الكريم وإنما ورد لفظ إمام وأئمة، لقوله تعالى: { قال أي جاعلك للناس إماماً... }^(٥)، فالمقصود من كلمة إمام هنا أي جاعلك للناس قدوة يؤتم بها، وكذلك قوله تعالى: { وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا... }^(٦)، والمقصود منها أي قاتلوا رؤساء الكفر وقادتهم الذين صار ضعفاؤهم تبعاً لهم، كما استدلوا بقوله تعالى: { وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون }^(٧)، أي بمعنى تبعهم في النار يوم القيامة^(٨).

كما أن بعض العلماء استدلوا بقوله تعالى: { وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم كما أستخلف الذين من قبلهم... }^(٩)، وذكروا بأن هذه الآية توضح نظرية الدولة في الإسلام توضيحاً مبيّناً، فالله تعالى قد بين فيها أن الإسلام دائماً ما يستعمل لفظ الخلافة بدلاً عن لفظ الحاكمية أو السيادة، وإذا كانت الحاكمية أو السيادة لله وحده فإن كل من قام بالحكم في الأرض تحت الدستور الإسلامي هو خليفة^(١٠).

غير أننا نجد أن القرآن الكريم لم يشر إلى نظام الحكم الذي يجب أن يتبعه المسلمون بعد وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم)، وقد أستدل بعض العلماء بقوله تعالى: { أطيعوا الله وأطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم... }^(١١)، وأضافوا بأن كل آيات القرآن الكريم إنما حثت على طاعة

(١) الرفاعي: مرجع سبق ذكره، ص ٢٠.

(٢) سورة النور، الآية ٥٥.

(٣) محمد رأفت: مرجع سبق ذكره، ص ٤٣ - ٤٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٦٥.

(٥) سورة الأعراف، الآية ٧٤.

(٦) الرفاعي: مرجع سبق ذكره، ص ٢٧.

(٧) سورة البقرة، الآية ١٢٤.

(٨) سورة الأنبياء، الآية ٧٣.

(٩) سورة القصص، الآية ٤١.

(١٠) السالوس: مرجع سبق ذكره، ص ٨.

(١١) سورة النور، الآية ٥٥.

أولي الأمر^(١)، مما سبق يتضح لنا بأن القرآن الكريم قد أتحه في خطابه العام لجميع أنواع التشريع إلي الجماعة المسلمة، وذلك لأن لها الإعتبار الأول في الرعاية، والمسئوليات، وبالتالي فإن الحكم في الأصل مما سبق لله تعالى، ومن بعده للأمة المسلمة المستخلفة التي يصل إليها الحكم والخلافة عن طريق التبعية للدين الإسلامي.

(ب) من منظور السنة النبوية الشريفة:

وردت بعض الأحاديث في السنة النبوية والتي أنصبت في وضع المسلمين السياسي، والتي جاءت من خلالها كلمتي خلافة وإمامة، مثل ما روي عن النبي (صلي الله عليه وسلم)، في قوله: {الخلافة في قريش، والحكم في الأنصار، والدعوة في الحبشة}، وقوله (صلي الله عليه وسلم)، : {الخلافة بعدي ثلاثون سن ثم تصير ملكاً عضوضاً}، وقوله (صلي الله عليه وسلم)، : {الأئمة في قريش}، غير كثير من الفقهاء والعلماء شككوا في صحة هذه الأحاديث لأنها لم تظهر، ولم يسمعوا بها إلا بعد وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم)، ولو كانت معروفة أو سمعها الناس لما اختلفوا فيما بينهم حين اختيار من يخلف النبي (صلي الله عليه وسلم)، وذكروا بأن معظم هذه الأحاديث قد دُست على النبي (صلي الله عليه وسلم)، من قبل بعض الفرق والجماعات الدينية ذات النزاعات السياسية، وذلك لتأييد وجهة نظرها فيما يتعلق بالحكم والخلافة، والتي كانت أول مسألة أشتد فيها الخلاف بين المسلمين عقب وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم)^(٢).

غير أن هنالك بعض الأحاديث التي وردت في أمر الخلافة ومتفق عليها من قبل الفقهاء، كحديث سيدنا عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما)، حين قال: (سمعت النبي (صلي الله عليه وسلم)، يقول: كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيته، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)^(٣)، ولعل المقصود من ذلك الحديث أن مسألة الخلافة والرعاية لأبد من توفرها في الإسلام حتى تستقيم الحياة.

كما أن بعض الفقهاء أستدلوا على وجوب الإمامة بحديث سيدنا عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما)، حين قال سمعت النبي (صلي الله عليه وسلم)، يقول: { لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أن يؤمروا أحدهم}، وحديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه)، حين قال: سمعت

(١) القطب: مرجع سبق ذكره، ص ٥٢ - ٥٣.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٣) الرفاعي: مرجع سبق ذكره، ص ٢٨ - ٢٩، القطب: مرجع سبق ذكره، ص ٧٧.

النبي (صلي الله عليه وسلم)، يقول: { إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم }، وقد أستدل الفقهاء من الحديثين بأنها دليل على أنه يشرع لكل عدد بلغ ثلاثة فصاعداً بأن يؤمروا أحدهم لأن في ذلك السلامة من الخلاف، وفي عدم التأخير يستبد كل واحد برأيه، ويفعل ما يُطابق هواه فيهلكون، وما دامت مسألة التأخير فُرِضت على ثلاثة يكونون بفلاة من الأرض أو مسافرون فهي بالتالي أهم لعدد أكبر يسكنون الأمصار، حيث يحتاجون لها لدفع التظالم وفصل الخصام، وبالتالي يجب على المسلمين نصب الأئمة والولاية والحكام^(١).

٢/ وجوب الخلافة:

النبي (صلي الله عليه وسلم)، لم يضع نظام حكم معين للفترة التي بعده، ولكنه الملح لأسس نظام الحكم وهي الشورى، وقد طبق (صلي الله عليه وسلم)، الشورى مع صحابته في كل الأمور^(٢)، ولم يكن هنالك أي اختلاف بين جمهور العلماء^(٣)، حول إقامة خليفة أو إمام، وإنما كان الخلاف بشأن من يخلف النبي (صلي الله عليه وسلم)، وقد انتهوا إلى ضرورة قيام حاكم للمسلمين^(٤)، وقد وجبت الخلافة على المسلمين بالقرآن الكريم لقوله تعالى: { وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة... }^(٥)، وغيرها من الآيات التي وردت بها كلمة خليفة، ولو لم يكن تنصيب الإمام أو الخليفة واجب لما صاغت كل هذه المناظرة يوم اجتماع السقيفة^(٦)، بين الأنصار، من جهة والمهاجرون، من جهة أخرى لإختيار من يخلف النبي (صلي الله عليه وسلم)^(٧).

غير أن جمهور العلماء قد اتفقوا وتوسطوا في وجوب الخلافة، وقالوا: « أنه لأبد من وجود إمام يُقيم الجُمع، وينظم الجماعات، ويُقيم الحدود، ويجمع الزكوات من الأغنياء ليردها على الفقراء، ويحمي الثغور، ويفصل بين الناس في الخصومات بالقضاة الذين يُعينهم، ويُوحد الكلمة، ويُنفذ أحكام الشرع، ويلم الشعب، ويجمع المتفرق، ويُقيم المدينة الفاضلة التي حث الإسلام على (١) المرجع نفسه، ص ٧٧ - ٧٨.

(٢) حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، ط ٤، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٧٠ م ص ٢٢.

(٣) جمهور العلماء: المقصود منه اجتماع ثلاثة مذاهب من المذاهب الأربعة الإسلامية (المالكي، الشافعي، الحنيلي، الحنفي)، على أمر مُعين.

(٤) القطب: مرجع سبق ذكره، ص ٧٧.

(٥) السالوس: مرجع سبق ذكره، ص ١٤.

(٦) سورة البقرة، الآية ٣٠.

(٧) السقيفة: هي سقيفة بني ساعدة، تقع هذه في الجهة الشمالية الغربية من المسجد النبوي بين مساكن قبيلة بني ساعدة الخزرجية، وكانت السقيفة داخل مزرعة تتخللها بيوت متفرقة حيث تسكن قبيلة بني ساعدة داخل البساتين المتجاورة. الذهبي: مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ١١٣.

إقامتها»^(١)، وبعض العلماء ربطوا وجوب الخلافة بإجماع الأمة على خليفة أو إمام واحد، وقد استدلوا على ذلك بما حدث بعد وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم)، حيث قالوا: «إن وجوب نصب الإمام قد عُرف في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين، لأن أصحاب الرسول (صلي الله عليه وسلم)، قد بادروا عند وفاته إلى بيعه سيدنا أبوبكر الصديق (رضي الله عنه)، وتسليم النظر إليه في أمورهم، وكذا في كل عصر بعد ذلك، ولم يترك الناس فوضى في كل عصر من العصور، وأستقر ذلك إجماعاً على وجوب نصب الإمام»^(٢).

مما سبق يتضح لنا بأن كل التعاليم والأحكام التي حث عليها الإسلام لا تتحقق بدون أن يكون عليها رقيب دنيوي، فهذه الواجبات الشرعية مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، والعدل، وإقامة الحدود، والحج والصلوات في الجُمع والأعياد وغيرها لا تُقام إلى بوجود إمام أو خليفة، ويضيف بعض العلماء في ذلك: «ولما كانت التشريعات الإسلامية والواجبات لا تُقام إلا بإمرة فمن هنا وجب اتخاذ الخلافة ديناً وقُربه نتقرب بها إلى الله تعالى، وبالتالي فإن الإمارة واجبة شرعاً، وذلك لأن ما لا يؤدي الواجب الشرعي إلا به فهو أيضاً واجب شرعي»^(٣).

٣ / طرق انعقاد الخلافة:

الخلافة ككل تنعقد بعدة أوجه هي:

الأول: أن يختار أهل الاختيار إماماً للمسلمين^(٤)، وسمى بعض العلماء من يجتمعون لاختيار الخليفة بأهل الحل والعقد^(٥)، في الأمة، فإذا اجتمعوا وتصفحوا أحوال الإمامة الموجودة فيهم شروطها قدموا للبيعة أكثرهم فضلاً وأكملهم شروطاً، ومن يسرع الناس إلى طاعته ولا يتوقفون عن بيعته^(٦)، ولعل بهذه الطريقة قد عُقدت بيعة سيدنا أبو بكر الصديق، في سقيفة بني ساعدة يوم وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم).

(١) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، دط، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، دت، ص ٩٣، وأبن خلدون: مصدر سبق ذكره، ص ١٧١.

(٢) القطب: مرجع سبق ذكره، ص ٨١.

(٣) فتحة النبراي: مرجع سبق ذكره، ص ٢٩.

(٤) أهل الحل والعقد: هم الذين لديهم القدرة على إتخاذ القرارات من كبار المسؤولين في الخلافة مثل العلماء والجند.

القطب: مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٢.

(٥) الماوردي: مصدر سبق ذكره، ص ٦ - ٧.

(٦) فتحة النبراي: مرجع سبق ذكره، ص ٢٩.

الثاني: أن يعهد الخليفة الإمام لواحد من عدول الأمة^(١)، أو أن يجعل الخليفة الشورى لاختيار الخليفة من بعده شورى لعامة الناس أو لفئة منهم^(٢)، وقد انعقدت بهذه الطريقة بيعة سيدنا عمر بن الخطاب، وبيعة سيدنا عثمان بن عفان، وذلك عندما جعل الشورى لاختيار الخليفة من بعده في ستة من الصحابة (عليهم رضوان الله).

الثالث: كما أضاف بعض العلماء بأن الخلافة تنعقد باستيلاء رجل جامع للشروط على الناس، وتسقطه عليهم كسائر الخلفاء بعد خلافة النبوة والخلافة الراشدة، وفي حالة إذا ما أستولي عليها من لم يجمع الشروط فإنه لا تنبغي المبادرة إلى مخالفته، وذلك لأن خلعه يؤدي إلى حروب فيها ضرر المسلمون^(٣).

غير أن العلماء اختلفوا في عدد من تُعقد بهم الخلافة أو الإمامة من أهل الحل والعقد إلى مذاهب شتى، فقالت طائفة منهم أن الإمامة تنعقد ببيعة من يحضره^(٤)، وقالت طائفة أن أقل عدد من الناس تُعقد بهم الخلافة خمسة يجتمعون على عقدها، أو يعقدها أحدهم برضاء الأربعة الآخرين^(٥)، كما قالت طائفة منهم أنها تنعقد بثلاثة يتولاها.

أحدهم برضاء الاثنين، وقد تنعقد بواحد كما فعل سيدنا العباس، وذلك عندما بايع سيدنا علي بن أبي طالب^(٦).

خلاصة القول بأن البيعة المعتبرة من طرق المبايعة السابقة هي بيعة أهل الحل والعقد وموافقة من بايعوه على أمر تولي الخلافة، وهي من البيعات الخاصة الملزمة التي كانت في عهد الخلافة الراشدة، كما أن البيعة تنعقد في كل الآراء الفقهية ما بين الستة والواحد.

٤ / ألقاب الخليفة:

على حسب نظام الخلافة فقد تلقب سيدنا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)، بـ (خليفة رسول الله)، على أساس أنه أعقب الرسول (صلي الله عليه وسلم)، في تولي المسؤولية عن الأمة مباشرة^(٧)، ولما تولي

(١) القطب: مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٣) الماوردي: مصدر سبق ذكره، ص ٧.

(٤) فتحة النراوي: مرجع سبق ذكره، ص ٢٩.

(٥) المرجع نفسه، ص ٢٩.

(٦) القطب: مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٥.

(٧) بشير التليسي وجمال الذويب: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط ١، دار الكتب الوطنية، طرابلس، ليبيا، ٢٠٠٢ م، ص ٦٥.

الخلافة سيدنا عمر بن الخطاب الخلافة أطلق عليه الصحابة لقب (خليفة خليفة رسول الله)، غير أن لقب الخليفة أستخدم بلقب (أمير المؤمنين)^(١)، فظهر هذا اللقب في عهد سيدنا عمر لأول مرة^(٢)، وقد وافق سيدنا عمر بن الخطاب على تغير اللقب من خليفة لأمير المؤمنين وذلك منعاً لتكرار لقب خليفة على كل من يتولي أمر المؤمنين بعد سيدنا أبوبكر الصديق^(٣)، وقد وجد معني هذا اللقب الجديد صدى في نفس أمير المؤمنين عمر وذلك لأنه حمل في معناه أن المؤمنين قد استحالوا إلى قوة، وأن سيدنا عمر صار أميراً لهذه القوة، وقد كان هذا المعني يتماشى مع ضخامة الفتوحات في عهده^(٤)، وبعض العلماء ذكروا بأن اختيار سيدنا عمر لهذا اللقب طغي عليه الجانب السياسي من توسع البلاد الإسلامية، وترسيخ السلطة السياسية للخليفة، ونجد أن الخلفاء تلقبوا بلقب الإمام الذي تتمثل فيه الصفة الدينية من حيث أن الإمامة في الصلاة، والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالدين^(٥).

مما سبق نجد أن ألقاب رئيس الدولة الإسلامية ارتبطت ببعضها البعض، مثل الخليفة للخلافة، والإمام للإمامة، والأمير للإمارة، ولعل هذه الألقاب قد ميزت الدولة الإسلامية عن سواها من أنظمة الحكم التي كانت موجودة في ذلك الزمان في بلاد فارس والروم حيث الملكيات الكسروية والقيصرية، ولعل الإسلام قد ربط تولي الخلافة والإمامة بمبدأ الشورى والذي لم يكن عند الأنظمة الأخرى.

٥ / شروط اختيار الخليفة:

هي شروط أقرها العلماء، ولا بد من توفرها في خليفة المؤمنين، ويمكن أن نجملها في الآتي:

(أ) الإسلام: أجمع العلماء على أن يكون رئيس الدولة مسلماً، ولا خلاف بين سائر الفقهاء والمتكلمين حول هذا الشرط، وقد استندوا في ذلك على مجموعة من الآيات القرآنية كقوله تعالى: {...ولن الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً} ^(٦)، وقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم} ^(٧)، فيجب على المؤمنين الطاعة لأولي الأمر منهم

(١) المرجع نفسه، ص ٤٣.

(٢) حسن وعلي: مرجع سبق ذكره، ص ٢٠.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٠.

(٤) التليسي والذويب: مرجع سبق ذكره، ص ٦٥.

(٥) حسن وعلي: مرجع سبق ذكره، ص ٢٠.

(٦) سورة النساء، الآية ١٤١.

(٧) سورة النساء، الآية ٥٩.

وليس من غيرهم^(١)، والإسلام ليس شريعة فحسب بل هو عقيدة في المقام الأول، وكل مبادئه وقيمه تصدر عن هذه العقيدة، وتنطلق منها، فالرياسة تعني الريادة والقيادة وتعني المثل والقُدوة، وبالتالي فإن فاقد الشيء لا يُعطيه^(٢)، وعلى هذا فإنه لا تجوز أن تُعقد رياسة دولة المسلمين لكافر أصلي أو مرتد، لأن معنى إقامة دولة إسلامية هو أن تلتزم بالقانون الإسلامي تطبقه وتعيش وفق تعاليمه، وهذا القانون لا يتصور تطبيقه إلا من أنس يدينون بالولاء والخضوع التام لهذا القانون، وكذلك لا يمكن أن يُسند المركز الأول في النظام الإسلامي إلا لشخص يرمي من تمام الإيذان بهذا النظام ويسعي جاهداً لنصرته^(٣).

(ب) البلوغ: يجب أن يكون الخليفة بالغاً، وذلك لأن الصبي قاصراً عن تدبير أمور نفسه وهو من باب أولى قاصراً عن تدبير شئون غيره^(٤)، كما أن رياسة الصبي لا تصح، وذلك لأنه ليس مكلفاً، فلا تُحسب أعماله عليه إذ ما أخل بالمسئولية التي على عاتقه^(٥)، وعليه فإن اشتراط مجرد البلوغ مهم جداً، وذلك لأن الخليفة يجب أن تتوفر فيه صفة النُضج، فالرياسة العامة تحتاج إلى تجربة يكتسبها المرء بالممارسة السياسية بصفة خاصة على مدى سنين طويلة^(٦)، غير أنه مع مرور الأيام ظهرت في الدولة الإسلامية الخلافة الملكية التي كانت فيها الخلافة وراثية، ولم يُشترط فيها أن يكون الخليفة بالغاً وذلك لاعتماده على وزراء ومستشارين من ذوي الحنكة والخبرة^(٧).

(ت) العلم: المراد به العلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام الفقهية، فيجب أن يكون الخليفة عالماً فقيهاً بالقرآن الكريم والسنة النبوية والأحكام الدينية بما يمكنه من الاجتهاد^(٨)، كما يجب أن يكون عارفاً باللغة العربية المقدار الذي يستطيع بواسطته أن يفهم الأحكام والأحاديث، كما يجب أن يكون على علم بآيات الأحكام والمسائل التي أجمع الفقهاء عليها

(١) محمد أسد: منهاج الإسلام في الحكم، دط، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م، ص ٨١.

(٢) محمد رأفت: مرجع سبق ذكره، ص ١٢٤.

(٣) القطب: مرجع سبق ذكره، ص ١٦٧.

(٤) محمد رأفت: مرجع سبق ذكره، ص ١٢٤.

(٥) القطب: مرجع سبق ذكره، ص ١٦٧.

(٦) المرجع نفسه، ص ١٦٧ - ١٦٨، وقد شهد التاريخ الإسلامي جلوس خلفاء ضبيان على عرش الدول في الأندلس ومصر في فترة انحطاط الدولة الإسلامية، وكانت عليهم وصاية، فمثلاً تولى الملك الأشرف موسى حُكم الدولة الأيوبية.

أحمد فاعور وشحادة الناطور: تاريخ الدولة العربية حتى الغزو المغولي، دط، عمان، الأردن، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٢٠٠.

(٧) حسن إبراهيم: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٣٥١.

(٨) القطب: مرجع سبق ذكره، ص ١٦٨.

كي لا يخالف باجتهاده ما أجمع عليه العلماء في أحدي المسائل، فيؤدي ذلك إلى ارتكابه فعلاً محرماً وذلك لأن مخالفة إجماع الأمة حرام^(١).

(ث) سلامة الحواس^(٢): لا يجوز أن تُعقد إمامة الأصم وذلك لأن صممه يمنعه من سماع مصالح الشعب، ولا تُعقد إمامة الأعمى إذ أنه لا يتمكن من تسيير أمور نفسه فكيف يُسير أمر غيره، ولا يضر ثقل السمع أو ضعف النظر إذ لم

يمنعه من تمييز الأشخاص من انعقاد الإمامة أو دوامها، كما لا تُعقد إمامة ذاهب العقل بجنون أو غيره، وذلك لأنه يحتاج إلى من يصرف له أموره فكيف توكل له أمور غيره، ولا تكليف على المجنون لقول النبي (صلي الله عليه وسلم)، «رُفِعَ القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم»^(٣)، وقد قسم العلماء زوال العقل إلى قسمين: الأول: م يُرجي زواله كالإغماء، وهو لا يمنع عقد الإمامة أو استدامتها، أما الثاني: ما لا يُرجي زواله كالجنون والخلل، وهذا يمنع عقد الإمامة أو استدامتها^(٤).

(ج) الذكورة: اشترط في الإمام الذكورة، وذلك لما روي عن النبي (صلي الله عليه وسلم)، «: نفع بن الحارث الثقفي أبو بكر قال: سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، يقول: لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»^(٥)، ونجد أن الذكر والأنثى في أصول الدين وتكاليفه الأساسية سواء، والفضل لمن آمن وعمل صالحاً، وأنه لهما في سياق الزواج قسمة تكاليف متعادلة كلاً بما فضله الله به على الآخر^(٦)، وقد اشترط العلماء بالإجماع فيمن يُرشح لتولي منصب رئاسة الدولة أن يكون ذكراً، فلا تنعقد الرئاسة لامرأة وإن اتصفت بصفات الكمال والاستقلال، فهي لا تترشح لمنصب الإمامة ولا لمنصب الشهادة في أكثر الحكومات، غير أن بعض العلماء ذكروا بأن الذكورة ليست شرطاً شرعياً في ولاية الإمارة العامة، وإنها هي

(١) محمد رأفت: مرجع سبق ذكره، ص ١٣٦ - ١٣٧.

(٢) سلامة الحواس والأعضاء: يُقصد بها سلامة السمع والبصر واللسان والعقل من كل نقص. حسن إبراهيم: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٣٥١.

(٣) محمد رأفت عثمان: مرجع سبق ذكره، ص ١٦٧ - ١٦٨.

(٤) محمد ناصر الدين الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ط ٣، المكتب الإسلامي، السعودية، الرياض، ١٩٨٨ م، مج ٢، ص ٣٥٤.

(٥) الماوردی: مصدر سبق ذكره، ص ١٧.

(٦) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، دط، المكتبة الإسلامية، تركيا، ١٩٧٩ م، ٨ أجزاء، ج ٢، ص ٥٤٥، وذكر البخاري أن سبب الحديث لما هلك كسرى، قال: من استخلفوا؟ قالوا: ابنته، قال الحديث.

عامل تقدير لشورى العامة قد يرجح الذكور في غالب جولات تعاقب الولاية إذا تساوت موازين أهليتهم الأخرى مع النساء، وذلك لأن الرجال أفرغ للهم العام، وأوقع حزمًا بين الناس^(١)، غير أن هنالك بعض التجاوزات في هذا الشرط، حيث أشهر من تولت منصب حكم دولة إسلامية هي الملكة شجرة الدر^(٢)، التي أختارها المماليك^(٣)، ولكن على الرغم من الدور البطولي الذي قامت به بعد وفاة زوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب^(٤)، في خضم الصراع ضد الصليبيين^(٥)، وملكهم لويس التاسع^(٦)، إلا أن الخليفة العباسي المستعصم بالله^(٧)، أعترض على ولايتها ولم يعترف بها^(٨).

(١) الترابي: مرجع سبق ذكره، ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٢) شجر الدر أو شجرة الدر: الملكة بعصمة الدين أم خليل، خوارزمية الأصل، وقيل أنها أرمينية، وقد كانت جارية أشتراها السلطان الصالح نجم الدين أيوب، وحظيت عنده بمكانة عالية حتى أعتقها وتزوجها وأنجبت منه أبنها خليل الذي توفي سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، تولت عرش مصر لمدة ثمانين يوماً بمبايعة من المماليك وأعيان الدولة بعد وفاة زوجها السلطان السيد علي وقاسم عبده قاسم: الأيوبيون والمماليك في التاريخ السياسي والعسكري، ط ١، عين للدراسات والبحوث، مصر، ١٩٩٥م ص ١٢٨.

(٣) المماليك: هم سلالة من جموع الرقيق البيض الذين أصبحوا رقيقاً إمّا نتيجة للأسر في الحرب أو للشراء من التجار الذين يجلبونهم إلى البلاد الإسلامية حيث يطلبون أثماناً مرتفعة لبضاعته، ثم تمكنوا بعد ذلك في البلاط الملكي العباسي. أمين القضاة ومحمد الهزايمة: محاضرات في التاريخ الإسلامي، ط ٣، دار عمار، عمان، الأردن، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ١٧٧.

(٤) الملك الصالح: هو نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب لقب بأبي الفتح، ولد بالقاهرة ٦٠٣هـ/ ١٢٠٥م، هو سابع سلاطين بني أيوب، حكم من ١٢٤٠م إلى ١٢٤٩م، أنشأ المماليك البحرية بمصر. جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي ابن تغري بردي: (٨١٣ - ٨٧٤هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دط، المؤسسة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٥٦م، ١٢ جزء، ج ٣، ص ١٦٦.

(٥) الصليبيين: هم حركة و جيوش أوروبية مسيحية لاتينية (كاثوليكية) هاجمت الشرق الأوسط من أواخر القرن الحادي عشر حتى القرن السادس عشر، وقد أسسها أوربان الثاني بابا الكاثوليك اللاتينيين سنة ١٠٩٥م، و قد روج لها قساوسته و الرهبان الكاثوليك، مثل بيير الناسك (بطرس الناسك) بحجة تحرير الأراضي المقدسة بفلسطين من المسلمين و محاربة العلمانيين و الخارجين عن الكنيسة اللاتينية في أوروبا. جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، دط، دار المعارف المصرية، القاهرة، مصر، دت، ص ٣٦ - ٣٧.

(٦) لويس التاسع: ولد في پويس بفرنسا في ٢٥ أبريل ١٢١٤م، ملك فرنسا من سنة ١٢٢٦ تحت وصاية أمه، وهو ابن الملك لويس الثامن، قاد الحملة الصليبية السابعة على مصر ١٢٤٧ - ١٢٥٠م، لكنه هُزم، توفي في تونس سنة ١٢٧٠م. المرجع نفسه، ص ٤٠.

(٧) الخليفة المستعصم بالله: ولد سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م، كان آخر خليفة عباسي في بغداد، حكم بين عامي ١٢٤٢م و ١٢٥٨م، وفي عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، غزا المغول الدولة العباسية تحت قيادة هولاكو خان، بعد أن سقطت بغداد في أيديهم، فأعدم هولاكو الخليفة المستعصم بالله، وكانت نهاية الدولة العباسية.

عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، دط، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ١٤٠٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٦٣.

(٨) على وقاسم: مرجع سبق ذكره، ص ١٢٨.

(ح) **الحرية:** فلا تتعقد إمامة العبد سواء كان قنأً أو مُبغضاً أو مكاتباً أو مدبراً، فالعبد يكون كل وقته في خدمة سيده، وهو مكلف بطاعته وتنفيذ أوامره، فإذا كانت أموره تسير بأوامر غيره فكيف يمكن أن توكل له أمور الأمة^(١)، يقول الإمام الغزالي: «إن منصب الإمام يستدعي استغراق أوقات كثيرة في مهمات الناس، فكيف يتدب لها من هو كالمفقود في حق نفسه، موجود لملكه يتصرف تحت أمره وتدبيره وتسخير»^(٢)، غير أن هذا الشرط لم يعمل به في فترة انحطاط الدولة الإسلامية، فظهر الرقيق الأبيض الذين تولوا الخلافة في الدولة الإخشيدية والأيوبيية ودولة المماليك^(٣)، لكن يبدو أن هذا الشرط لم يبق ذو أهمية بعد إلغاء تجارة الرق.

هنالك بعض الشروط التي لم يتفق فيها الفقهاء والمتكلمين، فذكرها بعضهم ورفضها البعض، ومنها القرشية^(٤)، والعدالة على شروطها الجامعة، والرأي المفضي إلى سياسة الرعية، وتدبير المصالح والشجاعة والنجدة^(٥)، والاجتهاد والكفاية النفسية، وأن يكون أفضل من غيره^(٦)، وأن تتوفر فيه صفة حُسن الرأي والفكر^(٧)، وقد حصر جمهور العلماء شروط الإمامة في أن يكون الإمام قرشياً عادلاً، وأن يتم اختياره عن طريق البيعة والشورى^(٨)، ومما سبق نجد أنهم اتفقوا على شروط واختلفوا في مثلها.

٦/ واجبات الخليفة:

يمكن تلخيصها في الآتي:

(أ) حفظ الدين على أصول مُستقرة وما أجمع عليه السلف.

(ب) إقامة حدود الله. (ت) تحصين الحدود.

(١) محمد رأفت أمين: مرجع سبق ذكره، ص ١٢٨.

(٢) أبي حامد الغزالي: فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية أو المستظهري في الرد على الباطنية، دط، الدار القومية للكتب، القاهرة، مصر، ١٩٦٤م، ص ١٨٠.

(٣) علي وقاسم: مرجع سبق ذكره، ص ١٢٨.

(٤) يرى أهل السنة عامة وكافة فرق الشيعة وبعض المعتزلة وجمهور المرجئة بأنه لا بد أن يكون الإمام قرشياً، غير أن الخوارج وجمهور المعتزلة وبعض المرجئة يرون بأن تجوز الإمامة للقرشي ولغيره من المسلمين، فالناس كلهم سواسية. محمد رأفت: مرجع سبق ذكره، ص ١٧٤ - ١٧٥.

(٥) الماوردي: مصدر سبق ذكره، ص ٥ - ٦.

(٦) محمد رأفت: مرجع سبق ذكره، ص ١٢٢ وما بعدها.

(٧) بشير وجمال: مرجع سبق ذكره، ص ٦٢ - ٦٣.

(٨) السالوس: مرجع سبق ذكره، ص ١٦.

(ث) جهاد من عاند من أعداء الإسلام بعد الدعوة حتى يُسلم أو يدخل في الذمة ليقام بحق الله في إظهاره على الدين كله.

(ج) حماية طرق المواصلات وتأمينها حتى يستطيع الناس التنقل بأمان وبالتالي يعم الازدهار التجاري، وذلك بإنشاء الحاميات في الطرق ومكافحة اللصوص وقطاع الطرق^(١).

٧ / رسوم الخلافة:

من أهم مظاهر الخلافة الخاتم^(٢)، الذي كانت تختتم به الرسائل الرسمية، وكان النبي (صلي الله عليه وسلم)، أول من أتخذه وكتب عليه عبارة (محمد رسول الله)، وقد تداوله الخلفاء من بعده حتى سقط من سيدنا عثمان بن عفان، في البئر، كذلك من مظاهر الخلافة السكة^(٣)، للعملة^(٤).

ثانياً: نشوء الخلافة:

إن الخلافة أو الإمامة هي ولاية، وإن حق الخليفة أو الإمام في هذه الولاية مُستمد من صفته كمسلم، حيث أن لكل مُسلم في تصورنا ولاية إقامة الدين وتدبير المصالح العامة على الجملة، وهذا لا يختلف عن ولاية الخليفة نفسه بأي حال من الأحوال، إلا أن ولاية الخليفة في هذه الحالة تختص بالخليفة وحده عن طريق عقد التولية، هذا العقد يمكن عن طريقه تفسير وحل مشكلة العلاقة بين الراعي والرعية فيما ليس فيه نص، وكذلك تفسير أخذ الإسلام بمبدأ العزل^(٥)، والخلافة عن الله في الأرض ليست لفرد، ولا لأسرة، ولا لطائفة معينة من الناس بسبب العرق أو اللون أو الحرفة أو التغلب أو ما شابه ذلك، وإنما للذين آمنوا وعملوا الصالحات، وإذا كان لكل هؤلاء حقه في الخلافة غير متميز في ذلك على آخر، ولا يتميز في ذلك عليه أحد، فإن هذا الحق غير مفروز، ولا معزول، ولا يمكن التنازل عنه، فالرياسة إلا مجرد نيابة أو وكالة عن صاحب

(١) حسن وعلي: مرجع سبق ذكره، ص ٣١.

(٢) حدثنا بكر بن الهيثم، قال: حدثنا عبد الرازق عن معمر عن الزهري وقتادة قالاً: أتخذ رسول الله خاتماً من فضة نُقش عليه عبارة محمد رسول الله، فكان أبو بكر يختم به، ثم عمر وعثمان وكان في يده فسط في البئر فنزفت فلم يقدر عليه، وذلك في النصف الثاني من خلافته، فأخذ خاتماً وختم عليه محمد رسول الله في ثلاثة أسطر.

أحمد بن يحيى البلاذري: البلدان وفتوحها وأحكامها، ط ١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، ص ٥٠٦.

(٣) السكة: هي ختم العملة المعدنية بكتابات قرآنية وأسماء الخلفاء مع ضبط أوزانها. المصدر نفسه، ص ٥١٢.

(٤) بشير وجمال: مرجع سبق ذكره، ص ٦٦.

(٥) صلاح الدين دبوس: مرجع سبق ذكره، ص ١٠٦.

الشرع لا يُمكن التنازل عنها^(١)، ولد جاءت الخلافة في الإسلام امتدادا لنبوة الرسول (صلي الله عليه وسلم)، في كل المسائل فيما عدا التحريم والتحليل الذي يختص به المولي عز وجل، وكان لابد للدولة الإسلامية التي وضعت بذرتها دولة المدينة الأولى أن تستمر لأن هذه إرادة الله تعالى منذ استخلاف سيدنا آدم (عليه السلام)، في الأرض، وذلك لأن الخلافة هي في أصل من أصول الدين الإسلامي للقيام بأمر الرعية وتدير شئونها بالسياسة والاقتصاد والسلوك في السلم والحرب، وهذا هو السبب الرئيسي لقيام الخلافة لأن الحق عز وجل ما جعل لنبيه محمد (صلي الله عليه وسلم)، الخلد وهو خير خلقه، فكان لأبد للمسلمين من وجود من يدبر أمرهم وشئونهم من بعده، وكان من حكمة التدبير الإلهي إعداد الرجال لإدارة الدولة الإسلامية وهي لم تزل بعد فتية، ولكنها أصبحت دولة أمتد سلطانها على كل بلاد العرب قاطبة حتى بلاد فارس والروم^(٢).

وقد وضعت قواعد النظرية السياسية الإسلامية منذ صدر الإسلام، وكان الرسول (صلي الله عليه وسلم)، مؤسساً لدولة الإسلام الأولى في المدينة، فأرسي المقومات الأساسية لتلك الدولة، ونجح في أن يُصهر الخلافات بين العناصر البشرية المكونة لمجتمع المدينة، وأن يُذيب الفوارق بينها، فكان إصدار الصحيفة^(٣)، صيغة سياسية عبقرية، أستطاعت أن تلم شمل النسيج البشري المتباين، وأن تُقيم الأمة الإسلامية التي تبنت مفاهيم جديدة قدمها القرآن الكريم، وارتفعت وتسامت على القيم والمفاهيم القديمة التي كانت تقوم على رباط الدم وتقاليده القبلية، فسادت الأخوة بين المهاجرين والأنصار، وعمّ التراحم بينهم^(٤)، ومما سبق نلاحظ أن النظام السياسي في الإسلام قدم نموذجاً لسياسة متكاملة ظهر من خلالها الشكل الذي ترتضيه الأمة الإسلامية أسلوباً، أستطاعت من خلاله أن تنظم شئونها وأحوالها في كل المجالات.

(أ) الخلافة بعد وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم):

أنتقل النبي (صلي الله عليه وسلم)، إلى الرفيق الأعلى يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١١هـ

(١) القطب: مرجع سبق ذكره، ص ٦٥.

(٢) عواطف تاج الدين صغيرون: الفتنة الكبرى وتشعب الفرق الإسلامية على ضوء الآراء الفقهية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٢م، ص ٣١ - ٣٢.

(٣) الصحيفة: هي كتاباً عُقد بين النبي (صلي الله عليه وسلم)، وأهل يثرب، تضمن الحقوق والواجبات على المسلمين فيما بينهم من جهة، وبين اليهود من جهة أخرى، وقد أعدها النبي (صلي الله عليه وسلم)، عند وصوله إلى المدينة، والغرض منها هو صهر جميع العناصر التي وجدها في وحدة منسجمة. سيد أمير علي: روح الإسلام، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م، ص ٧٣.

(٤) فتحة النبواي: مرجع سبق ذكره، ص ٢٤.

الموافق ٨ يوليو ٦٣٢م، وهو في الثالثة والستين من العمر، بعد أن أدي الأمانة وبلغ الرسالة على أحسن الوجوه وأكملها، وكان خبر وفاته (صلي الله عليه وسلم)، قد وقع على المسلمين وقع الصاعقة، حتى أنهم ذهلوا ونسوا ما أنزل الله تعالى من الآيات التي تشير إلى موت الأنبياء كسائر البشر^(١)، فأختلف الصحابة (رضوان الله عليهم)، فيما بينهم، وقد كانت اختلافاتهم اختلافات اجتهادية، وكان غرضهم منها إقامة مراسم الشرع، وإدامة مناهج الدين، وكان أول تنازع وقع بين الصحابة (رضوان الله عليهم)، في مرض النبي (صلي الله عليه وسلم)، قال سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما)، : "لما أشدت بالنبي (صلي الله عليه وسلم)، مرضه الذي مات فيه، قال: اثثوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدى، فقال عمر: إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله وكثر اللغط، فقال (صلي الله عليه وسلم): قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع، قال ابن عباس: الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله^(٢)، كما وقع خلاف آخر في مرضه (صلي الله عليه وسلم)، عندما أمر النبي (صلي الله عليه وسلم)، بتجهيز جيش بقيادة سيدنا أسامة بن زيد، فقال النبي (صلي الله عليه وسلم): أسمة قد برز من المدينة، وقال قوم: قد أشدت المرض بالنبي (صلي الله عليه وسلم)، فلا تسع قلوبنا لمفارقه بحالته هذه فنصبر حتى نبصر أي شيء يكون من أمره^(٣).

واجه المسلمون بعد وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم)، أشق مسألة وأخطر قضية، وذلك لأن النبي (صلي الله عليه وسلم)، لم يُعين من يخلفه، ولم يُبين كيف يكون الاختيار، لأن الخلافة يتوقف عليها نجاح أو فشل المسلمين في حياتهم السياسية^(٤)، كما أن القرآن الكريم لم يكن به ما يُعين المسلمين على حس أمرهم إلا ما يندرج تحت باب الإرشادات العامة^(٥)، والثابت أن النبي (صلي الله عليه وسلم)، لم يستخلف أحداً، وإنما ترك الأمر شورى بين المسلمين؛ عن أبي وائل قال: « قيل لعلي بن أبي طالب، ألا تستخلف علينا؟ قال: ما أستخلف النبي (صلي الله عليه وسلم)، فأستخلف عليكم، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فيجمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم^(٦)، وروي عن سيدنا عمر، وعثمان، وعلي، أنهم قالوا: « لم يستخلف النبي (صلي الله عليه وسلم)، وكان

(١) حسن إبراهيم: مرجع سبق ذكره، ص ١٢٤.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٢.

(٣) إبراهيم سلمان الكروي: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، دط، مركز الإسكندرية، مصر، ١٩٩٧م، ص ٣١.

(٤) أحمد أمين: فجر الإسلام، ط ١٥، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٧٥م، ص ٢٥٢.

(٥) محمد محمود: الخلافة وإشكالياتها، مقال بمجلة كتابات سودانية، العدد الأول، مركز الدراسات السودانية، الخرطوم، السودان، أكتوبر ١٩٩١م، ص ٣٥.

(٦) فتحية النبراوي: مرجع سبق ذكره، ص ٢٧، أخرجه الحاكم، وصححه البيهقي.

الرسول (صلي الله عليه وسلم)، عندما أراداه الناس أن يستخلف عليهم قال: إني إن استخلفت عليكم فتعصون خليفتي ينزل عليكم العذاب»^(١)، ولعل عدم تعيين الرسول (صلي الله عليه وسلم)، لمن يخلفه، وعدم ترك نص مكتوب عمن يخلفه حكمة، وتؤكد أهمية الشورى في الإسلام.

بعد وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم)، ظهر الانقسام بين صفوف المسلمين، واشتدت وطأة هذه الأزمة السياسية فيمن يخلف النبي (صلي الله عليه وسلم)، فتسابقت القبائل والبطون العربية ليكون لها الأمر دون غيرها، وتكشف ما في الصدور، وتجلت النفس العربية والطبيعة القبلية، فكان الأوس، والخزرج، يخشي كل منهما الآخر، ويخافون من المهاجرون، حتى كثرت الاختلافات بينهم^(٢)، وقد شهدت سقيفة بني ساعدة أهم مؤتمر عام ضم المسلمين بعد وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم)، حيث اجتمعت الأمة كلها أنصارها ومهاجرتها ليحسموا أمراً من أهم الأمور وهو أمر الخلافة، وقد كانت وقتئذ في أشد الحاجة إلى إجماع كلمتها على رأي واحد^(٣)، وقد كان الأنصار يتجهون بتفكيرهم إلى مبايعة سعد بن عبادة، وقد كان مريضاً فأخرجوه إلى الاجتماع، فخاطبهم مبيناً لهم فضلهم وأثرهم في قيام الدولة الإسلامية، ودعاهم إلى الاستمسك بحقهم في تولي الأمر والانفراد به دون الناس^(٤)، وقد أنقسم المسلمون في السقيفة إلى حزبين، الأول: نادوا بأن يكون الخليفة من الأنصار، وحجتهم في ذلك أن النبي (صلي الله عليه وسلم)، لبث مع قومه في مكة نحو ثلاثة عشرة سنة يدعوهم إلى الإسلام فما آمن منهم إلا القليل، ولا منعوا عنه الأذى، ولا أعزوا دينه، فلما هاجر من مكة إلى المدينة نصره الأنصار وآمنوا به وأعزوا دينه، ومنعوه وأصحابه ممن أراد بهم سوء، وكانوا معه على عدوه حتى خضعت له الجزيرة العربية كلها، وتوفي النبي (صلي الله عليه وسلم)، وهو راضٍ عنهم وبهم قرير العين، فهم بذلك أولي الناس أن يخلفوه، أما الثاني: وهم المهاجرون الذين يرون أن تكون الخلافة فيهم وحجتهم أنهم أول من آمن بالنبي (صلي الله عليه وسلم)، وصبروا على الأذى ولم يستوحشوا لقلة عددهم، وهم قومه وعشيرته، وهم من قريش والعرب لا تدن إلا لهم ولا تقر بعزة ومنعه من غير عزهم ومنعتهم، فهم بذلك أولي بالخلافة من غيرهم، ولم يكن سيدنا علي (كرم الله وجهه)، حاضراً في السقيفة ومعظم آل البيت، حيث أنهم كانوا منشغلين بتجهيز النبي (صلي الله عليه وسلم)، وغسله ودفنه^(٥).

(١) المرجع نفسه، ص ٢٧.

(٢) حسن وعلي: مرجع سبق ذكره، ص ٢١٦.

(٣) فتحية النبراوي: مرجع سبق ذكره، ص ٣٤.

(٤) الكروي: مرجع سبق ذكره، ص ٣٢.

(٥) أحمد أمين: مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

وإذا حللنا مؤتمر السقيفة فنجد أنه قد أنقسم إلى ثلاثة أقسام، الفريق الأول: كانوا مع سيدنا أبوبكر الصديق (رضي الله عنه)، وكان الأمر الجلل يشغل بالهم، فأسرعوا إلى السقيفة لحسم هذا الموضوع، والقضاء على بوارد الخلاف الذي كان من الممكن أن يؤدي إلى حدوث صراع يهدد وحدة الأمة الإسلامية، أما الفريق الثاني: كانوا مع سعد بن عباد، وكانت تشغلهم قضية الحكم، أما الفريق الثالث: وهم كانوا مع سيدنا علي (كرم الله وجهه)، سيدنا الزبير بن العوام، وسيدنا طلحة بن عبيد الله، وقد اعتزلوا في بيت السيدة فاطمة (رضي الله عنهم جميعاً)، وكان هذا الفريق مشغول بغسل النبي (صلي الله عليه وسلم)، ولم يفرغ منه^(١).

بعد ذلك قام الصحابي الجليل الخباب بن المنذر، أحد الأنصار مُحاطباً المهاجرين قائلاً: فمنا أمير ومنكم أمير، فقام سيدنا عمر وأدلى بالحجة على أن هذا الأمر لقريش فقال: هيهات أن يجتمع إثنان في قرن! والله لا ترضي العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم، وولي أمورهم منهم، وللناس بذلك على من أبي من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدلٍ بباطل، أو متجانف مرتكبٍ لائم، أو متورط في هلكه^(٢)، غير أن الأنصار أصروا على أن يكون منهم أمير ومن المهاجرين أمير، فقال لهم سيدنا أبوبكر: منا الأمراء ومنكم الوزراء، فقام ثابت بن قيس، فتكلم وذكر فضلهم، فقال سيدنا أبوبكر: ما ندفعهم عن الفضل، وما ذكرتم من الفضل فأنتم أهلاً له، ولكن قريش أولى بمحمد منكم، فهذا عمر بن الخطاب الذي قال النبي (صلي الله عليه وسلم)، عنه: اللهم أعز الإسلام به؛ وهذا أبو عبيدة بن الجراح، الذي قال النبي (صلي الله عليه وسلم)، عنه: أمين الأمة، فبايعوا أيها شئتم! فأبى عليه، وقالوا له: والله ما كنا لتتقدمك وأنت صاحب رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، وثاني اثنين إذ هما في الغار، فضرب سيدنا أبو عبيدة على سيدنا أبوبكر، وثني سيدنا عمر، ثم بايع من كان معه من قريش^(٣)، ومما سبق يتضح لنا دور سيدنا أبوبكر الصديق في حسم أمر الخلاف في الخلافة، حيث وجه أنظار الأنصار إلى قول النبي (صلي الله عليه وسلم)، : «الأمراء في قريش»، ذلك لأن العرب لا تدين لغير هذا الحي من قريش، فكانت هذه حسن السياسة منه وبُعد نظر، تركت هذه المسألة في نفوس أهل السقيفة الأثر الطيب، ومن ثم هدأت ثورتهم بعد أن كان النقاش قد احتدت بين المهاجرين والأنصار حتى كاد يفتك بالدولة الإسلامية.

(١) فتحية النبراوي: مرجع سبق ذكره، ص ٣٢.

(٢) أبي جعفر بن محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دط، ٢٠ جزء، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، دت، ص ٢٠٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٣.

تقدم سيدنا أبو عبيدة قائلاً: يا معشر الأنصار! إنكم أول من نصر فلا تكونوا أول من غير وبدل، فقام سيدنا عبد الرحمن بن عوف، وقال: يا معشر الأنصار إنكم وإن كنتم على فضل فليس فيكم مثل أبي بكر وعمر وعلي، ثم قام بشير بن سعد، وبايع سيدنا أبوبكر، وبذلك كان أول من بايعه من الأنصار، ثم بايعه الناس، حتى كان الرجل منهم يطفو وسادة سعد بن عبادة حتى وطئوه، فقال سيدنا عمر بن الخطاب: أقتلوا سعداً، قتل الله سعداً^(١)، ولم يكن الخلاف على وظيفة الخلافة، ولكن على هموم هذه الدعوة ومسؤولياتها، خلاف احتدم بين أخوين الأنصار والمهاجرين، فالأنصار يدلون بجهودهم، والمهاجرون بسبقهم إلى هذا الدين، ولم يكن اختلافهم لهوى في النفوس، ولا لضغينة في القلوب، ولكنهم اختلفوا في الله، واهتدوا عليه، فكان حبههم لله وتباغضهم لله لم يكن لشهوة التسلط، لذلك سهل عليهم أن يتقاربوا ويتحدوا ولم يخرجوا من سقيفة بني ساعدة إلا وهم متحابون متآلفون ومؤتلفون^(٢)، ونجد أن حجة سيدنا عمر في تولية قبيلة قريش كانت تتلخص في: أن تولية أثنين الخلافة يؤدي إلى التنازع والاختلاف، كما أن العرب لا ترضي أن يحكمهم شخص ينتمي إلى غير بيت النبي (صلي الله عليه وسلم)، وإلا طالبت كل قبيلة بأن يكون الخليفة منها^(٣)، كما أن سرعة البيعة لسيدنا أبوبكر من الأنصار ترجع إلى خوف الخرج من أن تتم البيعة لواحد من الأوس، وذلك نسبة لشدة الخلاف القديم بينهم^(٤)، ولعل بذلك أصبح سيدنا أبوبكر الصديق (رضي الله عنه)، أول خليفة للمسلمين، فكانت بيعة السقيفة بمثابة البيعة الخاصة، أما البيعة العامة فكانت تؤخذ من عامة الناس في المسجد، ولعل ما تم من حنكة سياسية من سيدنا أبوبكر وعمر وبقية الصحابة في أمر إتمام البيعة يدل على الهم الذي أثقل النبي (صلي الله عليه وسلم)، به هؤلاء الصحابة وهو أمر الخلافة، فلو كان أمرها محسوم من حياة النبي (صلي الله عليه وسلم)، لحفف عنهم ذلك الثقل، ولكنهم نجحوا في العبور بالدولة الإسلامية إلى بر الأمان، فكان اختيار سيدنا أبوبكر لهذا المنصب موفق، ونجد أن اختيار سيدنا أبوبكر لهذا المنصب قد خضع بصورة كبيرة إلى أعراف المجتمع العربي الذي كان يقوم على العصبية العشائرية.

(ب) خلافة سيدنا أبوبكر الصديق (رضي الله عنه)، ١١ - ١٣هـ / ٦٣٢ - ٦٣٤م:

بدأت خلافته بعد أن تمت له البيعتين الخاصة والعامة، قام في الناس خطيباً بالمسجد فأوضح لهم مفهوم الحكومة في ظل الإسلام فقال: «أما بعد أيها الناس أني قد وليت عليكم ولست بخيركم،

(١) أحمد بن إسحاق اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص ٨٣ - ٨٤.

(٢) أمين ومحمد: مرجع سبق ذكره، ص ١٩ - ٢٠.

(٣) حسن وعلي: مرجع سبق ذكره، ص ٣٥ - ٣٦.

(٤) أحمد وشحادة: مرجع سبق ذكره، ص ٦٥.

فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قويٌ عندي حتى أرد إليه حقه إنشاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى أخذ الحق منه إنشاء الله، لا يدع قومٌ الجهاد في سبيل الله إلاَّ ضربهم الله بالذل، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم»، وبهذا الخطاب أستطاع سيدنا أبوبكر أن يرسم سياسة الدولة، ويحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم^(١).

من أبرز الأحداث التي شهدتها فترة خلافته التصدي لحركات الردة التي قامت بها الكثير من القبائل بعد وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم)، وقد اقترنت هذه بظهور عدد من مُدعي النبوة، فتصدي لها بكل شجاعة وأستطاع القضاء عليها، كما انطلقت في عهده حركة الفتوحات، فأستطاع فتح أطراف الجزيرة العربية في العراق وسوريا، وحقق انتصارات على الدولة الساسانية والبيزنطية^(٢).

(ت) خلافة سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ١٣ - ٢٣هـ/ ٦٣٤ - ٦٤٣م:

تولي الخلافة بعهد من سيدنا أبوبكر، وكان هذا الأمر من يقينه بصلاح سيدنا عمر لتولي هذا المنصب، وهذا الأمر كان بُعد نظر من سيدنا أبوبكر، فقد روي أنه: « أني استخلفت عليهم خير أهلك»، وقال أيضاً: « اللهم أني لم أر بذلك إلاَّ صلاحهم وخفت عليهم الفتنة، فعملت فيهم بما أعلم به، واجتهدت لهم رأياً، فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم»^(٣).

من أبرز الأحداث في خلافته استمرار الفتوحات الإسلامية في جبهتي الفرس والروم في بلاد الشام، وفي جبهة مصر، كما أنه قام بتنظيم الإدارة ونظام الحكم، فعن الولاة والقضاة في الأمصار، كما عين أصحاب الخراج والصدقات، وأخذ لأول مرة بيت مال للمسلمين، وساهم في نشر العلم وأوفد العلماء للأمصار، كما أسس مدينتي البصرة، والكوفة، ببلاد العراق، ومدينة الفسطاط في مصر^(٤).

(ث) خلافة سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، ٢٣ - ٣٥هـ/ ٦٤٣ - ٦٥٥م:

تولي الخلافة بمبايعة مجلس الشورى الذي عينه سيدنا عمر بن الخطاب قبل وفاته، وكان المجلس يتكون من سيدنا علي بن أب طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة ابن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وعبد الله بن عمر الذي لم يكن له من الأمر شيء، فوقع رأي الأغلبية على سيدنا عثمان^(٥).

(١) الكروي: مرجع سبق ذكره، ص ٣٥.

(٢) بشير وجمال: مرجع سبق ذكره، ص ٦٧.

(٣) فتحية النبراوي: مرجع سبق ذكره، ص ٣٥.

(٤) علي إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي العام، دط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، دت، ص ٢٣٨.

(٥) حسن وعلي: مرجع سبق ذكره، ص ٤٤.

أهم الأحداث في عهده انقسام المسلمون إلى أمويون، وهاشميون أو علويون، كما تم إرجاع بلاد فارس للدولة الإسلامية، وفتح كرمان، وسجستان، وطبرستان، وطخارستان، وفي عهده أصبحت الفتوحات برية وبحرية، وفتحت في عهد بلاد النوبة ووصلت الجيوش إل عاصمتها دنقلا^(١)، وفي عهد نسخ القرآن الكريم وُجِع في مصحف واحد، كما نظم بعض أمور الدولة ومرافقها، فأقطع القطائع، وخصص مرتباً شهرياً للمؤذنين في المساجد، كما أنشأ أول أسطول بحري، وشكل جهازاً للشرطة، وفوض الناس لإخراج زكاة أموالهم^(٢)، كما أن أهم الأحداث في عهده وصول الأمويون للحكم بالفعل لأن رياسة سيدنا عثمان كانت رياسة بيته فأخذ أهله في أرفع المناصب^(٣)، ويمكننا القول بأن وصول الأمويون إلى مناصب الحكم في خلافة سيدنا عثمان أدت فيما بعد إلى أضعاف خلافة سيدنا علي، وتقليل فترة حكمه.

(ج) خلافة سيدنا علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، ٣٥ - ٤٠هـ / ٦٥٥ - ٦٦٠م:

ببيع بالخلافة بعد مقتل سيدنا عثمان على يد الثوار، وقد قبل الخلافة بإلحاح من أهل المدينة وذلك من أجل وضع حدٍّ للأحداث والفتن التي نتج عنها مقتل سيدنا عثمان^(٤)، وقد كانت خلافته انتخابية كخلافة سيدنا أبوبكر وعمر، ولكنها لم تكن جماعية لذلك سرعان ما ظهر الانقسام في خلافته بين المسلمين^(٥).

أبرز الأحداث في عهده صعوبات جمّة من الانقسامات والخلافات التي عمت المسلمين بعد مقتل سيدنا عثمان، حيث حدثت العديد من المعارك مثل موقعة الجمل^(٦)، وموقعة صفين^(٧)، وقد

(١) علي إبراهيم: مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

(٢) محمود السيد: تاريخ الدولة الأموية، ط ٣، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ص ١٦.

(٣) الكروي: مرجع سبق ذكره، ص ٣٦، وكان النبي (صلي الله عليه وسلم)، قد أخبر سيدنا عثمان عن بلوى تصيبه، وبشره بالشهادة هو وسيدنا عمر - كما رواه البخاري - أن النبي (صلي الله عليه وسلم)، صعد أحداً معه أبوبكر وعمر وعثمان فرجف الجبال، فقال النبي (صلي الله عليه وسلم): "أسكن أحد فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان".

(٤) علي إبراهيم: مرجع سبق ذكره، ص ٢٦١.

(٥) موقعة الجمل: هي موقعة كانت بين جند سيدنا علي من ناحية وبين بني أمية والسيدة عائشة والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله (رضي الله عنهم جميعاً)، وكان سببها المطالبة بالتأثر من قتلة سيدنا عثمان الذين كانوا مع سيدنا علي وأولهم، وأنتصر فيها جيش سيدنا علي.

حسن إبراهيم: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٢١٨.

(٦) موقعة صفين: كانت بين أهل الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان وجيش أهل العراق بقيادة علي بن أبي طالب، وسببها عدم مبايعة معاوية لعلي وذلك لاتهامه بأنه أهمل أمر عثمان وقرب قتله منه، وأنتهت المعركة بالتحكيم المرجع نفسه، ص ٢١٨.

(٧) بشير وجمال: مرجع سبق ذكره، ص ٦٩.

كانت تلك المعارك أول صراع مسلح بين فئتين من المسلمين، ولم يتح للإمام على أن يتم الفتوحات الإسلامية التي كانت في عهود من سبقوه من الخلفاء الراشدين، ولم يتمكن من الإصلاح والبناء في الدولة وذلك بسبب الفتن التي واجهته^(١).

نتائج الدراسة:

١/ في البداية لابد أن نقرر أنه لم يوجد نص في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية الشريفة الصحيحة يدل على تعيين فرد بعينه أو أسرة بعينها لتكون لهم الخلافة دون غيرهم من المسلمين، وقد أنتقل النبي (صلي الله عليه وسلم)، إلى الرفيق الأعلى ولم يشر على شخص بعينه أو لأسرة بعينها لتخلفه، مما يدل على أن أمر المسلمين في مسألة الخلافة كان موكلاً للأمة لتختار من تراه كفواً من المسلمين لتولي أمرها.

٢/ مسألة الحكم هي من القضايا الكلية التي وضع لها الإسلام أصولاً وترك للمسلمين تفاصيلها، وذلك أنه أشرط للحكم بعد الالتزام بتنفيذ شرع الله أن يقوم على ثلاثة مبادئ هي: العدل، والشورى، والطاعة لأولي الأمر فيما أحب المؤمن أو كره، إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة.

٣/ وقد ظهر الخلاف في تصور الحكم بعد وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم)، في شأن من يخلفه في أمر الناس، فالأنصار كانوا يريدون الأمر لهم، وذلك لأنهم أووا النبي (صلي الله عليه وسلم)، ومن هاجر معه، وبذلوا نفوسهم وأموالهم دفاعاً عن الدين، لذلك رأوا أنهم أولى الناس بأن يكون خليفة النبي (صلي الله عليه وسلم)، منهم، أما المهاجرون فإنهم كانوا يرون بأنهم أحق بالخلافة من الأنصار وذلك أجراً لهم على ما أبلوا في ذات الله ورسوله من البلاء.

(١) مما سبق يتضح لنا بأن الخلافة الراشدة أستطاعت أن ترسي بعض المبادئ والأساليب التي أستمرت طيلة العهود الإسلامية كالشورى والتي أختلف أساليب تطبيقها من خليفة لآخر، كما أعمدت الخلافة على منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في منهاج الحكم، وحصول الخليفة على بيعتين أحدهما من فئة معينة من الناس، وهم عليتهم مثل كبار الصحابة، وقادة الجيوش الإسلامية وهي ما تسمى بالبيعة الخاصة، وأخرى من عامة المسلمين وغالباً ما تعقد في المسجد أثناء إلقاء الخليفة لخطبته من على المنبر، وهي الخطبة التي كان الخليفة يحدد فيها معالم سياسة حكمه، كما يتضح لنا أن سدة الخلافة كانت هي المحرك الرئيسي للمجموعات الإسلامية في تأجيج مسألة الخلاف بينهم في شأن الخلافة، فأصبحت هذه القاعدة هي المحرك الرئيسي للجوانب الفكرية والثورية، فأخذوا يبحثوا عن البراهين والدلائل على أحقية كل مجموعة بخلافة، ومن ثم قاموا بثورات ضد بعضهم البعض، وضد الدولة الإسلامية للوصول إلي سدة الحكم، فتعاظم أمر الخلاف بشأنها حتى أصبحت سمة للميزة للإسلام حتى يومنا هذا.

٤/ سكنت جميع الخلافات بشأن الخلافة أو الإمامة في عهد سيدنا أبوبكر الصديق وعمر (رضي الله عنهما)، وأكثر خلافة سيدنا عثمان (رضي الله عنه)، وذلك لأن السياسة التي أتبعها أولئك الخلفاء الراشدون لم تدع فرصة لظهور الخلافات أو الفتن، كما أن المسلمين كانوا مشغولين في تلك الفترة بالجهاد في سبيل الله تعالى، غير أن الخلاف بشأن الخلافة ظهر في نهاية خلافة سيدنا عثمان وخلافة سيدنا علي (كرم الله وجهه)، ويرجع ذلك لكثرة الفتن والخلافات بين المسلمين، وظهور التأثيرات والفلسفات الغير إسلامية التي ظهرت بظهور ما يُسمى بالفرق الإسلامية، التي أصبحت كل واحدة منها تنادى بمقومات وشروط لاختيار الخليفة لتولي زمام الحكم في الدولة الإسلامية.

٥/ ونجد أن الخلاف بشأن الخلافة أو الإمامة كان أعظم خلاف بين المسلمين، ويمكننا فلسفة هذا الخلاف، حيث برزت قراءات للبيعة كأساس للمشروعية المستمدة من تجربة الخلافة الراشدة، وذلك لأن النبي (صلي الله عليه وسلم)، عندما توفاه الله لم يترك أو يحدد خليفة له، وأن بيعة سيدنا أبوبكر وقعت فلتة، وجاءت عن طريق مداولة حرة أنهت بانتخابه بالبيعة المباشرة، بينما تراجع الوضع عن ذلك في بيعة الخليفة الثاني الذي رشحه الخليفة الأول، وانعقدت له زمام الأمر بعد مبايعة جمهرة من أهل الشوكة له في المدينة، وجاءت طريقة انتخاب الخليفة الثالث وسطاً بين الطريقتين، بينما أنقسم أهل الحل والعقد في ظروف ما بعد اغتيال الخليفة الثالث، ولم يقع إجماع كما حدث من قبل مما أدى إلى وقوع الفتنة الكبرى، كذلك لعبت مسألة التأثيرات القبلية ودور العصبية في تأجيج الصراع بين المسلمين، فأخذت كل منطقة من المناطق تبحث عن وجود لها في أن يقع عليها الاختيار لتكون حاضرة للدولة الإسلامية: « مما ساعد على قيام الفتنة الكبرى مسألة أين تكون الشئون الإسلامية الكبرى، في الكوفة أم دمشق، إلا أن هذه المسألة حُسمت باتجاه جموع الغزاة إلى الشمال من مركز الثقل.

المصادر والمراجع:

أولاً المصادر:

- ١ القرآن الكريم.
- ٢ أبو الحسن الماوردي: الأحكام السلطانية، ب ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٦٤ م.
- ٣ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، د ط، المكتبة الإسلامية، تركيا، ١٩٧٩ م، ٨ أجزاء.
- ٤ أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت.

- ٥ أبي جعفر بن محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دط، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٩٦٤م، ٢٠ جزء.
 - ٦ أبي حامد الغزالي: فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية أو المستظهري في الرد على الباطنية، دط، الدار القومية للكتب، القاهرة، مصر، ١٩٦٤م.
 - ٧ أحمد بن إسحاق اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ط٢، لبنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
 - ٨ أحمد بن يحيى البلاذري: البلدان وفتوحها وأحكامها، ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
 - ٩ جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي أبن تغري بردي (٨١٣ - ٨٧٤هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دط، ١٢ جزء، المؤسسة المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٥٦م.
 - ١٠ الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، ط٢، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة، بيروت، لبنان، دار الرسالة ١٩٨١م، ٣٢ جزء.
 - ١٢ شهاب الدين أحمد بن عبد الله القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ط١، سلسلة التراث العربي، الكويت، ١٩٦٤م، ٨ أجزاء.
 - ١٣ عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ط٢، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ١٢ جزء.
 - ١٤ القرآن الكريم.
 - ١٥ محمد ناصر الدين الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ٣ مجلدات، ط٣، المكتب الإسلامي، الرياض، السعودية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ثانياً: المراجع العربية:-**
- ١ إبراهيم سلمان الكروي: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، دط، مركز الإسكندرية، مصر، ١٩٩٧م.
 - ٢ أحمد أمين: فجر الإسلام، ط١٥، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٧٥م.
 - ٣ أحمد فاعور وشحادة الناطور: تاريخ الدولة العربية حتى الغزو المغولي، دط، الأردن، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
 - ٤ أمين القضاة ومحمد الهزايمة: محاضرات في التاريخ الإسلامي، ط٣، دار عمّار، عمان، الأردن، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
 - ٥ أنور الرفاعي: النظم الإسلامية، ط١، سوريا، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
 - ٦ بشير التليسي وجمال الذويب: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط١، ليبيا، دار الكتب الوطنية، طرابلس، ليبيا، ٢٠٠٢م.
 - ٧ جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، دط، مصر، دار المعارف المصرية، دت.
 - ٨ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي والثقافي، ط١، ٥ أجزاء، دار الجليل، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

- ٩ حسن إبراهيم وعلي إبراهيم: النظم الإسلامية، ط ٤، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٧٠م،
- ١٠ حسن عبد الله الترابي: السياسة والحكم، ط ١، لبنان، دار الساقى، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.
- ١١ الشيخ الأمين محمد: دراسات في الحضارة الإسلامية، ط ٣، جامعة النيلين، الخرطوم، ١٤١٨هـ/ ١٩٨٨م.
- ١٢ صلاح الدين دبوس: الخليفة توليته وعزله، د ط، مؤسسة الثقافة الجامعية، القاهرة، مصر، د ت.
- ١٣ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- ١٤ علي إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي العام، د ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، د ت.
- ١٥ علي أحمد السالوس: عقيدة الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية، د ط، مصر، دار الإعتصام، د ت.
- ١٦ علي السيد وقاسم عبده قاسم: الأيوبيون والمماليك في التاريخ السياسي والعسكري، ط ١، مصر، عين للدراسات والبحوث.
- ١٧ فتحيه النبراوي: النظم والحضارة الإسلامية، ط ٩، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- ١٨ القطب محمد القطب طبلية: النظم الإسلامية، ط ١، دار الإتحاد العربي، القاهرة، مصر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- ١٩ محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، د ط، لبنان، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، د ت.
- ٢٠ محمد رأفت عثمان: رياسة الدولة الإسلامية في الفقه الإسلامي، ط ١، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- ٢١ محمد محمود: الخلافة وإشكالياتها، مقال بمجلة كتابات سودانية، العدد الأول، الخرطوم، مركز الدراسات السودانية، أكتوبر ١٩٩١م.
- ٢٢ محمود السيد: تاريخ الدولة الأموية، ط ٣، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

ثالثاً: الرسائل العلمية:

- ١ عواطف تاج الدين صغيرون، الفتنة الكبرى وتشعب الفرق الإسلامية على ضوء الآراء الفقهية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٢م.

رابعاً: المراجع الأجنبية المترجمة:

- ١ سيد أمير علي: روح الإسلام، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م.
- ٢ سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ط ١، مصر، دار الأفاق، القاهرة، مصر، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.
- ٣ محمد أسد: منهاج الإسلام في الحكم، د ط، لبنان، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م.

القصة الشاعرة.. نموذج تطلع الأدب لخلق الجدي

إعداد/ د. ياسر السيد عبد العال البنا

أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر

* يتنافى مع التطور واستشراف المستقبل والتطلع إلى الأرقى والأفضل أن يسير الأدب على نهج واحد، وكثيرٌ هؤلاء الشعراء الذين يرون أن الحياة العصرية - بما فيها من متغير فكري واجتماعي وسياسي - تستدعي وجود أدب يتناغم مع هذا التطور، ويتماهي مع توجهات قلوب وعقول حديثة شابة، بل ويلائم الأدب ذاته باعتباره جزءاً مهماً من الفن، وفعلاً يقوم على الابتكار والتجريب والإلهام، لاسيما حين يستحوذ على منشئه صاحبٌ وحيه، وتعزف ألحانه ربةً قيثارته، وتمتلك عاطفته نوبة الإبداع التي لا تتوارى أو تزوي حتى يتم لصاحبها أمرُ الأدب وسلطانه في غير ارتهان بقاعدة، أو ثبات زمان ومكان. فليس للفن قواعد ثابتة يلتزمها الأديب ويتخذها قبلة في تعاطي فنه، وإنما هي ملكة تختلف باختلاف ما يمتلك من أدوات الفن، ولا أعني بذلك القدرة على التعبير، فكثير من يملكونها، وإنما القدرة على مزج التجارب التي يمر بها الأديب لينتج فناً جديداً، فكم من إنسان موهوب قعد به ضعف أدواته عن الترقى في سلك الأدب الجيد والفن الخلاق.

وتأسيساً على هذا جاء تميز التجربة الأدبية الحديثة بتداخل أجناسها وانصهارها، بطرق متعددة منها استعارة الشعر المعاصر لأسلوب السرد القصصي بتقنياته وعناصره، بهدف إضفاء صبغة درامية على النص الشعري، لتنتج بوابة الشعر الغنائي على طرق السرد الحكائي وتتلأشى المسافات بين إيقاع الشعر وعدوبته، ودرامية السرد وواقعيته، ونبذوا أمام واقع جديد ومظاهر تجديد.

وأكثر ما تبدو تلك المظاهر: في فن «القصة الشاعرة» لمؤسسه ومبدعه والداعي له الأديب المصري المعاصر «محمد الشحات محمد»، وهو فن يقترب من فن «القصة القصيرة جداً» سرداً وقصداً للتكثيف والترميز، غير أنه يعتمد من الموسيقى التزام «التدوير» بحيث تصبح فيه الكلمة جزءاً موسيقياً من أخرى، ليقترّب كذلك من شعر التفعيلة، فيجمع بين طرفي الفن الشعر والقصة

في شكل أسلوب وبنوي جديد يلائم العصر وأدواته، ولا شك أن هذا وإن كان محط الجدل والخلاف بين النقاد والدارسين إلا أنه بطريق آخر هو مناط التفرد والتميز.

ومن ثم يأتي توجه هذه الدراسة لفن «القصة الشاعرة»، ويحجى منهجها في مقدمة، وخاتمة، ومباحث ثلاثة، يُعنى أولها بصاحب فن القصة الشاعرة الأديب «محمد الشحات محمد».. سيرة ومسيرة وانطلاقة فن، ويختص ثانيها بشرح مفهوم الفن، وسطوعه الأدبي والنقدي في مصر والعديد من الأقطار العربية مع عرض نماذج من الفن تمثيلاً لهذا السطوع، أما ثالثها: فيعرض لسماتها وأوجه تفرداها بين مظاهر التجديد مع درس تطبيقي تأويلي لعدد من النماذج، واعتزام والتزام بوفاء حق الهامش وخدمات النصوص، وذلك كله بمنهج موضوعي ينزع إلى العرض والتوثيق والتجديد، ويرى في «القصة الشاعرة» فناً جديداً وجديراً بالدعم والدرس والتحليل.

المبحث الأول: الرائد.. سيرة ومسيرة وانطلاقة فن

سيرته:

في الدقهلية عام ١٩٦٦م ولد رائد فن القصة الشاعرة الأديب «محمد الشحات محمد» ويبدو أنه كان على موعد مع التاريخ الحديث، وزمنه المعاصر ليصير «فاسكو دي جاما» القصة الشاعرة، الذي اكتشف أرضها وشق بحارها وأجرى فيها ماء الفن والحياة، ثم أقام لها احتفالات التأطير والتنظير.

وكأن الحياة قد نذرت له هذه المهمة حين منحته جدارة القيام بها، حيث الموهبة المتوهجة، والثقافة الموسوعية، وتراخي أطراف الأدب والفن، فبحسب قول الأمير «أحمد شوقي»: «المبدعون أربعة: شاعر سار بيته، ورسام ضحك زيته، وموسيقي بكى وتره، ونحات نطق حجره»^(١) يكون قد كمل للرجل ثلاثة أرباع الفن، ذلك أنه في الأدب كتب الشعر، والقصة، والمسرحية، والمقال، كما أن موهبته شملت فن الرسم، وفي الموسيقى أجاد العزف على آلة الناي^(٢)، وغير خفية صلة التأثير بين الفنون مما يجعلها تتكامل.

ولعل أكثر ما يترجم لصفاته ما ذكر الشاعر «يسري الخطيب»^(٣) - وقد عرف الأديب لأكثر

(١) "د. نعمات أحمد فؤاد - رحلة الشرق والغرب"، - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م. ص ٦٥

(٢) د. حسين مناور "القصة الشاعرة.. المسار والابتكار" - دار الزيات للنشر والتوزيع ٢٠١٩، ص ٨٨

(٣) شاعر وباحث وصحافي، ويعمل رئيس القسم الثقافي بموقع الأمة الدولي. ينظر شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، موقع: [al - omah.com]

من عشرين عام مضت - في بحثه المعنون «بين أزمة المصطلح وسهام التدشين»^(١) يقول: «هو المبدع القدير العنيد، صاحب «النفس الطويل» محمد الشحات محمد الذي يسير كالقطار لا يبالي، يحمل قضيته ولا يكثرث بسهام الخصوم، يعرف هدفه، ويقدر لقدمه قبل الخطو موضعها، ولذا نجح في كل مشروعاته الأدبية، واستطاع أن يضع جميعها تحت الشمس رغم دوائر التطاحن والعراقل... ويظل المبدع محمد الشحات محمد من أكثر الذين رأيتهم يغردون خارج السرب بإصرار شديد دون ملل أو ضجر طيلة العقود الفائتة...»^(٢)، وكذا برحابة عقل، وصفاء وجدان، ومخزون كبير من الوعي والمعرفة ومواقف الحياة.

كتبه ومنجزاته:

ذكر الدكتور «صبري فوزي أبو حسين»^(٣) في بحثه المعنون «الإيقاع السمعي والبصري في القصة الشاعرة» أن للأديب ما يربو على الأربعين كتاب بين الشعر، والنقد، والقصة القصيرة، وفنه الأثير القصة الشاعرة، والمسرح، وفن المقال.

فما جاء شعراً دواوينه: «زغاريد الألم» و«للتاريخ كلمة أخرى»، و«آه ياراسي»، و«ثورة وتراتيل»، و«الصمت من وحي الرنين»، و«أشعار نسرية»، و«الدائرة المستقيمة»، وما جاء في فن القصة القصيرة مجموعة بعنوان: «لا نجوم بعد اليوم»، وله مجموعة «مسرحيات مصرية». وفي الثقافة ودرس الأدب جاء له كتبه: «من النقد إلى الشعر نظير»، و«ظواهر أدبية عبر الشبكة العنكبوتية»، و«بعيداً عن الرقابة»، و«الحصن وثقافة الأمن القومي»، و«موسقة الغضب»، و«قراءة في المشهد الثقافي المصري»^(٣)، والحق لم تخل هذه الكتب والدراسات من إشارات واضحة للأديب جاءت بمثابة التوطئة والتمهيد لفن القصة الشاعرة.

الانطلاقة والتأسيس:

كان أول عهد الأديب «محمد الشحات محمد» بفنه الأول موضوع درسنا «القصة الشاعرة» نصه بعنوان: «منطق الإيوان» وقد كتبه تحديداً في يوم ١١ / ٤ / ١٩٩٣ م غير أن هذه العتبة ربما

(١) طبع ضمن كتاب المؤتمر العاشر للقصة الشاعرة "القصة الشاعرة بين سيكولوجية الإبداع والنص الجامع" - ص ١٦٤ - ط دار النسر الأدبية ٢٠١٩ م.

(٢) "القصة الشاعرة بين سيكولوجية الإبداع والنص الجامع" - ص ١٦٤.

(٣) أ.د/ صبري فوزي أبو حسين "الإيقاع السمعي والبصري في القصة الشاعرة.. قراءة أولى في إبداع المؤسس" - ضمن أبحاث المؤتمر العاشر للقصة الشاعرة، ٢٠١٩. ص ٦١.

كانت تنذر بامتحان ينتظره، وعليه أن يتهيا له، فقد ذكر غير مرجع أن حادثاً ألمَّ به، وعصف بكتاباتهِ الشعرية والنثرية، وكاد يدفعه لليأس «غير أن العناية الإلهية تدخلت، وأبرأته من الإحباط، تدفعه موهبته المتوقدة والإصرار على شغف الإبداع والنهوض، فقد تجاوز قسوة أيامه، واعتلى مواجهه، وانبعث آماله وطموحاته من جديد مستعيناً بمذخوره الفكري والثقافي المكدوس في ذاكرته يدفعه ويثريه...»^(١).

وبهذه الروح الفتية والإدارة القوية استطاع الشاعر أن يجتاز بفنه مرحلة أخرى يمكن أن نطلق عليها مرحلة المخاض كانت القصة الشاعرة فيها لم تجاوز كونها فكرة في الخاطرة وفناً يتبلور في الذاكرة، إذ أخذ الأديب «محمد الشحات محمد» «يشارك في الندوات، مرة يقدم النص باعتباره قصيدة ويرى رد الفعل، وفي ندوة ثانية يقدم النص نفسه باعتباره قصة قصيرة، وكذلك يرى رد الفعل، كبحث ميداني»^(٢)، ولعل إنشاء الأديب «دار النسر الأدبية للنشر» في عام ٢٠٠١م هو الحدث الذي أسهم بشكل واضح في مزيد من الإصدارات والمؤلفات التي تدعم التمهييد للفن، إلى أن عقد «محمد الشحات محمد» العزم وقرر الإعلان النظري والاصطلاحي عن فنه «القصة الشاعرة» عام ٢٠٠٦م.

وفي واقع أكثر حداثة وتطور شهده العقد الأول من هذا القرن، وفي عرس أدبي بهيج بدت العروس «قصة شاعرة» جنساً أدبياً جديداً يشهد له الفن بالجدّة والاستقلال، فضلاً عن سمات المفارقة والبهاء والرواء والدلال، وإلى جوار العروس يظهر صاحبها وفارس أحلامها الأديب المصري مترامي ألوان الفن «محمد الشحات محمد» الذي عشق القصة الشاعرة، وأشهر عقدها، وتم له أمرها بزواج يشهد على شرعيته أقرانه الأدباء كتأب هذا اللون - على ترامي جغرافيتهم وطول الأقطار - ممن وجدوا في فن «القصة الشاعرة» ضالتهم نحو الفن والإبداع.

أما مدعووا العرس فنقاد كبار أيّدوا هذا اللون الأدبي وقدموا له الدعم الفني بالدرس والتحليل والتأطير والتنظير، وعُزفت موسيقى العرس وألحان «التدوير» ولم ينته العزف، وبثت سمات التفرد التي تتلاقى لتؤكد حجية هذا اللون من حيث الفن، وتبطل جدلية التجنيس، لينتهي الحفل، ويكون ما كان من حدث وحكي وتفاعل وتلاقح وإيقاع ووزن، وينكشف الظلام ويتعاطى العروسان الصباح، ويشرب المهنتون نخب الجنس الأدبي الجديد، فما أطيب الجنى وأحلاه حين تكون الثمرة ضرباً جديداً من الفن. والحق لم يكن الطريق إلى تأسيس هذا الفن الجديد سهلاً وواضحاً أو فرحاً

(١) د/ حسين مناور، "القصة الشاعرة.. المسار والابتكار"، ص ٨٩.

(٢) د.أ. صبري أبو حسين مقدمة لكتاب الأديب "من ثقب الشتلات الأولى" - دارالزيات ٢٠١٩، ص ١٠.

وعرسًا كما أسطره الآن على الأوراق، فيكفي الأديب - مثلاً - تلك الإشكالية التي صدرتها له تسمية الفن الجديد، وشكلها له حدّه المفاهيمي.

يقول الباحث «يسري الخطيب»: «كنتُ شاهدًا على الكثير من الأحداث والمواقف، وكان المبدع محمد الشحات محمد كعادته عنيدًا جريئًا، يدافع عن «طفله» بضراوة وكنت أندهش كثيرًا لذلك، فقد كان يدخل في مناقشات ضارية جدًا بمفرده ضد خمسة أدباء أو سبعة وأحيانًا ضد كل الحاضرين للندوة، ويستطيع أن يهزمهم جميعًا بالضربة الأدبية القاضية...»^(١) وقد ذكر الأديب المصطلح لأول مرة في قصيدة «جاءنا البيان التالي» من ديوان شعر «ما مات نوبل يا عرب» عام ٢٠٠٦م، وبعدها أصدر ديوان «امرأة الثلج وقصص شاعرة»، ثم أصدر كتاب دراسات بعنوان «الموج الساخن.. قصص شاعرة جنس أدبي جديد» في طبعتين عام ٢٠٠٧، وعام ٢٠٠٨م، ثم أصدر مجموعة قصص شاعرة بعنوان «انفلونزا النحل» عام ٢٠٠٩م.^(٢)

المؤتمرات والمحافل^(٣):

هي اليد الطولى والخطوة الأكبر نحو ذبوع «القصة الشاعرة» وسير اسمها، وترسيخ فنيها وثبات أقدامها فقد أخذ الأديب على عاتقه عقدها على مدار عقد مضى بواقع مؤتمر في كل عام، بدعم ورعاية من وزارة الثقافة.

أولها: المهرجان التأسيسي الأول بعنوان: «قصص شاعرة.. جنس أدبي جديد»، وعُقد في دار النسر الأدبية عام ٢٠٠٨م وأسفر عن إصدار الطبعة الأولى من كتاب الأديب «الموج الساخن».

وثانيها: المهرجان التأسيسي الثاني: «القصة الشاعرة.. لا حجر على فكر»، وعُقد بمكتبة المستقبل عام ٢٠٠٩، وصدر عنه الطبعة الثانية من كتاب «الموج الساخن».

ثالثها: المؤتمر الأول بعنوان: «القصة الشاعرة.. التأصيل والتقنيات»، وعقدت بنادي عين شمس الثقافي عام ٢٠١٠م برئاسة الأديب «محمد الشحات محمد» وصدر عنه كتابه «فن القصة الشاعرة».

(١) «بين أزمة المصطلح وسهام التدشين» - ص ١٥٤ - مرجع سابق.

(٢) أ.د/ صبري فوزي أبو حسين، مقدمة لكتاب الأديب «من ثقب الشتلات الأولى» - ص ١١.

(٣) دليل المؤتمر العربي للقصة الشاعرة في كتاب «من ثقب الشتلات الأولى» - ص ١٥ - مرجع سابق.

رابعها: المؤتمر الثاني بعنوان «القصة الشاعرة والهوية الثقافية»، وعُقد بنادي عين شمس الثقافي عام ٢٠١١م برئاسة أ.د/ شريف الجيار، وصدر عنه الطبعة الثانية لكتاب «فن القصة الشاعرة»، وكتاب «بانوراما القصة الشاعرة» للدكتور خالد البوهي.

خامسها: المؤتمر الثالث: «القصة الشاعرة والتوارد الثوري»، وعقد بمكتبة مصر العامة بالدقي عام ٢٠١٢م برئاسة د. حسام عقل، وصدر كتاب بذات العنوان.

سادسها: المؤتمر الرابع «القصة الشاعرة بين واقعية التعبير والتطور السياسي»، بمكتبة مصر العامة بالدقي ٢٠١٣م، برئاسة د. نادر عبد الخالق، وصدر كتاب

سابعها: المؤتمر الخامس «القصة الشاعرة.. النسق والحضور»، وعُقد بمكتبة المستقبل عام ٢٠١٤م برئاسة الدكتور السيد رشاد بري، وصدر عنه كتاب أبحاث

ثامنها: المؤتمر السادس بعنوان: «القصة الشاعرة وآفاق التجريب»، وعُقد باتحاد كتّاب مصر عام ٢٠١٥م، برئاسة أ.د/ جمال التلاوي، وصدر كتاب بذات العنوان من المجلس الأعلى للثقافة، وكتاب أبحاث، وطبعة مترجمة لكتاب «انفلونزا النحل».

تاسعها: المؤتمر السابع بعنوان: «القصة الشاعرة بين الاقتصاد الإبداعي والقيمة المضافة»، وعقد بقصر ثقافة الجيزة، برئاسة أ.د/ عصام البرام، وصدر عنه كتاب بذات العنوان، وأقيم على هامشه معرض رسوم وخطوط.

عاشرها: المؤتمر الثامن بعنوان: «القصة الشاعرة ومعادلة تجديد الإبداع العربي»، وعقد بمركز الحسين الثقافي بالأردن عام ٢٠١٧م، برئاسة أ.د/ حازم قشوع، وصدر عنه كتاب أبحاث، وكتاب د. ربيعة الرفاعي «القصة الشاعرة..»

حادي عشر: المؤتمر التاسع بعنوان: «القصة الشاعرة بين المسائرة والمغايرة» وعُقد بالمجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠١٨م، برئاسة أ.د/ شاكِر عبد الحميد، وصدر عنه كتاب بذات العنوان، وفيلم تسجيلي، ومعرض تشكيلي.

ثاني عشر: المؤتمر العاشر بعنوان: «بين سيكولوجية الإبداع والنص الجامع» وعقد بمكتبة المستقبل بالقاهرة عام ٢٠١٩م، برئاسة أ.د/ منير فوزي، وصدر عنه عدة أبحاث، وكتاب «من ثقب الشتلات الأولى» للأديب عن دار الزيات للنشر والتوزيع.

وإلى جانب عقد المؤتمرات التجأ الشاعر بسعي فردي وجهد شخصي إلى أدوات أكثر ذبوع

وانتشار في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة حيث المشاركة في اللقاءات الإذاعية والتلفزيونية، والكتابة للصحف والمجلات، وندوات اتحاد الكتاب، وغيرها من منافذ الإعلام. ولا يخفى إسهام تلك المؤتمرات والمنتديات في ذبوع الفن وإقراره وترسيخ واقعه وتحقيق أحلامه، لاسيما في ظل التوارد والتواتر اللذين اتسمت بهما هذه المؤتمرات حتى غدت مناسبة حولية وموعداً أدبياً يتطلع إليه رؤاد الفن ومحبه. وفي هذه المسيرة، وفي طريقه إلى تأسيس الفن وبعد أن تم له الأمر، نال الأديب «محمد الشحات محمد» العديد من الجوائز والتكريمات^(١).

وربما يجدر بنا في نهاية هذا المبحث أن نعرض نماذج من فن القصة الشاعرة لدى رائد الفن «محمد الشحات محمد» بغية أن يحاول متلقي هذا الدرس من طريق الفن والذوق تطبيق ما ذكرنا عن الشاعر وفنه الجديد على ما يقرأ من نماذج فنه؛ ليخرج من التخيل إلى التصور ومن التصور إلى التصديق ومن التصديق إلى التيقن والتحقيق:

١ - بعنوان «أثر»^(٢)؛

كان «عمّار» يصلي الظهر في مسجد عمرو،
سلم الشيخ ونادى في المصلين: استعدّوا، فاستوى طفلاً على المنبر حتى اصطفت الناس...،
مرّ الوقت، لم ينطق سليمان بغير «الحمد لله»، استقرّت طلقة في الصدر...، كان الشيخ مشغولاً
بلوحات سليمان على باب المصلى، بينما عمّار يُدلي باعترافات أمام الشاشة الحمراء،
نادته التحريّات أن استفت ضمير العُصر، وارفَع بصمة «السبع المثاني»..

- (١) درع مجلس محافظة القاهرة عام ٢٠٠٨ م.
- درع الاتحاد المغربي للمبدعين في دورته "حتى لانسى روادنا" مايو ٢٠١٥ م.
- درع الاتحاد العالمي للإبداع الفكري والأدبي "جوسيل" بالسويد في أغسطس ٢٠١٥ م.
- درع الإبداع والتفوق في الأدب والشعر والقصة الشاعرة من الأكاديمية الأمريكية للعلوم والتكنولوجيا عام ٢٠١٦ م.
- تكريم جامعة المنصورة عام ٢٠١٦ م.
- درع الهيئة العامة لقصور الثقافة المصرية عام ٢٠١٦ م.
- درع اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين ومنارة العرب للثقافة والفنون عام ٢٠١٧ م.
- درع الرابطة العالمية للإبداع والعلوم الإنسانية بالعراق ٢٠٢٠ م.
- عضوية هيئة معجم مؤسسة البابطين للإبداع.
- عضو الموسوعة الكبرى للشعراء العرب.
(٢) "من ثقب الشتلات الأولى" - ص ٢٢، وهي على تفعيلية "الرمل".

بدأت حملاً تُرقيم الحوار،
ساسة الإعلام فكّوا الشفرة الأولى، وعاد الشيخ:
يا الناس استعدوا..
حان توزيع الهدايا!

٢ - بعنوان «إيزيس المطر»^(١)؛

من قاعة الجوزاء، في الوادي الجديد، تراءت الغيمات، غلقت النوافذ ساعة، فيها تصوّر للرياح
مُراقبٌ..
زادت هشاشة ملصقات الطرح.. «دون تهيّب» شقت بوارجه الحوائط، فامتطى سُحب
التأمل ينترون الفكر، نادته البروتونات أن شرين وريد الآن؛ أصحاب السمو يباركون محبة..
قصداً تولّت هيئة الأرصاد «تحليل» النداء، لبي الحبيب: أنا لها..
إيزيس عشقا أمطرت

٣ - بعنوان «إله بلا قدمين»^(٢)؛

على طور سينين روحاً تناثرت الأمنيات، وهبت خماسين «سينا».. إله بلا قدمين هوى،
ارتفعت شعلة، صرخ الناس في «مسجد الروضة»، اشتبكت كلمات الخطيب وطلقات غدر،
كنائس دقت، معابد راحت تصلي، طوى الهيكل الصدر، احتجّ في مجلس الأمن.. عاد الصقيع
مع «المولد النبوي»، وحلوى الطفولة غابت.. تداخلت الفرق، انشقت الأرض، أعلن بدر نبوءة
قاعدة الأحمر الفوضوي..
تربعت الشمس، واتخذ المستحيل القرار.

٤ - بعنوان «تسريح»^(٣)؛

فتح الموقع في منتصف الليل، ونادى:

(١) المرجع السابق ص ٨٩، وهي على تفعيلة "الكامل".
(٢) "من ثقب الشتلات الأولى"، وهي على تفعيلة "المتقارب". ص ٣٦
(٣) وهي على تفعيلة "الرمّل"، المرجع السابق ص ٢٣،

أيها العمال مَنْ منكم يُغني ثورة الشكّ بصوت العنديل الحرّ، مَنْ يُمكنه عزفَ كمان، أو لديه النكتة الغير وشكوى من مديرٍ؟

ليس عادياً من العمال في ليلة عيدٍ كلُّ هذا الصّمتِ.. ما يشغلهم، أين ينام الحارسُ المسكين.. يا مُسعدُ هل تسمعي؟

ردّت ثريّاً: ومَتَى نَقْهَمُ أنّ الكهّباء انقطعتْ مُنذ خروج الليث في نشرة أصحاب المعالي؟.. شدّ بطّانية الغاب، استراحت

٥ - بعنوان «صفعة»^(١)؛

صفّق المجلس للمُخرج حتّى ظهّرت سيارَةُ الإسعافِ..، لَفَتْ كوكبُ الشّرق ستار المسرحِ العائم حول الدّبرياج الصّهيوي ماركتْ، أدرك الجمهورُ أنّ السائق الأعمى يُغني «فكروني»، ضجّت القاعة، فيروزُ استقالت..، زاد تصفيقُ الجوّاري.

٦ - بعنوان «لقطة»^(٢)؛

احتفل العالمُ باختراعِ تصوّيرِ المُسلسلاتِ مِنْ خَلْفِ نُجُومِ الهامِشِ المنهارِ في ثورة «سات» الأغنيات..،

دارت الأخبارُ، فانشقتْ عناوينُ «الصدى» الشقيّ حَوْل القارّة السّمراء،
تجلّت دَوْرَةُ التّبشِيرِ في أمّ القرى!

* وبعد هذا العرض لنماذج القصة الشاعرة لدى الأديب، ومن قبل لمسيرته الفنية بمدد خلفياته الثقافية يبقى الأديب يعطي فيه الأثير الجهد والوقت والإبداع والفن بعد أن منحه التجنيس والتأسيس، والظهور إلى النور، في زمن يرتفع فيه صوت فنه بينما تبهت أصوات معارضيه.

المبحث الثاني: القصة الشاعرة.. المفهوم والسطوع

تأتي أهمية تجنيس ألوان الفن وانتماؤها الاصطلاحي لتحديد آلية بناء النص وتأصيله وقيمه الجمالية وأسس نقده وتقييمه، وكذلك تأتي أهمية التعريفات والمفاهيم لتحرير المصطلحات

(١) "من ثقب الشتلات الأولى، وهي على تفعيلة الرمل. " ص ٢٧

(٢) وهي على تفعيلة "الرجز" المرجع السابق - ص ٤٢.

وتوصيفها وبيان دلالاتها الاستعمالية، وهي المهمة التي أبداً لم تكن سهلة على الأديب رائد الفن، في دعوته لفنه الجديد.

وبذات القدر تأتي صعوبة الإعلان عن الفن، والعمل على نشره، والدعوة إليه لاسيما في زمن تتكالب على ثقافة الأمة وآدابها إشكاليات العوز والتراجع في كل نواحي الحياة، لكن النصفة تقتضي القول إن رائد الفن «محمد الشحات محمد» أبلى في الأمرين بلاء حسنا واضحا للعيان.

أولاً: مفهوم القصة الشاعرة.. درس تعريفي:

أوجب حق تأسيس الفن الجديد على رائده أن يحيط عمله الإبداعي بإطار وتوصيف نظري يسهم في بلوغ دلالات فنه ويضيف لقناعة المتلقين، ولعل من أكثر المناقشات التي رصدت هذه الإشكالية لدى الأديب في مطلع التأسيس تلك التي قدمها الشاعر «يسري الخطيب» - في بحثه عن القصة الشاعرة «بين أزمة المصطلح وسهام التدشين» - وقد أوضح فيها أن «مسمى القصة الشاعرة هو الأزمة التي واجهت محمد الشحات محمد...»^(١)، والحديث وإن كان عن مسمى الفن فلا شك أنه يعني معناه لكن ثقافة الأديب التي يبدىها جلياً فنه قد أهتمته الحديث عنه والتعريف به في مفهوم واضح جامع لقي قبولاً وذبوعاً لدى المتلقين.

فالقصة الشاعرة لدى صاحبها: «هي قصٌ إيقاعيٌّ تدويريٌّ وفق نظام التفعيلية، مؤسسة على التكثيف والرمز والمرجعيات الثقافية»، فقد عالج التعريف على وجازته معنى الجمع بين السرد أسلوباً للقصة، والتدوير الموسيقي خصيصة للشعر، ثم جمع إليهما السمات الفارقة لفنه الجديد تمييزاً له عن غيره من ألوان الأدب، وهو شأن الفن الجديد. وقد ذكر الدكتور «أحمد فرحات»^(٢) هذا التعريف - للأديب المؤسس - في بحثه: «القصة الشاعرة والنص الجامع»، ثم وصف تسمية الفن «القصة الشاعرة» بالموافقة؛ «للملاءمتها لهذا الجمع بين لوني الأدب الشعر والقصة القصيرة في صورة نص معبر فاعل جرى...»^(٣)

أما الدكتورة «ربيعة الرفاعي»^(٤) فقد جاء مفهومها لفن القصة الشاعرة أكثر تركيزاً على قضية تجنيسه، فهي تراه: «مشروعاً اجتهادياً ولد من مزاجية بعض السمات المميزة في جنس الشعر التفعيلي أو المرسل، والقصة القصيرة والقصيرة جداً، واكتسب من أسلوبية ما بعد الحداثة وما بعدها

(١) ينظر: البحث في طبعة كتاب المؤتمر العاشر ص ١٥٤.

(٢) أستاذ الأدب الحديث بجامعة الفارابي بالملكة العربية السعودية.

(٣) ضمن كتاب "قضايا القصة الشاعرة والانسان المعاصر" - ص ٢٤٧.

(٤) أدبية وناقدة ومدير مسرح عمون بالأردن.

إضافة لما اكتسب من سمات الجنسين الأم ما منحه استقلالية جنسية نوعية يتفرد بها عن غيره من الأجناس القارّة^(١) وثمة مفهوم آخر للفن عند مؤسسه ذكره الأستاذ الدكتور صبري أبو حسين في تقديمه لكتاب الأديب «من ثقب الشتلات الأولى»، أنها: «قص إيقاعي تدويري مكثف لأحداث ترميزية مؤسسة على مرجعيات ثقافية وطاقات إبداعية تشكيلية ذات وحدة وجدانية لرموز متباينة في فضاءات حتمية المغايرة ترفض سلطة القوالب الموروثة...»^(٢) وفي مفهومه للفن الجديد يرى الدكتور خالد البوهي القصة الشاعرة: «إبداعاً يعتمد على الإيقاع التفعيلي بعدد غير محدد من التفعيلات ينتهي بقافية وحيدة، ولا يتضمن حشوها أي تسكين باستثناء المجزوم، تعتمد التدوير، ومتخذة القص منهجاً في القناع ومتسترّاً برمز متعدد الدلالات».

وقريب من هذا المفهوم المغاير والمركز على السمات الفارقة لفن القصة الشاعرة جاء ما ذكره الدكتور «حسين مناور» منسوباً للدكتور «بيومي الشيمي» قوله «هي صورة تعبيرية شديدة الكثافة تجمع بين الرمز والاستعارة ودرجة خاصة من الإيقاع، وحشد النص بالدلالات التأثيرية الازدواجية في متغير إبداعي نسقي يجمع بين صفة التأمل الشعري والوصف القصصي»^(٣)، فقد بدأ الناقد بسمات الفن ووجوه تفردته من تكثيف، وترميز، واستعارة، وحشد، وتوقيع، وغيرها ثم خلص إلى قضية الجمع بين الشعر والقصة. ومما جاء في ذلك أيضاً ما ذكره الدكتور «منير فوزي»^(٤) قوله: «إن القصة الشاعرة تغدو لوناً إبداعياً مستحدثاً أوجدته طبيعة العصر ومقتضياتها الجمالية، وهو إبداع يتكئ على ركيزتين، أولاهما: قولية، والثانية: كتابية، ويمثل انصهار تاماً لنوعين أدبيين هما القصة والشعر اتحاداً في بوتقة واحدة في إطار المُرْكَب الذي لا يأذن بتسييد أحد الطرفين على الآخر، كما لا يأذن بانفصالهما»^(٥)، ولتوضيح الإطار الموسيقي للفن يذكر وصفه بأنه: «يتكئ على إيقاع عروضي مدور، يمتد لشهقة أو زفرة واحدة، في تتابع سردي تصويري»^(٦) ولعلها ذات المعاني التي بثتها عن فن القصة الشاعرة الناقدة د. «نوال مصطفى إبراهيم» حين رأتها: «بناءً فنياً يقوم على إيقاع موسيقي الخليل، وعلى كثافة رمزية عالية غنية بالأبعاد الدلالية المحرصة على التأويل»^(٧). وقد بدا واضحاً أن أكثر هذه المفاهيم والطروحات التعريفية للفن الجديد اتسمت بالإجمال الذي وإن لم يكسبه الشكل التعريفي إلا أنه يسهم في توصيفه ودعمه، وجلاء سماته ومعانيه.

(١) «القصة الشاعرة بين الالتزام والتجريب» - كتاب أبحاث المؤتمر العاشر - دار النسر الأدبية ٢٠١٩ م

(٢) من مقدمة كتاب الأديب «من ثقب الشتلات الأولى» - ص ٨.

(٣) «القصة الشاعرة... المسار والابتكار» - د/ حسين مناور - ص ٨٩.

(٤) وكيل كلية دار العلوم - جامعة المنيا، ورئيس اتحاد كتاب مصر فرع المنيا.

(٥) كتاب المؤتمر العاشر - ص ١٩ - ط دار نسر الأدبية ٢٠١٩ م.

(٦) المرجع السابق.

(٧) «القصة الشاعرة وكهف أفلاطون» - كتاب المؤتمر العاشر - ص ٧٥ - مرجع سابق.

ثانياً: رشاقة السطوع الأدبي:

يبدو أن ثمة أدباء في أقطار عربية عديدة كانوا في شوق لهذا اللون من الفن ووجدوا في دعوة «محمد الشحات محمد» ضالتهم، وكأنهم كانوا يكتبونه ويتنظرون توصيفه، وقد بدا ذلك من سرعة ذبوع القصة الشاعرة وإشراقها إبداعاً في أكثر من تسعة أقطار عربية في عدة سنوات قليلة، مما يؤكد رشاقة الفن وسرعة ذبوعه وسيره في الوطن العربي فضلاً عن سطوعه في أم الدنيا على يد مؤسسه الذي كتب عشرات القصص الشاعرة وضمنها كتبه، ولعل أشهرها تلك التي جاءت في كتابه الجامع «من ثقب الشتلات الأولى»، ومن «مصر» أيضاً - وعلى سبيل المثال لا الحصر - كتب عاطف الجندي «مقاومة»، ومصطفى عمار «دلال الموت»، وأحمد السرساوي «في الزحام». ومن «الأردن» كتبت د. ربيحة الرفاعي «معراج»، وليانا الرفاعي «حُضن الزمان»، ومحمد ختانة «الرقطاء»، ومن «فلسطين» كتبت خلود محمد جمعة «انعتاق» ومن «سوريا» كتب محمد طكو «أنا أمه»، ومن «العراق» كتب خالد صبر سالم «هيت لي»، ومن البحرين كتبت د. أحلام الحسن «بيان». وقد بدا واضحاً ما تسهمه الطفرة الإعلامية وشبكات التواصل الاجتماعي في الإعلان عن الفن ونشره وذبوعه، والحشد لمؤتمراته وندواته، ولا تحفى دلالة هذا السطوع الأدبي لفن القصة الشاعرة في الأقطار العربية على حجيته وسلامته لكتابه ومؤيديه ومحبيه.

ثالثاً: فيض التداعي النقدي:

لم يكد يضع الأدباء كتاب القصة الشاعرة أقلامهم حتى تداعى لتناهم سيل من النقد لاسيما الداعم للفن وكتابه، وكان من الطبيعي أن تترامى تلك الحركة النقدية بين الأقطار العربية ملائمة لما كان من حركة الإبداع، مقالات للإعلان والتنظير والدعم والتأييد، ودراسات بحثية بين الحثيثة والمتعمقة^(١) دعماً وتعريفاً بالفن الجديد.

ومن ذلك التداعي: «القصة الشاعرة والتوازن الإنساني» للأستاذ الدكتور عصام شرف^(٢)، «أما قبل» للأستاذ الدكتور منير فوزي، «شعرية القصة الشاعرة» للأستاذ الدكتور بسام قطوس^(٣)، «القصة الشاعرة.. مقارنة تأويلية» للأستاذ الدكتور علاوة كوسة^(٤)، «الإيقاع السمعي والبصري

(١) لعل أكثر هذه الدراسات تفصيلاً: رسالة دكتوراة بعنوان «تراسل الأجناس الأدبية والحضور العربي الفاعل.. القصة الشاعرة نموذجاً» للباحثة الأردنية د/ ربيحة الرفاعي، ورسالة الماجستير بعنوان: «البنية الفنية في القصة الشاعرة» للباحث مصطفى عمار. ينظر: «القصة الشاعرة.. المسار والابتكار» - د/ حسين مناور.

(٢) رئيس وزراء مصر الأسبق.

(٣) أستاذ النقد الحديث بجامعة اليرموك بالأردن.

(٤) أستاذ بجامعة ميله بالجزائر.

في القصة الشاعرة» للأستاذ الدكتور صبري فوزي أبو حسين، «القصة الشاعرة والنص الجامع» للأستاذ الدكتور أحمد فرحات، «القصة الشاعرة وسيكولوجية الإبداع» للأستاذ الدكتور محمد حسن غانم^(١)، «القصة الشاعرة بين الالتزام والتجريب» للدكتورة ربيعة الرفاعي، «القصة الشاعرة والحراك الثقافي الخلاق» للدكتور أحمد صلاح كامل^(٢)، «قراءة في سيكولوجية القصة الشاعرة» للدكتورة وفاء محمد سيد^(٣)، «الأصداء الدلالية للأمكنة في القصة الشاعرة»، وكتاب «القصة الشاعرة.. المسار والابتكار» للدكتور حسين مناور^(٤)، «النقد واستحداث النص» للدكتور رمضان الحضري^(٥)، «أدب القصة الشاعرة بين الإيقاع وقضايا الإنسان» للدكتور محمد يوسف^(٦)، «القصة الشاعرة وكهف أفلاطون» للدكتورة نوال إبراهيم^(٧)، «سيمائية الخطاب العنوان في القصة الشاعرة» للباحثة شاشة الزوّاي^(٨)، وكذلك ما كتبه يسري الخطيب بعنوان: «بين أزمة المصطلح وسهام التدشين»، وعمرو الزيات^(٩): «القصة الشاعرة بين النظرية والتطبيق»، وشرقاوي حافظ^(١٠): «القصة الشاعرة وترجمة الإيقاع والحالة النفسية»، ورضا قنديل^(١١): «حادثة القصة الشاعرة»، وسكينة جوهر^(١٢): «القصة الشاعرة بين الإلهام والتجريب»، وغير ذلك العديد من المقالات والدراسات التي قامت حول الفن الجديد، وذلك فضلاً عن العديد من المقالات والدراسات التي كتبها رائد الفن محمد الشحات محمد، ومنها ماجاء بعنوان «القصة الشاعرة والضمير النقدي»، و«القصة الشاعرة بين المصطلح والواقع». ولا أدل على الثراء النقدي حول فن القصة الشاعرة من انتظارها الآن عقد مؤتمرها وموسمها السنوي في وقت قريب بمشاركة نقدية - مقالات ودراسات وأوراق بحثية - لأكثر من عشرين عالم وناقد وأديب آخرين قدّموا أعمالهم دعماً وتأييداً. وربما تأتي من أكثر الرؤى الناقدة للفن ومؤسسه دعماً وتأييداً وتذوقاً وأدباً ما جاء لدى الأستاذ الدكتور صبري أبو حسين في دراسته «الإيقاع السمعي والبصري في القصة

(١) أستاذ علم النفس بكلية الآداب جامعة حلوان.

(٢) شاعر وناقد وكاتب مسرحي مصري.

(٣) مدرس بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة حلوان.

(٤) مدرس اللغة العربية بجامعة الملك فيصل السعودية.

(٥) ناقد أدبي مصري.

(٦) قاص وناقد أدبي مصري.

(٧) ناقدة أدبية أردنية.

(٨) باحثة في كلية الآداب واللغات جامعة غراوية بالجزائر.

(٩) ناقد أدبي مصري ينتمي لمدرسة الجن.

(١٠) شاعر ومترجم مصري.

(١١) قاصة وباحثة مصرية درست ماجستير في الأدب العربي.

(١٢) شاعرة وباحثة مصرية.

الشاعرة»، قوله: «وصدق قاصُّنا الشاعر حين قال في قصيدته «أهلاً بالقصة الشاعرة»^(١):

وما الإبداع إلا من بصيرٍ فكم زأغت عوالمنا ارتباكاً

أرانا قصةً بالحبِّ تحيا تصلي الآن شاعرةً بذاك

إذا فنُّ كتابي جديد فأهلاً بالذي حلَّ اشتباكاً

ومن ثم قدَّر الله تعالى له أن يكون هذا البصير الذي ينتقل بالإبداع الأدبي نقلة جديدة، فيبتكر فن القصة الشاعرة^(٢) وكذلك ما جاء لدى الشاعر يسري الخطيب في دراسته عن الفن وصاحبه بعنوان «أزمة المصطلح وسهام التدشين»، قوله: «لقد بدأت الرحلة بإعلان «محمد الشحات محمد» عن القصة الشاعرة في عام ٢٠٠٦م، وكان كتابه «الموج الساخن.. قصص شاعرة جنس أدبي جديد» هو القفزة الكبرى»^(٣)

رابعاً: عرض نماذج للقصة الشاعرة: ^(٤)

نموذج (١) (مصر) محمد الشحات محمد رائد القصة الشاعرة - بعنوان «أشرقت»

«فتحت طفولتها على عين توارىها براويز الأشعة في جنوب اليتيم..،

ذات محبة راحت تراود نفسها عن نفسها.. تنساب في المرأة، تبدو سدرَةً حيناً، وحيناً تشتهي جسد التمني عارياً.. دقت محطات الأنوثة في السياسة..، أشرقت».

نموذج (٢) (الأردن) د. ربيحة الرفاعي - بعنوان «معراج»

«تقدم رغم سدود الظلام فسدوا المنافذ، قاوم، شق سبيلاً إلى زهرة المجد، ضجوا، استشاطوا، أثاروا الزوابع، ظنوا بأن يستقيل المقاتل، لكنه اشتد، ما رده ما تحيك العناكب، فاندك سد الركود المعربد، وامتد من جانب الطور للأفق معراج نور، وغنت نشيد العبور الدوالي».

نموذج (٣) (المغرب) نادية بو غرارة - بعنوان «تأمل»

«ظل حيا في ظلام المس يقتات بقايا ذكريات.. كان في ماضيه طوداً، يصنع الأحلام أجساداً ويحييها، وكان الصوت يخشاه ويعدو.. هاهو الآن هباء ليس يجدى.. أذن الفجر، تجلّى»

(١) ديوان "الصمت من وحي الرنين" - محمد الشحات محمد - ص ٥ - دار النسر الأدبية ٢٠١٩م.

(٢) ينظر: "البحث في طبعة كتاب المؤتمر العاشر ص ٦١.

(٣) ضمن دراسات كتاب المؤتمر العاشر - ص ٦٣ - ط دار الزيات للنشر والتوزيع ٢٠١٩م.

(٤) نماذج تمثل سطوع القصة الشاعرة في العديد من الأقطار العربية، من كتاب المؤتمر العاشر

نموذج (٤) (الأردن) محمد ختاتنة - بعنوان «الرقطاء»

كالحيّة الرقطاء.. مدّت نحو باب القلب سلّم جوعها؛ لتنال من عذق الكروم سلال خير، نبعها
الريان معطاء، يجود ولا يعق... وفي انتشاء سكرة.. ظنّت بأنّ السلّة الملائى ستكفيها..، فأسقطت
القناع، تمرّدت بسجية الأفعى... وكرم الخير!
أغلقت بابه.. فبكى الوفا!!

نموذج (٥) (فلسطين) خلود محمد جمعة - بعنوان «انعتاق»

تراقص ظلّه في العتم.. متّشحا رياح الشوق؛ تصفع وجنة الأحلام تحملها..،
الى أعتاب خبيتها بشارعه، ومقعدهم، وطعم القهوة، الألوان والأشياء تحضنه وتحضنها...،
تردّ الدمع في قلب يغالط في الهوى حدساً...،
ويغفو مرة أخرى قبيل الفجر...، محتضراً يللم صورة بالوهم تشعل عظم مقعدهم..
ليكوى في الجوى فتقاً.. تجلّت تركل الذكرى

نموذج (٦) (مصر) أ.د/ صبري أبو حسين - بعنوان «صبحاً»^(١)

عُمّر مصريّ يمشي في الشارع، يرمقه كلبٌ إرهابي، يرفع.. من نسل الذئب، وجهداً يذهب
للمقلب، يطلب...، يبحث عن صيد، ختم سليمان،
لتفجأه أنثى كبرى وشباب هرموا...، أكلت منه الكوبرا، فتمطى والتقيّا: تنبح...، تصرخ،
يسقط...، تنهش.. يجري، يخفض...، مسرعة ترفع إشعاراً، يصمت.

المبحث الثالث: القصة الشاعرة... سمات التفرد ومظاهر التجديد

كاتب القصة الشاعرة في بثّه الفن يجمع بين القوة والهمس، والهدوء واللهث، يسيطر
عليه الانفعال بقضايا الأمة، وجلال الوطنية، قد تأخذك إشارات نصه إلى سبحات إخناتون،
وفتوحات عمرو، وغزوات صلاح الدين، ويوم العاشر من رمضان، والانتصارات، وأصوات
التكبير والصلوات، ولكن في الوقت نفسه قد تأخذك ذات الإشارات إلى عز المسلمين الضائع في
الأندلس وكل خير فات، وإلى هموم الأمة وآلامها والانكسارات، إنها المبالغة في الرمز والإحالات
ربما إلى حد التشفير والإغلاق.

(١) من صفحته على شبكة التواصل الاجتماعي (face book)، نشرت بتاريخ ٢٣/ ٩/ ٢٠٢٠ م.

القاص الشاعر صاحب خلفيات ثقافية موسوعية مترامية، فينانة، رِيَّانة، ومثمرة بزااد العلم والأدب وأسباب الإجادة والفن، من أصالة اللغة وسلامة اللسان، وخصوصية الألفاظ، وتوليد معان كثيرة وكثيفة في سطور قليلة وموجزة، فكأنها رحابة العقل حين يتسع لحصاد كبير من الوعي والمعرفة. هذا عن كاتب الفن، أما فنه «القصة الشاعرة» فقد رَصَدَتْ الحركة النقدية له عدة سمات حين تتلاقى في النص تميزه وتمنحه التفرد لا سيما حين يقصدها صاحب النص ويعمد إليها، وقد أثرت أن أذكر أهمها في درس تطبيقي على نماذج قصصية شاعرة ومتنوعة.

أولاً: قصد المزاوجة بين الشعر والقص:

وهي أن يعمد الأديب إلى الجمع بين الشعر والقصة، لتحقيق معنيهما في نصه بحيث يشهد متلقوه بصعوبة استئثار أي منهما بالنص، وذلك «من أول النص حتى نهايته، فكل ما في النص مقصود ذكره، ومعني تربيته، ومقصود كتابته بطريقة معينة، وذلك لآداء وظيفة درامية، ووظيفة إيقاعية، ووظيفة ثقافية مضمرة، ومبطنة»^(١) ولا يتأتى ذلك إلا بتوفر الوزن وسلامته على التفعيلات الخليلية، من جهة الشعر، وتوفر عناصر السرد وتقنياته من جهة القصة، وهي معادلة وإن بدت صعبة إلا أن رائد الفن «محمد الشحات محمد» ورفاقه استطاعوها ببراعة في فهم الجديد؛ تتوافر عناصر القص السردية بتقنياته (الزمان والمكان والشخصيات والحدث والحبكة)، فضلاً عن الأدوات والأساليب الفنية، كما أن موسيقا الشعر الفاعلة في القص الشاعر لا تغادر عنصري الزمان والمكان؛ فالجمل الشعرية التدويرية لا ينفك عنها السرد القصصي، والقص السردية لا تنفك عنه لغة الشعر وموسيقاه، وهي المعادلة الفنية للقص الشاعر، أما موسيقى النص، فتتمثل في «التدويرين» العروضي والقصصي، وما يتسم به النص من تضمين، يقوي بنائته وتتابع ألفاظه وعباراته الشعرية، فضلاً عن موسيقى اللغة الشاعرة، وما تحمله ألفاظ النص من نغمات، وموسيقى تناسب القص المتبطن النص من أوله إلى آخره. وفي الحديث عن «القصصية» سمة لتفرد فن القصة الشاعرة، هل قصد رائده «محمد الشحات محمد» المفهوم الحالي للقصة الشاعرة عند كاتبها لأول مرة؟ لعل رائد الفن قصد ابتكار فن مختلف، بعد أن كتب في مختلف الفنون، وأجاد فيها. ولعله حين كتب القصة الشاعرة لأول مرة لم يكن يعمد إلى كتابة لون أدبي جديد، أو يتغيا فناً بعينه، فقد يكون كتب لوناً من الفن أملت على ذهنه ملكته السردية، ودفعت موسيقاه شاعريته دون تأطير أو تنظير، وحين عزَّ عليه تصنيف ما كتب اكتشف أنه أمام فن جديد، وبات من حقه أن يمنحه القصد، ويبحث في طياته عن سماته الفارقة وميزاته، ليتأكد له هذا الكشف ويتم له أمر

(١) مقدمة أ.د/ صبري فوزي أبو حسين لكتاب الأديب "من ثقب الشتلات الأولى" - ص ٩ - سابق.

هذا الفن الأدبي الوليد «القصة الشاعرة»، ومن ثم يعلن استقلاله وتفرده النوعي، وخصوصيته الذاتية. ولا يتعارض ذلك مع كون الأدب لا يأتي فجأة أو محض مصادفة، لأننا نتحدث عن زمن ما قبل إعلان محمد الشحات محمد تنظير الفن، وأطره وسماته، وهو الزمن الذي حدا بنا إلى «الآن» الزاهر والباهي بلون من الأدب جديد وضرب من الفن موفق وسعيد.

ثانيًا: الشكل الموسيقي؛

يسلم لرائد فن القصة الشاعرة هذا الشكل الموسيقي الخاص لفنه الجديد، حيث تلك الهندسة النغمية والتوزيعات الفريدة التي تميز ألحانه بحيث لا تشبه كثيرًا غيرها، وعليه يمكن كتابة القصة الشاعرة في شكل جمل متتالية (شكل القصة القصيرة)، وأسفل بعضها (شكل قصيدة التفعيلة)، وأي شكل، ولن يؤثر ذلك على القصة الشاعرة، للتدويرين الشعري والقصصي، ولأنها لا تعنى بهامية السطر، وهو مما يميز القصة الشاعرة، فضلًا عن توظيف علامات الترقيم والفضاءات البصرية، «ويعتمد الإيقاع في القصص الشاعرة على عدة عناصر أخرى منها: اختيار التفعيلات، وتوحيدها، أو المزج بين عدة تفعيلات مختلفة بناءً على دلالتها، والتزامها بالفونيات الإيقاعية...» حيث تعامل التفعيلة معاملة المفردة الشاعرة لإنتاج دلالات معنوية أو مادية، وخصوصًا أن بعض كلمات اللغة تستبطن حمولة اجتماعية، وبدخولها تشكيل القصص الشاعرة تنفجر دلالات أخرى معتمدة على التشكيل الصوتي وتكثيف الجمل واختيار المفردات المتقاربة والمتباعدة وتكرارها مع استخدام علامات الترقيم، المواقع النحوية، العلامات الإعرابية، وعدد النقط، فضلًا عن الألوان ودلالاتها ونمط الكتابة والتحكم في حجم الخط ونوعيته والخلفيات سواء كانت فراغًا أو رسومًا وموسيقى وغيرها»^(١)

ولا يخفى أنَّ التفعيل هو سمة الشعر الحر أقرب أشكال الموسيقى إلى القصة الشاعرة، «ومن ثم هي موزونة مقفاة بطريقة تختلف عن الوزن في الشعر البيتي أو المقطعي، ومقفاة لأنها تعتمد غاية القافية المتحررة، والمربطة بسابقتها ولاحقاتها ارتباط تآلف وانسجام دون اشتراك ملزم في حرف الروي، وبذلك أصبحت القافية هي النهاية التي تنتهي عندها الدفقة الموسيقية الجزئية التي تتراح إليها النفس في ذلك الموضع»^(٢) أما التدوير فهو الملمح الموسيقي الأبرز في انتفاء استقلال

(١) "الموج الساخن.. قصص شاعرة جنس أدبي جديد" - محمد الشحات محمد - ص ١٢ - دار النسر الأدبية - عام ٢٠٠٧

(٢) "الإيقاع السمعي والبصري في القصة الشاعرة - أ.د/ صبري فوزي أبو حسين - ضمن كتاب المؤتمر العاشر -

ص ٧٥ - مرجع سابق، وينظر: "موسيقى الشعر العربي" - د/ حسني عبد الجليل - ١ / ٢٣٥ - ط الهيئة المصرية

للكتاب ١٩٨٩م.

السطر الشعري، ويقصد به في القصة الشاعرة أن يحوي سطرها «الجملة الموسيقية» كلمة لا تقبل القسمة موسيقياً على سطرين يتم بها السطر، لكنها تشترك في النغم مع السطر الذي يليه، وعلى ذلك تأتي السطور الشعرية، وقد تم كل منها بكلمة يكون جزء منها هو بداية السطر الذي يليه، وهذا هو المعنى الإجمالي للتدوير والذي ينسحب من حيث المعنى على ميزة أخرى للقصة الشاعرة هي التضمين.

والتدوير هو الإطار النغمي الأعلى في صنيع الاشتراك الموسيقي بين السطور الشعرية، وأحد ملامح التجديد والخروج على قالب الموسيقى السائد في الشعر القديم وإن وجد شيئاً منه في بعض صوره، لكنه مُلزم في القصة الشاعرة، وربما يأتي هذا التنظير أكثر وضوحاً حين نرصده تطبيقاً على القصة الشاعرة «انتفاضة» للقاصة الشاعرة د. ريحة الرفاعي، تقول: «تواري.. أطلق الجندي من خلف المتاريس الرصاص الحيّ سيلاً من جحيم الموت.. في فوضى جموح الرازحين وراء أحلام حَبَّتْ بَيْنَ المتاهة والسياح...، استولد الليل القضية من رفوف المجلس الأعلى لإغلاق الحدود...، انهار صوت يمامة لم تستجب للنازحين من الإباء، وتمت مذبوحة: قبري صليب العابرين...، فأورقت سلمى».

جاءت القصة الشاعرة من حيث التفعيل على وزن متفاعلن «٥ / ٥ / / / ٥» بما يدخلها من زحاف طبيعي عارض يذهب ويحيى، وذلك بطريق التكرار من أولها حتى آخرها، وقد بدا من التنسق النغمي أنه وزن تفعيلية تتلاءم مع ما يوحيه الاتجاه الرمزي للقصة الشاعرة من معاني القوة والنزوع الثوري حيث فوضى جموح الرازحين، وأحلام المتاهة، والرصاص الحي، وما يفضي إليه من جحيم الموت، ذلك أن موسيقياً «متفاعلن» تلائم الجمع النغمي بين معاني القوة والفخامة ومعاني الرقة والهدوء، الذي يمثلها - في «انتفاضة» د. ريحة الرفاعي - صوت اليمامة وإبراق سلمى، وهي تفعيلية لوزنها «صلصلة الأجراس، ونوع من الأبهة تمنعه أن يكون نزقاً أو خفيفاً وإن خلق للتغني المحض»^(١). وكذلك بدا «التدوير» جلياً في القصة الشاعرة في تتابع ودوران متفاعلن والتعالق النغمي لكل جملة بجزء نغمي من التي قبلها، فينطق موسيقياً: أَطْلَقَ - جُنْدِيٌّ مِنْ - خَلْفِ الْمَتَا - رِيسِ الرُّصَا - صَلْحِي سَي - لَنْ مِنْ جَحِي - مِلْمَوْتِ فِي. وهكذا منطوق النغم وتعالق الجمل والسطور إلى آخر النص المترن موسيقياً بسبب التفعيل المتناسك نغمياً بطريق التدوير والتضمين.

(١) «المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها» - د/ عبدالله الطيب - ص ٣٠٢ - ط المطبعة الحكومية في الكويت - الثالثة ١٩٨٩م، وبغير نصه في «دراسات في النص الشعري» - د/ عبده بدوي - ص ٦٥ - ط دار الرفاعي بالرياض عام ١٩٨٤م.

ثالثاً: قصد الترميز والإحالة:

الرمز والإيحاء تعبير عالمي، ومعنى عام في الفن ليس مقصوراً على الأدب فقد يأتي بالرسم أو الإشارة أو الموسيقى أو غيرها من ألوان الفن، لكنه في الأدب أكثر ذيوغاً وفاعلية، حين يعتمد إليه الأديب ويلتمس الإطار الفني المرن الذي يمكنه استيعاب تجربته بطريق غير مباشر.

كما أن الرمز أداة فنية قديمة أصيلة فيها من معاني الإيحاء والإحالة، وكل معاني الإشارة إلى موضوع آخر غير ما يأتي واضحاً في النص، وربما أكثر ما تبدو لدى الشاعر ابن الفارض وأقرانه في الشعر الصوفي، ومن لديهم تواترت الأعمال الأدبية، حتى بدت مدرسة لها فننها وتنظيرها وإطارها الفني في العصر الحديث حتى أن بعض شعراء السطر الشعري الحر يرون الرمز مقصداً فنياً واتجاهاً أدبياً يعد في ذاته هدفاً قد يسيطر على النص ويصل به إلى حد الغموض. والحق جاء الترميز بهذا المعنى مسيطراً مقصوداً إليه في «القصة الشاعرة» موضوع درسنا، حتى أن صاحبها يستطيع أن يأخذك إلى عوالم متعددة وربما مختلفة تعبيراً عن النص الواحد، وقد بدا الرمز أداة واضحة في «القصة الشاعرة»، إلى حد جعله وجهاً للتفرد وظاهرة فنية. ومن الرمز في القصة الشاعرة ما جاء في النص التأويلي المملئ بالإيحاءات، بعنوان: «خوف» للدكتور خالد البوهي^(١).

«ما زالت تلك الحية تقبع وسط البيت... تبث سموها قاتلة... قالت: - دع عنك كتابة شعرك، واصمت... لكنني لم أنطق خوفاً، هدمت ركن البيت المشروخ، وألقت بالحجر الأسود من شرفتنا المفتوحة دوماً... لكنني -كالعادة - لم أنطق خوفاً... رقصت في ليلة زار صارخة... ذبحت طفلاً من أطفال كي تخرج روحي الشريرة مني... لم أنطق، ذبحت طفلي الثاني... رقصت، صرخت، خرجت روحي».

فالقصة الشاعرة مليئة بالإشارات الرمزية حتى لكأنها اتخذت من الرمز هدفاً، والحية التي تقبع وسط البيت وتبث السموم القاتلة لعلها هي الشوكة في ظهر العرب الكيان الإسرائيلي المحتل الغاصب، وسمومها القاتلة هي ما تحاوله من إحداث الفتنة والفرقة في الصف العربي، أما كتابة الأشعار فلعلها ترمز في النص إلى بيانات الشجب والاستنكار التي اعتادها العرب ولم يسعهم فعل غيرها، وربما يؤكد هذا المعنى ترميزاً آخر في النص بقولها «لكنني كالعادة لم أنطق خوفاً» إشارة إلى ذات الرد العربي الخانع تجاه الممارسات الإسرائيلية. ولا نبالغ حين نقول أن قصد الترميز في النص جاء هدفاً، ففي كل جملة إشارة رمزية تجعل من النص مادة للتأويل، فجملة «هدمت ركن البيت»

(١) ضمن كتاب المؤتمر العاشر - ص ٣٠ - ط دار النسر الأدبية ٢٠١٩ م.

يُرمز بها إلى خطة الكيان المحتل الغادر التي تهدف إلى هدم المسجد الأقصى وتعبث بالمقدسات، أما الشرفة المفتوحة دوماً فربما كانت ترمز للمناطق العربية المستباحة دائماً بحيث لا يستطيع أبنائها إحكام سيطرة عليها، أما ذبح الطفل الأول، فالثاني، فلعلها طريقة الاستيلاء على الأرض «قطعة قطعة» ديدن اليهود في الوصول إلى أغراضهم الظالمة. ورغم المبالغة في القصد الرمزي في القصة الشاعرة إلا أنها جاءت واضحة الإحالات والإشارات التي تدل عليها، في دلالة على أن القصد الرمزي ليس بالضرورة يأتي قصداً للتعتيم والإبهام، فقد يُقصد الرمز في القصة الشاعرة لذاته، ولإسهامه الفني في بلوغ دلالات النص، ودعم صور الجمال. وهذه السمات وإن كانت الأملع في النص، وفي الدرس النقدي، والأهم في تمييز فن القصة الشاعرة، فيبقى العديد من السمات العامة للفن، ومميزاته مما يحتاج إلى الرصد والدرس والتسجيل من سمت قصصي وامض، وكثافة الجمل وقصدها وتتابعها، وحشد المعاني والمفارقة، والإدهاش، وروح الجدة، وثقافية النص، ووحدية الموضوع، وقصد الإيجاز، وكسر السياق أثناء السرد، ومفاجأة الختام، والشكل الكتابي، وبث المحسنات الكتابية وأثرها، وغير ذلك من سمات وظواهر أسلوبية، مما يعد مادة ثرية تغري بالدرس النقدي، وتؤكد من وجه آخر سطوع فن القصة الشاعرة، وجدارته بالدرس والتحليل.

خاتمة

ها قد انتهت هذه الدراسة في فن «القصة الشاعرة» الذي لم يكن بمقدورنا منذ سنوات قليلة الحديث عنه باعتباره فناً مستقلاً أو جنساً أدبياً له خصوصيته الذاتية، وليس الأمر كذلك الآن، فقد غدا الحديث عن القصة الشاعرة في غير إطارها الأدبي جنساً جديداً ولونا مغايراً يعد طلباً للجدل وفضلاً من القول، بعدما أصبحت فناً واقعاً له ميزاته وأوجه تفرد، وسطوعه الأدبي في العديد من الأقطار العربية بفضل رائده وحامل لواء نشره وسطوعه الأديب المصري «محمد الشحات محمد».

وفي هذا الإطار تأتي هذه الدراسة التي لم يتبق منها سوى ما تمخضت عنه من نتائج تنطوي على بعض التوصيات، أهمها:

- تؤكد هذه الدراسة أنه ليس للفن قواعد ثابتة يلتزمها الأديب ويتخذها قبلة في تعاطيه الفن، وإنما هي ملكة تختلف باختلاف ذكائه ومرجعياته الثقافية، وقدرته على مزج التجارب التي يمر بها ليتجفّن، وما يمتلك من أدوات هذا الفن والتعبير

- باتت واضحة جلية حتمية تناغم الفن مع تطور الحياة ومتغيراتها وإيقاع العصر وتوجهات قلوب وعقول المتلقين.

- بعد أن تم أمر التجنيس للفن الجديد تأطيراً وتنظيراً وظهوراً إلى النور بات على كُتّابه تقديم الدليل على فنيته دعماً وترسيخاً وإبرازاً لصوره الجمالية، وجذباً للمتلقي
- يبقى قصد المزاجية بين الشعر والقصة السردية، وقصد الترميز والإحالة، والشكل الموسيقي تفعيلاً وتدويراً، هي السمات الفارقة والأكثر بروزاً في الدلالة على القصة الشاعرة بحسب الدرس النقدي لاسيما حين يقصدها صاحب النص ويعمد إليها، وذلك فضلاً عن سمات عامة أخرى كالتضمن والتكثيف وحشد المعاني تسهم في الدلالة على الفن الجديد وتمنحه التميز والتفريد.
- توصي الدراسة الأدباء كُتّاب الفن بعدم المبالغة في قصد الترميز والاحالات التي قد تصل في فن «القصة الشاعرة» إلى حد الإبهام والتعتيم، فالإبداع مبني على الفهم، ووضوح المعنى مقدم على الاستنباط والتأويل، وحق الأدب والفن أن يصل أكبر قاعدة من المتلقين.
- توصي الدراسة نقاد الفن باعتماد منهج ينزع إلى العرض والتوثيق والتحليل ترويحاً للفن الجديد وإسهاماً في تأكيد فنيته وخصوصيته، وتوجيه الوعي الفني لدى كُتّابه ومتلقيه.

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم.

أولاً: كتب مطبوعة:

- ١- «الإيقاع السمعي والبصري في القصة الشاعرة.. قراءة أولى في إبداع المؤسس» - أ.د/ صبري فوزي أبو حسين - ط كتاب المؤتمر العاشر للقصة الشاعرة ٢٠١٩م.
- ٢- «بين أزمة المصطلح وسهام التدشين» - يسري الخطيب - كتاب المؤتمر العاشر ٢٠١٩م.
- ٣- «دراسات في النص الشعري» - د/ عبده بدوي - ط دار الرفاعي بالرياض عام ١٩٨٤م.
- ٤- ديوان «الصمت من وحي الرنين» - محمد الشحات محمد - ط دار النسر الأدبية ٢٠١٩م.
- ٥- «رحلة الشرق والغرب» - د/ نعمات أحمد فؤاد - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.
- ٦- «القصة الشاعرة بين الالتزام والتجريب»، د. ربيعة الرفاعي، كتاب المؤتمر العاشر ٢٠١٩م.

- ٧- «القصة الشاعرة بين سيكولوجية الإبداع والنص الجامع» - كتاب المؤتمر العاشر - سابق
- ٨- «القصة الشاعرة.. المسار والابتكار»، د. حسين مناور، دار الزيات للنشر والتوزيع ٢٠١٩م.
- ٩- «من ثقب الشتلات الأولى» - محمد الشحات محمد - دار الزيات للنشر والتوزيع ٢٠١٩م.
- ١٠ - المرشد إلى فهم أشعار العرب.. - د. عبدالله الطيب - المطبعة الحكومية، الكويت ١٩٨٩
- ١١ - «موسيقى الشعر العربي» - د. حسني عبدالجليل - الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٩م.

ثانيًا: مواقع شبكة المعلومات الدولية « الانترنت »:

al - omah.com -

http: www.hindawi.org -



شخصية المرأة المستلبة في القصة الشاعرة..

مقاربة سيميائية

إعداد / شاشة الزواي

أديبة وباحثة - الجزائر

ملخص:

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على واقع المرأة المستلبة في نموذج من منجز القصص الشاعرة التي أبدعها مبتكرها محمد الشحات محمد؛ حيث أبرز من خلال قصته الموسومة بـ «من ثقب الشتلات الأولى» حجم الاضطهاد الذي يطوق المرأة ويصادر حرّيتها في ظلّ استبداد الآخر وتسلّطه.

مقدمة:

لم تغفل القصة الشاعرة قضايا المرأة ومعاناتها في المجتمع العربي؛ فلقد تناولتها في صور رمزية مشفرة؛ كي تغوص بالمتلقي في أعماق النسيج النصي وتقوده إلى إدراك الواقع الذي تعيشه المرأة العربية بصورته الحقيقية دون تلميع أو تزييف، كما رصدت النظرة الدونية التي أنقصت من قيمتها الوجودية والوجدانية على حدّ سواء، وهي بذلك قد أخذت على عاتقها استرداد حقوقها المسلوبة وإنصافها إكراماً لها ولإنسانيتها. ولو أمعنا النظر في صورة المرأة العربية تاريخياً؛ لألفينا تغييرات جذرية ملموسة قد غيرت المنحى العامّ لوضعها؛ فقبل الإسلام كانت مهضومة الحقّ مسلوبة الإرادة وبمجيئه استردّت عافيتها ونالت مكانتها المؤسّسة على منظومة حياتية يرتكز قوامها على احترام الأنثى وتفعيل دورها الريادي في مختلف المجالات، ومع ذلك لا تزال هناك تجاوزات مقيّنة تحاول انتهاك حقوقها وسلب حرّيتها إيداناً بالعودة إلى برائين الجاهلية الأولى.

وقبل أن نلج إلى ثنايا بحثنا ونغوص فيه؛ لابد من ضبط اصطلاحيّ للمفاهيم النظرية المتعلقة

بالدراسة:

١. مدخل مفاهيمي :

أولاً : ماهية القصة الشاعرة :

لا يزال النقاش محتدمًا في الساحة النقدية العربية حول تحديد هوية القصة الشاعرة Alkesa Alsh'era أجناسيًا، ولقد تباينت الرؤى بين النقاد العرب وتردّدت حول قبول هذا الجنس الأدبي الجديد ضمن الفنون الأدبية العربية المتعارف عليها، وأظهر كل واحد منهم مذهبه في المسألة رفضًا أو قبولاً، ويبدو أنّ مبدأ التشكيك في الجديد وتقديس الموروثات عُرفٌ قد دأب عليه المزاج العربي منذ القديم، ولعلنا نضرب مثلاً على هذا الجمود والتبعية إصرار الكفار على اعتناق نهج أجدادهم وهذا في قوله تعالى:

«بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ» (سورة الزخرف: ٢٢).

إنّ التعتن والتمسك بأذيال الماضي قد يعرقل مسار أي فن جديد؛ لكنّه ليس بقادرٍ على إلغائه؛ لأنّ العوامل الزمنية هي التي ستحسم قضيتّه وستمنحه شهادة ميلاده أو شهادة وفاته، إذ إنّ المسألة مرتبهة - أساساً - باستجابة ذائقة المتلقي للمعطيات الجمالية لهذا الفن.

ولأنّ معمار القصة الشاعرة وسماتها تتداخل مع فنون أدبية أخرى؛ فقد أماط «اللاثم» عن ماهيتها أ.د. صبري فوزي أبو حسين بقوله: «إنّ القصة الشاعرة (Alkesa Alsh'era) هي ذلكم الفن الذي يعد تجديداً أدبياً مصرياً خالصاً من أية تأثيرات خارجية: غربية أو شرقية، ويُقصد به عند مؤسسه المصري - المبدع محمد الشحات محمد - أنه «قص إيقاعي تدويري وفق نظام التفعيلة، مؤسّسة على التكثيف والرمز والمرجعيات الثقافية» أو أنها «قص إيقاعي تدويري مكثف لأحداث ترميزية مؤسّسة على المرجعيات الثقافية وطاقات إبداعية تشكيلية ذات وحدة وجدانية لرموز متباينة في فضاءات حتمية المغايرة، تفرض سلطة القوالب الموروثة»^١ أما د. ربيحة الرفاعي فقد حدّدت الخصائص النوعية في المحددات التجنيسية بين القصة الشاعرة وغيرها بقولها هو:

«مشروعٌ اجتهاديٌّ ولد من مزاجية بعض السمات المميزة في جنسي الشعر التفعيليّ أو المرسل، والقصة القصيرة والقصيرة جداً، واكتسب من أسلوبية ما بعد الحداثة وما بعدها إضافة لما اكتسب من سمات الجنس الأم ما منحه استقلاليةً جنسيةً نوعيةً يتفرد بها عن غيره من الأجناس القارّة...»^٢.

(١) محمد الشحات محمد: من ثقب الشتلات الأولى، دار الزيات للنشر والتوزيع، مصر، (ط، ١)، ٢٠١٩، ص ٧.

(٢) ربيحة الرفاعي: "القصة الشاعرة ومواكبة التطور الأدبي، مجلة أقلام عربية، ع ١١، سبتمبر ٢٠١٧، ص ٢٢

والحق إنَّ مسألة الخوض في تحديد هوية القصَّة الشاعرة قد صار أمرًا مفروغًا منه اليوم بعد أن مرَّ عقد من الزمان على نشأتها، لاسيما بعد شروع بعض الهيئات البحثية في تناول منجز القصص الشاعرة بالنقد والتحليل وهذا سيسهم - بلا أدنى شك - في اكتساب شرعيَّتها الفنيَّة في الحقل الأدبي.

ثانيًا: مفهوم الشخصية:

تنبَّأ الشخصية في القصص الشاعرة مكانةً هامَّة على غرار عناصرها الفنيَّة الأخرى؛ فهي تحتلُّ موقعًا مهمًّا في العمل الأدبيّ لإسهامها في شحن المواقف وتأجيحها عبر توليفات فنيَّة تضمّر المعاني قي ثنايا النسيج النصيِّ.

يقول (فلاديمير بروب) في مقاربتة لمفهوم الشخصية: «إنَّ ماهو مهمُّ في دراسة الحكاية هو التساؤل عمَّا تقوم به الشخصيات، أمَّا من فعل هذا الشيء أو ذاك وكيف فعله؛ أسئلة لا يمكن طرحها إلا باعتبارها توابع لاغير^١، وحصر عدد الوظائف في إحدى وثلاثين وظيفة، ووزعها على الشخصيات، وأطلق عليها اسم: «دوائر فعل الشخصية» وهي:

دائرة عمل المانح، دائرة عمل المساعد، دائرة عمل المبحوث عنه، دائرة عمل المرسل، دائرة عمل البطل، دائرة عمل البطل المزيّف. أما (غرياس) فقد أشاد بعمل (بروب)، لكنّه عمل على تعديله مع وضع بعض الإضافات؛ حيث اختزل وظائف الشخصيات مستبدلاً إياها بالعوامل؛ وهي تأتلف في ثلاث علاقات: علاقة رغبة، علاقة تبعية تواصلية، علاقة صراع، تحكمها برامج سردية توجّه الاتصال والانفصال ويتأسس النموذج العملي على أفعال الشخصيات وفق نسق اثتلافي:

الفاعل الموضوع (محور الرغبة)

المساعد المعارض (محور القدرة)

المرسل المرسل إليه (محور الاتصال)

ويمثل غرياس لشبكة العلاقات بين العوامل بالشكل التالي:

(١) حميد حميداني: بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (ط١)، ١٩٩١، ص ٢٤.

ثالثاً: مفهوم الاستلاب:

ورد الاستلاب في معجم لسان العرب مشتقاً من سلب: سلبه الشيء يسلبه سلباً، واستلبه إياه، والاستلاب: الاختلاس. والسلب، ما يسلب، والجمع أسلاب. وكل شيء على الإنسان من اللباس فهو سَلْبٌ، والفعل سَلَبْتُهُ أَسْلَبْتُهُ سَلْباً إِذَا أَخَذْتَ سَلْبَهُ، وفي الحديث: مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا؛ فَلَهُ سَلْبُهُ. ورجلٌ سَلِيبٌ: مُسْتَلَبُ العقل، والجمع سَلْبَى. وناقاة سَالِبٌ وسَلُوبٌ: مات وكَلَدَها، أو أَلَقَتْهُ لغير تمام؛ وكذلك المرأة^١.

بينما المعنى الاصطلاحي فهو يشير إلى حالة الفرد الذي يكون - نتيجة لظروف خارجة عن إرادته، اقتصادية أو دينية أو سياسية - قد انقطع عن الانتماء إلى نفسه أو عن الشعور بأنه المتصرف في نفسه، فيعامل معاملة الشيء، بل يصبح عبداً للأشياء؛ بل عبداً لنفس إنجازات الإنسانية من الاختراعات الآلية والنظم الاجتماعية والأوضاع السياسية التي تثور ضده وتقلب عليه^٢. ويتلخص مفهوم الشخصية المستتلة في تلك الشخصية الخاضعة لإكراهات الآخر واستبداده والمجبرة على التنازل عن هويتها الفردية وحقوقها الشخصية.

٢- التحليل:

تُعتبر المرأة ركيزة أساسية في بناء المجتمعات قديماً وحديثاً؛ فهي تنقسم الرجل أعباء الحياة وتضطلع بدورٍ فعّال في تماسك المجتمع وانسجامه، والحديث عن تقاطعات قضايا المرأة في القصة الشاعرة يحيلنا رأساً إلى إبراز مرتكزاتٍ شمولية ضمن محاور مفصلية تبرز ملامح المرأة في ظل الواقع المعيش، ومن المؤكد أن الإحاطة بجميع مظهرات المرأة في مدونة بحثنا سيستلزم دراسة مطولة ووافية لا يمكن أن تتسع قضاياها المتشعبة في هذا الحيز البحثي؛ ولذلك فلقد اقتصرنا على جانبٍ واحدٍ متعلقٍ بمسألة الاستلاب وهو المحور الذي تتأسس عليه إشكالية الدراسة، وعليه؛ فإننا نطرح السؤال التالي:

كيف تجلّت شخصية المرأة المستتلة في القصة الشاعرة:

«من ثقب الشتلات الأولى»؟

يعتبر العنوان البداية الفعلية لتشريح النصّ والتنبؤ بمحتواه، إذ غالباً ما يتعمد الكتاب صياغة

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة (سلب)، مج (١)، دار صادر، بيروت، (د، ط)، (د، س)، ص ٤٧١، ٤٧٢.

(٢) مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، (ط، ٢)، ١٩٨٤، ص ٣١.

عناوين ملغزة لأعمالهم الإبداعية؛ كي يربكوا المتلقي ويشوشوا عليه فيصعب عليه القبض على دلالة النصّ بسهولة، ولا غرابة في ذلك إذا علمنا بأنّ العنوان الجيّد هو الذي يتأسّس على مبدأ الإثارة والتشويق.

ولأنّ العنوان يتضافر مع متنه في الإشارة إلى مضمونه؛ فلقد اختار الكاتب بدقّة وعناية عنوان قصته والتي تحمل اسم مجموعته، فهو عنوان يخترن حمولات دلالية كثيرة ويختزل مغزى المجموعة وهدفه؛ إذ ثمة عبارة محذوفة في العنوان قد تعمّد الكاتب إخفاءها؛ كي يخاتل المتلقي ويرواغه ويمنحه مساحة من الحرية لملء هذا الفراغ المقصود بما يتواءم مع تنبؤاته؛ إذ من الممكن تمثيل هذا الحذف بالعبارة الآتية:

(.....) من ثقب الشتلات الأولى

(هذا واقع رصدته) من ثقب الشتلات الأولى.

لقد وضع الكاتب يده على جراح المجتمع النازفة؛ كي يخفّف عنها البؤس والألم واستطاع أن يجسّد معاناته في مجموعته ولاسيما ما تعلّق بالمرأة؛ فلقد كان حضورها لافتاً في معظم النصوص؛ حيث صوّرها على فطرتها الإنسانية في نماذج متنوعة منها: « قصة السقف القديم » وجسّد ملامح الأمّ الحنونة من خلال حبّها العميق الذي تبذله بلا مقابل أو منّة؛ حيث قال:

«تعانقُ أمّي شقيقي من البردِ والأمنيات»^١؛

فهذا المقتطف يبرز حجم العاطفة الكبيرة التي تمنحها للأبناء من خلال عناق دافئ يحمل في طياته مشاعر الحب العميق والدعم المعنوي الكبير، وهذا ما تؤكّده قصّة شاعرة أخرى يشير مقتطف منها إلى أهمية وجود الأم في حياة أي فرد لاسيما في الأوقات العصيبة؛ حيث تظهر القصة الشاعرة: «وترنو للمزامير الأفاعي» انتكاسة «ثريا» واضطراب حياتها لفقدان حنان أمها الذي حوّل حياتها بؤساً ومرارة؛ إذ يقول الكاتب:

«هكذا عاشت ثريا بين شكّ أبويّ وحنانٍ غاب عنها بغياب الأم»^٢.

ومن جانبٍ آخر استطاعت قصص شاعرة أخرى أن تبرز نماذج لنساء متمردات على سلطة العادات والأعراف مشيرة إلى المنحى السلبي الذي اخترنه نمط حياة، ولعلّ أبرز مثال على هذا الانفلات قول الكاتب في افتتاحية القصة الشاعرة «السقوط نحو الأعلى»:

(١) محمد الشحات محمد: من ثقب الشتلات الأولى، دار الزيات للنشر والتوزيع، مصر، (ط، ١)، ٢٠١٩، ص ٧٣ - ٧٤.

(٢) (م، ن): ص ٦٣.

«ظَهَرَتْ مِنْ خَلْفِ الْأَسْوَارِ تُعْرَبُدُ فِي الْمَحْمُولِ»^١.

لقد تبيّن من خلال هذه العبارة مشهد الانفلات الأخلاقي وانكسار حدود الأدب والقيم، وأبرزت دلالة الفعل (تعربد) صورة مقيتة عن نموذج نسائيّ عابث لا يقيم وزناً إلاّ لنزواته وشهواته، ومما لا شكّ فيه أنّ تمرّد هذا النموذج النسائيّ وجرأته على القيم والأعراف كان نتيجة اضطرابٍ عامٍّ في المنظومة الحياتيّة وردّ فعلٍ لواقعٍ مأزومٍ قد تشكّل من تعقيدات الحياة وإشكالاتها.

أمّا نموذج المرأة المستلبة - موضوع دراستنا - فلا تزال عيّنات منه تعاني التهميش والإقصاء والحصار ولمّا تجد بعد مخلصاً يرفع عنها الظلم والبؤس ويبثّ في جوانحها السلام والأمان، وثمة نماذج متنوّعة في مدونة بحثنا تظهر براعة الكاتب في تصوير هذه التجاوزات الممارّسة ضدّ المرأة.

لقد استطاعت القصة الشاعرة «من ثقب الشتلات الأولى» أن تميّط اللثام عن جملة من القضايا الراهنة في المجتمع العربي؛ وأظهر نسيجها النصّي المكثّف سلسلة من الرموز التي تحيل إلى هذه الإشكالات ومن أبرزها استبداد السلطة الذكورية على المرأة؛ حيث كافأها بحياة بائسة ولم تراع ضعفها وحاجتها إلى الدعم والحبّ.

لقد اتخذ الكاتب الشتلة رمزاً للأثني في حادثة سنّها؛ لأنّها بحاجة إلى بيئةٍ صحيّةٍ وعنايةٍ كبيرة كي تستقرّ جذورها وتكبر، إلّا أنّ تسلّط المتجبرين على المرأة قد سمح لهم باستغلالها دون شرطٍ أو قيد وفي قصّتنا ما يشير إلى استلاب حقوقها واغتصاب طفولتها عنوة؛ حيث يقول الكاتب: «كانت ليلي مُدرّجةً في قائمة الأطفال، ولكن باتّ عليها أن ترضع أحفاد أبيها»؛ لقد تبيّن من خلال هذه العبارة أنّ «ليلى» طفلة قد جرّدها محيطها الأسري البائس من طفولتها السعيدة وأفحمها في وسط أكبر منها لتتولى مسؤولية تفوق مستواها العمري، فأضحت كائناً مشوّهاً من الداخل لا تعرف هويتها الفعلية أهي الأم الطفلة.. أم الطفلة الأم؟

ثمّ إنّ اختيار الكاتب اسم ليلي في نص المدونة لم يكن اعتباطاً؛ بل كان له دور كبير في الترميز للمرأة بشكلٍ عامٍّ؛ ولعلّ الكاتب قد أثر توظيف هذا الاسم في نصّه؛ كي يلمّح إلى قصة ليلي العامرية التي كانت ضحية زواج قسري تقدّيساً للأعراف والتقاليد، فلقد أوحى هذا التناص للمتلقي بالأختلاف بين معاناة ليلي في الزمن الماضي ومعاناة ليلي في الزمن الحاضر؛ فكلّاهما مسلوبتان من هويتهما وتقرير مصيرهما.

(١) (م، ن): ص ٧٣ - ٧٤.

ومن جانبٍ آخر فإننا نجد الكاتب قد فضح في نصه ممارسات السلطة الذكورية واستغلالها المرأة من خلال شخصية «الجد» التي أجازت له مكانته الاجتماعية ضمن السلم الهرمي العائلي فعل ما يحلو له؛ فبالرغم من وجاهته وكبر سنّه إلا أن ذلك لم يقف حائلاً دون الركون إلى ملذاته وشهواته ومثال ذلك في النصّ قول الكاتب: «عاد الجدُّ يُفكر في زيجاتٍ عابرةٍ للجنسيات»؛ إذ يفترض من الجدّ أن يكون مثلاً للنضج والاتزان بعد أن مرس الحياة وعرفها تمام المعرفة، إلا أنه قد عزم على تجديد مغامراته العابثة دون قيود.

ومن هنا فإننا سنلاحظ الخلل الحاصل في منظومة المجتمع والتناقض الصارخ الممثل في هذين المؤشرين:

الجدّ: رمز الذكورة المتسلطة - ليلي: رمز الأنوثة المستلبة

كبر العمر = حرية كاملة - صغر العمر = حرية مستلبة

ومما لا شك فيه بأن هذه المعاناة ليست وليدة اللحظة؛ بل هو جرحٌ قديمٌ لا تزال دائرة أوجاعه تحيط بمعظم النساء؛ فلقد كانت كلٌ واحدةٍ منهن في الماضي شتلة صغيرة مثل «ليلي» تحتاج إلى من يتعهدها بالرعاية، لكنها هُمشت واستغلت بأساليب ملتوية دون مراعاة حقوقها الفردية واحترام وجودها الإنساني؛ فهي شتلة قد تم اجتثاثها من أرضها عنوةً لتعيش في بيئةٍ أخرى حياة الموت؛ ذلك أن ثقب الشتلة لم يتم ردمه وهذا يعني أن سقيها والعناية بها بات أمرًا مستحيلًا؛ وهذا ما يقودها - حتمًا - إلى الانكسار والموت.

ولأن الليل وقتٌ مناسبٌ للتحسّر واستذكار الآلام؛ فإن المظلومات من النساء قد اتخذنه ملاذًا لبتّ أوجاعهنّ والدعاء على كلّ من صادر حرياتهنّ وسلب حقوقهنّ؛ حيث يقول الكاتب: «منتصف الليل وأدعيةٌ في ديوان النسوة، معروضاتٌ في ثقبٍ لم يُردم منذ القرن الماضي»،

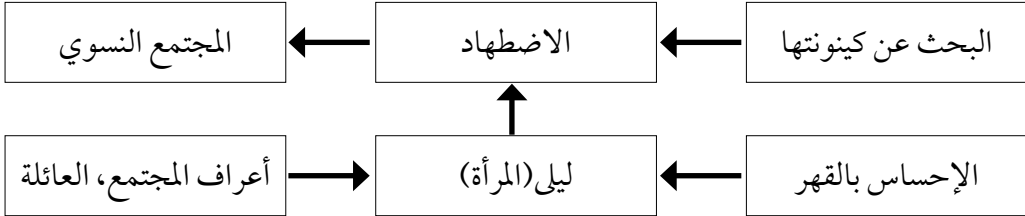
«راحت تلعن مُغتصبَ الشّتلاتِ الأولى»

وإذا ما أردنا أن نمثّل صورة المرأة في مدوّنة بحثنا حسب النموذج الغرياسي؛ فإنّه سيكون على النحو الآتي:

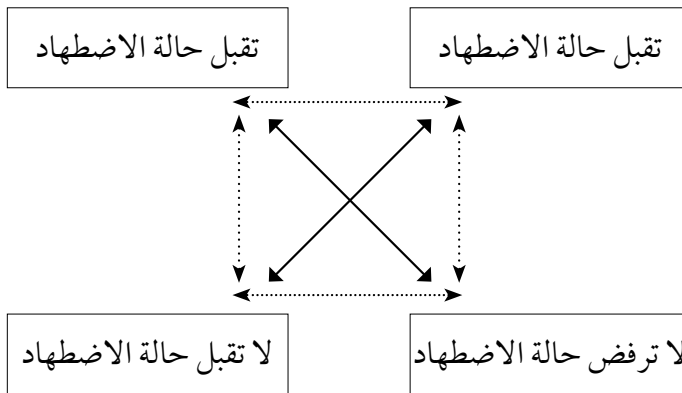
١ - ثنائية المرسل والمرسل إليه: البحث عن الوجود هو ما دفع ليلي لرفض حالة الاضطهاد.

٢ - ثنائية الذات والموضوع: تتمثل في رغبة ليلي في الانفصال عن موضوع القيمة.

٣ - ثنائية المساند والمعارض: يساند (إحساس) ليل في رفض حالتها، وتعرقلها سلطة العائلة وعادات المجتمع.



يمثل الموضوع المبحوث في المدونة رفض ليلي حالة الاضطهاد التي حوّلت حياتها إلى بؤسٍ بسبب تشويه طفولتها وتحميلها أعباء حياتية لا تناسب عمرها؛ وعليه فإنّ القصة الشاعرة هنا تتأسّس على ثيمتين متضادتين وهما: (الرفض، القبول) والمربع السيميائي التالي يوضّح حركتهما:



خاتمة:

لقد استطاعت قصّتنا الشاعرة «من ثقب الشتلات الأولى» أن تبرهن للمتلقي قدرتها التوصيفية لمعاناة المرأة في المجتمع العربي، وحايث آلامها وأوجاعها مُدنية كلّ إكراهاته دفاعاً عن ثوابت الحقّ وإرساءً لقيم العدالة الإنسانية.

وعليه فقد بات من الضروريّ الالتفاف حول جنس القصة الشاعرة واحتواء مشروعها الإبداعي؛ لأنّه بحقّ فضاء رمزيّ مكثّف يحاور الوجود الإنسانيّ ويناهض جميع ألوان الاستبداد.

المراجع:

- ١ - ابن منظور: لسان العرب، مادة (سلب)، مج (١)، دار صادر، بيروت، (د، ط)، (د، س).
- ٢ - حميد حميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (ط١)، ١٩٩١.
- ٣ - مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط ٢ ١٩٨٤
- ٤ - محمد الشحات محمد: من ثقب الشتلات الأولى، دار الزيات للنشر، مصر، (ط، ١)، ٢٠١٩.
- ٥ - ربيحة الرفاعي: «القصة الشاعرة ومواكبة التطور الأدبي»، مجلة أفلام عربية- ع ١١، سبتمبر ٢٠١٧.

دليل المؤتمر العربي للقصة الشاعرة

م	عنوان المؤتمر	المقر والتاريخ	رئيس المؤتمر	الإصدارات
المهرجان التأسيسي الأول	قصص شاعرة.. جنس أدبي جديد.	٢٠٠٨ دار النسر الأدبية		كتاب "الموج الساخن"
المهرجان التأسيسي الثاني	القصة الشاعرة.. لا حجر على فكر	٢٠٠٩ مكتبة المستقبل		الموج الساخن ط ٢
المؤتمر الأول	القصة الشاعرة.. التأصيل والتقنيات	٢٠١٠ نادي عين شمس الثقافي	الأديب / محمد الشحات محمد	كتاب "فن القصة الشاعرة"
المؤتمر الثاني	القصة الشاعرة.. والهوية الثقافية	٢٠١١ نادي عين شمس الثقافي	١. د شريف الجيار	"بانوراما القصة الشاعرة" + "فن القصة الشاعرة" ط ٢
المؤتمر الثالث	القصة الشاعرة (٢٥ يناير) والتوارد الثوري	٢٠١٢ مكتبة مصر العامة - الدقي	أ. د حسام عقل	"القصة الشاعرة (٢٥ يناير) والتوارد الثوري"

المؤتمر الرابع	القصة الشاعرة بين واقعية التعبير والتطور السياسي	٢٠١٣ مكتبة مصر العامة - الدقي	١. د نادر عبد الخالق	"القصة الشاعرة بين واقعية التعبير والتطور السياسي"
المؤتمر الخامس	القصة الشاعرة.. النسق والحضور	٢٠١٤ مكتبة المستقبل - مصر الجديدة	١. د السيد رشاد برى	"القصة الشاعرة .. النسق والحضور"
المؤتمر السادس	القصة الشاعرة وآفاق التجريب	٢٠١٥ اتحاد كتاب مصر	١. د جمال التلاوي	"القصة الشاعرة وآفاق التجريب" + "أنفلونزا النحل مترجم + مختارات المجلس الأعلى للثقافة + بين الإلهام والتجريب"
المؤتمر السابع	القصة الشاعرة.. بين الاقتصاد الإبداعي والقيمة المضافة	٢٠١٦ قصر ثقافة الجيزة - الجيزة	١. د عصام البرام	"القصة الشاعرة بين الاقتصاد الإبداعي والقيمة المضافة" + معرض رسوم وخطوط
المؤتمر الثامن	القصة الشاعرة ومعادلة تجديد الإبداع العربي	٢٠١٧ مركز الحسين الثقافي - الأردن	١. د حازم قشوع	"القصة الشاعرة ومعادلة تجديد الإبداع العربي" + "القصة الشاعرة.. جنس أدبي عربي المنشأ"
المؤتمر التاسع	القصة الشاعرة المسيرة والمغايرة في مواجهة الإرهاب	٢٠١٨ المجلس الأعلى للثقافة	١. د شاكر عبدالحمد	"القصة الشاعرة بين المسيرة والمغايرة في مواجهة الإرهاب" + معرض تصميم تشكيلي + فيلم
المؤتمر العاشر	القصة الشاعرة.. بين سيكولوجية الإبداع والنص الجامع	٢٠١٩ مكتبة المستقبل - القاهرة	أ. د منير فوزي	"القصة الشاعرة .. بين سيكولوجية الإبداع والنص الجامع" + "من ثقب الشتلات الأولى"
المؤتمر الحادي عشر	قضايا القصة الشاعرة والإنسان المعاصر	٢٠٢٠ ملتقى السرد العربي (أرض الواقع - أون لاين)	١. د أيمن تعليب	" قضايا القصة الشاعرة والإنسان المعاصر" + موقع دار النسر الأدبية + موقع القصة الشاعرة

دور مؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات البحثية والحكومية في صناعة السياحة بولاية البحر الأحمر

إعداد/ د. جعفر محمد مصطفى أبوزيد

جامعة الزعيم الأزهري كلية السياحة والفنادق

المستخلص:

تهدف الدراسة إلى محاولة التعرف والكشف عن الكيفيات والآليات التي تساهم بها السياحة في التنمية المحلية بولاية البحر الأحمر، وإستثمار موارد السياحة الجاذبة وتطوير وتنمية البرامج والأنشطة والفعاليات السياحية، ورفع مستوى الخدمات السياحية والفندقية بالولاية ، ويتعدى ذلك التقييم في المستوى المحلى إلى المستوى الوطني وتوفير فرص العمل وتمويل ميزانيات المجتمعات المحلية وموازنة الولاية وتدفق النقد الأجنبي وتنشيط الحراك السياحي بالولاية ، وتحريك منظمات المجتمع المدني لتفعيل الخطط و البرامج السياحية .

وتعد المنظمات المدنية من الوسائل الأساس في ترقية الثقافة السياحية ورفع مستوى الوعي السياحي للمجتمع المحلي بالولاية ، والمساهمة في الترويج للمناشط السياحية والفعاليات المرتبطة بالمهرجانات السياحية السنوية ودعم إطالة الموسمية السياحية ، بالإضافة إلى قبول فكرة النشاط السياحي لدى مرثيات المجتمع المحلي وتدعيم الإستثمار في الصناعات الحرفية والتراثية وإبراز الموروث الحضاري لمجتمع الشرق قاطبة والبحر الأحمر على وجه الخصوص .

Abstract:

The study aims to try to identify and uncover the ways and mechanisms that tourism contributes to the local development in the Red Sea State, investing attractive tourism resources, improving and

developing programs, activities and tourism events, and raising the level of Tourism and Hotel services in the state, and that goes beyond the evaluation at the local level to the national level and providing job opportunities Funding the budgets of local communities, the state budget, the flow of foreign exchange, activating the tourism movement in the state, and mobilizing civil society organizations to activate tourism plans and programs.

Civil organizations are considered one of the basic means in promoting tourism culture and raising the level of tourism awareness of the local community in the state, and contribute to the promotion of tourism activities and events related to the annual tourist festivals and support for the lengthening of the tourist season, in addition to accepting the idea of tourism activity with the views of the local community and supporting investment in the craft and heritage industries and highlighting The cultural heritage of the entire East community and the Red Sea in particular.

المقدمة :

أصبحت السياحة Tourism من أكبر الصناعات في العالم حيث لم تعد ذات أهمية لتأثيرها الاجتماعي والإقتصادي والثقافي فحسب بل لكونها صناعة متسارعة النمو وقليلة الكلفة بالمقارنة مع القطاعات الإقتصادية الأخرى حيث أنها مصدر توليد الثروات وجذب العملات الأجنبية وزيادة الدخل الفردي والقومي وتشارك في تشجيع الصناعات التقليدية والتراثية وتساهم في تنشيط قطاع الخدمات ، إضافة إلى تعرض الصناعة السياحية إلى الإستمتاع بالفضاء السياحي والتعرف على الثقافات والمعارف الجديدة وكسر روتين الحياة وتغيير أسلوب الحياة Stile Life، ومن جهة أخرى تلعب السياحة دوراً بارزاً في بناء التوافق الإجتماعي والثقافي للمجتمعات المحلية.

ومن هنا تنامي الإهتمام بالسياحة من قبل الباحثين والمتخصصين في المجال العلمي باعتبارها أحد أهم المتطلبات الأساس للتنمية المستدامة Sustainable Development ووسيلة فعالة للمساهمة في دفع عجلة النمو الإقتصادي وترقية المجتمع بصفة عامة لذلك تعتبر السياحة صناعة وعلم، ونشاط، ولذلك تختص بدراسة السوق السياحي بجانيه الطلب والعرض وتوجهات وإتجاهات الطلب السياحي وتهتم بدراسة الظواهر الإقتصادية المترتبة على الأنشطة السياحية وآثارها وتطبيقاتها علي السياحة في السودان مع تحليل المقومات والتحديات وسياسات التنمية بولاية البحر الأحمر.

لايمكن لقطاع السياحة أن يكون قاطرة لتنمية في البلاد النامية والسودان علي وجه الإختصاص إلا بالإهتمام بالقطاعات السلعية الأخرى والبنى التحتية وأصبحت السياحة أحد الموارد المهمة بالنسبة لبعض البلدان كماليزيا وقبرص والمالديف وكذلك الدول العظمى كأمريكا وفرنسا والصين وبريطانيا وإحترام المنافسة في الأسواق السياحية العالمية.

تعتبر السياحة من النشاطات الإقتصادية المهمة حيث تعدد نسبة الإسهام المباشر ٧,٤٪ من الناتج المحلي الإجمالي ٦٪ من التشغيل و ٢١٪ من الصادرات لخدمة وتجاوز عدد السياح في العالم ١,٥ مليار سائح عام ٢٠١٤م ومن المتوقع أن تصل ٢ مليار عام ٢٠٣٠م وأدت الأزمة الإقتصادية العالمية إلى الضغط المتزايد علي الموازنات العامة الداعمة للتنمية السياحية مثل التسويق والبنى التحتية وحماية البيئة، وتوفر الضرائب السياحية مصدراً تمويلياً للدول لدعم الإستثمار العام غير أنه يساعد في منح التخفيضات الضريبية في تحفيز النمو السياحي، وأصبحت السياسات السياحية والخطط والبرامج أكثر إرتباطاً بظروف الدول وبالرؤى بعيدة المدى كما صارت ذات طبيعة أكثر دايناميكية تمنح القدرة علي التأقلم لمواجهة تقلص الموازنات والتحولت في الأسواق السياحية والتغيرات الديموغرافية.

إشكالية البحث:

تمثل إشكالية الدراسة في ماهية طبيعة مساهمة المجتمع المدني في عملية التنمية السياحية المحلية و تحديد طبيعة المجتمع المدني والتنمية المحلية، وماهي العوائق التي تعترض مساهمة المجتمع المحلي في ولاية البحر الأحمر في عملية التنمية والتخطيط السياحي.

صعوبات البحث :

١. النقص الكبير في المصادر والمراجع التي توضح العلاقة بين السياحة والتنمية المحلية بالسودان النادرة في المكتبة السودانية .
٢. ضعف توثيق المعلومات والبيانات المتخصصة في القطاع السياحي .
٣. صعوبة تحديد المؤسسات ودورها في التنمية السياحية بالولاية .
٤. ضعف تطبيقات العلائق بين السياحة والتنمية المحلية في السودان ، ويعد هذا البحث التجربة الأحدث في ضبط العلائق بين السياحة والمجتمع .

أهداف الدراسة :

يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على أهمية المجتمع المدني في عملية التنمية السياحية المحلية من مختلف جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية ، وتحديد طبيعة المجتمع المدني وعملية التنمية السياحية وتحديد معوقات وإيجاد الحلول المناسبة لها ووضع تصور لكيفية تصميم البرامج والمشروعات السياحية بالولاية والسودان قاطبة .

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية البحث في الكشف عن دور المجتمع المدني في تدعيم العملية التنموية في السياحة، وتحديد مسئولية وعلاقته بالرقى والتوعية والتثقيف والتقدم المجتمع بولاية البحر الأحمر.

منهجية الدراسة :

تقتضى الدراسة الإستعانة بالعديد من المناهج العلمية كالمنهج الإقليمي والوصفي والتحليلي لشدة إرتباطه بدراسة المشكلات المتعلقة بالمجالات السياحية ودراسة حالة الولاية ومجتمعها المتفرد وتجربتها السياحية في فعاليتها وبناء خططها المستقبلية وتقييم التجربة المحلية في صناعة السياحة.

فرضيات الدراسة :

١. للسياحية دور فعال وإيجابي في التنمية المحلية بولاية البحر الأحمر .
٢. هنالك دور فعال للإستثمار السياحي في تنمية الولاية
٣. العلاقة بين التنمية السياحية والتنمية المحلية في الولاية التي تتوفر فيها مقومات الحذب السياحي.

حدود الدراسة : الحدود المكانية دراسة حالة ولاية البحر الأحمر الحدود الزمانية نوفمبر

٢٠١٨م.

السياحة نظرة تاريخية: Tourism Historical

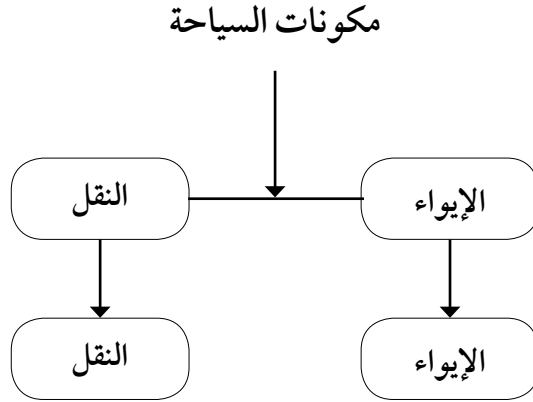
أصبح للسياحة أهمية قصوى خاصة في المجالات العلمية والدراسة التطبيقية وتفرعت منها عدة علوم ، كالإقتصاد وعلم النفس والاجتماع والجغرافية والآثار والإحصاء وغيرها كما تداخلت علوم أخرى ، وإنصب الإهتمام علي فكرة تنمية القطاع السياحي بإعتبارها قطاعاً ثالثاً في التنمية القومية وعندئذ أضحت الحاجة إلى الربط بين التنمية والسياحة نسبة لدورها في تنمية المواقع والأقاليم السياحية ولهذا تطور الفكر في السياحة حيث أصبح لها أصولها ومناهجها^(١).

لهذا أهتمت العديد من الدول لهذا العلم وتطوره وفق أسس علمية سليمة وتعتمد مادة الإقتصاد السياحي علي عدة علوم أخرى لإمكانية إختيار الموقع السياحي المناسب لتنفيذ المشروعات.

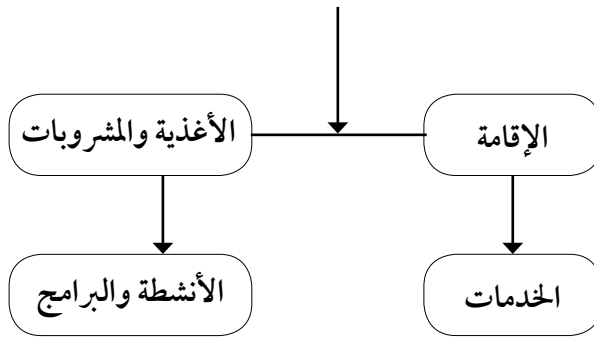
أما السياحة فهي ظاهرة إنسانية تطورت في النصف الثاني من القرن العشرين كعلم ولكن كمشاط عرفت منذ الأزل لأنها مرتبطة بحركة الإنسان من موقع لآخر ، والسياحة أدت إلى تحسين الأوضاع السياحية والاجتماعية والإقتصادية والثقافية للبلدان فقد عملت علي إعادة توازن في عمليات التخطيط الإقليمي للمناطق الجغرافية التي تفتقر إلى الموارد الإقتصادية ، لهذا تعمل علي تقليل الفوارق وزيادة الدخل القومي والفردى وتوفير فرص العمل وتحسين العلاقات بين الشعوب والإطلاع علي المعالم الحضارية والعادات والتقاليد المختلفة .

(١) محمود كامل، السياحة الحديثة علماً وتطبيقاً، مطبوعة الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٢.

شكل (١) مكونات السياحة والفنادق



مكونات الفنادق والضيافة



المصدر : جعفر محمد مصطفى أبوزيد ، مبادئ صناعة السياحة ، دار الفيوم للطباعة والنشر ، الفيوم ، مصر ، ٢٠٠٨م ، بتصرف الباحث ، ٢٠٢٠م .

ولهذا أوصي مؤتمر التجارة والتنمية الدولية الذي عقد في جنيف سنة ١٩٦٤ م بضرورة الإهتمام بالسياحة لما تحققة من عوائد مهمة في مقدمتها معالجة العجز في موازين المدفوعات وزيادة إمكانية الحصول علي العملات الصعبة ، لذلك وجدت السياحة مكاناً متزايداً خاصة في الدول المتقدمة لذا إزداد الطلب السياحي على المناطق الجغرافية ذات المغريات السياحية وتجمع الإحصاءات الدولية على تزايد الحركة السياحية ففي عام ١٩٥٠م حوالي ٢٥ مليون سائح وفي عام ١٩٦٠م حوالي ٦٩ مليون سائح ثم عام ١٩٧٠م إلى ١٦٦ مليون سائح وفي عام ١٩٨٠م

٢٨٧ مليون سائح وفي عام ١٩٩٠ بلغ ١٥٩ مليون سائح وعام ٢٠٠٠ حوالي ٦٥٠ مليون سائح وبتزايد الحركة السياحية تزايد العائدات السياحية وزيادة الدخل العالمية التي وصلت عام ٢٠٠٠ م ٤٥٠ مليار دولار سنوياً^(١).

وتتطلب الدراسة من ناحية إقتصادية الإجابة على الأسئلة التالية :-

- ١- أين توجد الموارد السياحية ؟
 - ٢- لماذا قامت الموارد في مكان دون آخر ؟
 - ٣- مدى تقديم البنى التحتية ؟
 - ٤- أين يمكن أن تقوم الظاهرة ؟
 - ٥- كيف يتم توزيع الأسواق السياحية ؟
- وهناك عدة معايير لقياس ظاهرة السياحة:^(٢)

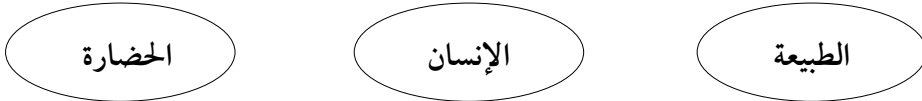
- ١- عدد السياح
- ٢- عدد الليالي السياحية
- ٣- العائدات السياحية
- ٤- متوسط إقامة السائح
- ٥- متوسط الإنفاق
- ٦- نسبة السياح من بلد لآخر
- ٧- نسبة الإيرادات في الدخل القومي
- ٨- نسبة الليالي السياحية
- ٩- موسمية الحركة السياحية
- ١٠- أنواع السياحة
- ١١- التغير في الأعداد والإيرادات
- ١٢- جنسيات السياح
- ١٣- نسبة الإهتمام السياحي في الدولة
- ١٤- إنفاق الدولة علي السياحة
- ١٥- نسبة الدخل إلى الإنفاق (والعكس)

(١) جعفر محمد مصطفى أبوزيد ، مبادئ صناعة السياحة ، مصدر سابق، ص ١٩

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠

وتختلف الموارد السياحية من حيث أصلها وطبيعتها إلى موارد طبيعية وموارد بشرية فالموارد الطبيعية تسبق ظهور الإنسان وهي المكونات الطبيعية للمكان وأصبحت موارد بإستغلال الإنسان لها ويعتمد تطوير الموارد في الطبيعة علي ثلاثة عناصر:

شكل (٢) عناصر تطوير الموارد



المصدر : من عمل الباحث، ٢٠٢٠م.

وهي تختلف من إقليم لآخر وهي تؤدي إلى تحقيق الرفاهية البشرية ويؤدي تفاعل العناصر الثلاثة إلى خلق الموارد لأن الدافع هو تحقيق الإشباع من الحاجات الأساسية الإنسانية والسياحة مثل أي نشاط آخر لا توجد بالصدفة في المكان وهناك موارد ترتبط بالإنسان وحضارته وتاريخه كالموقع والسطح والتضاريس وغيرها.

الموارد الجغرافية السياحية: Resources of Tourism Geography

تنقسم الموارد الجغرافية للسياحة لقسمين طبيعي وبشري^١:

أ - الموارد الطبيعية: Physical R

تمثل عناصر البيئة مورداً للإستغلال الإقتصادي لقيمتها السياحية ومن أهمها:- الموقع - المساحة - الحدود - السطح - التضاريس - التركيب الجيولوجي - المناخ - الغطاء النباتي - الحياة البرية - المصادر المائية وغيرها.

ب - الموارد البشرية: Human R

تشتمل الموارد البشرية التي تستثمر للأغراض السياحية علي الأنشطة الاقتصادية -زراعة - رعي - تجارة - صناعة وغيرها) والسكان (الإحصاء - التركيب - الفئات وغيرها) والبنية

(١) محمد مرسى الحريري، جغرافية السياحة دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٣١

التحتية (كالنقل - المواصلات - الطرق - الكهرباء وغيرها) وتشتمل كذلك على التاريخ والآثار والثقافة والإقتصاد وغيرها من الموارد البشرية.

والسودان من ضمن البلدان النامية التي تسعى لتنشيط إقتصادياتها ببدائل دخل مختلفة لتحقيق الرفاهية للإنسان السوداني لامتلاكه للعديد من موارد الجذب السياحية المستثمر منها وغير المستثمر لهذا كان لابد من الوقوف على الموارد السياحية في الولاية خاصة المقومات الجغرافية بشقيها الطبيعي والبشري وما تدخره من إمكانيات لتفعيل ذلك القطاع الحيوى المهم.

السياحة والتنمية: Development and Tourism

تعتبر المقومات والموارد السياحية أحد الركائز الأساس للعرض السياحي في أي دولة . ويعتمد التميز بين الدول في مدى توافر هذه الموارد والخدمات السياحية تلبية للطلب السياحي الإقليمي والدولي مع تأثيرها على العلاقات السياسية والإستقرار والسلام الإجتماعي وخطوط الإتصال والمواصلات وغيرها.

والسياحة كنشاط إقتصادي ينطوى على عدة خصائص منها:^(١)

١- إرتباطها بالأنشطة الإقتصادية الأخرى (صناعية وخدمية)

٢- مدي ملائمة النشاط للمناخ السياحي .

٣- علاقة الطلب بالخدمات التكميلية.

٤- إرتباط السياحة بالتنمية الإقتصادية والإجتماعية والسياسية

٥- عدم سيادة المنافسة الصافية.

٦- صعوبة إنتاج سلع سياحية بديلة .

٧- تعدد وتنوع أنواع السياحة.

٨- إرتباط الطلب بالدوافع الذاتية والمرونة .

٩- القدرة المالية والإنفاق.

١٠- الطلب السياحي لا يتكرر

١١- العرض السياحي غير مرّن.

(١) محمد مرسى الحريري مصدر سابق، ص ٣٣

وتوافر الخصائص السابقة وغيرها من القوى والمتغيرات الداخلية والخارجية التي تمارس تأثيراً على الطلب السياحي يضيف الكثير من الصعوبات على القائمين على التخطيط السياحي في أي دولة ، فالكثير من العوامل البيئية المؤثرة على الطلب لا يمكن التنبؤ بها رغم تباين الآثار الاجتماعية والإقتصادية والسياسية لصناعة السياحة بتباين أنواعها وأنشطتها المختلفة إلا أن الدلائل العلمية وتجارب الدول ، تشير إلى التزايد في الدور الذي تلعبه السياحة في قضايا التنمية ، وقد ترجم ذلك في شكل تشجيع الإستثمارات الأجنبية وإعطاء الحرية للقطاعين العام والخاص ، لإنشاء المشروعات السياحية ، بالإضافة إلى التسهيلات والإعفاءات الضريبية والجمركية علي واردات السياحة ، والسماح بتحويل أرباح الشركات الأجنبية ، بالإضافة إلى مساهمة الدول في تكاليف إنشاء الخدمات اللازمة للمشروعات السياحية كإقامة البنيات الأساسية ، ويمكن تلخيص الآثار الاجتماعية والإقتصادية والسياسية للسياحة في الآتي:^١

١/ تدفق العملات الصعبة:

توفر السياحة العملة الأجنبية والسودان يعاني من وجود فجوة بين حجم الإستثمار اللازمة للتنمية وحجم العملات الأجنبية لمجابهة تنفيذ الخطط، وذلك لإنخفاض حجم المدخرات القومية بسبب نفقات الحروب جنوباً وغرباً ، وانخفاض القدرة التنافسية للمنتجات السودانية للأسواق العالمية وبالتالي للإستغلال الجيد للموارد السياحية والإيرادات المتحصلة من التأشيرات والإقامة وفروق تحويل العملات والإنفاق اليومي للسياح والخدمات الأخرى.

٢/ نقل التقنية :

تعتبر التقنية ونقلها خاصة عن طريق الشركات الأجنبية من أهم عوامل النمو ويتمثل ذلك في الأجهزة والمعدات والتجهيزات التي تواكب النهضة السياحية العالمية ، وأنظمة وفنون الإدارة وتحسين طرق العمل والقيام بالبحوث والدراسات المتخصصة ، ويدفع ذلك الشركات الوطنية لمحاكاة تلك الشركات وبالتالي يدفع من التنمية القومية .

(١) جعفر محمد مصطفى أبوزيد، أشكال السياحة في السودان ودورها في الطلب السياحي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، ٢٠٠٨م، ص ٥٨

٣/ تنمية المهارات الإدارية :

تتطلب عملية التنمية في القطاع السياحي تأهيل الكوادر والخبرات والمهارات الإدارية النشاط السياحي عن طريق التوسع في إنشاء كليات ومعاهد علمية وتدريبية ومراكز للبحوث والإبتعاث للخارج.

٤/ العمالة :

التوسع في إنشاء المشروعات السياحية يمتص قدراً كبيراً من العمالة ويخلق فرصاً جيدة للعمل وتقلل من نسبة البطالة وإرتفاع مستوى المعيشة وتحقيق الرفاهية الإقتصادية والإجتماعية .

٥/ تنمية العلاقات مع القطاعات الإقتصادية والخدمية :

تحقيق التكامل الرأسي والأفقي عادة صاحب التوسع في المشروعات السياحية توسع آخر في المشروعات الخدمية وهذا من شأنه أن يؤدي إلى دخول قطاعات أو إنشاء مشروعات جديدة ، رغم صعوبة قياس هذه العلاقات لكن لا يمكن تجاهل هذه العلاقة .

٦/ تحقيق التوازن الإجتماعي والإقتصادي بين الولايات :

في حالة قيام الدولة بتوزيع وتوجيه المشروعات السياحية للأقاليم فإن ذلك يؤدي لتطوير الأقاليم وتنمية تلك المجتمعات وإعادة توزيع الدخول بين الحضر والريف ووقف الهجرة للمدن والإكتفاء الذاتي للأقاليم .

٧/ تحسين ميزان المدفوعات :

تساهم السياحة في تحسين ميزان المدفوعات لأنها صناعة تصديرية تحقق تدفق العملات الصعبة بالإيرادات وإستثمار الموارد .

٨/ زيادة القيمة المضافة والناتج القومي :

تؤدي السياحة إلى زيادة القيمة المضافة لأن الأجور المدفوعة للعاملين والأرباح والدخول التي تحقق للملاك والتدفقات المالية الأخرى والتكامل الرأسي والأفقي يمكن أن يؤدي إلى زيادة الناتج القومي .

٩/ الاستقرار السياسي:

تتميز الدول النامية بانخفاض درجة الإستقرار السياسي إذا قورنت بالدول المتقدمة أهم مظاهرها نمو التضخم والحروب والنزاعات وإنخفاض دخل الفرد والبطالة والتطرف السياسي والتالي فإن تطوير القطاع السياحي يدفع عجلة التنمية إجتماعيا وإقتصاديا وثقافياً ومن ثم تزداد الثقة في القيادة السياسية وتحقيق السلام الإجتماعي والإستقرار السياسي^(١).

دور القطاع العام والخاص في النمو السياحي :

يؤدي القطاعين العام والخاص ومنظمات المجتمع المحلي العديد من الأدوار وهي:^٢

دور القطاع العام :

١. اقتراح وتبني وتنفيذ السياسات السياحية في السودان .
٢. وضع الإستراتيجيات السياحية .
٣. توفير المناخ الملائم للسياحة
٤. إعداد التشريعات السياحية .
٥. وضع الضوابط الضرورية لحفظ المصالح السياحية .
٦. تخطيط البرامج التسويقية .
٧. ضمان حرية المنافسة ومنع الإحتكار .
٨. الإهتمام بالكيف والكم السياحي .
٩. ممارسة الإشراف والمراقبة .
١٠. رفع مستوى الجودة في الخدمات السياحية .
١١. إعادة هيكلة نظام المعلومات السياحية .
١٢. إدارة ومتابعة التعليم والتدريب السياحي .

(١) محمد صبحي عبدالحكيم جغرافية السياحة مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ٢٠١٢ ص ٩١

(٢) جعفر محمد مصطفى ابوزيد الإطار التنظيمي للسياحة في السودان مطبوعات وزارة السياحة ولاية الخرطوم الطبعة الثالثة ٢٠١٦ ص ١١٦

١٣. وضع ضوابط لحماية المستهلك .
١٤. الرقابة علي تسعير الخدمات السياحية .
١٥. المبادرة في تنفيذ وتوجيه المشروعات غير المعلومة .

دور القطاع الخاص :

١. تخطيط وتنفيذ المشروعات السياحية .
٢. تخطيط المشروعات السياحية المتكاملة.
٣. الإهتمام بمشروعات النقل والطرق .
٤. إحترام إقتصاديات السوق في تحديد الأسعار.
٥. المشاركة مع الدولة في الترويج السياحي .
٦. وضع ميثاق للمعاملات السياحية .
٧. التعاون مع الدولة في تنفيذ السياسات السياحية.

الإيرادات السياحية للدولة:

إرتفعت الإيرادات السياحية العالمية إلى ١٥٩ , ١ ترليون دولار وهي تمثل إجمالي إنفاق السياح أثناء سفرهم علي الإقامة والضيافة والترفيه والتسوق والخدمات ذات الصلة .

وتشير المنظمة العربية للسياحة إلى إيجابية الإيرادات السياحية العالمية وتزايد أعداد السياح مما يبرز دور القطاع السياحي في النمو الإقتصادي العالمي والتجارة الدولية مما يعزز من قدرتها علي التكامل الإقليمي والترويج التجاري وتستحوذ أوروبا الحصة الأكبر في السياحة الدولية.^١

وأشارت منظمة السياحة العالمية إلى إبراز ١٠ وجهات سياحية في تحقيق أعلي معدل للنمو في الإيرادات السياحية أولها تايلاند بنمو ٢٣٪ وهونج كونج ١٨٪ وماكاو ١٨٪ وبريطانيا ١٣٪ والولايات المتحدة ١١٪ في حين الإيرادات في أسبانيا وفرنسا وإيطاليا والصين والمانيا مابين ١-٥٪.^(٢)

(١) المنظمة العربية للسياحة، التقرير السنوي، ٢٠١٧م

(٢) منظمة السياحة العالمية، التقرير السنوي، ٢٠١٧م

جدول (١) الإيرادات السياحية في السودان للعام ٢٠١٥م

الإيراد السياحي		القدوم السياحي		
٢٠١٥	٢٠١٤	٢٠١٥	٢٠١٤	
٧٩,٠٧٩,٧٠٠	٧١,٨٣٦,٢٠٠	٦٣,١٢٦	٥٧,٢٩٧	يناير
٦٨,١٣١,٥٠٠	٦٣,٨٦٨,٦٠٠	٥٤,١٠٣	٥٠,٩٨٦	فبراير
٧٣,٦٠٥,٦٠٠	٧٢,٩٧٣,٦٠٠	٥٨,٦٤١	٥٨,١٨١	مارس
٧٢,٣٨٧,٣٠٠	٦٣,٢٥١,٤٠٠	٥٧,٥٨٧	٥٠,٤٤٧	ابريل
٧٣,٨٨٠,٠٠٠	٦٧,٩٨,٥٠٠	٥٩,٧٧٥	٥٤,٢٧٧	مايو
٧٣,٦١٦,٨٢٥	٦٥,٢٧٥,٤٠٠	٥٨,٦٤٦	٥٢,٠٥٨	يونيو
٧٧,٩٦٢,٤٠٠	٦٤,٩٢١,٠٠٠	٦١٠,٦٤٦	٥١,٨٤١	يوليو
٨٤,٢٠٠,٢٥٠	٨٢,٩٢٦٤,٤٠٠	٦٣,٩٩٩	٦٦,٢٠٣	أغسطس
٨٠,٠٨٤,٥٠٠	٦٥,٦٥٤,٦٠٠	٦٣,٩٩٤	٦٠,٩٥١	سبتمبر
٧٨,٢٠٠,٨٥٠	٦٦,٥٩٩,٢٠٠	٦٢,٧٩٣	٥٢,٨٩٩	أكتوبر
٩١,٨٥٠,٢٠٠	٩٠,٢٧٧,١٥٥	٧٢,٧٩٣	٧١,٤٨٦	نوفمبر
٧٦,٧٢٠,٢٠٠	٦٨,٩٢٠,٧٥٩	٦٠,٧٠٢	٥٦,٩٩٢	ديسمبر
٩٣٠,٧١٩,٢٢٥	٨٥٥,٤٠٢,٢٥٩	٧٤١,٠٠٠	٦٨٣,٦١٨	المجموع

المصدر: جمهورية السودان، وزارة السياحة، التقرير السنوي لحركة القدوم السياحي وزارة السياحة، ٢٠١٦م

ظهور المجتمع المدني :

ثمة من يؤمن بان فكرة المجتمع المدني ظهرت كنوع من أنواع الحنين إلى الماضي ، أى التشوق إلى دفء المجتمعات المحيطة و الحاضنة المتقاربة والتي كانت في عصر من قبل الحداثة ،وينسب البعض ظهور فكرة المجتمع المدني إلى الأسباب إقتصادية تعود إلى الأنظمة القتصادية العالمية

(الرأسمالية والإشترابية)، ولكنها ظهرت منذ الحضارة الرومانية، وفي عصرنا الحالي تحولت الحقوق السياسية والديموقراطية إلى حاجات أساسية لكل المجتمع الإنسانية ومعها اندمجت المطالبة بحقوق الإنسان والعدالة والحريات الفردية والحفاظ على البيئة وإستثمار الموارد المتاحة.^١

المفهوم الحديث للمجتمع المدني:

يعرف المجتمع المدني بأنه (مجموعة من الهيئات والمؤسسات التي تعبر عن المبادرات الفردية أو التطوعية للمواطنين الذين ينظمون أنفسهم في مؤسسات ذات إستقلالية عن الدولة التي ترعى مصالح الأفراد والجماعات وتعظم قدرتها على المشاركة الغعالية في الحياة العامة).^٢

ويعرف فهمي هويري (المجتمع المدني بأنه ذلك المجتمع الذي تتعدد فيه التنظيمات التطوعية التي تشمل الأحزاب السياسية النقابات والإتحادات والروابط والأندية والجمعيات والمنظمات وجماعات المصالح والضغط، وغير ذلك من الكيانات غير الحكومية التي تمثل حضور، وتعكس حيوية موازنة المؤسسات السلطة تحول دون تفردا بإحتكار مختلف مساحات العمل).^٣

مفهوم المجتمع المدني:

في البداية لابد أن نميز بين مفهومين مهمين الأول مرتبط بمفهوم المجتمع المدني بالمعنى المؤسساتي والدستوري بإعتبارها الصيغة الأساس والممارسة على أرض الواقع، والآخر مرتبط بمفهوم المجتمع المدني بالمعنى المعرفي، وهو المرهون أصلا بالمساحة المرجعية التي يوفرها مجمل الإنتاج الفكري لنخبة المجتمع، بإعتبار إن مفهوم المجتمع المدني ناتج عن مجموعة من التفاعلات الداخلية والخارجية، السياحية الإجتماعية الإقتصادية الثقافية السياحية^(٤).

موجبات ظهور المجتمع المدني :

أن وجود منظمات مجتمع مدني فاعلة في القطاع السياحي بشرط أساسي من شروط البناء الديموقراطي، باعتبارها الأداة المثلى لتثقيف المجتمع وتوعيته بحقوقه وواجباته تجاه التنمية

(١) منظمة هاريكار غير الحكومية، دور منظمات المجتمع المدني في التنمية الإجتماعية، مطبعة زاتا، دهوك، العراق، ٢٠٠٧م، ص ٢

(٢) فتحي بلعيد أبوزريزة، المجتمع المدني ودوره التنمية، المؤتمر الإقتصادي الأول للإستثمار والتنمية في منطقة الخمس في الفترة من ٢٥-٢٧-٢٠١٧م

(٣) المصدر السابق، ص ٣

(٤) منظمة هاريكار غير الحكومية، مصدر سابق، ص ٧

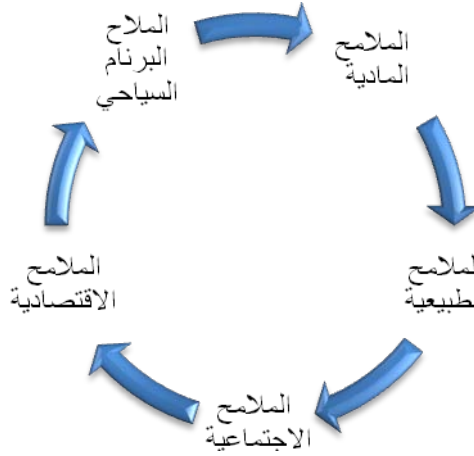
السياحية بولاية البحر الأحمر والسودان قاطبة، والملاحظ غياب التصورات الواضحة والدقيقة لمفهوم المجتمع المدني والحياة المرتبة والكيفية التي تعمل بها وبيئاتها المنظمة لعمل المنظمات ومناشطها السياحية التطوعية التوعوية في الولاية.^١

ويعرف عياض بن عاشور (المجتمع المدني بأنه مجموع التنظيمات الإدارية والإصطناعية غير الطبيعية التي تعبر عن المصالح والأداء وتدافع عنها النقابات والإتحادات والجمعيات والمجموعات والشركات والإتحادات وأرباب العمل ومنظمات المجتمع المدني.^٢

ملامح نشاطات المجتمع المدني في القطاع السياحي بالولاية

تتعدد الملامح المؤثرة في القطاع السياحي وهي ممثلة في الآتي :

شكل (٣) ملامح نشاط المجتمع المدني في السياحة



المصدر : ليلي خضير تأثيرات المجتمعات المحلية على منشآت السياحة مع التركيز على معايير تصميم الفندق

البيئي ، رسالة ماجستير غير منشورة في الهندسة المعمارية ، جامعة عين شمس ، مصر ، ٢٠٠٥م ، ص ١٥

مكونات المجتمع المدني المؤثر في صناعة السياحة بالولاية

يتكون المجتمع المدني من عدة عناصر ومكونات هي :

(١) فتحى بلعيد أبورزيزة در سابق، ص ٣

(٢) تلي محمد إسلام ، دور السياحة في التنمية المحلية دراسة حالة ولاية غرداية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية

العلوم الاقتصادية ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، الجزائر ، ٢٠١٤م ، ص ١٢

شكل (٤) مكونات المدّع المدني المؤثرة في السياحة في الولاية

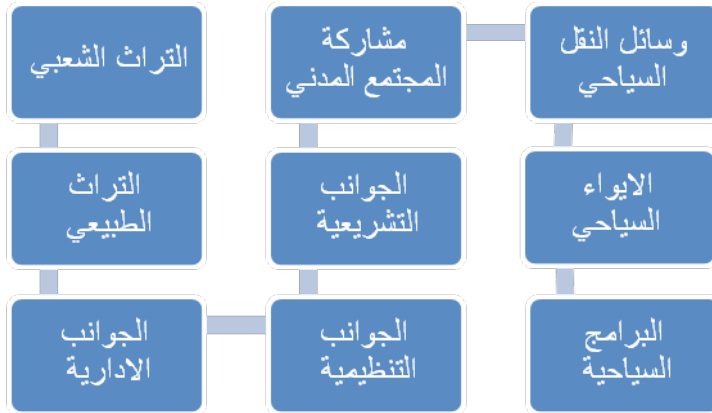
المنظمات غير الحكومية	المنظمات الحقوقية والدفاعية
منظمات الأعمال	الجماعات المهنية
الاتحادات العمالية	النوادي الإجتماعية والرياضية
قطاع الجامعات	مراكز البحث العلمي
الكليات والمعاهد العلمية	المنظمات السياحية

المصدر : من عمل الباحث، ٢٠٢٠م

تصنيف منظمة السياحة العالمية للسياحة WTO :

صنفت منظمة السياحة العالمية الخدمات السياحية إلى عدة عناصر هي :

شكل (٤) عناصر تصنيف مكونات الخدمات السياحية



المصدر : إسلام، ٢٠١٤، ص ٩

السمات الاساسية لولاية البحر الأحمر:

١ - الموقع

تقع ولاية البحر الأحمر بين خطي عرض ١٧-٢٢ درجة شمالاً وخطي طول ٢٣-٣٨، ٥

شرقاً من الشرق البحر الأحمر ومن الغرب ولاية نهر النيل ومن الشمال جمهورية مصر العربية ومن الجنوب أريتريا وولاية كسلا^١.

٢ - المساحة

تبلغ مساحة الولاية ٤١٠, ٢١٢ كيلو متر مربع .

٣- الطبوغرافية

تتميز ولاية البحر الأحمر بساحلها الممتد علي طول ٧٤٠ كيلو متر وسلسلة جبالها البركانية تمتد من الشمال إلى الجنوب ويتراوح بعدها عن الساحل ٢٠-٤٠ كيلو متر ويبلغ إرتفاعها ما بين ٥٠٠٠ قدم إلى ٧٠٠٠ قدم فوق سطح البحر وتكون طرف الأخدود الأفريقي العظيم الغربي .

يفصل هذه السلسلة ساحلا البحر الأحمر من الأراضي الصحراوية الداخلية أما السلسلة الثانية فتكون من الطرف الشمالي الهضبة الأثيوبية وتمتد لحوالي ٣٠-٤٠ كيلو متر في منطقة طوكر .

تكون الصحراء ثلث المساحة الكلية للولاية . وتكون الخيران المنحدرة من الهضبة الأثيوبية والأودية من سلسلة جبال البحر الأحمر الشبكة الرئيسة لتدفقات المياه^٢.

٤- الأمطار: تزداد كميات الأمطار من الشمال إلى الجنوب من ٢٥-٤٠٠ ملم جنوباً و ٦٠٪ من المساحة الكلية أمطارها أقل من ١٠٠ ملم سنوياً .

يتاثر ساحل البحر الأحمر بالمنسوب وتهطل أمطاره الشتوية (نوفمبر - فبراير) والصيفية (يوليو - أكتوبر) وأمطار فصلية (أبريل - يوليو) .

٥- درجة الحرارة : تتراوح درجات الحرارة ما بين ١٨ إلى ٤١ درجة مئوية .

٦- الرطوبة النسبية : يبلغ معدل الرطوبة النسبية ما بين ٥٢٪-٧١٪ .

٧- التعداد السكاني يبلغ عدد سكان الولاية حوالي ١,٦٠٠,٠٠٠ نسمة.

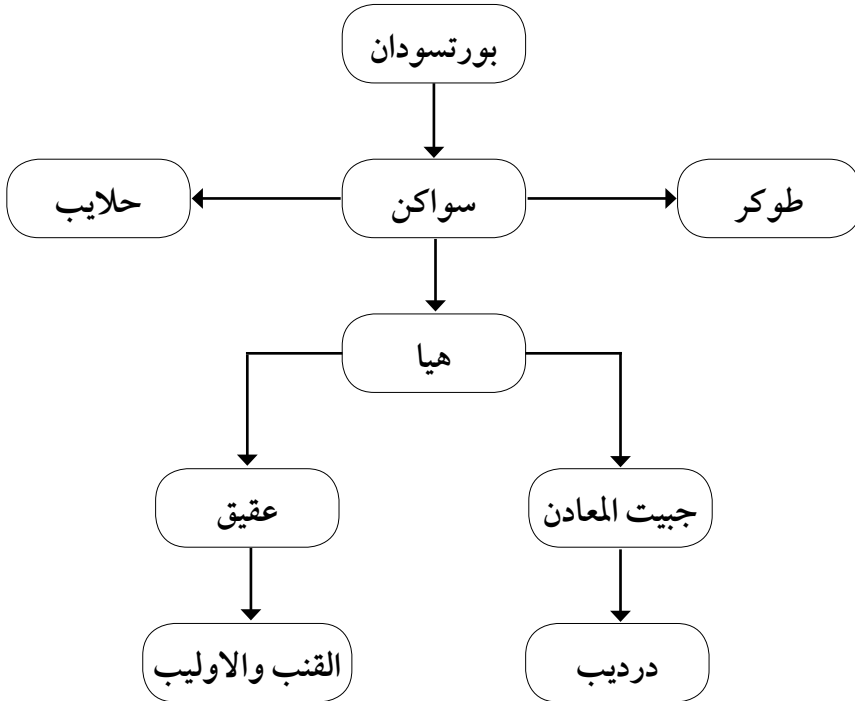
التقسيم الإداري:

تنقسم ولاية البحر الأحمر إلى عشر محليات هي:

(١) وزارة السياحة والتراث القومي تقارير إدارة المعلومات والبحوث الخرطوم ٢٠١٦ م

(٢) المصدر نفسه

شكل (٥) محليات الولاية



المصدر: وزارة السياحة والتراث القومي ألتقارير إدارة المعلومات والبحوث الخرطوم ٢٠١٦ م

النشاط السكاني:

تعتبر بورتسودان عاصمة للولاية وأكثرها كثافة بالسكان ويشمل النشاط بها الصناعة والتجارة وخدمات النقل والتخليص والتخزين والعمل في الميناء كما يعمل قطاع كبير من سكان الولاية في الصيد البحري والأنشطة المرتبطة به^١.

مصادر المياه :

تتكون مصادر المياه العذبة بالولاية من السدود والآبار الجوفية ومحطات التحلية كما توجد مصادر للمياه السطحية بالولاية خاصة في مدينة بورتسودان تتراوح الأعماق بين ٤٠-٦٠ قدماً يجري الآن تنفيذ مشروع مد الولاية بالمياه من نهر النيل.

(١) ولاية البحر الأحمر وزارة السياحة والإعلام مطبوعات الوزارة ٢٠١٧ م



السياحة في ولاية البحر الأحمر:

تعتبر ولاية البحر الأحمر منطقة جذب سياحي موعودة بالعديد من الإستثمارات لهواة الغوص على طول ساحل البحر الأحمر بالإضافة لمزايا الصفاء التي تتمتع بها مياهه حيث يمتد ساحل البحر الأحمر على طول ١, ٩٠٠ كيلومتر مربع ومن حيث العمق فان البحر الأحمر يتمتع بثلاثة مناطق :

- ١- المناطق السطحية عمقها حوالي ٥٠ متراً^١.
 - ٢- من العمق الاوسط ٥٠٠-١٠٠٠ متر .
 - ٣- أعمق مناطق البحر الأحمر ٣٠٠٠-٤٠٠٠ متر .
- ١ الموقع الالكتروني لولاية البحر الأحمر، ٢٠١٧م



ومن ميزات البحر الأحمر النادرة أن درجة حرارته على السطح ٢٩ وعلى العمق ١٥٠ متر أيضاً تظل درجة الحرارة ٢٣ كل هذه العوامل تجعل البحر الأحمر من أفضل بحار العالم من حيث البيئة البحرية البكر كما يتمتع بكثرة خلجانه ومراسيه كما يزخر بالشعب المرجانية والأسماك المختلفة الأشكال والألوان هذا إلى جانب الجبال والوديان المتفردة التي تزخر بالحيوانات البرية النادرة كما تتميز الولاية بآثارها العريقة وتجذب مبانها وآثارها العديد من المهتمين بالتراث الحضاري والثقافي .

أنواع السياحة بالبحر الأحمر:

شكل (٥) أنواع السياحة بالبحر الأحمر

سياحة الرحلات البحرية

التصوير تحت الماء

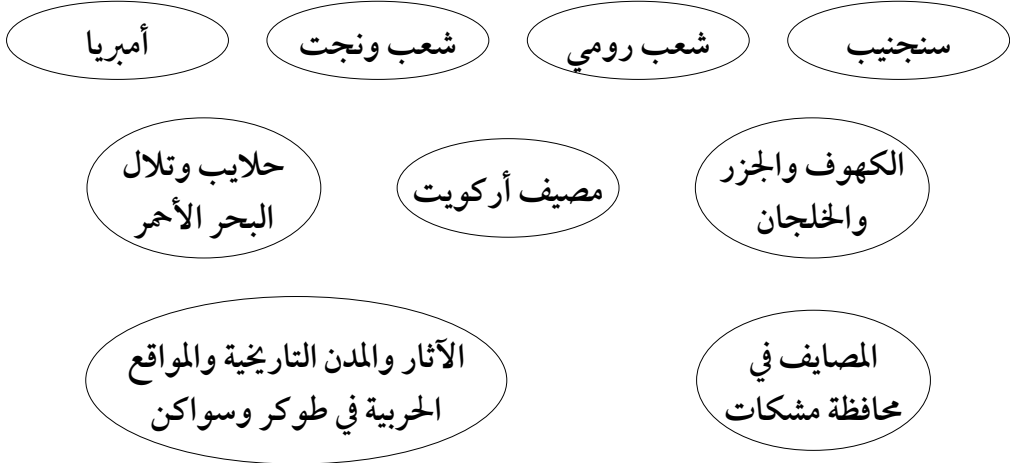
صيد الأسماك

الغطس بأنواعه

المصدر: .. الموقع الإلكتروني لولاية البحر الأحمر، ٢٠١٧م

ومن أشهر مناطق الرحلات السياحية بالبحر الأحمر المناطق الآتية:

شكل (٦) أشهر المناطق السياحية



المصدر: وزارة السياحة ولاية البحر الأحمر ٢٠١٧م

هذا بالإضافة إلى مناطق سياحية. متفرقة على طول ساحل البحر الأحمر ومن أهم المدن التي تتوفر بها مقومات السياحة في:^(١)

١- سنجيب: عبارة عن جزيرة مرجانية بها فنار لارشاد السفن للبعد من ميناء بورتسودان حوالي ٢٥ كيلو متر شرقا وتكثر بها الشعب المرجانية والأسماك خاصة سمك القرش والأخطبوط والدولفين وتعتبر الجزيرة من أجمل مناطق الغوص في العالم.

٢- عروس: قرية سياحية على بعد ٥٠ كيلومترا شمال بورتسودان يثبت كقاعدة لممارسة الغوص والتصوير تحت الماء .

٣- أمبريا: عبارة عن باخرة غرقت عام ١٩٣٧م بالبحر الأحمر بدأت الشعب المرجانية تبني حول الباخرة فصارت من أجمل مناطق الغوص والتصوير تحت الماء.

٤- أركويت: مصيف السودان واقع على بعد ٣٠ كيلو مترا شرق مدينة صمت الواقعة على طول

(١) وزارة السياحة ولاية البحر الأحمر ٢٠١٧م

الطريق بين بورتسودان وكسلا وهي عبارة عن هضبة مرتفعة ٤٠٠٠ قدم فوق سطح البحر تحيط بها الجبال التي تطل على البحر الأحمر والسهول الخضراء أشهرها جبل السبت وتمتاز أركويت بطقس معتدل طوال العام يميل إلى البرودة في الشتاء مع تراكم الضباب الكثيف كما تمتاز بمناظرها الخلابة وأشجارها الفريدة وطرقها الأثرية السياحية القديمة وبها ضريح أمير الشرق البطل عثمان دقنه ويمكن للزائر الإقامة في فندق أركويت.

٥- سواكن: تقع على بعد ٥٨ كيلومتر جنوب بورتسودان وهي مدينة تاريخية قديمة مبنية على جزيرة مرجانية ويحيط بها سور فتحت به خمسة بوابات لمراقبة الداخلين والخارجين أشهرها بوابة كتشنر ويربط الجزيرة بالساحل جسراً وتمتاز مباني سواكن بأنها مبنية من الحجارة المرجانية وبجمال النقوش والتصميم والمظهر العام.

الجزر غير المرتدة:

جزيرة أم القروش : تقع شمال شرق بورتسودان والتي يعتقد صائدي الأسماك المحليين أنها مأوى أسماك القرش .

جزيرة مكوار : توجد بها بعض الأغنام العادية التي توحشت كما توجد العديد من الجزر ذات الشعب المرجانية المميزة التي تأوى مختلف أنواع الأسماك والطيور وبها شواطئ رملية سياحية .

الصيد البري: يزخر شرق السودان بالعديد من الحيوانات والطيور النادرة فعلى سبيل المثال لا الحصر:^١

١- معز الجبل (العيون): يتواجد في المناطق الواقعة بين قرية عروس السياحة ومدينة بورتسودان من الناحية الغربية وجبل دوربا شمال قرية تمالا ومناطق أخرى عديدة بالبحر الأحمر ، وضواحي مدينة جيبب وسنكات .

٢- كبش مي : يتواجد في المنطقة الشمالية بين خطي عرض ٢٠ و ٢٢ درجة شمالاً إلا أن أعداده في تناقص مستمر بسبب الجفاف وعمليات الصيد غير المشروع.

٣- الغزل العادة : يتواجد في كافة مناطق الولاية .

(١) وزارة السياحة ولاية البحر الأحمر ٢٠١٧م

الطاقة الايوائية :

تمتلك الولاية العديد من الفنادق والنزل السياحيه بدرجاتها المختلفة مثل فندق بلاس والكورال والبصري وبوهين وغيرها .

معوقات تنظيم وإدارة السياحة في السودان:

تواجه صناعة السياحة في السودان العديد من العقبات والمشكلات التي أدت إلى تقلص دور القطاع في المجال الإقتصادي والإجتماعي والسياسي ويمكن تلخيصها في الآتي:^(١)

١. غياب النظام الجيد للمعلومات والإحصاء السياحي ويتضح ذلك بعدم توافر إحصائيات عن دخول السياح وإحصائياتهم وأعمارهم وجنسياتهم والمناطق التي يتجهون لها ومنهم ومشاكلهم ويكون ذلك عبر المداخل الحدودية المختلفة وتخزين تلك المعلومات والبيانات وتحليلها وتصنيفها لمعرفة توجهيات الطلب المستقبلي وإحتياجات العرض السياحي . والملاحظ في البيانات الصادرة من الجهات الرسمية أنها ركزت علي الإحصائية وإعداد السياح وإيراداتهم فقط ، وبالتالي الإعتماد علي قدر ضئيل من البيانات الإحصائية مما يؤدي إلى عدم دقة التخطيط ويعتبر غياب المعلومات المرتدة أحد أوجه القصور الأخرى في نظم المعلومات السياحية فعدم معرفة وجهة نظر السياح لمستوياتهم الخدمة والأسعار والمشكلات قد يؤدي إلى عدم توجيه التخطيط لمعرفة المعوقات والمعالجات وكيفية تطوير الخدمة السياحية وطرق توجيه الإستثمار الجديد . ولا يقتصر غياب المعلومات علي السياحة الخارجية بل يمتد إلى السياحة الداخلية التي لاتوجد لها إحصاءات والتوزيع الديموغرافي للحركة السياحية مما يؤثر في صعوبة وضع الخدمات اللازمة تجاههم وكيفية تنمية وتطوير السياحة الداخلية .

٢. الخارطة السياحية: عدم توافر خريطة سياحة شاملة تحدد مناطق الجذب السياحي المستثمر وغير المستثمر منها، وذلك يرجع للقصور في جرد الموارد السياحية أو إلى مشكلة البيانات والمعلومات .

٣. ندرة البحوث والدراسات العلمية: رغم أهمية البحوث والدراسات في مجال التخطيط السياحي إلا أن المؤسسات العلمية لاتعطي الإهتمام اللازم للبحوث، وقلة عدد الكليات المتخصصة في المجال .

(١) المصدر نفسه.

٤. إنخفاض الوعي الثقافي والسياحي : ترتبط التنمية السياحية بدرجة الوعي الثقافي والسياحي وترجع درجة الوعي السياحي لدى الجماهير بارتفاع نسبة الأمية وعدم إهتمام وسائل الإعلام بالتنمية الثقافية داخل الدولة ومناطق الجذب السياحي وطرق التعامل مع السياح ، وتوجد العديد من النماذج التطبيقية التي تشير إلى مدى إنخفاض الوعي والثقافة السياحية في السودان فإنخفاض عدد الزوار للمناطق الفنية والآثارية والإرشادات السياحية والمعلومات السياحية وإنذار الحوادث والمتنجات وزوارها والترويج السياحي^(١).

٥. سوء توجيه الإستثمار: تشير بعض الدراسات إلى أنه رغم الزيادة النسبية في معدلات إستثمار رؤوس الأموال المحلية والأجنبية في مجال السياحة منذ بدء الإنفتاح الإقتصادي ، إلا أنه ملاحظ أن شركات الإستثمار المحلي والأجنبي ترفض الدخول في مجال السياحة ، حيث أن غالبية الإستثمار في المجال الفندقي والوكالات والمطاعم فقط ، ويرجع ذلك إلى عدم الخبرة أو إلى سياسة الحوافز المقدمة خاصة للمشروعات ذات العوائد الإجتماعية .

٦. البيروقراطية وفشل الإدارة : أسهمت البيروقراطية وعدم توفر المهارات الإدارية والتي تخلف التنمية السياحية ، وخاصة في الترخيص والإعفاءات والإميازات والتضارب وتصاريح الحركة والمرور والدخول والخروج من الدولة والهواجس الأمنية وغيرها .

٧. عدم فعالية التسويق السياحي : السودان غني في الموارد السياحية ولكن الأمر يتوقف علي مدى نجاح السياسات السياحية والأجهزة المختصة وقدرتها علي تسويق المنتج السياحي ، ومثلاً نجد أن الوزارة تصدق لعدد وافر من الوكالات التي من المفترض أن تساعد في الترويج السياحي لكنها توجه كل عملها نحو الرحلات إلى الخارج دون دعم للحركة الداخلية ناهيك عن السياحة الخارجية وإستجلاب السياح رغم أن بعض الآثار المروية من المواد الترويجية في بعض الدول الأجنبية ويبرهن ذلك قصور برامج التسويق والخطط الموجهة .

٨. التضخم : يعتبر الإرتفاع المستمر في أسعار السلع والخدمات وذلك لإرتباطه بالسياسة الإقتصادية للدولة في الإستيراد والتصدير ودعم قدرة القطاعات الصناعية الخدمية علي الوفاء بمتطلبات الخدمة السياحية .

(١) جعفر محمد مصطفى الإطار التنظيمي للسياحة في السودان ، مصدر سابق ص ١٢٣

٩. إنخفاض مستوى الخدمات المرافقة (البنية الأساسية) : يتأثر الطلب السياحي بمستوى البنية التحتية من مواصلات ونقل وطرق وصرف صحي وكهرباء وغيرها ، رغم التحسن الواضح في شبكة الإتصالات السلكية في السودان لكن هنالك فقر في الخدمات العامة المرتبطة بالمواقع السياحية ومثلاً معظم مواقع الآثار ذات الجذب السياحي لا تجذب الإهتمام اللازم من توفير الخدمات الأساس.

١٠. الإستقرار السياسي والأمن الإجتماعي: تتأثر السياحة بالمتغيرات الداخلية والخارجية في السودان ، ويتبين ذلك في الإمكانيات السياحية ومنطقة جبل مرة ودور التدهور السياسي والأمني في انحسار الحركة السياحية في السودان بكامله وكذلك التغيرات الإقتصادية والإجتماعية التي تهدد النمو السياحي ، رغم الإتفاقيات من الممكن أن تحول الأنظار نحو إستغلال تلك الموارد وإرتفاع الواردات السياحية .

٤/ تضارب وتشتت الأشراف علي مؤسسات السياحة بين الوزارات وتخصصاتها ، وأبرز الأمثلة علي ذلك التضارب الفنادق وتبعية المراكز الثقافية لوزارة الثقافة وكذلك الحياة البرية لوزارة الداخلية ، ومكاتب السياحة الولائية للولايات المعنية ، ومكاتب السياحة الولائية للولايات المعنية ، مما يصعب من عملية إحياء البرامج والسياسات القومية والإتحادية ، فهل يقتصر دور وزارة السياحة علي حساب عدد السياح والإيرادات وبعض أنشطة الدعاية والمهرجانات المختلفة؟^١

وبلا شك وجود هذه المشكلة يؤدي إلى عدم الرقابة والإشراف والتخطيط ووضع السياسات الشاملة للسياحة في السودان وعدم ظهور دور المؤسسات السياحية في الدخل الإقتصادي وذوبانه مع ميزانيات غير ذات صلة من أجل توفير إيراداتها فقط.

٥/ ارتباط الطلب السياحي بالنظام الإقتصادي للدولة والتركيز علي سياحة رجال الأعمال.

٦/ إنخفاض درجة التأيد الرسمي والشعبي للقطاع:

من الملاحظ أن غالبية الدولة النامية لا يحظى القطاع بالدعم الرسمي والشعبي اللازم رغم حاجتها له ، وهذا يرجع أما للإعتقاد الخاطئ بأن السياحة ضرب من الإسراف والترف أو عدم إدراك جدواها الإقتصادية وعدم الشعور بأهمية التراث الحضاري للأمة ودوره.

(١) جعفر محمد مصطفى مصدر الإطار التنظيمي للسياحة في السودان سابق ص ١٢٤

ففي السودان يلاحظ أن القطاع السياحي مقارناً بالقطاعات الأخرى يحصل على أقل نسبة من الإستثمار والإنفاق الحكومي رغم أنه يؤدي إلى زيادة المعرفة بالشؤون الداخلية للسودان وتحسين الصورة الذهنية الراسخة عن مدى التقدم الحضاري والسلام الاجتماعي والاستقرار السياسي في السودان.

٧/ عدم توافر رؤوس الأموال المحلية والأجنبية اللازمة للإستثمار السياحي وتعتبر هذه المشكلة أحد القيود المؤثرة في التخطيط بصفة عامة في الدول النامية ومن ضمنها السودان ، التي تواجه عجزاً في رؤوس الأموال لتنفيذ خطط التنمية الشاملة بسبب المهددات المتلازمة والمتواصلة.

دور السياحة في التنمية السياحية المحلية بولاية البحر الأحمر:

تلعب السياحة دوراً مهماً وفعالاً في التنمية المحلية وذلك من خلال المساهمة في زيادة دخل الأفراد والدخل القومي وتوفير فرص العمل وغيرها من العوائد المختلفة المرتبطة بالنمو المجتمعي

أولاً : مساهمة السياحة في الناتج القومي :

تشير إحصاءات المجلس العالمي للسياحة والسفر إلى أن متوسط مساهمة السياحة في الناتج المحلي الإجمالي تصل إلى ١٠٪ على المستوي العالمي ، بالإضافة إلى ذلك يعتبر قطاع السياحة من أكبر القطاعات المكونة للناتج المحلي في كثير من الدول غير البترولية ، كما أعطت الدول المصدرة للبترول والصناعية السياحة أهمية كقطاع رئيس في الإقتصاديات المحلية ^١.

ثانياً : دور السياحة في التوظيف :

مما لا شك فيه أن القطاع السياحي يؤدي إلى تحقيق العديد من الفوائد للإقتصاد المحلي والوطني ، خاصة في توفير فرص العمل والقضاء على البطالة في الولاية ، باعتبار أن السياحة قطاع متعدد النشاطات بالولاية ، وله علاقات عديدة مع القطاعات الإقتصادية والاجتماعية ، وهي تساهم في بطريقة مباشرة وغير مباشرة في توفير فرص العمل بل يتعدى إلى إستحداث فرص عمل حديثة بالولاية في الخدمات والبرامج والأنشطة السياحية ، ويذهب هنا العالم الإقتصادي الإنجليزي روب دافستون إلى اعتبار أن السياحة تنشأ نوعين من الوظائف هي ^(٢):

(١) عبد الباسط وفاء التنمية السياحية المستدامة أدار النهضة العربية ٢٠٠٥ م ص ٢٢

(٢) وزارة السياحة ولاية البحر الاحمر ٢٠١٧ م

العمالة المباشرة :

تشمل جميع الوظائف ذات الصلة بالسائح مثل الفنادق والمطاعم والقرى السياحية والشركات والمكاتب السياحية .

العمالة غير المباشرة :

تشمل جميع الوظائف المرتبطة بالأنشطة التي تخدم السياح بشكل غير مباشر مثل الصناعات الحرفية والتراثية والغذائية والتراث والفلكلور بالولاية.^١

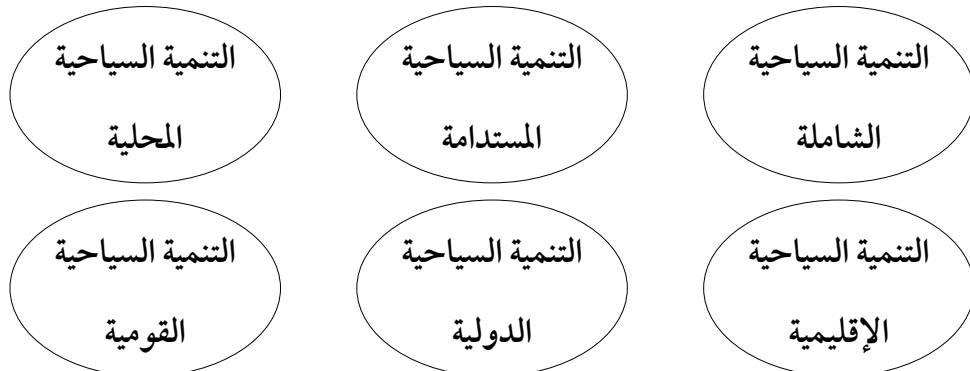
ثالثا : دور السياحة في ميزان المدفوعات :

تساهم السياحة كصناعة تصديرية في تحسين ميزان المدفوعات وهي مصدر مهم من مصادر الدخل وجلب العملات الأجنبية نتيجة لبيع الخدمات السياحية والسلع المرتبطة بها ، فالسياحة تمثل الصادرات غير المنظورة وعنصر أساس من عناصر تحريك الاقتصاد المحلي والوطني ، حيث تقاس الأهمية الاقتصادية للسياحة من خلال تأثيرها على ميزان المدفوعات داخل الولاية في إنفاق السياح والزوار في البلد المضيف من إقامه ووسائل نقل وخدمات وتسوق وترويج سياحي .

أنواع التنمية السياحية :

تتعد أنواع التنمية السياحية حسب خططها وبرامجها وهي تتلخص في الآتي :

شكل (٦) أنواع التنمية السياحية



المصدر : إسلام ، ٢٠١٤م ، ص ١٤

(١) تلي محمد إسلام ، مصدر سابق ، ص ١٢

شكل (٧) علاقة التنمية السياحية بالتنمية المحلية

التنمية المحلية	التنمية السياحية
توفير فرص العمل	إسغلال الموارد السياحية
تدفق العملات الأجنبية	الهياكل السياحية
زيادة الدخل السياحي	المؤسسات السياحية
المساهمة في البنى التحتية	الخدمات السياحية
تحسين مستوى المعيشة	الإنفاق السياحي
تنمية الصناعات الحرفية	الإستثمار السياحي

المصدر : إسلام ، ٢٠١٤م ، ص ١٥

السياحة وتنمية المجتمع المدني بالولاية :

ما تزال السياحة في السودان تعمل في الإطار غير المنظم فلم تنجح الإدارات السياحية الرسمية في تنظيم النشاط السياحي وتنميته وتنفيذ الخطط والبرامج السياحية المصممة ، وأصبحت مقعده عن أداء دورها الإداري والتنظيمي والرقابي على النشاط السياحي ، وبالرغم من الإنجازات المعاصرة إلا أنها جهود ضئيلة ومعزولة وذلك لأن السعي إلى خلق صناعة سياحية متطورة يتطلب تضافر الجهود كافة ، بدءاً بالتشريعات والقوانين السياحية الملزمة والتنسيق بين الوزارات الولائية والإتحادية وصولاً إلى التعاون بين القطاعين والخاص والعام ومؤسسات المجتمع المدني، ولم يتحقق هذا التشابك من هذه الفئات لتحقيق وبناء إستراتيجية السياحة القومية والخطط القومية والولائية والمحلية ، ولم تعد هناك قدرة على توظيف المجتمع المدني في تحقيق إنجازات إنمائية متوازنة في السودان^(١).

ويظل غياب المجتمع المدني المحلي ومؤسساته عن معالجة معوقات التنمية السياحية بالولاية في ظل ضعف الوعي الرسمي للسياحة أهم مهددات النمو السياحي بالولاية ، رغم إنتشار الجمعيات التطوعية والإتحادات المهنية والروابط المختلفة القادرة على تحريك الساكن في النشاط

(١) الموقع الإلكتروني لولاية البحر الأحمر ٢٠١٧م

السياحي مثل تجربة جامعة البحر الأحمر عبر قسم التاريخ في التنقيب عن أصل معوقات القطاع السياحي بالمؤتمر العلمي حول الموروث الحضاري ودوره في خدمة السياحة بالولاية^١.

ولم ترق العقلية المدنية القائمة على الإنفتاح الفكري والعلمي والثقافي إلا من بعض البرامج الرسمية كمهرجانات السياحة والتسوق السنوي والذي يعد حراكاً سياحياً نموذجياً للسياحة بولاية البحر الأحمر معتمداً على المناشط والفعاليات والبنى التحتية والجواذب السياحية الزاخرة بالولاية والفنون والآداب والفعاليات الثقافية.

وتتركز أهمية مؤسسات المجتمع المدني والمراكز البحثية في خدمة السياحة الولائية والممثل في الآتي^٢:

- ١- تعبئة الموارد البشرية المدربة والمؤهلة .
- ٢- الترويج للنشاط السياحي بالولاية في الداخل والخارج .
- ٣- المشاركة في التثقيف السياحي والتوعية .
- ٤- التركيز على إبراز التراث والفلكلور المحلي .
- ٥- إقامة المعارض التسويقية المتخصصة .
- ٦- تنظيم الورش والسمنارات والمؤتمرات واللقاءات العلمية في السياحة.
- ٧- تقديم البحوث والدراسات السياحية والفندقية عن الولاية .
- ٨- تخصيص جزء من المناشط لخدمة صناعة السياحة بالولاية .
- ٩- تغيير الصورة الذهنية لدى الإعلام الخارجي .

وفي الواقع يحتاج المشروع التنموي في السياحة الولائية إلى تكاتف جميع الجهود الحكومية والمدنية ومنظماتها بجانب المجتمع المحلي للعمل على تحقيق الأهداف التنموية لصناعة السياحة وذلك من خلال توزيع الأدوار والمسؤوليات لجميع الشركاء وأصحاب المصلحة وسوق العمل السياح ، بجانب الإمكانيات المالية والفنية التي يمتاز بها كل شريك لإنجاح المشروعات السياحية

(١) الموقع الإلكتروني لولاية البحر الأحمر ٢٠١٧م

(٢) بلغيث سعيدة ، دور المجتمع المدني في ترقية السياحة المحلية المستدامة بولاية بجاية نموذجاً ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بجاية ، بجاية ، الجزائر ، ٢٠١٥م. ص٨.

بالولاية القائم منها والمستقبلي والذي يعتبر هما وطنياً يساهم في حل ومعالجة التحديات التي تواجه النشاط السياحي بالولاية .

أما بالنسبة لمحتويات الخطة الإستراتيجية يجب أن تشارك في صناعتها الأجهزة الرسمية وغير الرسمية ، وأن تكون متنوعة ومتشعبة وتنصب في إطار تطوير صناعة السياحة ، وخلق قطاع إنتاجي بديل للدخل الفردي والقومي وتمتد منافعه طول العام وليس موسمي ، ويساهم في تنمية جميع محليات الولاية ، وأن تكون الخطة مربوطة ببرامج زمنية محددة لتطوير الخطة التنافسية للسياحة السودانية ، ووضع الولاية في خارطة منطقة البحر الأحمر السياحية إقليمياً ودولياً وجعل الولاية رائدة في تجربة النمو السياحي في السودان.^١

وتؤدي هيئات المجتمع المدني بالولاية دوراً مهماً في تحقيق أهداف التنمية المنشودة والمشاركة في صناعة القرار السياحي وتنفيذه وتحدد من سلطة الدولة لتساهم في الإصلاح الإقتصادي والتعزيز المتبادل للحياة المدنية ، وفي الإطار الذي يعنى المجتمع المدني نشير إلى تسيير القطاع السياحي لأن معظم نشاطاته وخدماته تتبع للقطاع الخاص ، لذلك لابد من المساهمة في رسم السياسة السياحية لتفعيل الدور المجتمعي والممثلة النقابات والإتحادات والمنظمات والهيئات المدنية.^٢

ويتضح لنا من حلقة التنمية السياحية بالولاية أن تدخل الجمعيات الأهلية يطال تحسين خدمات الإصطياف والموسم السياحي ، بالإضافة إلى تطوير الخدمات السياحية وتفعيل الفعاليات السياحية والمناشط ، ومن الممكن إبراز المقدرات السياحية بالتعاون مع إدارة السياحة الولائية والإتحادية وأضف لذلك إطلاق المبادرات السياحية المتجددة من مهرجانات ومعارض وعروض فنية وحوافز سياحية للإستثمار .

وبناء على ماتقدم يكننا الوقوف مطولاً عندما يشوب السياحة بالولاية سلبيات تتعلق في جزء منها من القائمين عليها من إدارات ومؤسسات مدنية ومواطن لايعي الإمكانات السياحية بالولاية التي تساهم في زيادة دخله الفردي وتحرك الإقتصاد المحلي ، ونشير هنا إلى أن

(١) عبدالرحمن أحمد أبو دوم ، دور منظمات المجتمع المدني في التوعية المجتمعية ، المجلة العلمية ، العدد ٢٣، تونس ، ٢٠١٤م ص ٧ .

(٢) محمد جمال مظلوم ، دور مؤسسات المجتمع المدني ودورها في التوعية المرورية ، الحلقة التدريبية ، قسم التدريب ، كلية التدريب ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠١٣م ص ٤

إستبعاد أو ضعف مؤسسات المجتمع المدني يؤدي إلى ضعف تنمية السياحة بالولاية لأنها لا تتيح التعرف على إمكانات التطوير والتنمية وبالتالي الوقوف على حاجات المجتمع المحلي وإشراكها في البرامج التنموية.

مقترحات وتوصيات حول السياحة والمجتمع المدني بالولاية :

- ١- تسجيل المؤسسات والمنظمات المدنية في البرامج السياحية بالولاية
- ٢- مشاركة المنظمات المدنية في وضع الخطط والبرامج السياحية بالولاية .
- ٣- المساهمة في التوعية والتثقيف السياحي بالولاية .
- ٤- تشجيع وحفز المنظمات المدنية لطرق مجال السياحة
- ٥- الإهتمام بالتنسيق بين الفعاليات المرتبطة بالقطاع السياحي .
- ٦- إصدار المطبوعات والمنشورات السياحية للترويج للولاية .
- ٧- تصميم برامج سياحية بقناة البحر الأحمر الفضائية .
- ٨- الإهتمام بالتدريب والتأهيل للمنظمات المدنية .
- ٩- وضع خطة تسويقية وإعلامية للسياحة بالولاية .
- ١٠- تشجيع الإستثمار السياحي بالولاية في الصناعات الحرفية والتراثية .
- ١١- إنشاء صندوق تمويل للسياحة بالولاية .
- ١٢- تكوين مجلس إستشاري للسياحة بالولاية .
- ١٣- تشكيل منظمة سياحية لتنمية السياحة بالولاية
- ١٤- تطوير البرامج الإرشادية للسياحة بالولاية .
- ١٥- رسم خارطة إرشادية للسياحة بالولاية .

إقتراحات لتطوير السياحة بالولاية :

- ١- التركيز على السياحة الثقافية والدينية والرياضية .
- ٢- تطوير البنى التحتية بالولاية.

- ٣- الحفاظ علي البيئة من التلوث .
- ٤- إعتتماد التصميم المعماري علي الإرث العربي والإسلامي .
- ٥- دعم الإستثمار السياحي الداخلي .
- ٦- مراجعة المنح الإستثمارية والتسهيلات والإمميزات .
- ٧- توظيف الإستثمارات في المشروعات السياحية الصغيرة .
- ٨- الإهتمام بالترويج والإعلام السياحي
- ٩- إنشاء صندوق للعائدات السياحية .
- ١٠-مراجعة إجراءات السفر الداخلي .
- ١١-منع الظواهر السالبة المرتبطة بالنشاط السياحي .
- ١٢- التركيز علي الخدمات السياحية المرتبطة بالمجتمع المحلي .
- ١٣-إعتتماد تمويل الخبرات الوطنية في التنقيب الأثري.
- ١٤-إنشاء الحدائق والمتاحف المتخصصة .
- ١٥-مراجعة السياسات واللوائح السياحية.
- ١٦-إقامة اللقاءات العلمية السنوية للدراسات السياحية.

المصادر والمراجع :

١. بلغيث سعيدة ، دور المجتمع المدني في ترقية السياحة المحلية المستدامة بولاية بجاية نموذجا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بجاية ، بجاية ، الجزائر ، ٢٠١٥م.
٢. تلي محمد إسلام ، دور السياحة في التنمية المحلية دراسة حالة ولاية غرداية ،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الإقتصادية ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، الجزائر ، ٢٠١٤م.
٣. جعفر محمد مصطفى أبوزيد ، الإطار التنظيمي للسياحة في السودان، مطبوعات إدارة السياحة ولاية الخرطوم ،الخرطوم ٢٠٠٥م.
٤. جعفر محمد مصطفى أبوزيد ، مبادئ صناعة السياحة ، دار الفيوم للطباعة والنشر ، الفيوم ، مصر ، ٢٠٠٨م.

٥. جعفر محمد مصطفى أبوزيد، أشكال السياحة في السودان ودورها في الطلب السياحي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، ٢٠٠٨ م
٦. عبد الباسط وفاء التنمية السياحية المستدامة أدار النهضة العربية ٢٠٠٥ م.
٧. عبدالرحمن أحمد أبو دوم، دور منظمات المجتمع المدني في التوعية المجتمعية، المجلة العلمية، العدد، ٢٣، تونس، ٢٠١٤ م.
٨. فتحي بلعيد أبورزيزة، المجتمع المدني ودوره التنمية، المؤتمر الإقتصادي الأول للإستثمار التنمية في منطقة الخمس في الفترة من ٢٥-٢٧-٢٠١٧ م.
٩. ليلي محمد خضير، تأثيرات المجتمعات المحلية على منشآت السياحة مع التركيز على معايير تصميم الفندق البيئي، رسالة ماجستير غير منشورة في الهندسة المعمارية، جامعة عين شمس، مصر، ٢٠٠٥ م.
١٠. محمد جمال مظلوم، دور مؤسسات المجتمع المدني ودورها في التوعية المرورية، الحلقة التدريبية، قسم التدريب، كلية التدريب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٣ م.
١١. محمد صبحي عبدالحكيم جغرافية السياحة مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ٢٠١٢ م
١٢. محمد مرسي الحري، جغرافية السياحة دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٣ م
١٣. منظمة هاريكار غير الحكومية، دور منظمات المجتمع المدني في التنمية الإجتماعية، مطبعة زاتا، دهوك، العراق، ٢٠٠٧ م.
١٤. المنظمة العربية للسياحة، التقرير السنوي، ٢٠١٧ م
١٥. منظمة السياحة العالمية، التقرير السنوي، ٢٠١٧ م
١٦. الموقع الالكتروني لولاية البحر الأحمر، ٢٠١٧ م
١٧. وزارة السياحة والتراث القومي أ تقارير ادارة المعلومات والبحوث الخرطوم ٢٠١٦ م
١٨. ولاية البحر الأحمر وزارة السياحة و الاعلام مطبوعات الوزارة ٢٠١٧ م
١٩. وزارة السياحة ولاية البحر الأحمر ٢٠١٧ م

